آراء ابن حبان

في مسائل العقيدة ومنهجه في عرضها

د. عبدالعزيز بن عبدالله المبدل





المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الدراسات الإسلامية
شعبة العقيدة

آراء ابن حبان في مسائل العقيدة ومنهجه في عرضها

إعداد الطالب
عبدالعزيز بن عبدالله المبدل

إشراف
أ.د/ محمد أبو الغيط الفرت

١٤١٧هـ

المقدمة

وتحتوي على:

أولا: أهمية الموضوع

ثانياً: أسباب إختياره

ثالثاً: العمل الذي سرت عليه في إعداد هذا الموضوع

* خطـة البحث



المقدمـة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

[سورة آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾.

[سورة النساء: الآية ١].

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ [سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإن من أجل العلوم وأشرفها على الإطلاق، علم العقيدة، ذلك العلم الذي يبحث في ذات الله تعالى من حيث إفراده بالربوبية، والألوهية، وإثبات أسمائه الحسنى وصفاته العليا، ولما كان شرف هذا العلم بهذه المثابة، حرصت على أن يكون البحث التكميلي لمرحلة الماجستير في علم العقيدة، وقيض الله تعالى لي أن يكون موضوع البحث في: (آراء ابن حبان في مسائل العقيدة ومنهجه في عرضها.



أولاً: أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية هذا الموضوع في الأمور الآتية:

١- يلقي الضوء على آراء ابن حبان الذي اختلفت الأقوال فيه، وتعددت الآراء في انتمائه.

٢- يرتبط بعالم علا شأنه وذاع صيته بين العلماء في وقته وبعده، وانتشرت مؤلفاته ونهل الناس مما حوته.

٣- يجمع الآراء التي ذهب إليها ابن حبان في مختلف مسائل الاعتقاد، ومن ثم ترتيبها ودراستها في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

٤- تحقيق وتمحيص مالاكته بعض الألسنة من تهم وجهت إلى بعض مسائل العقيدة عند ابن حبان وبيان القول الحق فيها.

٥- يبين أهمية الردود التي رد بها على المخالفين للعقيدة الصحيحة على اختلاف بدعهم.

ثانياً: أسباب اختياره:

لقد دفعني إلى اختيار هذه الموضوع أسباب عدة أجملها فيما يلي:

١- مكانة ابن حبان العلمية وانتشار مؤلفاته التي تعد مصدراً يستقى منه في الاستدلال على مسائل العقيدة ككتابه الصحيح.

٢- معرفة مدى تأثر ابن حبان بشيوخه الذين هم من أئمة أهل السنة في نصرة الحق وقمع الباطل كما تشهد سيرهم بذلك كالحسن بن سفيان وابن خزيمة ومحمد بن إسحاق السراج رحمهم الله جميعاً، وغيرهم كثير.

٣- اشتمال كتبه - وبالأخص كتابه الصحيح - على عدد كبير من الأحاديث المتعلقة بأمور العقيدة وهي بحاجة إلى جمعها وترتيبها ودراستها.

٤- تضمنت كتبه تعليقات نفيسه وتراجم هامة تميزت بالدقة والإيجاز يمكن الاستفادة منها في الرد على أهل البدع والأهواء.

٥- تضمنت كتبه تعليقات وتعقيبات تحتاج إلى تجلية وإيضاح لئلا تفهم فهما خاطئاً فيطعن عليه وينال منه لأجلها.

٦- اشتملت كتبه على تعليقات أبعد فيها ابن حبان النجعة عن المنهج الحق وهي بحاجة إلى تصويب وتقويم.

٧- تحقيق وتمحيص التهم التي وجهت إلى ابن حبان وبيان القول الحق فيها.

٨- قيام أقسام العقيدة في بعض الجامعات بدراسة آراء عدة من العلماء في العقيدة ممن هم أقل مرتبة في العلم والشهرة من ابن حبان كالبيضاوي والشوكاني والألوسي والقاسمي وغيرهم.

٩- لم يسبق أحد إلى تسجيل هذا الموضوع في رسالة علمية بعد البحث والسؤال.

ثالثاً: العمل الذي سرت عليه في إعداد هذا الموضوع:

١- جمعت ما ذكره ابن حبان في كتبه المتوفرة بعد قراءتها كلها واستخلصت منها ما لم تعلق بآرائه في العقيدة.

٢- قمت بتصنيف وترتيب ما وقفت عليه من آرائه في مسائل العقيدة وفق خطة البحث.

٣- بدأت في صياغة البحث بعرض آراء ابن حبان في كل مسألة بعد نقلها بنصها واستدلالاته عليها ليتضح للقارىء رأى ابن حبان ومنهجه في عرض مسائل العقيدة، وأتبعت آراءه بذكر آراء السلف في تلك المسائل بالتأييد إن كان موافقاً لهم، والتصويب والتقويم إن كان مخالفاً.

٤- أصدر بعض المباحث أحياناً بتعريفات لغوية واصطلاحية، لتوقف فهم المراد عليها.

٥- قمت بتوثيق النصوص التي أنقلها، وذلك بإحالتها إلى مصادرها من كتب أهل العلم.

٦- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها.

٧- خرجت الأحاديث الواردة في البحث مكتفياً بالتخريج من الصحيحين إن كان فيهما، أو في أحدهما، وإلا خرجته من بقية الكتب الستة والمسند مع ذكر الحكم على الحديث غالباً، وذلك بنقل كلام أئمة أهل الحديث إن وجد، وإلا اجتهدت من تلقاء نفسي في معرفة الحكم.

٨- ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث، دون المشاهير منهم كالصحابة رضي الله عنهم والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة ونحوهم، حتى لا تثقل حواشي الرسالة بالتراجم.

٩- عرفت بالفرق الواردة في صلب البحث، وشرحت معاني الألفاظ الغريبة.

١٠- للاستفادة من البحث وسهولة الوصول إلى بعض المعلومات قمت بوضع فهارس لما يلي:

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار.





فهرس الأعلام.

التعرف بالفرق.

المصادر والمراجع.

موضوعات البحث.

وهذا وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة، وكان البحث وفق الخطة التالية:

المقدمة: وتشمل على:

١- أهمية الموضوع.

٢- سبب اختياره.

٣- عملي في البحث.

٤- خطة البحث.

التمهيد: ويشمل على:

المبحث الأول: دراسة موجزة لحياة ابن حبان رحمه الله وتضمنت الآتي:

١- اسمه ونسبه وكنيته.

٢- مولده.

٣- وفاته.

٤- حياته العلمية.

المبحث الثاني: منهج الاستدلال عند ابن حبان

الباب الأول

آراء ابن حبان في الإلهيات

ويشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: آراؤه في التوحيد، ويحتوى على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول : أسماء الله تعالى.

المطلب الثاني: صفات الله تعالى.

الفصل الثاني: آراؤه في أفعال الله تعالى «القضاء والقدر» ويحتوي على خمسة مباحث:

المبحث الأول: وجوب الإيمان بالقدر.

المبحث الثاني: ذم القدرية وذم الخائضين في القدر.

المبحث الثالث: مراتب القدر، ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: العلم.

المطلب الثاني: الكتابة.

المطلب الثالث: المشيئة.

المطلب الرابع: الخلق والإيجاد.

المبحث الرابع: الاحتجاج بالقدر.

المبحث الخامس: تكليف ما لا يطاق.

الباب الثاني

آراء ابن حبان في النبوات

ويشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: آراؤه في مفهوم النبوة ودلائلها ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم النبوة.

المبحث الثاني: دلائل النبوة.

الفصل الثاني: آراؤه في عصمة الأنبياء ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: الإيمان بالرسل.

المبحث الثاني: عصمة الأنبياء.

الباب الثالث

آراء ابن حبان في السمعيات

ويشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: آراؤه في الملائكة والجن، ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: الملائكة.

المبحث الثاني: الجن.

الفصل الثاني: آراؤه في المعاد، ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: الفتن وأشراط الساعة، ويتضمن ثلاث مطالب.

المطلب الأول : الفتن.

المطلب الثاني: أشراط الساعة الصغرى.

المطلب الثالث: أشراط الساعة الكبرى.

المبحث الثاني: البعث والجزاء، ويتضمن ثمان مطالب.

المطلب الأول : عذاب القبر ونعيمه.

المطلب الثاني: البعث

المطلب الثالث : الحشر والحساب.

المطلب الرابع: الحوض.

المطلب الخامس: الشفاعة.

المطلب السادس: الصراط.

المطلب السابع: صفة الجنة.

المطلب الثامن: صفة النار.

الباب الرابع

آراء ابن حبان في الأسماء والأحكام

ويشتمل هذا الباب على فصلين :

الفصل الأول: آراؤه في الإيمان والإسلام، ويحتوي على ثمانية مباحث:

المبحث الأول : مسمى الإيمان والإسلام.

المبحث الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث : دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

المبحث الرابع : الاستثناء في الإيمان.

المبحث الخامس: الكبيرة وحكم مرتكبها.

المبحث السادس: الكفر والشرك.

المبحث السابع : النفاق.

المبحث الثامن : البدعة وحكم مرتكبها.

الفصل الثاني: آراؤه في الإمامة والصحابة رضي الله عنهم، ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: الإمامة، ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول : الإمامة في قريش.

المطلب الثاني: بيعة الأئمة.

المطلب الثالث: طاعة الأئمة.

المطلب الرابع: الخروج على الإمام.

المبحث الثاني: الصحابة رضي الله عنهم، ويتضمن ثلاث مطالب.

المطلب الأول : فضلهم.

المطلب الثاني: عدالتهم.

المطلب الثالث : النهي عن سبهم.



الخاتمة:

وتحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

فهارس البحث.

وفي نهاية المقدمة أقول: إن هذا جهل المقل، فما كان صواباً فمن الله تعالى، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله أسأل أن يغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي، وكل ذلك عندي.

وفي الختام أتقدم بالشكر لجامعة الملك سعود ممثلة في كلية التربية، وفي قسم الدراسات الإسلامية، شعبة العقيدة على إتاحة الفرصة لتسجيل هذه الرسالة والله أسأل أن يجزل الأجر والمثوبة لكل من أعانني على استكمال هذا البحث وأخص منهم الأستاذ الدكتور محمد أبو الغيط الذي تفضل مشكوراً ومأجوراً إن شاء الله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، فلم يدخر وسعاً في إفادتي من علمه وتوجيهاته فجزاه الله خيراً ووفقه للعلم النافع والعمل الصالح.

كما أخص بالشكر أيضاً الشيخ سعد بن عبدالله الحميّد، والشيخ حمد بن عبدالمحسن التويجري، فقد كان لهما إسهاماً كبيراً في توفير بعض ما احتجت إليه من مراجع علمية إضافة إلى توجيهاتهما العلمية فجزاهم الله عني خير الجزاء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



تمهيد

المبحث الأول : دراسة موجزة لحياة ابن حبان رحمه الله

المبحث الثاني : منهج الاستدلال عند ابن حبان



المبحث الأول:
دراسة موجزة لحياة ابن حبان رحمه الله

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته:

هو الإمام العالم الفاضل المتقن المحقق الحافظ العلامة، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ بن مرة التميمي البستي السجستاني[١].

والتميمي، نسبة إلى تميم، جدٌّ القبلة العربية المشهورة.

والبستي، نسبة إلى مدينة بست، إحدى أعمال سجستان، تقع على الضفة اليسرى للنهر الكبير هيلمند، إلى الجنوب من الموقع الذي يتصل بنهر أرغندب، وكانت مدينة بست قد دخلت في حوزة المسلمين سنة ثلاث وأربعين للهجرة على يد عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

أما كنيته؛ فقد كان يكنى بأبي حاتم، ولم تختلف كتب التراجم فيما بينها على تكنيته بهذه الكنية.

ثانياً: مولـده:

تجمع كتب التاريخ والتراجم على أن ابن حبان بستي المولد والنشأة، إلا أنها لم تعين سنة ولادته، لكن الإمام الذهبي رحمه الله رجح أن تكون سنة ولادته، سنة بضع وسبعين ومئتين[٢]، ومما يؤكد ولادته خلال هذه الفترة أنه توفي وقد قارب الثمانين من عمره.

---

(١) مصادر ترجمة ابن حبان كثيرة جداً منها: «الأنساب» للسمعاني: (٢/٢٠٩)، «إنباه الرواة» للقفطي: (٣/١٢٢)، «طبقات الشافعية» للسبكي: (٣/١٣١)، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة: (١/١٠٥)، «طبقات الشافعية» للإسنوي: (١/٤١٨)، «طبقات الحفاظ» للسيوطي: (ص ٣٧٤)، «الكامل في التاريخ» لابن الأثير: (٨/٥٦٦)، سير أعلام النبلاء» للذهبي: (١٦/٩٢-١٠٤)، «الوافي بالوفيات» للصفدي: (٢/٣١٧)، «لسان الميزان» لابن حجر: (٥/١١٢)، «البداية والنهاية» لابن كثير: (١١/٢٥٩)، «شذرات الذهب» لابن العماد: (٣/١٦)، «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي: (٣/٣٤٢)، «معجم البلدان» لياقوت الحموي: (١/٤١٥-٤١٩).
وممن استوفى ترجمة ابن حبان، الباحث: عداب بن محمود الحمش، وذلك في رسالته الماجستير «الإمام محمد بن حبان البستي ومنهجه في الجرح والتعديل» فقد أطال في ترجمته وذلك من (ص ١٣٠-١٩٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي: (١٦/٩٣) ط ٤، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ثالثاً: وفاته:

توفي ابن حبان رحمه الله تعالى في ليلة الجمعة لثمان ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤هـ، ودفن بعد صلاة الجمعة في الصفة التي ابتناها قرب داره، وذلك في مدينة بست[١]، بعد حياة حافلة بطلب العلم مدارسة وتدريساً، وقضاءاً وإفتاءاً فرحمه الله رحمة واسعة.

رابعاً: حياته العلمية:

أ - مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

حظي ابن حبان رحمه الله تعالى بمكانة مرموقة في الأوساط العلمية، ولم يتبوأ هذه المنزلة إلا لما كان عليه من عظيم الرحلة في طلب العلم وكثرة الشيوخ والأحاديث التي تلقاها عنهم وكان له أيضاً إسهام كبير في نشر العلم بشتى وسائله تدريساً وتصنيفاً وتفقيهاً للناس وإفتاءً وقضاء بينهم، فكل هذا جعل ابن حبان جديراً بكل ما قيل فيه من ثناء العلماء عليه وتوثيقه والذب عنه.

ولما كان أعلم الناس به تلاميذه فقد وصفه تليمذه الحاكم بقوله: (كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ، ومن عقلاء الرجال. صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق إليه)[٢].

وقال أيضاً: (كانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته)[٣].

وقال أبو سعد الأدريسي: (كان على قضاء سمرقند زمانا، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم، صنف «المسند الصحيح» وكتاب «التاريخ» وكتاب «الضعفاء» وفقه الناس بسمرقند)[٤].

وقال الخطيب البغدادي: (كان ابن حبان ثقة نبيلا فهما)[٥].

وقال ياقوت الحموي: (كان ابن حبان مكثرا في الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون والأسانيد، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم أن

---

(١) المصدر السابق: (١٦/١٠٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء»: (١٦/٩٤).

(٣) «معجم البلدان» لياقوت الحموي: (١/٤٩٥)، ط ١، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٤) «سير أعلام النبلاء»: (١٦/٩٤)، «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني: (٥/١١٤) ط ٢، دار الكتاب الإسلامي.

(٥) المصدر السابق: (١٦/٩٤).



الرجل كان بحراً في العلوم)[١].

وقال السمعاني: (كان أبو حاتم إمام عصره، صنف تصانيف لم يسبق إلى مثلها)[٢].

وقال الحافظ ابن كثير: (محمد بن حبان، صاحب «الأنواع والتقاسيم» وأحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين)[٣].

وقال الحافظ ابن حجر: (كان من أئمة زمانه، وطلب الحديث على رأس ثلاثمائة ...

وقال: كان عارفاً بالطب والنجوم والكلام والفقه رأساً في معرفة الحديث ...

وقال: إنه صاحب فنون وذكاء مفرط، وحفظ واسع إلىٰ الغاية)[٤].

فهذه نماذج يسيرة من ثناء كبار العلماء والأئمة على ابن حبان رحمه الله تعالى، فليس غريباً عندئذ أن يتبوأ ابن حبان هذه المكانة الرفيعة التي أراد خصومه أن يزحزحوه عنها وذلك باتهامه بتهم ستأتي الإجابة عنها في أثناء البحث بإذن الله تعالى.

ب - رحلاته العلمية:

كان ابن حبان رحمه الله تعالى من أكثر العلماء ارتحالا، ومن أوسعهم رحلة، وكانت بداية ارتحاله في طلب العلم بعد أن حصل علم شيوخ بلده ـ على رأس الثلاثمائة وعمره آنذاك في الخامسة والعشرين[٥].

وقد بلغت مجموعة البلدان التي ارتحل إليها ابن حبان خمسا وثمانين بلدا حدث فيها عن خمسمائة شيخ وبضعة عشر شيخا، وبهذا يمكن القول بأنه لم يترك حاضرة من حواضر العلم المعروفة في القرن الرابع الهجري إلا حدث عن شيخ أو شيوخ من علمائها أو روادها، ومن بين تلك البلاد التي رحل إليها ابن حبان: تستر، وجرجان، والري، وسمرقند، ومرو، ونسا، ونيسابور، وهراة، وبغداد، والموصل، وواسط، والبصرة، وحران، والرقة، وطرسوس، ودمشق، وأنطاكية، وعسقلان، والقاهرة، والاسكندرية، إضافة إلى بلاد الحجاز، وأخيراً وبعد هذه الرحلة الطويلة في

---

(١) «معجم البلدان» لياقوت الحموي: (١/٤٩٣).

(٢) «الأنساب» لابي سعد السمعاني: (٢/٢٠٩)، ط٢، ١٤٠٠هـ، محمد أمين دمبح، بيروت، لبنان.

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير: (١١/٢٥٩) ط ٢، ١٩٧٧م، مكتبة المعارف، بيروت.

(٤) «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني: (٥/١١٢).

(٥) «ميزان الاعتدال» للذهبي: (٣/٥٠٦) دار المعرفة، بيروت.

طلب العلم والتي بلغت أربعين سنة من عمره، عاد ابن حبان إلى مسقط رأسه «بست» وحط رحله فيها وأقام بها داراً ومدرسة ورحل إليه المحدثون من كل جهة لسماع مروياته وبقي كذلك حتى وافاه الأجل المحتوم سنة أربع وخمسين وثلاثمائة رحمه الله تعالى[١].

ج - شيوخه وتلاميذه:

إن الحديث عن شيوخ ابن حبان يحتاج إلى بحث علمي يخصه، لأنهم من الكثرة بحيث يشكلون عملاً علمياً ضخماً يخدم الباحثين في الحديث وعلومه خدمة جليلة، وذلك لفقدان كثير من التواريخ التي تتحدث عن علماء تلك الفترة، كتاريخ نيسابور للحاكم، وتاريخ بخارى، وتاريخ سمرقند وغيرها.

وقد بلغ عدد شيوخ ابن حبان الذين تلقى عنهم العلم ما يقرب من ألفي شيخ كما صرح ابن حبان بذلك بنفسه حيث قال: لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ من الشاش إلى الأسكندرية[٢].

وسوف أذكر هنا أبرز شيوخه الذين أكثر الأخذ عنهم دون مراعاة الترتيب الأبجدي في أسمائهم:

١- الإمام الحافظ أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنىٰ محدث الموصل، أحد الثقات الإثبات انتهى إليه علو الإسناد، ازدحم عليه أصحاب الحديث، وأجمعوا على ثقته ودينه، عاش سبعاً وتسعين سنة، توفي سنة سبع وثلاثمائة.

٢- الإمام الحافظ الحسن بن سفيان الشيباني روى عن أحمد بن حنبل وقتيبة بن سعيد ويحيى بن معين، وهو من أقران أبي يعلىٰ، كان ممن رحل وصنف وحدث مع صحة الديانة والصلابة في السنة توفي سنة ثلاث وثلاثمائة.

٣- الإمام المحدث أو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب الجمحي البصري، كان حسن المعرفة، سمع من القعنبي وأبي الوليد الطيالسي وسليمان بن حرب وعلي بن المديني كان ثقة مأموناً، صادقاً، أديباً، فصيحاً، وهو أكبر شيخ لقيه ابن حبان، توفي سنة خمس وثلاثمائة.

(١) «معجم البلدان» (١/٤٩٣-٤٩٥)، «سير أعلام النبلاء: (١٦/٩٣).

(٢) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» علاء الدين الفارسي: (١/١٥٢) ط ١، ١٤٠٨هـ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، «سير أعلام النبلاء»: (١٦/٩٤).







٤- إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، عنى في حداثته بالحديث والفقه حتى صار ممن يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، سمع من ابن راهوية وعلي بن حجر وأحمد بن منيع وخلق سواهم، وحدث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين.

كان إماماً ثبتاً، معدوم النظير، لازمه ابن حبان وأكثر عنه وأثنىٰ عليه بما لم يثن على غيره، توفي ابن خزيمة رحمه الله سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

٥- الإمام الحافظ، شيخ الإسلام أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران الثقفي - مولاهم - الخراساني النيسابوري، كان على جانب عظيم من التقى والورع والعلم، سمع من قتيبة بن سعيد وإسحاق بن راهوية وأحمد بن منيع، وهناد بن السري وخلق سواهم.

قال الخطيب البغدادي: كان من الثقات الإثبات، عنىٰ بالحديث، وصنف كتباً كثيرة وهي معروفة توفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة رحمه الله تعالى[1].

٦- الإمام الحافظ الكبير الجوّال، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الأصل الاسفراييني، كان من علماء الحديث وأثباتهم، سمع من يونس بن عبدالأعلى، ومحمد بن يحيى الذهلي وأحمد بن سعيد الدارمي وخلق كثير، وكانت وفاته سنة ست عشر وثلاثمائة.

٧- الإمام الثقة أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة اللخمي العسقلاني، كان مسند أهل فلسطين، ذا معرفة وصدق، روى عنه ابن حبان كثيراً، توفي قرابة سنة عشر وثلاثمائة.

٨- الإمام الحافظ أبو حفص عمر بن محمد بن بجير الهمداني البجيري السمرقندي، كان من أوعية العلم فاضلاً خيراً ثبتاً في الحديث له الغاية في طلب الآثار والرحلة، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

٩- الإمام المحدث الحجة أبو إسحاق عمران بن موسى بن مجاشع الجرجاني السختياني كان كثير التصنيف والرحلة، توفي سنة خمس وثلاثمائة[2].

فهؤلاء هم الذين أكثر عنهم ابن حبان في كتبه، أما بقية شيوخه فقد استوفت كتب التاريخ

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي: (١/ ٢٤٨) دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) لمعرفة المزيد من شيوخ ابن حبان، ينظر الكتب التالية: «سير أعلام النبلاء»: (١٦/ ٩٣)، «معجم البلدان»: (١/ ٤٩٤-٤٩٥)، «الوافي بالوفيات»: (٢/ ٣١٧، ٣١٨)، «طبقات الشافعية» للسبكي: (٣/ ١٣١، ١٣٥).

والتراجم ذكر اسمائهم ووفاياتهم، والمقام هنا لا يتسع لذكرهم جميعاً، وإنما أوردت منهم من كان له أثر كبير في علم ابن حبان فيما بعد.

أما تلاميذ ابن حبان فهم جم غفير فقد رحل إليه كثير من المحدثين وقرأوا عليه مصنفاته وسمعوا مروياته، وكان من تلاميذه الذين ذاع صيتهم فيما بعد:

١- الحافظ الكبير أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع الملقب بالحاكم، طلب الحديث في الصغر واستملى من ابن حبان وهو ابن ثلاث عشر سنة، روى عن أبيه ومحمد بن علي بن عمر المذكر وأبي العباس الأصم، وأبي علي الحافظ، وحدث عنه الدارقطني والبيهقي وأبو القاسم القشيري وخلق سواهم.

صنف من الكتب ما يقارب ألف جزء حديثي، من تخريج الصحيحين والعلل، والتراجم، والأبواب، والشيوخ، ثم المجموعات مثل معرفة علوم الحديث، والمستدرك على الصحيحين، وتاريخ نيسابور وغيرها. توفي رحمه الله في شهر صفر سنة خمس وأربعمائة رحمه الله تعالى.

٢- الإمام الحافظ الجوال أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن أبي زكريا يحيى بن منده الأصبهاني العبدي، سمع من أبي حامد بن بلال، ومحمد بن الحسين القطان، وأبي العباس الأصم قال عنه الذهبي رحمه الله بعد أن سرد أسماء المدن التي رحل إليها والعلماء الذين أخذ عنهم قال وسمع من خلق سواهم بمدائن كثيرة ولم أعلم أحداً كان أوسع رحله منه ولا أكثر حديثاً منه مع الحفظ والثقة، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمائة شيخ[١].

٣- الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، من بحور العلم وأئمة الدنيا في الحفظ والفهم والورع، سمع من البغوي وابن أبي داود وابن صاعد وخلائق لا يحصون كثيرة، صنف في الحديث والعلل والفقه والقراءات والأدب، توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة رحمه الله تعالى.

٤- الحافظ العالم أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن كامل البخاري، حدث عن خلف بن محمد الخيام، وسهل بن عثمان السلمي، ومحمد بن حفص بن أسلم، كان حافظاً ثقة مصنفاً توفي سنة ثنتي عشرة وأربعمائة رحمه الله تعالى[٢].

---

(١) «سير أعلام النبلاء»: (١٧/ ٣٠).

(٢) لمعرفة المزيد من تلاميذ ابن حبان ينظر: «معجم البلدان»: (١/ ٤٩٥)، «سير أعلام النبلاء»: (١٦/ ٩٤).



د - آثاره العلمية:

خلّف ابن حبان رحمه الله تعالى تراثاً علمياً ضخماً يدل على سعة علمه وعلو همته، لكن لم يكتب البقاء لهذا التراث العلمي كما أشار إلى ذلك الحافظ الذهبي حيث قال: قال مسعود بن ناصر وهذه التواليف ـ أي مؤلفات ابن حبان ـ إنما يوجد منها النزر اليسير، وكان قد وقف كتبه في دار، فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمن ضعف أمر السلطان واستيلاء المفسدين[٢].

والناظر في ترجمة ابن حبان رحمه الله تعالى يجد أنه قد ضرب بسهم من التصنيف في كل فن فقد صنف في الحديث وعلله وأوهامه، وفي التاريخ والسير وأحوال الرجال، وفي الفقه وأصوله، وفي العقيدة، وفي التربية واللغة والأدب، وغيرها من العلوم، لكن لم يصل إلينا من التصانيف في هذه الفنون إلا القليل، والقليل جداً، وكان الخطيب البغدادي ممن يتحسر على ضياع كتب ابن حبان وينعى على أهل تلك البلاد جهلهم وبلادتهم، فيقول: ومثل هذه الكتب كان يجب أن يكثر بها النسخ، فيتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ويجلدوها إحرازاً لها، ولا أحسب المانع من ذلك كان إلا قلة معرفة أهل العلم تلك البلاد بمحل العلم وفضله وزهدهم فيه ورغبتهم عنه وعدم بصيرتهم به والله أعلم[٢].

ومن بين كتبه التي كُتب لها أن تبقىٰ وينهل الناس منها ويستفيدوا، الكتب الآتية:

١- كتاب «الثقات» وقد رتب الكتاب على الطبقات، فبدأ بذكر النبي ﷺ ومولده ومبعثه وهجرته إلى أن توفاه الله تعالى، ثم ذكر الخلفاء الراشدين، ومن جاء بعدهم من الخلفاء الراشدين، ومن جاء بعدهم من الخلفاء، ثم ذكر الصحابة رضي الله عنهم على ترتيب حروف المعجم، ثم التابعين الذين شافهوا الصحابة رضي الله عنهم على حروف المعجم ثم القرن الثاني الذين رأوا التابعين ثم القرن الثالث وهم أتباع التابعين.

وقد طبع هذا الكتاب كاملاً في تسعة أجزاء في مطبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن بالهند. فصدر الجزء الأول من سنة ١٩٧٣م وتم الانتهاء من الكتاب سنة ١٩٨٣م.

٢- كتاب «معرفة المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين» وقد ابتداء هذا الكتاب بذكر أنواع الجرح ثم أورد أسماء المجروحين على حسب حروف المعجم، وختم الكتاب بذكر

---

(١) «سير أعلام النبلاء»: (١٦/ ٩٥)، «معجم البلدان»: (١/ ٤٩٦).

(٢) «معجم البلدان»: (١/ ٤٩٦).

الرواة المعروفين بكناهم وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد إبراهيم زايد، ونشر بواسطة دار الوعي بحلب، وخرجت الطبعة الأولى منه سنة ١٣٩٦هـ.

٣- كتاب «مشاهير علماء الأمصار» وهو كتاب مختصر ذكر فيه مشاهير علماء الأمصار، وأعلام فقهاء الأمصار دون الضعفاء والمتروكين، وضم هذا الكتاب (١٦٠٢) ترجمة مرتبة على الطبقات ابتداء بالصحابة رضي الله عنهم ثم التابعين ثم أتباع التابعين، وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٩٥٩هـ.

٤- كتاب «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» وهو كتاب يبحث في الأدب ومكارم الأخلاق وقد طبع مرات عديدة، إحداها في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٤٩م.

٥- كتاب «التقاسيم والأنواع» وهو من أهم كتبه التي وصلت إلينا، ويضم هذا الكتاب ما يقرب من خمسمائة حديث وسبعة آلاف حديث رواها بأسانيده المختلفة، ولكن هذا الكتاب لم يطبع على طريقة ابن حبان التي ألف الكتاب عليها، وإنما طبع على طريقة الترتيب على الأبواب الفقهية التي قام بها الأمير علاء الدين الفارسي وسماه «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» وبين رحمه الله أنه لم يعمد إلى ترتيبه على الأبواب الفقهية إلا لما تعذر الاقتباس من كتاب ابن حبان على طريقته التي سار عليها وقد طبع هذا الكتاب طبعة محققه قام على تحقيقها والاعتناء بها شعيب الأرنؤوط، وخرجت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٤٠٨هـ.





المبحث الثاني:

منهج الاستدلال عند ابن حبان

لم يختلف ابن حبان رحمه الله تعالى في منهجه في الاستدلال على مسائل العقيدة عن منهج أهل السنة والجماعة، فهو ـ رحمه الله ـ يقرر ما تناوله من مسائل العقيدة في ضوء الكتاب والسنة النبوية وإجماع الأمة.

وفيما يلي عرض موجز للمصادر التي يقرر في ضوئها مسائل الاعتقاد التي تناولها في كتبه.

أولاً: القرآن الكريم:

الأصل الأول والركيزة الأولىٰ في تقرير مسائل الاعتقاد عند ابن حبان هو القرآن الكريم فقد أوضح هذا الأمر في مواضع كثيرة من كتبه.

قال رحمه الله في مقدمة كتابه الصحيح المسمى بـ « التقاسيم والأنواع » عن القرآن الكريم: (والله قد أرسل بهذا الكتاب رسوله وجعله إلى جنانه هادياً، فبلغ رسول الله ﷺ رسالاته، وبين المراد من آياته)[1].

وقال في كتابه « الثقات »: (فمن تنازع بعد رسول الله ﷺ في شيء، وجب رد أمره إلى قضاء الله ثم إلى قضاء رسول الله ﷺ ...)[2].

وقال أيضاً في كتابه الصحيح المسمى بـ« التقاسيم والأنواع »: (وخطاب الكتاب قد يستقل بنفسه بحاله دون حاله، حتى يستعمل على عموم ما ورد الخطاب فيه، وقد لا يستقل في بعض الأحوال حتى يستعمل على كيفية اللفظ المجمل الذي هو مطلق الخطاب في الكتاب، دون أن تبينها السنن)[3].

وقال ـ رحمه الله ـ مبيّنا أن مرد الأحكام ـ عقيدة وفقهاً ـ إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ عند روايته لحديث عائشة رضي الله عنها: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[4]، (ذكر

---

(١) « الإحسان »: (١٠٢/١).

(٢) « الثقات » لابن حبان: (٥/١) ، ط ١، ١٣٩٣هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

(٣) « الإحسان »: (٢١٠/٣-٢١١).

(٤) يأتي تخريجه في موضعه بإذن الله تعالى.

البيان بأن كل من أحدث في دين الله حكماً ليس مرجعه إلى الكتاب والسنة فهو مردود غير مقبول)[١].

واستقصاء كلامه رحمه الله في تقرير الاستدلال على مسائل الاعتقاد بالقرآن الكريم أكثر من أن يحاط به في مثل هذا الموضع.

ومن الأمثلة على استدلاله على مسائل الاعتقاد بالقرآن الكريم ما أورده ـ رحمه الله ـ في كتابه الصحيح المسمىٰ بـ « التقاسيم والأنواع » في تقرير رؤية المؤمنين في الجنة لخالقهم ـ عز وجل ـ كما جاءت بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتواترة، فقد قال ـ رحمه الله ـ: (وغير مستحيل على الله جل وعلا أن يُمكن المؤمنين المختارين من عباده من النظر إلى رؤيته ـ جعلنا الله منهم بفضله ـ حتى يكون فرقا بين الكفار والمؤمنين، والكتاب ينطق بمثل السنن التي ذكرناها سواء قوله جل وعلا: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾[٢]، فلما أثبت الحجاب عنه للكفار، دلّ ذلك على أن غير الكفار لا يحجبون عنه ...)[٣].

ومن الأمثلة كذلك أنه جمع شعب الإيمان الوارد ذكرها في قوله ﷺ : «**الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**»[٤] من الكتاب والسنة.

قال رحمه الله تعالى في بيان طريقة حصره لشعب الإيمان: (فجعلت أعد الطاعات من الإيمان فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئاً كثيراً، فرجعت إلى السنن، فعددت كل طاعة عدّها رسول الله ﷺ من الإيمان، فإذا هي تنقص من البضع والسبعين فرجعت إلى ما بين الدفتين من كلام ربنا وتلوته آية آية بالتدبر، وعددت كل طاعة عدّها الله جل وعلا من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين فضممت الكتاب إلى السنن، وأسقطت المعاد منها، فإذا كل شيء عدّه الله جل وعلا من الإيمان في كتابه، وكل طاعة جعلها رسول الله ﷺ من الإيمان في سننه تسع وسبعون شعبة لا يزيد عليها ولا ينقص منها شيء. فعلمت أن مراد النبي ﷺ كان في الخبر أن الإيمان بضع وسبعون شعبة في الكتاب والسنن)[٥].

---

(١) « الإحسان »: (١/ ٢٠٩).
(٢) سورة المطففين: الآية ١٥.
(٣) « الإحسان »: (١٦/ ٤٧٧).
(٤) يأتي تخريجه في موضعه بإذن الله تعالى.
(٥) « الإحسان »: (١/ ٣٨٧).



ومن هذه الأمثلة وغيرها كثير ـ مما لم أذكره ـ يتضح أن ابن حبان رحمه الله يقرر مسائل الاعتقاد في ضوء ما جاء به القرآن في تقرير دين الإسلام عقيدة وشريعة.

ثانيا: السنة النبوية:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن السنة النبوية هي شقيقة القرآن في تقرير عقيدة الإسلام وشريعته، إذ النبي ﷺ هو المبلغ عن الله تعالى ورسالاته، وهو المبيّن للمراد عن آياته، فكل ما جاء به النبي ﷺ إنما هو من عند الله تعالى لا من تلقاء نفسه عليه الصلاة والسلام.

قال رحمه الله تعالى مقرراً هذا الأمر عند إيراده لحديث: «**إني أوتيت الكتاب وما يعدله**»[1]، (ذكر الخبر المصرح بأن سنن المصطفى ﷺ كلها عن الله لا من تلقاء نفسه)[2].

ومن أقواله التي يؤكد فيها وجوب الرجوع إلى السنة النبوية في كل شيء، ومن أهمها مسائل الإعتقاد:

١- قوله رحمه الله: (من تنازع بعد رسول الله ﷺ في شيء وجب ردّ أمره إلى قضاء الله ـ الكتاب ـ ثم إلى قضاء رسوله ـ السنة ـ)[3].

٢- وقوله: (وكل ما بيّن رسول الله ﷺ، فيما ليس لله فيه حكم، فبحكم الله سنه ووجب علينا اتباعه)[4].

٣- وقوله: (وسنن المصطفى ﷺ كلها مستقلة بنفسها، لا حاجة بها إلى الكتاب لأنها المبيّنة لمجمل الكتاب والمفسرة لمبهمه).

قال الله ـ جل وعلا ـ: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم**﴾[5]، فأخبر جل وعلا أن المفسر لقوله: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾[6]، وما أشبهها من مجمل الألفاظ في الكتاب،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٤/١٣١)، وأبو داود: (٤/٢٠٠، ح ٤٦٠٤) في السنة: باب لزوم السنة، والترمذي: (٧/٣١٠، ح ٢٦٦٦) في العلم: باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، وابن ماجه: (١/٦، ح ١٢) في المقدمة: باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والدارمي: (١/١٤٤)، والطبراني في «الكبير»: (٢٠/٦٤٩)، والحاكم: (١/١٠٩)، وصححه واقره الذهبي وسنده حسن.

(٢) «الإحسان»: (١/١٨٩).

(٣) «الثقات»: (١/٥).

(٤) «الثقات»: (١/٧).

(٥) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ٤٣.

رسوله ﷺ.

ومحال أن يكون الشيء المفسر له الحاجة إلى الشيء المجمل، وإنما الحاجة تكون للمجمل إلى المفسر، ضد قول من زعم أن السنن يجب عرضها على الكتاب، فأتى بما لا يوافقه الخبر، ويدفع صحته النظر[1].

والسنة التي يقرر ابن حبان في ضوئها ـ العقائد والأحكام ـ (هي السنةُ الصحيحة الثابتة ومما قاله في ذلك: ولسنا نستجيز أن نحتج بخبر لا يصح من جهة النقل في شيء من كتبنا، ولأن فيما يصح من الأخبار ـ بحمد الله ومنّه ـ يغنينا عن الاحتجاج في الدين بما لا يصح منها)[2].

ولاشك أن ما ذهب إليه ابن حبان هو الحق الذي لا يجوز العدول عنه لوضوح الأدلة من الكتاب والسنة في بيان ذلك. كقوله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[3] فالذي يجب الأخذ به والعمل بمقتضاه ما صحت نسبته إلى رسول الله ﷺ: وقوله ﷺ: «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوا مقعده من النار**»[4] فالخبر المكذوب على رسول الله ﷺ لا تجوز نسبته إليه عليه الصلاة والسلام، وإذا كان ذلك كذلك، فلا يجوز أيضاً العمل به، إذ العمل به فرع عن ثبوت الصحة، فمتىٰ ما صح الحديث وجب العمل به حينئذ.

رأي ابن حبان في الاحتجاج بخبر الآحاد:

إن أهم مسألة قررها ابن حبان ـ رحمه الله تعالى ـ في الاستدلال بالسنة النبوية على مسائل العقيدة وغيرها من الأحكام الشريعة هي وجوب العمل بخبر الآحاد وإفادته العلم إذا صح سنده إلى رسول الله ﷺ، دون تفريق بين ما تثبت به أمور العقيدة أو تثبت به الأحكام الشرعية.

بل إن ابن حبان يرى أن الأخبار كلها أخبار آحاد، ومعنى هذا أنه لا يقسم الخبر التقسيم الاصطلاحي المعروف بأن الأخبار على قسمين: متواتر وآحاد.

قال رحمه الله: (فأما الأخبار، فإنها كلها أخبار آحاد، لأنه ليس يوجد عن النبي ﷺ خبر

---

(١) «الإحسان»: (٢١٠، ٢١١).

(٢) «المجروحين»: (١/٢٥).

(٣) سورة الحشر: الآية ٧.

(٤) أخرجه البخاري: (١/٢٠٣، ح ١١٠) في العلم: باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ومسلم: (١/١٠، ح ٣) في المقدمة: باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ.



من رواية عدلين، روى أحدهما عن عدلين، وكل واحد منهما عن عدلين، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما استحال هذا، وبطل ثبت أن الأخبار كلها أخبار آحاد، وأن من تنكب عن قبول أخبار الآحاد، فقد عمد إلى ترك السنن كلها، لعدم وجود السنن إلا من رواية الآحاد)[1].

والذي يهمنا من كلام ابن حبان هذا ـ بغض النظر عن مسألة تقسيم الخبر إلى متواتر وآحاد، إذا لبحثها مجال آخر ـ ما أشار إليه من وجوب الأخذ بخبر الآحاد سواء كانت في العقائد أو في الأحكام، إذ العدول عن الاحتجاج بها يؤدي إلى ترك السنن كلها، لأن هذه السنن أو جُلّها لم يثبت إلا بأخبار الآحاد.

ومما استدل به على وجوب العمل بخبر الآحاد ما رواه عن أبي المليح عن أبيه رضي الله عنه قال: أصابنا مطر بحنين، فنادى منادي رسول الله ﷺ: «**أن صلوا في الرحال**»[2]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من نفى جواز قبول خبر الواحد)[3].

كما أنه ـ رحمه الله ـ قد سار على تطبيق على المنهج علميا في مصنفاته، وبالأخص كتابه الصحيح المسمى بـ «التقاسيم والأنواع» فقد أورد فيه مئات الأحاديث التي يقرر بها مسائل العقيدة كما سيتضح ذلك في أثناء البحث بإذن الله تعالى.

ولاشك أن ما ذهب إليه ابن حبان هو الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإليه ذهب جمهور الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى يوم الدين.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب العمل بخبر الآحاد ـ سواء كان في العقائد أو الأحكام ـ بالكتاب العزيز والسنة النبوية وإجماع سلف الأمة.

فأما الكتاب:

١ـ قوله تعالى: **﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾**[4].

---

(١) «الإحسان»: (١/١٥٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (٥/٧٤)، والنسائي: (٢/١١١)، في الإمامة: باب العذر في ترك الجماعة، وإسناده صحيح.

(٣) «الإحسان»: (٥/٤٣٦).

(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

فقد أمر تعالى الطائفة الباقية أو النافرة بالتفقه في الدين وبإنذار قومها بما تفقهت فيه ولفظ الطائفة يعم الواحد والاثنين لقوله تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾[١]. فإنه يصدق على ما إذا اقتتل اثنتان كما ذكر ذلك البخاري رحمه الله وغيره[٢].

وحكى الحافظ ابن حجر[٣] رحمه الله أن لفظ «طائفة» يتناول الواحد فما فوق ولا يختص بعدد معين وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كالنخعي ومجاهد[٤].

واللغة أيضاً تؤيد إطلاق لفظ «الطائفة» على الواحد، قال صاحب القاموس: والطائفة من الشيء: القطعة منه أو الواحد فصاعدا، أو إلى الألف، أو أقلها رجلان أو رجل فيكون بمعنى النفس[٥].

٢- قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾[٦]، وفي قراءة (فتثبتوا) فلما أمر بالتثبت في خبر الفاسق دل على أن خبر العدل بخلافه، وإلا لم يكن لتخصيص الفاسق معنى حيث يجب التثبت في الجميع[٧].

كما أورد أهل السنة آيات أخر واضحة الدلالة في وجوب العمل بخبر الآحاد لم أوردها رغبة في الإيجاز.

وأما السنة:

١- فمنها حديث مالك بن الحويرث حيث وفد مع بعض قومه إلى النبي ﷺ وفيه قال: «**إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم**»[٨].

٢- ومنها حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يمنعن أحدكم**

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني المصري الشافعي العلامة الحافظ، ولد سنة ٧٧٣هـ، كان من كبار الحفاظ والمحققين، صنف التصانيف النافعة في الحديث وعلومه والتاريخ وأحوال الرجال، توفي سنة ٨٥٢هـ، انظر «الضوء اللامع» للسخاوي: (٢/٣٦)، «البدر الطالع» للشوكاني: (١/٨٧).

(٣) «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني: (١٣/٢٣١)، دار المعرفة، بيروت.

(٤) المصدر السابق: (١٣/٢٣٤).

(٥) «القاموس المحيط»: (ص ١٠٧٧).

(٦) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٧) «مختصر الصواعق المرسلة» لابن القيم الجوزية، اختصار محمد الموصلي: (٢/٣٩٤)، مكتبة الرياض الحديثة.

(٨) أخرجه البخاري: (١٣/٢٣١، ح ٧٢٤٦) في أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق).

أذان بلال من سحوره، فإنه يؤذن بليل، ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم»[1].

ودلالة هذه الأحاديث في الأمر بتصديق المؤذن وهو واحد، والعمل بخبره في فعل الصلاة والعلم بدخول وقت الصلاة، وأول وقت الإفطار والإمساك مع أن هذه من العبادات التي تختل بتغير وقتها ولم يزل المسلمون في كل زمان ومكان يقلدون المؤذنين، ويعملون بأذانهم في أوقات مثل هذه العبادات، وإن هذه لأوضح دليل على وجوب العمل بخبر الآحاد.

٣- ومنها حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذا جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»[2].

٤- ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أسقي أبا طلحة الأنصاري وأبا عبيدة بن الجراح وأُبيّ بن كعب شراباً من فضيخ وهو تمر، فجاءهم آت فقال: «**إن الخمر قد حرمت، فقال أبو طلحة: يا أنس: قم إلى هذه الجرار فاكسرها، قال أنس فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى انكسرت**»[3].

والأحاديث الدالة على وجود العمل بخبر الآحاد أكثر من أن تحصر أو يحاط بها في مثل هذا الموضع.

وأما الإجماع:

فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قبول خبر الواحد والعمل به، كما نقله ابن عبدالبر[4] والقاضي أبو يعلى[5] وغيرهما.

قال ابن عبدالبر رحمه الله تعالى: (أجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار -

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣ / ٢٣١، ح ٧٢٤٧) في أخبار الآحاد: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق.

(٢) أخرجه البخاري: (١٣ / ٢٣٢، ح ٧٢٥١) في آخبار الآحاد: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، ومسلم: (١ / ٣٧٤، ح ٥٢٦) في المساجد باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

(٣) أخرجه البخاري: (١٣/ ٢٣٢، ح ٧٢٥٣) في آخبار الآحاد: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق.

(٤) هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر الأندلسي، القرطبي، صاحب التصانيف الفائقة ولد سنة ٣٦٨هـ ومات سنة ٤٦٣هـ، انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٨ / ١٥٣-١٦٣)، «شذرات الذهب»: (٣ / ٣١٤-٣١٦).

(٥) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي الحنبلي، ابن الفراء، العلامة الإمام، شيخ الحنابلة ولي القضاء، وكان ذا عبادة وملازمة للتصنيف مع الجلالة والورع، توفي سنة ٤٥٧هـ، انظر «طبقات الحنابلة ٢/١٩٣-٢٣٠»

فيما علمت ـ على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا)[١].

وأذكر في هذا المقام بعضا من الآثار التي تبين إجماع الصحابة رضي الله عنهم على قبول خبر الواحد والاحتجاج به في العقائد والأحكام على حد سواء.

١- استدارة الناس بقباء في صلاة الصبح إلى جهة القبلة، وذلك بخبر أحد الصحابة رضي الله عنهم[٢].

٢- أخذ عمر رضي الله عنه الجزية في مجوس هجر استناداً إلى خبر عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه[٣].

٣- رجوع عمر رضي الله عنه بالناس حين خروجه إلى الشام، وذلك بعد أن بلغه وقوع الوباء، بها وإخبار عبدالرحمن بن عوف إياه أن النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم به ببلدة فلا تقدموا عليه**»[٤].

وبالجملة فعمل الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بخبر الواحد وإجماعهم على الاحتجاج به لا يمكن إنكاره، بل إنهم يشنعون على من رده، ويغلظون في الإنكار عليه، ولم ينقل أن أحدا منهم قال: إن هذا خبر واحد يمكن عليه الخطأ، فلا تقوم به الحجة حتى يتواتر، ولو قال أحد منهم ذلك لنقل إلينا.

ومما استدل به أهل السنة والجماعة كذلك على وجوب العمل بخبر الآحاد والاحتجاج به في العقائد والأحكام الشرعية الأمور الآتية.

١- التفريق بين العقائد والأحكام في الأخذ بأخبار الآحاد، بدعة لا عهد للسلف بها، بل سيرتهم وتصانيفهم تثبت عكس ذلك تماماً، يقول ابن القيم[٥] رحمه الله تعالى: (وهذا التفريق

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر: (١/٢) ط ١، وزارة الأوقاف بالمملكة العربية المغربية.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: (٦/٢٩٧، ح ٣١٥٦) في الجزية والموادعة: باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب.

(٤) أخرجه البخاري: (١٠/١٧٩، ح ٥٧٢٩) في الطب: باب ما ذكر في الطاعون، ومسلم: (٤/١٧٤١، ح ٢٢١٩) في السلام: باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها.

(٥) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ـ المعروف بابن قيم الجوزية ـ الإمام الحافظ كان جريء الجنان واسع العلم عارفا بالخلاف ومذاهب السلف برع في علوم كثيرة، ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتاثر به كثيراً وأوذي بسببه ولد سنة ٦٩١هـ وتوفي سنة ٧٥١هـ رحمه الله تعالى. انظر «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني: (٤/٢١، ٢٣) =



باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات، كما تحتج به في الطلبيات والعمليات ... ولم تزل الصحابة والتابعون، وتابعوهم، وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات، والقدر، والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله واسمائه وصفاته، فأين سلف المفرقين بين البابين؟)[1].

٢- ما تواترت به الأخبار عن النبي ﷺ في إرساله الرسل والدعاة آحاداً إلى أطراف البلاد، وإلى ملوك الفرس والروم وغيرهم ليبلغوا دعوة الله عز وجل، وكان في مقدمة ما يبلغونه أمر العقيدة، من ذلك قوله ﷺ لمعاذ ـ حين بعثه إلى اليمن: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل**». وفي رواية: «**فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله**»[2].

٣- التفريق بين العقائد والأحكام في الأخذ بخبر الواحد إنما بني على أساس أن العقيدة لا يقترن بها عمل، والأحكام العملية لا تقترن بها عقيدة، وكلا الأمرين باطل، وهو من بدع أهل الكلام وجاء الإسلام على نقيض ذلك فما من حكم عملي إلا وهو مرتبط بأصل عقدي، وهو الإيمان بالله تعالى وأنه أرسل رسوله ليبلغ هذا الحكم، والإيمان بصدق الرسول وأمانته في التبليغ ثم الإيمان بما يترتب على هذا الحكم العملي من ثواب وعقاب أو نعيم أو عذاب كما في قوله تعالى: ﴿**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**﴾ وهذا حكم عملي ثم قال: ﴿**إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر**﴾[3]، فربط الحكم العملي بعقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر.

ومن هذا يتبين أن الاحتجاج بخبر الآحاد والعمل به سواء في العقائد أو الأحكام، هو سبيل الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وأما من فرق بينهما، فاحتج بخبر الآحاد في الأحكام دون العقائد، فهو مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة، بل إن ما ذهب إليه، إنما هو نزعة فلسفية تجرعها أهل

= «البداية والنهاية» لابن كثير: (١٤/ ٢٤٦).

(١) «مختصر الصواعق المرسلة»: (٣/ ٤١٢).

(٢) أخرجه البخاري: (١٣/ ٣٤٧، ح ٧٣٧٢) في التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله، ومسلم: (١/ ٥٠، ٥١، ح ١٩) في الإيمان: باب الدعاء إلي الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٣) سورة النور: الآية ٢.

الأهواء والبدع لما غصوا بآخبار الآحاد الناقضة لأصولهم، الرادة لبطلانهم الهادمة لمسلك تعطيلهم، وأصبحوا بسبب ذلك بمنأى عن منبع النور والهدى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، اللذين من اعتصم بهما نجا ومن أعرض عنهما هلك وغوى.

الآثار المترتبة على عدم الأخذ بخبر الآحاد في العقيدة:

لاشك أن رد أخبار الآحاد وعدم الأخذ بها في مسائل الاعتقاد له آثار سيئة كثيرة، يمكن إيجازها في الآتي:

١- أن الطعن في رواة هذه الأخبار ورواياتهم يلزم عليه الطعن في الشريعة، وذهاب الدين؛ لأن رواه هذه الأخبار هم رواة الأحكام الشرعية، وعليهم الاعتماد في بيان الحلال والحرام في الدين[١].

يقول الشيخ الشنقيطي[٢] رحمه الله بعد أن قرر وجوب الأخذ بأخبار الآحاد الصحيحة في العقيدة: (وبهذا تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم من أن أخبار الآحاد لا تقبل في العقائد، ولا يثبت بها شيء من صفات الله، زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين، وأن العقائد لابد فيها من يقين، باطل لا يعوّل عليه، ويكفي في ظهور بطلانه أنه يستلزم ردّ الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بمجرد تحكيم العقل)[٣].

٢- أن ردّ أخبار الآحاد الصحيحة والتشكيك في صحتها وضبط رواتها فيه مخالفة لحكم الحفاظ عليها بالصحة، وعلى رواتها بالإتقان والعدالة، وما كان مخالفاً لأقوال أئمة الحديث فيجب اطراحه وعدم التعريج عليه[٤].

٣- أن ردّ أخبار الآحاد الصحيحة في مجال العقيدة، وقبولها في مجال الشريعة، تناقض في المنهج، فإما أن تكون مشكوكاً فيها وباطلة فتطرح في الجميع، وإما أن تكون صحيحة مقبولة فيؤخذ بها في المجالين كليهما.

---

(١) تحريم النظر في كتب الكلام» لابن قدامة المقدسي: ٠ص ٣٩)، صححه ونشره جورج المقدسي ١٩٦٢م.

(٢) هو محمد الأمين بن محمد مختار الشنقيطي الجكني، العلامة الأصولي المفسر اللغوي، توفي سنة ١٣٩٣هـ. انظر «مقدمة أصول أضواء البيان» لتلميذه عطية محمد سالم: (١/٣-٦٤)، «علماء ومفكرون عرفتهم»: محمد المجذوب: (ص ١٦١-١٨١).

(٣) «تحريم النظر في كتب الكلام»: (ص ٣٨، ٣٩).





٤- أن تقريرهم هذه القاعدة وعملهم بها ـ وهي عدم الأخذ بأخبار الآحاد في العقائد ـ جعلهم يردون أخباراً متواترة تخالف مذهبهم، زاعمين أنها أخبار آحاد، وما كان كذلك فلا يؤخذ به، ولا يحتج به في العقائد، كما ردت المعتزلة الأخبار المتواترة في الشفاعة والرؤية وغيرها بهذه الحجة.

ثالثاً: الإجماع

الأصل الثالث من أصول الاستدلال عند ابن حبان رحمه الله، هو الإجماع، والإجماع المعتبر عنده هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم دون غيرهم.

قال رحمه الله: (والإجماع عندنا إجماع الصحابة الذين شهدوا هبوط الوحي والتنزيل وأعيذوا من التحريف والتبديل، حتى حفظ الله بهم الدين على المسلمين وصانه عن ثلب القادحين)[١].

وما ذهب إليه ابن حبان ـ وإن كان لا يسلّم له فيما ذهب إليه ـ حق، فإن الإجماع حجة شرعية ودليل مقطوع به كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة رضي الله عنهم في مقدمة الإجماعات التي يجب العمل بها والإستناد إليها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] رحمه الله تعالى وهو يصف طريقة أهل السنة والجماعة: (وسمّوا أهل السنة والجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة .... و «الإجماع» هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

وهم ـ أهل السنة والجماعة ـ يزنون بهذه الأصول الثلاثة، جميع ما عليه الناس من أقوال باطنة،أو ظاهر، مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي يضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة)[٣].

وليس الإجماع دليلاً شرعياً يجب العمل به والإسناد إليه في الأحكام العملية فحسب كما ظنه بعض الناس، بل هو أيضاً أصل معتبر يجب الأخذ به في أبواب الاعتقاد، كما نقل الإجماع

---

(١) «الإحسان»: (٥/ ٤٧١).

(٢) هو أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الدمشقي شيخ الإسلام، بحر العلوم العقلية والنقلية ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ رحمة الله تعالى ورضى عنه. انظر «البداية والنهاية»: (١٤/ ١٤١، ١٤٦)، «الدر الكامنة»: (١/ ١٥٤).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٣/ ١٥٧).

على ذلك ابن حزم[١] في مراتب الإجماع ووافقه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٢].

ومع أن ابن حبان يرى أن الإجماع المعتبر هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم، إلا أنه لم يلتزم بهذا المنهج بل خالفه وذلك في توحيد الأسماء والصفات كما سيتضح في أثناء البحث أنه يعتبر كثيراً من الصفات، وبالأخص الفعلية منها، من باب المتشابه فيكون بذلك مخالفاً لإجماع الصحابة رضي الله عنهم في هذا الباب، فإنهم رضي الله عنهم لم ينقل عن واحد منهم أنه تأول شيئاً من الصفات بل حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لصرفها من ظواهرها بتأويلها[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً ذلك: (إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، ومارووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مئة تفسير، فلم أجد - إلى ساعتي هذه - عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاه المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته، وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله ...)[٤].

وقال القاضي أبو يعلىٰ رحمه الله: ويدل على إبطال التأويل: (أن الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق، لما فيه من إزالة التشبيه، ودفع الشبهة بل قد روى عنهم ما دل على إبطاله ...)[٥].

ومن هذا يتبين أن ابن حبان لم يلتزم بالإجماع الذي يرى أنه حجة، وهو إجماع الصحابة رضي الله عنهم دون غيرهم، فإنه قد خالف إجماعهم، وذلك بتأويله لكثير من أحاديث الصفات واعتباره لها من قبيل المتشابه، وهذا تناقض منه في الاستدلال بالإجماع فكما أن إجماع الصحابة

---

(١) هو علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي اليزيدي الإمام المشهور، ولد سنة ٣٨٤هـ، كان أجمع أهل الأندلس لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان وكان حافظاً للحديث وفقهه، متفننا في علوم جمة، توفي سنة ٤٥٦هـ. انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٨/ ١٨٤)، «وفيات الأعيان»: (٣/ ٣٢٥، ٣٣٠).

(٢) «مراتب الإجماع»: لابن حزم: (ص ١٩٣) وما بعدها.

(٣) «نقد مراتب الإجماع» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ص ٢٠٣).

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٣٩٤).

(٥) «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» لأبي يعلىٰ: (١/ ٧١)، ط١، ١٤١٠هـ، دار الإمام الذهبي، الكويت.





رضي الله عنهم حجة في الأحكام العملية، فهو كذلك حجة في مسائل الاعتقاد.

رابعاً: موقف ابن حبان من القياس:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن القياس الذي يستدل به في العقيدة هو قياس الأولى إن صحت تسميته قياساً، أما أنواع القياس الأخرى كقياس التمثيل[1] وقياس الشمول[2] فهذه لا يجوز الاستدلال بها في باب الاعتقاد، لأن العقيدة غيب، والغيب لا يثبت بالنظر والفكر وقياس الأصل على الفرع بسبب العلة الجامعة، ولأن القياس مأخذه العقل، والعقل في باب الاعتقاد إنما هو آلة للفهم دون التلقي.

ولقد كان من أهم الأسباب التي عطل بها المتكلمون والفلاسفة صفات الله جل وعلا، استعمالهم للقياس الأصولي في باب الاعتقاد فضلوا وأضلوا.

وقد استدل ابن حبان على عدم جواز استعمال القياس الأصولي في باب العقيدة، بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني، ويشتمني ابن آدم، ولم يكن ينبغي له أن يشتمني، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول خلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا. وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد»[3].

وقد أعقب الحديث بقوله: (في قوله ﷺ: «أو ليس أول خلق بأهون عليّ من إعادته» فيه البيان الواضح أن الصفات التي توقع النقص على من وجدت فيه، غير جائز إضافة مثلها إلى الله جل وعلا، إذ القياس كان يوجب أن يطلق بدل هذه اللفظة «بأهون عليّ» بأصعب علي، فتنكب لفظة التصعيب إذ هي من ألفاظ النقص، وأبدلت بلفظ التهوين الذي لا يشوبه ذلك)[4].

---

(١) قياس التمثيل: هو القياس المشهور في كتب أصول الفقه، وهو: إثبات الحاكم في جزئى لثبوته في جزئ آخر لمعنى مشترك بينهما وهو العلة. «تحرير القواعد المنطقية» قطب الدين الرازي: (ص ١٦٦)، «المرشد السليم»: عوض الله حجازي: (ص ٢٥٣).

(٢) قياس الشمول: هو قياس المناطقة المشهور وهو: قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر مثل أن يقال كل إنسان حيوان حساس، النتيجة: كل إنسان حساس. «تحرير القواعد المنطقية» لقطب الدين الرازي»: (ص ١٣٨)، «المرشد السليم» عوض الله حجازي: (ص ١٣٦).

(٣) أخرجه البخاري: (٨/٧٣٩، ح ٤٩٧٤) في التفسير: باب سورة ﴿قل هو الله أحد﴾.

(٤) «الإحسان»: (١/٥٠١).



ولاشك أن ما قرره ابن حبان من عدم جواز استعمال القياس في باب العقيدة هو الحق الذي دلت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وقرره أئمة أهل السنة والجماعة.

قال الإمام أحمد رحمه الله مبيّنا الأصول التي تقوم عليها منهج أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد: (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والإقتداء بهم وترك البدع ... وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى)[1].

وقال ابن عبدالبر رحمه الله: (لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة، وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد، وإثباته في الأحكام)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيّنا موقف أهل السنة والجماعة من القياس: (والله سبحانه وتعالى لا تضرب له الأمثال التي فيها المماثلة لخلقه، فإن الله لا مثل له، بل له المثل الأعلى، فلا يجوز أن يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل، ولا في قياس شمول تستوي أفراده، ولكن يستعمل في حقه المثل الأعلى، وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أولى به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه فإذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الإسم، فالخالق أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصلت موافقة في الإسم)[3].

وجماع القول أن ابن حبان رحمه الله يتفق مع أهل السنة والجماعة في نفي الاستدلال بالقياس في باب الاعتقاد سواء كان قياس تمثيل أو قياس شمول، أما قياس الأولى - إن صحت التسمية - فإنه يستعمل في تقرير مسائل الاعتقاد لدلالة النصوص الشرعية عليه.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» اللالكائي: (١٠٦/١)، ط ١، دار طيبة، الرياض.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر: (ص ٧٤)، دار الفكر، بيروت.

(٣) «الرسالة التدمرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٥٠) ط ١، ١٤٠٥هـ.







الباب الأول

آراء ابن حبان في الإلهيات

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: آراؤه في التوحيد

الفصل الثاني: آراؤه في أفعال الله تعالى



الفصل الأول:

المبحث الأول : توحيد الربوبية

المبحث الثاني : توحيد الألوهية

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: أسماء الله الحسنى.

المطلب الثاني: صفات الله تعالى.



المبحث الأول:

توحيد الربوبية

يعرف علماء العقيدة توحيد الربوبية بأنه اعتقاد أن الله وحده هو خالق كل شيء ومليكه، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير، فهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر[١].

وابن حبان رحمه الله تعالى قد أورد جملة من الأحاديث النبوية الدالة على إثبات هذا النوع من التوحيد، ومن تلك الأحاديث.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه يكتبه على نفسه وهو مرفوع فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**»[٢].

٢- عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مئة رحمة طباق ما بين السموات والأرض، فجعل في الأرض منها رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش بعضها بعضا، وأخر تسعا وتسعين إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مئة**»[٣].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «**خلق الله تعالى التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة، آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة**»[٤].

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ص ٣٣) ط ٦، المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ بيروت.

(٢) أخرجه البخاري: (١٣/٤٠٤، ح ٧٤٢٢) في التوحيد: باب (وكان عرشه على الماء)، ومسلم: (٤/٢١٠٧) ح، (٢٧٥١) في التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٣) أخرجه مسلم: (٤/٢١٠٨، ح ٢٧٥٣) في التوبة: باب (سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه).

(٤) أخرجه مسلم: (٤/٢١٤٩، ٢٧٨٩) في صفة المنافقين وأحكامهم: باب ابتداء الخلق وخلق آدم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله في الفتاوى: (١٧/٢٣٦) عن هذا الحديث: وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله: «خلق الله التربة يوم السبت» فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره، قال البخاري: الصحيح أنه موقوف على كعب الاحبار وقد ذكر تعليله البيهقي أيضاً وبيّنوا أنه غلط ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ، وهو مما أنكر الحذاق على مسلم إخراجه إياه.

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة في تقريره رحمه الله تعالى لتوحيد الربوبية وانفراد الله عز وجل بالخلق والتدبير.

والإقرار بتوحيد الربوبية أمر مركوز في الفطرة وقامت عليه أدلة الشرع والعقل **أما الفطرة**: فكما قالت الرسل لأقوامهم فيما حكاه الله عنهم: ﴿**قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض**﴾[1] قال ابن كثير[2] رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: «يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة، وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، قالت الرسل ﴿**أفي الله شك**﴾».

وهذا يحتمل شيئين: أحدهما: أفي وجوده شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه ﴿**فاطر السموات والأرض**﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلابد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

والمعنى الثاني: في قولهم ﴿**أفي الله شك**﴾، أي: أفي إلاهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو، فإن غالب الإمم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى[3].

والقولان متلازمان فإن الله عز وجل هو الخالق لكل الأشياء والمدبر لها، وإذا كان كذلك فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيدة العبادة.

ولاستقرار هذا التوحيد في الفطر فقد كان المشركون يقرون به كما قال تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون الله، قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله، إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره**﴾[4] الآية.

وكما قال تعالى: ﴿**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون؟ سيقولون لله، قل أفلا تذكرون؟**

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٠.

(٢) هو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير المصري الشافعي الحافظ المحدث، الفقيه، المؤرخ، صنف في التفسير والحديث والتاريخ ولد سنة ٧٠٠هـ، وكانت وفاته سنة ٧٧٤ هـ. انظر: «الدرر الكامنة»: (١/٣٧٣)، «طبقات المفسرين للداودي»: (١/١١).

(٣) «تفسير ابن كثير»: (٤/٤٠١، ٤٠٢)، ط دار الشعب، القاهرة

(٤) سورة الزمر: الآية ٣٨.

قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون لله، قل أفلا تتقون؟ ﴾[1] ولم ينكر توحيد الربوبية ويجحد الرب إلا شواذ من المجموعة البشرية وعلى رأسهم فرعون إمام المعطلة فقد تظاهروا بإنكار الرب مع اعترافهم به في باطن أنفسهم وقرارة قلوبهم، وإنكارهم له إنما هو من باب المكابرة كما قال تعالى: **﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾**[2].

وذكر الله تعالى عن فرعون أنه قال: **﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾**[3]، وقد خاطبه موسى عليه السلام بقوله: **﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ﴾**[4].

وأما دلالة الشرع على إثبات ربوبية الله تعالى وأنه الخالق الرازق المدبر الميحيي المميت فهي كثيرة جداً منها، قوله تعالى: **﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾**[5].

فقد بين سبحانه أنه لو كان معه إله يشركه في استحقاقه العبادة، لكان له خلق وملك وقهر وتدبير، إذ لا يستحق العبادة إلا من كان كذلك ليرجى خيره ونفعه، فيطاع أمره وينفذ قصده ويخشى بأسه وبطشه فلا تتعدى حدوده ولا ينتهك حماه، ولو كان له خلق وملك وقهر وتدبير لحصل أحد أمرين. إما أن يعلو على شريكه ويقهره إن قوى على ذلك، ويكون له الأمر وحده، فإن من صفات الرب تعالى كمال العلو والكبرياء والقهر والجبروت، فلا يكون هناك غير واحد مستقل بالملك والقهر والعبادة، وإما أن يذهب بخلقه ويتفرد بملكه دون شريكه إن لم يكن لديه من القوة والجبروت ما يفرض به سلطانه على الجميع.

ولكن التأمل في العالم لا يساعد على ذلك، إذ أن العالم كله متعلق بعضه ببعض، فهذا مخلوق من هذا، وهذا مخلوق من هذا، وهذا محتاج إلى هذا من جهة كذا، وهذا محتاج إلى هذا من جهة كذا، فخالق الإنسان مثلاً هو الخالق لما يحتاج إليه من الماء الذي يشربه والهواء الذي يستنشقه، إذ يمتنع أن يخلق شيئاً ولا يخلق ما يحتاج إليه وهذا يدل على أن العالم ليس فيه فعل لاثنين بل كله مفتقر إلى واحد.

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ٨٤-٨٧.

(٢) سورة النمل: الآية ١٤.

(٣) سورة القصص: الآية ٣٨.

(٤) سورة الإسراء: الآية ١٠٢.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٩١، ٩٢.

ومنها قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾[1].

فقد أوضح الحق تبارك وتعالى أنه الخالق للأشياء كلها والمخرج لها من العدم إلى الوجود فهو المستحق لئن يعبد وحده ولا يشرك به غيره.

والأحاديث التي أوردها ابن حبان في بيان بدء الخلق وأن الله تعالى هو الخالق للكائنات كلها واضحة الدلالة في تقرير توحيد الربوبية.

ولم أجد له رحمه الله كلاماً حول تقرير هذا التوحيد بالطرق التي سلكها المتكلمون في تقرير توحيد الربوبية، إذ طريقتهم مبتدعة في الشرع مضطربة في العقل، وقد أورد عليها من اللوازم ما يدل على فسادها وبعدها عما جاءت به الأنبياء في تقرير هذا التوحيد ولعل ابن حبان رحمه الله تعالى ـ كما هي طريقة المشتغلين بالحديث ـ قد استقر لديه هذا التوحيد وقرره في ضوء ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة من الاستدلال على هذا التوحيد بالآيات التي أقامها الله دليلاً وبرهاناً على وجوده وأنه الخالق لكل شيء والمدبر له، وقرره كذلك بناء على أن الإقرار بهذا النوع من التوحيد مما استقر في الفطرة البشرية فإن الخلق مفطورون على الإقرار بالخالق وأنه أجل وأكبر وأعظم من كل شيء والإقرار بهذا التوحيد عام في البشر ولم يدع أحد أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وخلاصة القول أن الإقرار بتوحيد الربوبية أظهر من أن تقام عليه الأدلة والبراهين إذ هو أمر مستقر في الفطرة البشرية السليمة، ولم ينكره إلا من كان مكابراً.

ooo

(١) سورة البقرة: الآية ٢١، ٢٢.





المبحث الثاني:
توحيد الألوهية

توحيد الألوهية: هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، فالألوهية معناها العبادة والإله، معناه: المعبود، ولهذا يسمىٰ هذا النوع من التوحيد، توحيد العبادة[1].

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وأول دعوة الرسل وآخرها، ولأجل هذا التوحيد خلق الله تعالى الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرسل، قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾[3].

ومن أجل هذا التوحيد شرع الله تعالى الجهاد في سبيله، وقامت الحرب على ساقها بين الموحدين والمشركين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**»[4] الحديث.

وحقيقة هذا التوحيد إخلاص الدين كله لله، وأكمل الناس قياماً به الأنبياء والمرسلون وفي مقدمتهم الخليلان محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

وقد أوضح ابن حبان رحمه الله تعالى حقيقة هذا التوحيد وبين ما يضاده وذلك من خلال الأمور التي تقرر هذا التوحيد وتحذر من ضده، ومن هذه الأمور التي تناولها في تقرير توحيد العبادة:

١- تحقيق التوحيد يسبب دخول الجنة والنجاة من النار

واستدل لهذا الأمر بما رواه عن سهيل بن بيضاء رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص ٢٧، ط ١) ١٤١٣هـ الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض، «بدائع الفوائد»: لابن القيم: (ص ١٣٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٣) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٤) أخرجه البخاري: (١/٧٥، ح ٢٥) في الإيمان: باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة)، ومسلم: (١/٥٣، ح ٢٢) في الإيمان: باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله).

رسول الله ﷺ فجلس من كان بين يديه ولحقه من كان خلفه، حتى إذا اجتمعوا، قال رسول الله ﷺ: «**إنه من شهد أن لا إله إلا الله، حرمه الله على النار، وأوجب له الجنة**»[١] وترجم للحديث بقوله: (ذكر إيجاب الجنة لمن شهد لله جل وعلا بالوحدانية مع تحريم النار عليه)[٢].

وترجمة ابن حبان للحديث صريحة في إثبات وحدانية الله عز وجل وأنه المستحق لئن يعبد وحده لا شريك له تعالى وصرفها لغيره من أبطل الباطل وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سوىٰ الله عز وجل كما لا يصلح الإلهية لغيره تعالى، فتضمنت هذه الشهادة، نفي الإلهية عما سواه وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلها وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً قال القرطبي[٣] رحمه الله : (لا إله إلا هو، أي: لا معبود إلا الله)[٤].

وقال البقاعي[٥]: (لا إله إلا الله، أي: انتفىٰ انتفاء عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم فمن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به فهذا هو المسلم حقاً الموعود بهذا الثواب العظيم)[٦].

كما أوضح ابن حبان رحمه الله تعالى أن الشهادة لله تعالى بالوحدانية لا يوجب الجنة إلا إذا كان عن يقين من قلب قائلها مخلصاً في ذلك، واستدل لهذا بما رواه عن جابر رضي الله عنهما أن معاذاً رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: اكشفوا عني سجف القبة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة»[٧] وترجم للحديث بقوله: « ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جل وعلا بالوحدانية، وكان ذلك عن يقين من قلبه لا أن الإقرار بالشهادة يوجب الجنة للمقر بها دون أن يُقر بها بالإخلاص »[٨].

---

(١) أخرجه أحمد: (٣/٤٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (ح ٦٠٣٤).

(٢) «الإحسان»: (١/٤٢٨).

(٣) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، الإمام المفسر، كان ذا عبادة وزهد توفي سنة ٦٧١هـ. انظر «الوافي بالوفيات»: (٢/١٢٢، ١٢٣)

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٢/١٩١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

(٥) هو أبو الحسن، إبراهيم بن عمر الشافعي، مفسر مؤرخ توفي سنة ٨٨٥، انظر في ترجمته «شذرات الذهب»: (٧/٣٤٠)، «البدر الطالع» للشوكاني: (١/٢٠، ٢٢).

(٦) «تيسير العزيز الحميد»: (ص ٥٧).

(٧) أخرجه أحمد: (٥/٢٣٦)، والحميدي في «المسند»: (ح ٣٦٩)، والطبراني في «الكبير»: (٢٠/٦٣) وإسناده صحيح.

(٨) «الإحسان»: (١/٤٢٩).



وما قرره ابن حبان في وجوب الإخلاص في الشهادة هو الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وقرره أئمة السلف في مصنفاتهم.

فعن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة**»[2].

وهذه الأحاديث إنما يتحقق ما جاء فيه من الثواب إذا كان قائلها قد قالها خالصاً من قلبه مستيقنا به قبله، غير شاك فيها بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة لإن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً.

لكن أكثر من يقولها لا يعرفه الاخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء أما من استجمع شروط كلمة التوحيد وانتفت في حقه الموانع، لم يتخلف وعد الله تعالى له بدخول الجنة والنجاة من النار.

ولهذا قيل للحسن البصري: إن ناساً يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: «من قال: لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة»[3].

٢- التحذير من الشرك:

الشرك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، أو هو مساواة غير الله بالله فيما يجب لله عز وجل، وهو أقبح الذنوب وأظلم الظلم وأكبر الكبائر فلا يغفره الله ولا يقبل لأحد معه عملاً، ولم يرسل الله الرسل وينزل الكتب إلا بالنذارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد وقد بيّن ابن حبان رحمه الله تعالى عظم خطر الشرك وسوء عاقبة مرتكبه وإنه من أهل النار لا محالة إن لم يتب



---

(١) أخرجه البخاري: (١/١٧٢، ح ٦٨٦) في الأذان: باب إذا زار الإمام قوماً فامهم، ومسلم: (١/٦٢، ح ٣٣) في المساجد في التخلف عن الجماعة.

(٢) أخرجه مسلم: (١/٥٧، ح ٢٧) في الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٣) «تيسير العزيز الحميد»: (ص ٩٠).

:

منه، واستدل لذلك وقرره بما رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كلمتان سمعت إحداهما من رسول الله ﷺ، والأخرى أنا أقولها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يلقى الله عبد يشرك به إلا أدخله النار، وأنا أقول: لا يلقى الله عبد لم يشرك به إلا أدخله الجنة»**[1]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر استحقاق دخول النار لا محالة من جعل لله نداً)[2].

وما قاله ابن حبان هو ما نطقت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، إذ الشرك أعظم ذنب عصي الله به، ولهذا أخبر سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضل من فاعله وأنه مخلد في النار أبداً لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع، قال تعالى: **﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾**[4]، وقال سبحانه: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**[5].

وعن جابر رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: **«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»**[6]، ومما ذهب إليه ابن حبان أن المشرك إذ لقي الله على شركه فإن الله لا يغفر له ذنوبه واستدل لذلك بما رواه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم لو لقيتني بمثل الأرض خطايا لا تشرك بي شيئاً لقيتك بملء الأرض مغفرة»[7]. وترجم للحديث بقوله: (ذكر الأخبار بأن الله قد يغفر بتفضله لمن لم يشرك به شيئاً جميع الذنوب التي كانت بينه وبينه)[8].

وذهب أيضاً إلى أن الشفاعة لا نصيب للمشرك فيها، إذ الشفاعة إنما هي لمن وحدّ الله عز وجل ولم يشرك به شيئاً وإن ارتكب بعض الكبائر واستدل لذلك بما رواه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: بعثت إلى الأحمر والأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، ونصرت بالرعب، فيرعب العدو من مسيرة شهر وجعلت لي الأرض**

---

(١) أخرجه البخاري: (٨/١٧٦، ح ٤٤٩٧) في التفسير: باب قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾، ومسلم: (١/٩٤، ح ٩٢) في الإيمان: باب «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة».

(٢) «الإحسان»: (١/٤٨٥).

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٤) سورة النساء: الآية ١١٦.

(٥) سورة النساء: الآية ٤٨، ١١٦.

(٦) أخرجه مسلم: (١/٩٤، ح ٩٣) في الإيمان: باب «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار».

(٧) أخرجه مسلم: (٤/٢٠٦٨، ح ٣٦٧٨) في الذكر والدعاء: باب «فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله».

(٨) «الإحسان»: (١/٤٦٢).



طهوراً ومسجداً، وقيل لي: سل تعطه، واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي في القيامة، وهي نائلة ـ إن شاء الله ـ لمن لم يشرك بالله شيئاً»[1]. وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن قوله ﷺ: « شفاعتي لأمتي » أراد من لم يشرك بالله منهم دون من أشرك »[2].

وقد تناول ابن حبان رحمه الله تعالى في كتابه الصحيح عدداً من المسائل المتعلقة بتوحيد العبادة وأورد فيها الأحاديث التي تبين أحكامها، ومما أورد من المسائل ما يلي:

١- التبرك بالصالحين: وقد ذهب إلى جوازه واستدل لذلك بما رواه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ نازلاً بالجعرانة بين مكة والمدينة، ومعه بلال، فأتى رسول الله ﷺ رجل أعرابي، فقال: ألا تنجز لي يا محمد ما وعدتني؟ فقال له رسول الله ﷺ: **«أبشر»** فقال له الأعرابي: لقد أكثرت عليّ من البشرى، قال: فأقبل رسول الله ﷺ على أبي موسى، وبلال كهيئة الغضبان، فقال: **«إن هذا قد رد البشرى، فاقبلا أنتما»**، فقالا: قبلنا يا رسول الله: قال فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء ثم قال لهما: **«اشربا منه، وافرغا على وجوهكما أو نحوركم»**، فأخذنا القدح ففعلا ما أمرهما به رسول الله ﷺ، فنادتنا أم سلمة من وراء الستر، أن أفضلا لأمكما في إنائكما فأفضلا لها منه طائفة »[3].

وترجم للحديث بقوله: (ذكر ما يستحب للمرء التبرك بالصالحين وأشباههم) وهذه الترجمة دليل واضح في أنه يرى جواز التبرك بالصالحين وأشباههم[4].

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في قبة حمراء، ورأيت بلالا أخرج وضوءه، فرأيت الناس يبتدرون وضوءه يتمسحون قال: ثم أخرج بلال عنزة فركزها، ثم خرج رسول الله ﷺ في حلة حمراء سيراء فصلى إليها والناس والدواب يمرون بين يديه »[5].

وترجم للحديث بقوله: (ذكر إباحة التبرك بوضوء الصالحين من أهل العلم إذا كانوا متبعين

---

(١) أخرجه أحمد: (٥/١٤٨)، والحاكم: (٢/٤٢٤) وصححه، وأورده الهيثمي في «المجمع»: (٨/٢٥٩)، ونسبه إلى أحمد وقال: ورجاله رجال الصحيح.

(٢) «الإحسان»: (١٤/٣٧٦).

(٣) أخرجه البخاري: (٨/٤٦، ح ٤٣٢٨) في المغازي: باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ومسلم (٤/١٩٤٣، ح ٢٤٩٧) في فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي موسى الأشعري.

(٤) «الإحسان»: (٢/٣١٧).

(٥) أخرجه البخاري: (١/٤٨٥، ح ٣٧٦)، في الصلاة: باب الصلاة في الثوب الأحمر، ومسلم: (١/٣٦٠، ح ٥٠٣) في الصلاة، باب سترة المصلي.

لسنن المصطفى ﷺ دون أهل البدع منهم)[1].

وما ذهب إليه ابن حبان رحمه الله خلاف الحق بل هو وسيلة وذريعة إلى الشرك، فعبادة القبور والتقرب إلى أهلها إنما كان أول أمرها التبرك بالصالحين، والدليل الذي استدل به ابن حبان على جواز التبرك بالصالحين لا مستند له فيه وذلك من وجوه:

١- إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ترك التبرك بالذوات والآثار مع غير النبي ﷺ - مع وجود مقتضاته - يدل على أن هذا من خصائصه ﷺ حيث إن الله تعالى اختص نبيه بجعل البركة في ذاته وآثاره تكريماً وتشريفاً لصفوة خلقه عليه الصلاة والسلام ولو كان ذلك لفعل مشروعاً لسارعوا إلى فعله ولم يجمعوا على تركه فهم أحرص الناس على فعل الخير قال الشاطبي[2] رحمه الله تعالى مناقشاً مسألة إمكان التبرك بالصالحين: (الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه الصلاة والسلام لم يقع منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك ولا عمر رضي الله عنه، وهو كان أفضل الأمة بعده ثم كذلك عثمان، ثم علي، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ فهو إذا إجماع على ترك تلك الأشياء.

ومما يؤكد اختصاص النبي ﷺ بهذا التبرك أن التابعين رحمهم الله تعالى قد ساروا على نهج الصحابة رضي الله عنهم في هذا الباب، فلم يتبركوا بالصحابة الذين أدركوهم ولا فعلوه أيضاً مع أئمة زمانهم في الدين والعلم)[3].

واختصاص النبي ﷺ بهذا التبرك يدل على عدم جواز قياس الصالحين عليه بجامع الفضل، وهذا الأمر قاصر عليه ﷺ لا يتعداه إلى غيره.

٢- لا يجوز قياس الصالحين وغيرهم على النبي ﷺ في جواز هذا التبرك سداً للذريعة، وسد الذرائع قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة الإسلامية، فمن وجوه موانع القياس هنا سد الذرائع، خوفاً من أن يفضي ذلك إلى الغلو فيمن يتبرك به من الصالحين.

---

(١) «الإحسان»: (٤/٨٢).

(٢) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، المالكي، المشهور بالشاطبي، محدث فقيه أصولي لغوي مفسر توفي سنة ٧٩٠ هـ. انظر «الأعلام»: (١/٧١)، «معجم المؤلفين»: (١/١١٨).

(٣) «الاعتصام» للشاطبي: (٢/٨، ٩) ١٤٠٥هـ دار المعرفة، بيروت.

يقول الشاطبي رحمه الله في بيان هذه العلة: (لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد، بل تتجاوز فيه الحدود، وتبالغ بجهلها في التماس البركة، حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس منه»[1].

وقد يؤدي هذا التبرك ـ بسبب الغلو والتعظيم ـ إلى حد الشرك، فيكون ذريعة إليه كما قال ابن رجب[2] رحمه الله حينما تكلم عن المنع من هذا التبرك ونحوه: (وفي الجملة فهذه الأشياء فتنة للمعظم والمعظم، لما يخشى عليه من الغلو، لمدخل البدعة، وربما يترقى إلى نوع من الشرك»[3].

وخلاصة القول أن ما ذهب إليه ابن حبان من جواز التبرك بالصالحين مما خالف فيه طريقة سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، إذ لم يقع منهم شيء من ذلك بل قد أجمعوا على تركه والتحذير منه لما قد يفضي إليه من الشرك بالله عز وجل.

٢ - اتخاذ القبور مساجد:

أورد ابن حبان رحمه الله في هذه المسألة الأحاديث الدالة على تحريمها وترجم لها بما يدل على أنه يرى القول بتحريمها، فقد روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض رسول الله ﷺ ذكر بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة، وكانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة، فذكرن كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية، وذكرن من حسنها وتصاوير فيها فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: «إن أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً. ثم صوروا فيه تلك التصاوير. وأولئك شرار الخلق عند الله تعالى»[4].

وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن القبور لا يجوز أن تتخذ مساجد وتصور فيها الصور)[5]. وما ذهب إليه ابن حبان هو ما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهذه العلة هي التي لأجلها نهى الشارع عن

---

(١) «الاعتصام»: (٢/٩).

(٢) عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الشيخ المحدث الحافظ الفقيه الزاهد، صنف تصانيف نافعة توفي سنة ٧٩٥ هـ. انظر «الدرر الكامنة»: (٢/٤٢٨، ٤٢٩)، «شذرات الذهب»: (٦/٣٣٩، ٣٤٠).

(٣) «الحكم الجديرة بالإذاعة» لابن رجب: (ص ٥٥) ط ١، ١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي، بيروت.

(٤) أخرجه البخاري: (٣/٢٠٨، ح ١٣٤١) في الجنائز: باب بناء المسجد على القبر، ومسلم (١/٣٧٥، ح ٥٢٨) في المساجد: باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٥) «الإحسان»: (٧/٤٥٤).

اتخاذ القبور مساجد على القبور، وهي التي أوقعت كثيراً من الأمم، إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل قوم صالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم كواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد ..

قال: وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن الله به، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد، فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها، فقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه، وقد صرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك)[١]. وقال أيضاً: (فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء الصالحين أو الملوك وغيرهم، يتعين إزالتها بهدم أو بغيره هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين)[٢].

زيارة القبور:

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى جملة من الأحاديث الدالة على شرعية زيارة القبور لما في ذلك من تذكير للآخرة، إلا أنه يرى أن زيارتها للرجال دون النساء، واستدل لذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله زائرات القبور»[٣]. وترجم للحديث بقوله: «ذكر لعن المصطفى ﷺ زائرات القبور من النساء»[٤].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٢/٦٧٤) ط ١، ١٤٠٤هـ مطابع العبيكان بالرياض.

(٢) المصدر السابق: (٢/٦٦٧).

(٣) أخرجه أحمد: (٢/٣٣٧)، والترمذي: (٤/١٢، ح ١٠٥٦) في الجنائز: باب ما جاء في كراهة زيارة القبور للنساء، وابن ماجه: (١/٥٠٢، ح ١٥٧٦) في الجنائز: باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور.

(٤) «الإحسان»: (٧/٤٥٢).







وترجمة ابن حبان هذه للحديث تدل على أنه يرى حرمة زيارة النساء للقبور وذلك للنصوص الصريحة في النهي عن ذلك، وعلل نهيهن عن ذلك لما يؤدي إليه من الجزع والندب والنياحة والإفتتان بها وبصورتها وتأذي الميت ببكائها.

وإذا كانت زيارة النساء مظنة وسبباً للأمور المحرمة في حقهن وحق الرجال، وتقدير ذلك غير مضبوط، لأنه لا يمكن حد المقدار الذي لا يفضي إلى ذلك ولا التمييز بين نوع ونوع ومن أصول الشريعة أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها، فتحرم سداً للذريعة، كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة لما في ذلك من الفتنة، وكما حرمت الخلوة بالأجنبية، وليس في زيارتها من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة لأنه ليس في زيارتها إلا دعواها للميت أو اعتبارها به، وذلك ممكن في بيتها[١].

وقد عد ابن حجر الهيثمي[٢] في كتابه الزواجر زيارة النساء للقبور من الكبائر فقال: (الكبيرة الحادية والثانية والثالثة والعشرون بعد المائة، اتخاذ المساجد أو السرج على القبور وزيارة النساء لها وتشيعهن الجنائز)[٣].

وقال العلامة صديق حسن خان[٤]: (والراجح نهي النساء عن زيارة القبور وإليه ذهب عصابة أهل الحديث كثر الله سوادهم)[٥].

أما زيارة الرجال للقبور فهذا مما دلت السنة على مشروعيته، وقد أورد ابن حبان بعض الأحاديث الدالة على ذلك، فروى عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني نهيتكم عن ثلاث، عن زيارة القبور، وعن لحوم الأضاحي أن تمسكوها فوق ثلاثة أيام وعن الظروف إلا ما كان في سقاء، وقد رخص لمحمد ﷺ في زيارة قبر أمه وإنما نهيتكم عن أن تمسكوا لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام ليوسع ذو السعة منكم على من لم يضح، ونهيتكم عن الظروف إلا ما كان**

---

(١) «جزء في زيارة النساء للقبور» للشيخ بكر أبو زيد، مكتبة الرشد، الرياض.

(٢) هوشهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي، الفقيه الشافعي، صاحب المصنفات، توفي بمكة سنة (٩٧٣هـ) وقيل بعدها. انظر: «شذرات الذهب»: (٨/ ٣٧٠)، الإعلام: (١/ ٢٣٤).

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي: (ص ٢١٩)، دار الشعب ١٤٠٠هـ القاهرة.

(٤) هو العلامة محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القنوجي صاحب المصنفات في التفسير والحديث والفقه والأصول توفي سنة ١٣٠٧هـ انظر «الأعلام»: (٦/ ١٦٧، ١٦٨).

(٥) «حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة» صديق حسن خان (ص ٤٧٠) ط ٧، ١٤١٤هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

من سقاء فلا يحل ظرف شيئاً ولا يحرمه»[1]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإباحة للرجل زيارة القبور الأموات)[2].

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: «**استأذنت ربي أن أزور قبرها فأذن لي، فأستأذنته أن استغفر لها فلم يأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكركم الموت**»[3]. وترجم للحديث بقوله: (ذكر الأمر بزيارة القبور، إذ زيارتها تذكر الموت)[4].

ومن خلال تتبع أقوال ابن حبان في التراجم نجد أنه يذكر بعض الصالحين من الصحابة أو الأئمة الذين تزار قبورهم، فقد ذكر في ترجمة ابن عباس رضي الله عنهما أن قبره بالطائف مشهور يزار[5].

وذكر في ترجمة أبي الدرداء رضي الله عنه أن قبره بدمشق مشهور يزار وقال: قد زرته في مقبرة باب الصغير[6].

وقال في ترجمة إسحاق بن راهوية: وقبره مشهور يزار[7].

وقال في ترجمة فضيل بن عياض: وقبره مشهور يزار قد زرته مراراً[8].

وقال في ترجمة عبدالله بن المبارك: وقبره بهيت مدينة على الفرات مشهور يزار[9].

وقال في ترجمة الأوزاعي: وقبره ببيروت مشهور يزار[10].

فهذه تراجم عدة ساقها ابن حبان في كتابه الثقات وذكر أنها مما يزار، وقد قسم العلماء زيارة المقابر إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) أخرجه مسلم: (٢/ ٦٧٢، ح ٩٧٧) في الجنائز: باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه.
(٢) «الإحسان»: (٧/ ٤٣٩).
(٣) أخرجه مسلم: (١/ ٦٧١، ح ٩٧٦) في الجنائز: باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه.
(٤) «الإحسان»: (٧/ ٤٤٠).
(٥) الثقات: (٣/ ٢٠٨).
(٦) المصدر السابق: (٣/ ٢٨٥).
(٧) المصدر السابق: (٨/ ١١٦).
(٨) المصدر السابق: (٧/ ٣١٥).
(٩) المصدر السابق: (٧/ ٧).
(١٠) المصدر السابق: (٧/ ٦٣).



القسم الأول : الزيارة الشرعية :

وهي التي رخص فيها النبي ﷺ حيث يقول : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها »[1] وهذه الزيارة تشرع للمسلم الذي لا يحتاج فيها إلى شد رحل ولا حمل زاد وهذه الزيارة فاعلها مثاب .

القسم الثاني : الزيارة البدعية :

وهي أن يزور قبراً من أجل أن يصلي عنده ويدعو الله عنده، وهذه الزيارة فاعلها مستحق للعقوبة من الله عز وجل، وكثيراً ما تكون ذريعة إلى الشرك، وهي زيارة بدعية إذا لم يصحبها دعاء الميت والإلتجاء إليه في قضاء الحاجات، أما إن حصل ذلك فهي شركية .

القسم الثالث : الزيارة الشركية :

وهي التي يدعى فيها صاحب القبر، ويطلب منه قضاء الحوائج، وهذه الزيارة فاعلها واقع في الشرك الأكبر الذي يُخرج عن ملة الإسلام[2] .

وعبارات ابن حبان المتقدمة، كقوله في بعض أصحاب القبور : قبره مشهور يزار إن كان يريد الزيارة الشرعية فهذا لاشك في مشروعية كما سبق ذكر بعض النصوص الدالة على ذلك . وإن كان يريد أنها تزار ليدعىٰ الله عندها أو يصلىٰ عندها ظناً أن الصلاة عندها مقبولة والدعاء عندها مستجاب فهذا لاشك في بدعيته لأنه ذريعة ووسيلة إلى الشرك وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه ومن ذلك ما رواه جندب بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**»[3] .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن اتخاذها مساجد يتناول شيئين : أن يبنىٰ عليها مسجداً أو يصلى عندها من غير بناء[4] .

أما الدعاء عندها فهو من الأمور المبتدعة التي لم يأت بها الشرع، ولم يعرف عن السلف الصالح أنهم كانوا يقصدون قبور الأنبياء والصالحين للدعاء عندها، ولم يثبت عن الرسول ﷺ شيء في كون الدعاء عند قبور الصالحين مستجاباً .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) «مجموع الفتاوى» : (١/١٦٥، ١٦٧، ٢٣٦) .

(٣) أخرجه مسلم : (١/٣٧٧، ح ٥٣٢) في المساجد : باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٤) «مجموع الفتاوى» : (٢٧/١٦٠) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن قول القائل: أن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين، قول ليس له أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا قاله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في الدين .. ولا فيهم من كان يتحرى الدعاء ولا الصلاة عند هذه القبور، بل أفضل الخلق وسيدهم هو رسول الله ﷺ .. واتفق الأئمة على أنه يسلم عليه عند زيارته وعلى صاحبيه ..، ولم يقل أحد منهم إن الدعاء مستجاب عند قبره، ولا أنه يستحب أن يتحرى الدعاء متوجهاً إلى قبره، بل نصوا على نقيض ذلك، واتفقوا كلهم على أنه لا يدعى مستقبل القبر، بل نص أئمة السلف على أنه لا يوقف عنده للدعاء مطلقاً)[1].

وجماع القول أن قول ابن حبان في تراجم بعض الأئمة: قبره مشهور يزار مما لم يظهر لي مقصده من ذلك، ولذلك أوردت هذين الاحتمالين، إما أن يكون زيارة شرعية وهذا مما يظن به إن شاء الله، وإما أن يكون زيارة بدعية للتبرك بأصحابها والدعاء عندها، وهذا مما حرمته الشريعة وتواترت النصوص بالنهي عنه، وحذر منه السلف رحمهم الله.

٣- شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى جواز شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة التي أخبر النبي ﷺ بجواز شد الرحل إليها، وهي المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصىٰ، واستدل لما ذهب إليه بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصىٰ**»[2]. وترجم للحديث بقوله: (ذكر خبر أوهم عالما من الناس أن شد المرء الرحلة إلى مسجد غير المساجد الثلاث التي ذكرناها غير جائز)[3].

وترجم للحديث في موضع آخر بقوله: (ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ لم يرد بهذا العدد نفياً عما وراءه)[4].

---

(١) المصدر السابق: (٢٧/١٥٥-١١٧).

(٢) أخرجه البخاري: (٣/٧٠، ح ١١٩٧) في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة: باب مسجد بيت المقدس، ومسلم: (٢/٩٧٥، ح ٨٢٧) في الحج: باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره.

(٣) «الإحسان»: (٤/٤٩٨).

(٤) المصدر السابق: (٤/٤٩٥).



وأيد رأيه بما رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء راكباً وماشياً[١]. وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ لم يرد بهذا الحديث في خبر أبي سعيد النفي عما وراءه)[٢].

وما ذهب إليه ابن حبان مخالف للأحاديث الثابتة في النهي عن شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة، إذ لم يعرف ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولا أحد من القرون الثلاثة المفضلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر بها رسول الله ﷺ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولإجماع الأمة)[٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله[٤] في « تيسير العزيز الحميد »: (وبالجملة فقد تنازع العلماء في شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، فالجمهور على المنع، وطائفة من المتأخرين على الجواز، فاستحباب شد الرحال إلى القبور والمشاهد والتقرب به إلى الله .. قول مبتدع مخالف للإجماع. وقال أيضاً: وفي الحديث ـ أي حديث أبي سعيد في النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ـ دليل على منع شد الرحال إلى قبره ﷺ وإلى غيره من القبور والمشاهد لأن ذلك من اتخاذها أعياداً، بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها، كما وقع من عباد القبور الذين يشدون إليها الرحال، وينفقون في ذلك الكثير من الأموال)[٥].

وقال ابن حجر: (واختلف في شد الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها، فقال الشيخ أبو محمد الجويني: يحرم شد الرحال إلى غيرها عملاً بظاهر هذا الحديث، وأشار القاضي حسين إلى اختياره وبه قال

---

(١) أخرجه البخاري: (٣/٦٩، ١١١٣) في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة: باب من أتى مسجد قباء كل سبت، ومسلم: (٢/١٠١٦، ح ١٣٩٩) في الحج: باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته.

(٢) « الإحسان »: (٤/٤٩٧).

(٣) « الرد على الأخنائي » لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٣٠)، ط الرئاسة العامة للإفتاء، ١٤٠٤هـ.

(٤) هو الشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد سنة ١٢٠٠هـ كان آية في العلم والحفظ والذكاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أكرم الله تعالى بالشهادة سنة ١٢٣٣هـ رحمه الله رحمه واسعة. انظر: « مقدمة تيسير العزيز الحميد »: (ص ١٢)، « عنوان المجد في تاريخ نجد » لابن بشر: (١/٢١٢، ٩٣).

(٥) « تيسير العزيز الحميد »: (ص ٣٥٩).

القاضي عياض وطائفة، ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن من إنكار بصرة الغفاري رضي الله عنه على أبي هريرة رضي الله عنه خروجه إلى الطور وقال له: «**لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت**» واستدل بهذا الحديث فدل على أنه يرى حمل الحديث على عمومه ووافقه أبو هريرة)[1][2].

وأما استدلال ابن حبان بحديث ابن عمر رضي الله عنهما في مجيء النبي ﷺ إلى مسجد قباء ماشياً وراكباً[3] فلا وجه له، إذ مجيء النبي ﷺ إليه لم يكن فيه شد للرحل، ولهذا اتفق الأئمة الأربعة على أنه لا يشرع إتيان قباء، وقصده من بلد بعيد لعموم قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»[4] الحديث، كما أن الصلاة في مسجد قباء تأتي تبعاً لمن زار المسجد النبوي، وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أنه لو نذر أحد الإتيان إلى مسجد قباء والصلاة فيه لم يف بنذره[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر بالقراءة والاعتكاف من الأعمال الصالحة، وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليها باتفاق أهل العلم، حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ولا يشرع شد الرحال إليه)[6].

ومما تقدم يتضح أن ابن حبان قد حاد عن الصواب في هذه المسألة فأجاز شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة مستنداً إلى أدلة لا وجه لاستدلاله بها، بل هي أدلة يستدل بها على خلاف ما ذهب إليه، والحق فيما ذهب إليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم في عدم جواز شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة لوضوح الأدلة على ذلك وفهم الصحابة رضي الله عنهم التحريم من تلك النصوص كما في إنكار أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه على أبي هريرة لما ذهب إلى الطور، وموافقة أبي هريرة له على ذلك وإقراره عليه.

٤- الشرك في الألفاظ:

أورد ابن حبان رحمه الله بعض الألفاظ التي نهى عنها النبي ﷺ لما تسببه من قدح في

(١) «فتح الباري»: (٣/ ٦٥).

(٢) أخرجه أحمد: (٦/ ٧، ٣٩٧) والطيالسي في مسنده: (ح ١٣٤٨)، والنسائي: (٣/ ١١٣).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) «فتح الباري»: (٣/ ٦٥، ٦٦)، «اقتضاء الصراط المستقيم»: (٢/ ٨٠٦).

(٦) «اقتضاء الصراط المستقيم»: (٢/ ٨٠٣).



التوحيد، وكمال تحقيق التوحيد لا يكون إلا بالتحرز منها إذ التوحيد ألطف شيء وأنزهه وأنظفه وأصفاه فأدنى شيء يخدشه ويدنسه ويؤثر فيه، ومما أورده:

(أ) النهي عن الحلف بغير الله تعالى:

أخرج ابن حبان في صحيحه عن سعد بن عبيده قال: كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما، فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر: ويحك لا تفعل، فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(١)، وترجم لحديث بقوله: (ذكر الزجر عن أن يحلف المرء بشيء سوى الله جل وعلا)(٢).

وروى كذلك ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يحلف بأبيه فقال: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت**»(٣)، وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن المرء منهي عن أن يحلف بشيء غير الله تعالى)(٤). وهاتان الترجمتان صريحتان في أن ابن حبان يرى تحريم الحلف بغير الله تعالى لصراحة الأدلة في تحريم ذلك، وقد أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره، قال ابن عبدالبر: (لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع)(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقد اتفق العلماء على أنه لا ينعقد اليمين بغير الله تعالى وهو الحلف بالمخلوقات، فلو حلف بالكعبة أو بالملائكة أو بالأنبياء أو بأحد من الشيوخ أو بالملوك لم تنعقد يمينه، ولا يشرع له ذلك بل نهىٰ عنه، إما نهي تحريم وإما نهي تنزيه، فإن للعلماء في ذلك قولين، والصحيح أنه نهي تحريم)(٦).

(ب) النهي عن قول ما شاء الله وشاء محمد:

أورد في صحيحه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأى رجل من أصحاب النبي ﷺ

---

(١) اخرجه احمد: (٢/١٢٥)، وأبو داود: (٣/٢٢٣، ح ٣٢٥١) في الأيمان والنذور: باب كراهية الحلف بالآباء، والترمذي: (٥/٢٥٣، ح ١٥٣٥) في النذور والأيمان: باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، والحاكم: (٤/٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي، وإسناده صحيح.

(٢) «الإحسان»: (١٠/١٩٩).

(٣) أخرجه البخاري: (١١/٥٣٠، ح ٦٦٤٦) في الأيمان والنذور: باب لا تحلفوا بآبائكم، ومسلم: (٣/١٢٦٦، ح ١٦٤٦) في الأيمان: باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

(٤) «الإحسان»: (١٠/٢٠١).

(٥) «تيسير العزيز الحميد»: (ص ٥٩٠).

(٦) «مجموع الفتاوى»: (١/٣٣٥).

في النوم أنه لقي قوما من اليهود، فأعجبته هيئتهم، فقال: إنكم لقوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله، فقالوا: وأنتم قوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد قال: ولقي قوماً من النصارى، فأعجبته هيئتهم فقال: إنكم قوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، فقالوا: وأنتم قوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبح، قص ذلك على النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**كنت أسمعها منكم فتؤذونني، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد**»[1].

وترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الزجر عن أن يقول المرء في أموره: ما شاء الله وشاء محمد)[2].

وما قرره ابن حبان في الزجر عن هذه المقالة، جاء النهي عنها صريحاً، فقد روى النسائي عن قتيلة رضي الله عنهما أن يهودياً أتىٰ النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء وشئت، وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «**ورب الكعبة، وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت**»[3].

فقوله: (إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك، لأن النبي ﷺ أقر اليهودي على تسمية هذا اللفظ تنديداً أو شركاً، ونهى النبي ﷺ عن ذلك وأرشد إلىٰ استعمال اللفظ البعيد عن الشرك وقول: ما شاء الله ثم شئت، وإن كان الأولى قول: ما شاء الله وحده).

(ج) النهي عن قول مطرنا بنوء كذا:

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف، أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم**»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**»[4]، وقد ترجم ابن حبان لهذا الحديث

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير: (٢/٢٥٤)، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) أخرجه أحمد: (٥/٣٩٣)، والدارمي: (٢/٢٩٥)، وابن ماجه: (١/٦٨٥، ح ٢١١٨).

(٣) «الإحسان»: (١٣/٣٢).

(٤) أخرجه البخاري: (٢/٨٤٥، ح ٨٤٦) في الأذان: باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، ومسلم: (١/٨٣، ح ٧١) في الأيمان: باب كفر من قال: مطرنا بنوء كذا.



بقوله: (ذكر اطلاق اسم الكفر على من رأى الأمطار من الأنواء)[١].

ثم بين رحمه الله أن المسلم مزجور عن نسبة الحوادث إلى الإنواء واستدل لذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا نوء»**[٢]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الزجر عن قول المسلم في الحوادث ينسبها إلى الأنواء)[٣].

والأستسقاء بالأنواء الذي نهي المسلم عنه على قسمين:

١- أن يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم، فهذا كفر ظاهر إذ لا خالق إلا الله ومن اعتقد هذا فهو كافر وليس هذا معنى الحديث إذ المشركون يعلمون أن الله تعالىٰ هو المنزل للمطر.

٢- أن ينسب إنزال المطر إلى النجم، مع اعتقاد أن الله تعالى هو الفاعل لذلك المنزل له إلا أنه سبحانه وتعالى أجرىٰ العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم، وهنا هو الذي أراده النبي ﷺ ونفاه وأبطله وهو الذي كان يزعم المشركون، وهذا القسم من الكفر الأصغر لأنه نسبة النعمة لغير الله وكفران لها.

قال ابن قتيبة: (كانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء إما بصنعه على زعمهم، وإما بعلامته، فأبطل الشرع قولهم وجعله كفراً).

فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنعاً في ذلك فكفره كفر شرك، وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة، فليس بشرك، لكن يجوز إطلاق الكفر عليه وإرادة كفر النعمة، لأنه لم يقع في شيء من طرق الحديث بين الكفر والشرك واسطة، فيحمل على المعنيين[٤].

٥ - الرقى والتمائم

١- الرقى: جمع رقية، وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع، وغير ذلك من الآفات[٥]، ويرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن الرقى على قسمين، فمنها المشروع ومنها الممنوع فأما الممنوع فهي، الرقى التي يخالطها الشرك بالله جل وعلا، واستدل لذلك بما رواه عن كريب الكندي قال: أخذ بيدي على بن الحسين، فانطلقنا إلى شيخ من قريش يقال

---

(١) «الإحسان»: (١٣/٥٠٣).

(٢) اخرجه مسلم: (٤/١٧٤٤، ح ٢٢٢٠) في السلام: باب لا عدوى ولا طيرة.

(٣) «الإحسان»: (١٣/٥٠٤).

(٤) «تيسير العزيز الحميد»: (ص ٤٥٩).

(٥) اخرجه النسائي: (٧/٦) وأحمد في المسند: (٦/٣٧١)، والحاكم: (٤/٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

له: ابن أبي حثمة، يصلي إلى اسطوانة، فجلسنا إليه فلما رأى عليا انصرف إليه، فقال له علي: حدثنا حديث أمك في الرقية، قال: حدثتني أمي أنها كانت ترقي في الجاهلية فلما جاء الإسلام، قالت: لا أرقي حتى استأذن رسول الله ﷺ، فأتته فاستأذنته فقال لها رسول الله ﷺ: «**أرقي ما لم يكن فيه شرك**»[١]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن الرقى المنهي عنها إنما هي الرقى التي يخالطها الشرك بالله جل وعلا دون الرقى التي لا يشوبها شرك)[٢].

وأما المشروع، فهي الرقية التي يبيحها الكتاب والسنة واستدل لذلك بما رواه عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، ما تقول في ذلك؟ قال: «اعرضوا عليّ رقاكم، ولا بأس بالرقى ما لم يكن شركاً»[٣]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر إباحة استرقاء المرء للعلل التي تحدث بما يبيحه الكتاب والسنة)[٤].

كما أبطل رحمه الله قول من نفي جواز الرقية، واستدل لذلك بما رواه عن عبدالرحمن بن السائب ابن أخي ميمونة، أن ميمونة قالت لي: يا ابن أخي، الا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قلت: بلىٰ، قالت: «**بسم الله أرقيك، والله يشفيك من كل داء فيك، أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت**»[٥]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من نفى جواز استعمال الرقى للمسلمين)[٦].

ولاشك أن ما قرره ابن حبان هو الحق في هذه المسألة - مسألة الرقىٰ - فما كان من الرقى مشتملاً على شرك من دعاء غير الله والإستعاذة والاستغاثة به، كالرقية بأسماء الملائكة والأنبياء والجن فهذه الرقية شرك، وهي التي عناها النبي ﷺ بقوله: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[٧].

أما الرقى التي لا تتضمن شركاً، وتكون رقية شرعية فهي ما توافرت فيها شروط ثلاثة:

---

(١) أخرجه الحاكم: (٤/٥٧)، وإسناده حسن بشواهده.

(٢) «الإحسان»: (١٣/٤٥٨).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/١٧١٢٧، ح ٢٢٠٠) في السلام: باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك.

(٤) «الإحسان»: (١٣/٤٦١).

(٥) أخرجه أحمد: (٦/٣٣٢)، الطحاوي: (٤/٣٢٩)، والطبراني في «الكبير»: (ح ١٠٦١)، وذكره الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه الطبراني في «الأوسط والكبير» وفيه عبدالله بن صالح كاتب الليث، وقد وثق وفيه ضعف.

(٦) «الإحسان»: (١٣/٤٦٢).

(٧) أخرجه أحمد: (١/٣٨١)، وابن ماجه: (٢/١١٦٧، ح ٣٥٣٠) في الطب: باب تعليق التمائم، وأبو داود: (٤/٢١٢، ح ٣٨٨٣) في الطب: باب تعليق التمائم وإسناده ضعيف.



أولاً: أن تكون بكلام الله وأسمائه وصفاته.

ثانياً: أن تكون بكلام باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

ثالثاً: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله.

وقد نقل السيوطي إجماع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع هذه الشروط(١).

وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى ما يجوز من الرقى وما لا يجوز فقال: (ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والإقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروع وغيره، التي تتضمن الشرك بل نهوا عن كل ما لا يعرف معناه من ذلك خشية أن يكون فيه شرك بخلاف ما كان من الرقى المشروعة فإنه جائز)(٢).

٢- التمائم: التمائم جمع تميمة، وهي خرز أو قلادة تعلق في الرأس، كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات(٣).

وقد أورد ابن حبان رحمه الله تعالى ما يتعلق بالتمائم التي فيها الشرك بالله جل وعلا وبين أنها مما زجر عنه، فروى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا ودع الله له»(٤)، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الزجر عن تعليق التمائم التي فيها الشرك بالله جل وعلا)(٥).

والحق في التمائم التي على هذا النحو أنها محرمة لصراحة الأحاديث الدالة على ذلك ومنها:

١- قوله ﷺ: **«إن الرقى والتمائم التولة شرك»**(٦).

٢- وقوله ﷺ: **«من علق تميمة فقد أشرك»**(٧).

والشرك الذي يقع فيه من علق هذه التمائم شرك أصغر إلا إن اعتقد أن التميمة تحفظه وتدفع الضر عنه من دون الله تعالىٰ فهذا شرك أكبر.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد»: (ص ١٦٧).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١/٣٣٦).

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (١/١٩٧)، «فتح الباري»: (١٠/١٩٧).

(٤) أخرجه أحمد: (٤/١٥٤)، والطحاوي: (٤/٣٢٥)، الطبراني في «الكبير»: (١٧/٨٢٠)، والحاكم: (٤/٤١٧)، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٥/١٠٣) بعد أن نسبه إلى أحمد وأبي يعلى والطبراني، ورجالهم ثقات.

(٥) «الإحسان»: (١٣/٤٥٠).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه أحمد: (٤/١٥٦)، والحاكم: (٤/٤١٧)، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٥/١٠٣)، رواة أحمد ثقات.



أما التمائم التي لا تحتوي على شرك بل هي بكلام الله وأسمائه وصفاته، فهذا النوع لم أجد لابن حبان كلاماً يتعلق به، والصحيح أنها لا تجوز لعموم الأحاديث في النهي عن التمائم كما أن في منعها سداً للذريعة حتى لا يعلق ما ليس بجائز على أنه جائز، ويضاف إلى ذلك أيضاً أن تعليق التمائم التي تحتوي على كلام الله عرضة للامتهان وذلك بالدخول به في أماكن النجاسة ونحوها.

٦ - الطيـرة :

الطيرة بكسر الطاء، وفتح الياء، وقد تسكن هي التشاؤم، وهي مصدر تطير[(١)].

وقد بين ابن حبان رحمه الله أن التطير مما زجر عنه، فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل ويكره الطيرة**»[(٢)]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الزجر عن تطير المرء في الأشياء)[(٣)].

وروى أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل**»[(٤)]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر التغليظ على من تطير في أسبابه متعريا عن التوكل فيها)[(٥)].

والطيرة مما نهى الإسلام عنها، فقد صرحت السنة بأن الطيرة شرك، وحديث ابن مسعود المتقدم آنفاً صريح الدلالة في ذلك، وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه فكأنهم شركوه مع الله تعالى، ومما دل على تحريمها ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**»[(٦)].

قال ابن القيم رحمه الله: (قوله: «لا طيرة» هذا يحتمل أن يكون نفياً أو يكون نهياً، أي لا تتطيروا ولكن قوله في الحديث: «**ولا عدوى ولا صفر ولا هامة**» يدل على أن المراد النفي وإبطال

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٣/١٥٢).

(٢) أخرجه أحمد: (٢/٣٣٢)، وابن ماجه: (٢/١١٧٠، ح ٣٥٣٦) في الطب: باب من كان يعجبه الفأل والطيرة وإسناده حسن.

(٣) «الإحسان»: (١٣/٤٩٠).

(٤) أخرجه أحمد: (١/٣٨٩)، وأبو داود: (٤/١٧، ح ٣٩١٠) في الطب: باب في الطيرة، الترمذي: (٥/٣٣٦، ح ١٦١٤) في السير: باب ما جاء في الطيرة، وابن ماجه: (٢/١١٧٠، ح ٣٥٣٨) في الطب: باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة وإسناده صحيح.

(٥) «الإحسان»: (١٣/٤٩١).

(٦) أخرجه البخاري: (١٠/١٧١، ح ٥٧١٧)، في الطب: باب لا صفر، ومسلم: (٤/٢١٧٤٤، ح ٢٢٢٠) في السلام: باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر.





هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما تدل على المنع منه .... فأوضح ﷺ لأمته الأمر وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة، ولا نصبها سببا لما يخافونه ويحذرونه ولتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالىٰ التي أرسل بها رسله ونزل بها كتبه، وخلق لأجلها السموات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم، لئلا يبقىٰ فيها علق منها ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار البتة)[١].

وأوضح ابن حبان رحمه الله أن التفاؤل ليس من الطيرة في شيء، بل يجب على المرء أن يلزمه، واستدل لذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا طيرة وخيرها الفأل**» قيل: يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»[٢]، وترجم الحديث بقوله: (ذكر ما يجب على المرء من لزوم التفاؤل وترك التطير اقتداء برسول الله ﷺ)[٣].

قال الحليمي[٤]: (وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء الظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظنه به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال)[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: (ليس في الإعجاب بالفأل شيء من الشرك، بل إبانة عن مقتضى الطبيعة ومن حب الفطرة الإنسانية، التي يميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم أنه حبب إليه من الدنيا النساء والطيب ..... وبالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما والله سبحانه وتعالى قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الإسم الحسن ومحبته، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الإرتياح والاستبشار والسرور بأسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب، فإذا سمعت أضدادها، أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنها ذلك، وأثار

---

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم: (ص ٥٨٢)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) أخرجه البخاري: (١/٢١٤، ح ٥٧٥٥) في الطب: باب الفال، ومسلم: (٤/١٧٤٥، ح ٢٢٢٣) في السلام: باب الطيرة والفال وما يكون فيه من التشاؤم.

(٣) «الإحسان»: (١٣/٤٩٣).

(٤) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم المروزي حافظ من فقهاء الشافعية توفي سنة ٤٠٣هـ وله خمس وستون سنة، انظر في ترجمته: «تذكرة الحفاظ»: (٣/١٠٣٠)، «شذرات الذهب»: (٣/١٦٧، ١٦٨).

«المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي: (٢/٢٥) ط ١، ١٣٩٩هـ، دار الفكر، بيروت.

لها خوفاً وطيرة وإنكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه فأورث لها ضرراً في الدنيا ونقصاً في الإيمان ومقارفة للشرك)[1].

ومما تقدم يمكن القول بأن ابن حبان يتفق مع السلف في تقرير كثير من مسائل توحيد العبادة إلا أنه قد أخطأ في مسائل عدة كمسألة التبرك بآثار الصالحين، ومسألة شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، وغيرها مما خالف فيه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وقد سبق بيان وجه الحق في هذه المسائل التي اخطأ فيها ابن حبان وذلك بما قرره أئمة السلف من عدم جواز ذلك لما قد تفضي إليه من قدح في التوحيد ووقوع في الشرك.

○ ○ ○

(١) «مفتاح دار السعادة»: (ص ٥٩٢).





المبحث الثالث:
توحيد الأسماء والصفات

المعنى اللغوي للاسم:

قال الزجاج[(١)]: معنى قولنا: اسم، هو مشتق من السمو وهو الرفعة، والأصل فيه: سمو مثل قنو وأقناء.

وقال المبرد[(٢)]: الاسم رسم وسمة توضع على الشيء تعرف به[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهو أي الاسم ـ مشتق من «السمو» وهو العلو كما قال النحاة البصريون، وقال النحاة الكوفيون: وهو مشتق من «السمة» وهي العلامة، وهذا صحيح في الاشتقاق الأوسط، وهو ما يتفق فيه حروف اللفظين دون ترتيبهما، فإنه في كليهما «السين والميم والواو» والمعنى صحيح، فإنه السمة والسيما: العلامة، وفيه يقال: وسمته اسمه، كقوله: ﴿**سنسمه على الخرطوم**﴾[(٤)]، ومنه التوسم كقوله: ﴿**لآيات للمتوسمين**﴾[(٥)].

لكن اشتقاقه من السمو هو الاشتقاق الخاص الذي يتفق فيه اللفظان في الحروف وترتيبهما ومعناه أخص وأتم، فإنهم يقولون في تصريفه، سميت ولا يقولون وسمت، وفي جمعه أسماء لا أوسام، وفي تصغيره سميّ لاَ وسَيم، ويقال لصاحبه مسمى لا يقال موسوم، وهذا المعنى أخص، فإن «العلو» مقارن «للظهور» كلما كان الشيء أعلى كان أظهر فالاسم يظهر به المسمى ويعلو، فيقال للمُسمي: سمه أي أظهره، وأعله أي أعل ذكره بالاسم الذي يذكر به لكن تارة بما يحمد به ويذكر وتارة بما يذم به ...، وما ليس له اسم فإنه لا يذكر ولا يظهر ولا يعلو ذكره، بل هو

---

(١) هو إبراهيم بن السري أبو إسحاق النحوي، كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد جميل المذهب وله مصنفات حسان في الأدب توفي سنة ٣١١هـ انظر ترجمته في «تاريخ بغداد»: (٦/٨٩)، «وفيات الأعيان»: (١/٤٩).

(٢) هو محمد بن يزيد بن عبدالاكبر أبو العباس الأزدي ثم الثمالي شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية قال عنه الخطيب البغدادي: كان عالماً فاضلاً موثوقاً به ي الرواية حسن المحاضرة مليح الأخبار كثير النوادر، توفي سنة ٢٨٥هـ، انظر في ترجمته: «تاريخ بغداد»: (٣/٣٨٠)، وفيات الأعيان: (٤/٣١٣).

(٣) «لسان العرب» لابن منظور: (٣/٢١٠٩-٢١١٠).

(٤) سورة القلم: الآية ١٦.

(٥) سورة الحجر: الآية ٧٥.

كالشيء الخفي الذي لا يعرف، ولهذا يقال: الاسم دليل على المسمى، وعلم على المسمى ونحو ذلك.

ولهذا كان أهل الإسلام والسنة الذين يذكرون أسماء الله يعرفونه ويعبدونه ويحبونه ويظهرون ذكره.

والملاحدة الذين ينكرون أسماءه وتعرض قلوبهم عن معرفته وعبادته ومحبته وذكره حتى ينسو ذكره ﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾[1][2].

أسماء الله تعالى عند ابن حبان:

أولاً: أسماء الله تعالى توقيفيه:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن أسماء الله تعالى توقيفيه، فلا يجوز تسميته تعالى بما لم يرد به السمع، وذلك أن أسماء الله تعالى وصفاته من الأمور الغيبية التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الرسل الذين يطلعهم الله على ما يشاء من الغيب ثم يقومون بتبليغه للناس كما أنه لا مجال للقياس فيها أو الاجتهاد لأن هذا الباب ليس من أبواب الاجتهاد.

وقد استدل رحمه الله على أن أسماء الله توقيفيه بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مئة إلا واحداً، إنه وتر يحب الوتر، من أحصاها دخل على الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباريء، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المُقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، المجيب، الباعث، الشهيد، الحي، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدىء، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، المتعال، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، المانع، الغني، المغني، الجامع، الضار، النافع، النور،

(١) سورة التوبة: الآية ٦٧.

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٦/٢٠٧، ٢١٠) باختصار.



الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، المصور»[١].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر تفصيل الأسامي التي يدخل محصيها الجنة)[٢]. فاقتصاره رحمه الله على ذكر الأسماء التي وردت في الحديث من أظهر الأدلة على أنه يرى أن أسماء الله توقيفية.

وما ذهب إليه ابن حبان هو الحق الذي يراه أهل السنة والجماعة، فلا يسمى الله تعالى إلا بالأسماء التي سمى بها نفسه في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ، وأما ما لم يرد في الكتاب والسنة فلا يسمىٰ به.

قال ابن القيم رحمه الله: (إن ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توفيقياً كالقديم والشيء الموجود، والقائم بنفسه فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه، هل هي توقيفية، أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟)[٣].

وقال الخطابي[٤]: (ومن علم هذا الباب، أعني: الأسماء والصفات ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط أنه لا يتجاوز فيها التوقيف ولا يستعمل فيها القياس فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارض الكلام)[٥].

وقال الحافظ ابن حجر: (واتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصاً)[٦].

وقال أبو إسحاق الزجاج: (لا يجوز لأحد أن يدعو الله بما لم يصف به نفسه).

وقال أبو القاسم القشيري: (الأسماء تؤخذ توقيفاً من الكتاب والسنة، فكل اسم ورد فيها

---

(١) أخرجه الترمذي: (٩/١٧٣، ح ٣٥٠٢) في الدعوات: باب أسماء الله الحسنى بالتفصيل، والحاكم: (١/١٦) وصححه، وأخرجه بدون سياق الأسماء، البخاري: (٥/٣٥٤، ح ٢٧٣٦) في الشروط: باب ما يجوز من الاشتراط، ومسلم: (٤/٢٠٦٢، ح ٢٦٧٧) في الذكر والدعاء: باب في أسماء الله تعالى.

(٢) «الإحسان»: (٣/٨٨، ٨٩).

(٣) «بدائع الفوائد»: (١/١٦٢).

(٤) هو أبو سليمان حمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، كان من أوعية العلم، من الفقهاء المحدثين، ولد سنة ثلاث مئة وبضع عشرة وتوفي سنة ٣٨٨هـ. انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٧/٢٣، ٢٨)، «شذرات الذهب»: (٣/١٢٧، ١٢٨).

(٥) «شأن الدعاء» للخطابي: (ص ١١١) ط١، ١٤٠٤هـ دار المأمون للتراث، دمشق.

(٦) «فتح الباري»: (٢٢/٢٢٣).

وجب اطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز ولو صح معناه)[1].

وقال السفاريني[2] رحمه الله: (لكنها ـ أي الأسماء الحسنىٰ ـ في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشرع وورود السمع بها، ومما يجب أن يعلم أن علماء السنة اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ على البارىء جل وعلا إذا ورد بها الإذن في الشرع وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه)[3].

وخلاصة القول أن أسماء الله تعالىٰ توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص.

ثانياً: تعيين الأسماء الحسنى عند ابن حبان:

أورد ابن حبان حديث أبي هريرة المتقدم آنفاً المتضمن لأسماء الله تعالى التي وُعد محصيها بدخول الجنة، وترجمته للحديث صريحة في تعيين تلك الأسماء، فقد قال في ترجمة الحديث: ذكر تفصيل الأسامي التي يدخل الله محصيها الجنة.

والحديث الوارد في تعينها مما صح عند ابن حبان ولذلك قال به، وقد وافقه على تصحيح هذا الحديث الحاكم في المستدرك[4]، وحسنه النووي[5].

والصحيح أن سرد هذه الأسماء الواردة في الحديث إنما هو من قول الراوي كما صرح بذلك جمع أهل العلم، وفيما يلي سياق لما قالوه:

قال البيهقي[6] رحمه الله في «الأسماء والصفات» بعد إيراده للحديث: ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة، وكذلك في حديث الوليد بن مسلم، ولهذا الاحتمال ترك البخاري

---

(١) المصدر السابق: (١١/٢٢٣).

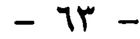
(٢) هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي، محدث فقيه، أصولي مؤرخ، توفي سنة ١١٨٨هـ. انظر «الأعلام»: (٦/٢٤٠)، «معجم المؤلفين»: (٨/٢٦٢).

(٣) «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني: (١/١٢٤) ط ١، (ص ٣١)، ١٤١١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٤) «المستدرك»: (١/١٦).

(٥) «الأذكار» للنووي: (ص ٩٤) ط دار العلم، بيروت.

(٦) هو أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسي الخسروجردي البيهقي ولد سنة ٣٨٤، من كبار المحدثين والفقهاء، صنف التصانيف النافعة توفي سنة ٤٥٧هـ انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٨/١٦٣، ١٧٠)، «وفيات الأعيان»: (١/٧٥، ٧٦).





ومسلم إخراج حديث الوليد في الصحيح[1].

ونقل ابن حجر عن ابن العربي[2] قوله: لا نعلم هل تفسير هذه الأسامي في الحديث أو من قول الراوي[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فالحديث الذي فيه ذكر ذلك ـ أي الأسماء الحسنى ـ هو حديث الترمذي روى الأسماء الحسنى في جامعة من حديث الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، ورواها ابن ماجه في سننه من طريق مخلد بن زياد القطواني عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه).

وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ وإنما كل منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه[4].

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (والذي عوّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبدالله بن محمد الصنعاني عن زهير أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ـ أي ـ أنهم جمعوها من القرآن كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينه وأبو زيد اللغوي والله أعلم)[5].

وقال الحافظ في الفتح: (اختلف العلماء في سرد هذه الأسماء، هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر عن بعض الرواة، فمشى كثير منهم على الأول، واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم لأن كثيراً من هذه الأسماء كذلك.

وذهب آخرون إلى أن التعين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه، ونقله عبدالعزيز النخشبي عن كثير من العلماء، ثم نقل عن الحاكم قوله: إن العلة فيه مجرد تفرد الوليد بن مسلم وأنه أوثق ممن رواه بدون ذكر الاسماء، ورد عليه الحافظ بقوله، وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط بل

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي: (ص ١٩)، ط ١ دار الكتب العربي، بيروت.

(٢) هو أبو بكر محمد بن عَبْدالله بن عبدالله، ابن العربي الأندلسي الأشبيلي المالكي العلامة الحافظ القاضي، برع في عدة فنون توفي سنة ٥٤٣هـ انظ «الصلة» لابن بشكوال: (٢/ ٥٩٠، ٥٩١)، «وفيات الأعيان»: (٣/ ٤٢٣، ٤٢٤).

(٣) «تلخيص الحبير» لابن حجر العسقلاني: (٤/ ١٧٣) دار المعرفة، بيروت.

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٨/ ٩٦، ٩٧)، (٢٢/ ٤٨٢).

(٥) «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٢٦٩).

الاختلاف والاضطراب وتدليسه واحتمال الادراج.

ونقل رحمة الله ما يدل على الادراج، وهو ما أخرجه عثمان الدارمي[١] في (النقض على المريسي) عن هشام بن عمار عن الوليد، فقال عن خليد بن دعلج عن قتادة عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة فذكر بدون التعيين، قال الوليد وحدثنا سعيد بن عبدالعزيز مثل ذلك وقال. كلها في القرآن «وهو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم» وسرد الأسماء)[٢].

وخلاصة القول أن تعيين الاسماء مدرج في الحديث ولا يصح رفعه، بل الصحيح وقفه وتصحيح ابن حبان والحاكم للحديث مما لا يعتمد عليه كما تقدم بيانه عن جمع من الأئمة.

ثالثاً: «الدهر» ليس من أسماء الله تعالى عن ابن حبان

يرى ابن حبان رحمه الله أن «الدهر» ليس من أسماء الله تعالى ولا يوصف بها واستدل لذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله جل وعلا يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما»[٣]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر خبر ثان يصرح بأن الدهر ينسب إلى الله جل وعلا على حسب الخلق دون أن يكون ذلك من صفاته جل ربنا وتعالى عنه)[٤].

فهذه الترجمة من ابن حبان صريحة في أنه يرى أن الله تعالى لا يسمىٰ بالدهر وأنه ليست من صفاته، وإضافة الدهر إلى الله تعالى إضافة خلق.

ولاشك أن ماذهب إليه ابن حبان هو الحق، وهو الموافق لما عليه أهل السنة والجماعة.

قال القاضي عياض[٥]: (زعم بعض من لا تحقيق له أن الدهر من أسماء الله، وهو غلط، فإن

---

(١) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي، ولد سنة ٢٠٠هـ وقيل قبلها، كان واسع الرحلة كان لهجا بالسنة، بصيراً بالمناظرة، إماما يقتدىٰ به. انظر «شذرات الذهب»: (١٧٦/٢)، «طبقات الشافعية» للسبكي: (٣٠٢/٢، ٣٠٦).

(٢) «فتح الباري»: (٢١٥/١١).

(٣) أخرجه البخاري: (٥٧٤/٨، ح ٤٨٢٦) في التفسير: تفسير سورة الجاثية، ومسلم: (١٧١٢/٤، ح ٢٢٤٦) في الألفاظ من الأدب وغيرها باب: النهي عن سب الدهر.

(٤) «الإحسان»: (٢٣/١٣).

(٥) هو الحافظ القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي المالكي ولد سنة ٤٧٦هـ جمع وصنف، من مصنفاته: مشارق الأنوار، والإكمال في شرح صحيح مسلم، توفي سنة ٥٤٤هـ انظر «سير أعلام النبلاء» الديباج المذهب لابن فرحون المالكي: (٤٦/٢).



الدهر مدة زمان الدنيا، وعرفه بعضهم بأنه أحد مفعولات الله في الدنيا، أو فعله لما قبل الموت)[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين[٢] حفظه الله تعالى: «الدهر» ليس من أسماء الله تعالىٰ لأنه اسم جامد، لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنىٰ، ولأنه اسم للوقت والزمن.

فأما قوله ﷺ: «قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى، وذلك أن الذين يسبون الدهر، إنما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث لا يريدون الله تعالى، فيكون معنىٰ قوله: «وأنا الدهر» ما فسرّه بقوله: «بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» فهو سبحانه، خالق الدهر وما فيه، وقد بيّن أنه يقلب الليل والنهار وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلب «كسر اللام» هو المقلب «بفتحهما» وبهذا يتبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مراد به الله تعالى[٣].

الاسم الأعظم لله عز وجل:

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى في تعيين الاسم الأعظم لله عز وجل حديثين:

أحدهما: عن بريدة رضي الله عنه أن دخل مع رسول الله ﷺ المسجد، فإذا رجل يصلي يدعو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله بأسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب»[٤]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن دعاء المرء بما وصفنا إنما هو دعاؤه باسم الله الأعظم الذي لا يخيب من سأل ربه به)[٥].

ثانيهما: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالساً في الحلقة ورجل قائم يصلي، فلما ركع سجد وتشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد

---

(١) «فتح الباري»: (١٠/٥٦٦).

(٢) أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد عثيمين الوهيبي التميمي ولد سنة ١٣٤٧هـ تتلمذ على يد الشيخ عبدالرحمن بن سعدي والشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله تعالى، برع في علوم الفقه والعقيدة وله مصنفات نافعة، انظر «مقدمة فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين» جمع أشرف عبدالمقصود: (ص ٩).

(٣) «القواعد المثلى» للشيخ محمد بن عثيمين: (ص ١١، ١٢)، ط ٢، ١٤٠٧هـ الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض.

(٤) أخرجه أحمد: (٥/٣٥٠)، وأبو داود: (٢/٧٩، ح ١٤٩٣) في الصلاة: باب الدعاء، وابن ماجه: (٢/١٢٦٨، ح ٣٨٥٧) في الدعاء: باب اسم الله الأعظم، وإسناده صحيح.

(٥) «الإحسان»: (٣/١٧٤).

لا إله إلا أنت الحنان المنان، بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام ياحي يا قيام، اللهم إني أسألك، فقال النبي ﷺ: «أتدرون بما دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «والذي نفسي بيده لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»[1]، وترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر اسم الله العظيم الذي إذا سأل المرء ربه أعطاه ما سأل)[2].

وقد نقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» أن هناك من أنكر الاسم الأعظم بدعوى أنه لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض، فقال: (تكميل: وإذ قد جرى ذكر الاسم الأعظم في هذه المباحث، فليقع الإلمام بشيء من الكلام عليه، وقد أنكره قوم كأبي جعفر الطبري[3]، وأبي الحسن الأشعري، وجماعة بعدهما كأبي حاتم بن حبان والقاضي أبي بكر الباقلاني[4]، فقالوا: لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض، ونسب ذلك بعضهم لمالك كراهية أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور، لئلا يظن أن بعض القرآن أفضل من بعض، فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل، وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالأعظم العظيم، وأن أسماء الله كلها عظيمة، وقال ابن حبان: الأعظمية الواردة في الأخبار، إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك كما أطلق ذلك في القرآن والمراد به مزيد ثواب القارىء.

وقيل المراد بالأسم الأعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله تعالى، فإن من تأتىٰ له ذلك استجيب له.

ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وغيرهما[5].

وكلام ابن حبان المتقدم آنفاً لم أقف عليه في شيء من كتبه التي اطلعت عليها، لكنه يترجح

---

(١) أخرجه أحمد: (٣/١٥٨) وأبو داود: (٢/٨٠، ح ١٤٩٥) في الصلاة: باب الدعاء، والنسائي: (٣/٥٢) وابن ماجه: ٢٠/١٢٦٨، ح ٣٩٥٨) في الدعاء: باب اسم الله الأعظم.

(٢) «الإحسان»: (٣/١٧٥).

(٣) هو الإمام الجليل البحر، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الآملي، عالم عصره، صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة، أحد أئمة الدنيا علماً ودينا ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ. انظر «السير»: (١٤/٢٠٦٧، ٢٨٢)، «طبقات المفسرين» للداودي: (٢/١١٠-١١٨).

(٤) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن الباقلاني المالكي الأصولي المتكلم صاحب التصانيف، كان يضرب به المثل بفهمه وذكائه كان أقرب إلى الإثبات من الأشعرية المتاخرة، وقد لقي تلاميذ أبي الحسن **الأشعري**، توفي سنة ٤٠٣هـ، انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٧/١٩٠) «تاريخ بغداد»: (٥/٣٧٩-٣٨٣).

(٥) «فتح الباري»: (١١/٢٢٤).



لدي أنه من كلامه وذلك أنه ممن يقول بعدم وجود التفاضل في كلام الله تعالى.

وحجج من يقول بعدم التفاضل في كلام الله ـ كما يأتي بيانها ـ هي ذاتها التي يحتج بها من يمنع التفاضل في أسماء الله تعالى، فقولهم بأن أسماء الله كلها عظيمة ولا يفضل بعضها على بعض مبني على أن صفات الله عندهم لا يكون بعضها أفضل من بعض.

وهذه المسألة ـ أي مسألة تفاضل صفات الله تعالى ـ مما تنازع الناس فيه، فطائفة يقولون صفات الله لا تتفاضل، وهذا قول لا دليل عليه، فمن الذي جعل صفته تعالى التي هي الرحمة لا تفضل على صفته التي هي الغضب، وقد ثبت عن النبي ﷺ: «**إن الله كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش، إن رحمتي تغلب غضبي**» وفي رواية: «**تسبق غضبي**»[(١)].

وصفة الموصوف من العلم والإرادة والقدرة والكلام والرضا والغضب وغير ذلك من الصفات تتفاضل من وجهين:

أحدهما: أن بعض الصفات أفضل من بعض وأدخل في كمال الموصوف بها فإنا نعلم أن إتصاف العبد بالعلم والقدرة والرحمة أفضل من اتصافه بضد ذلك، لكن الله تعالى لا يوصف بذلك فلا يوصف إلا بصفات الكمال، وله الأسماء الحسنى يدعى بها، فلا يدعى إلا باسمائه الحسنى واسماؤه متضمنة لصفاته، وبعض أسمائه أفضل من بعض وأدخل في كمال الموصوف بها فتفاضل الأسماء والصفات من الأمور البينات.

الثاني: أن الصفة الواحدة قد تتفاضل، فالأمر بمأمور يكون أكمل من الأمر بمأمور آخر، والرضا عن النبيين أعظم من الرضا عمن دونهم، والرحمة لهم أكمل من الرحمة لغيرهم وتكليم الله لعباده أكمل من تكليمه لبعضهم، وكذلك سائر هذا الباب، وكما أن أسمائه وصفاته متنوعة فهي أيضاً متفاضلة كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع مع العقل، وإنما شبهه من منع تفاضلها من جنس شبهة من منع تعددها، وذلك يرجع إلى نفي الصفات كما يقوله الجهمية لما ادعوه من التركيب.

ثم إن هؤلاء قد تأولوا نصوص الكتاب والسنة بتأويلات باطلة، فمنهم من قال: المراد بكونه

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/ ٤٠٤، ح ٧٤٢٢) في التوحيد: باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾، ومسلم: (٤/ ٢١٠٧، ح ٢٧٥١) في التوبة: باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.



أعظم وأفضل وخير كونه عظيماً في نفسه، وامتنع هؤلاء من إجراء التفضيل عليه ومعلوم أن من تدبر ألفاظ الكتاب والسنة تبين له أنها لا تحتمل هذا المعنى، بل هي نوع من القرمطة، فإن الله تعالى يقول: ﴿**نزل أحسن الحديث**﴾[1]، وقال النبي ﷺ لأبي: «أتدري **أي آية معك** في كتاب الله أعظم» وقال: «**ألا أعلمنك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها**»[2] الحديث، ومنهم من قال: بل المراد بقوله: «**خير منها**»[3]، أي: خير منها لكم، أي أكثر ثواباً أو أقل تعباً لمتعلقه، وهو أن تلاوة هذا والعمل به يحصل به من الأجر أكثر مما يحصل بالآخر، فيقال لهؤلاء ما ذكرتموه حجة عليكم، مع ما فيه من مخالفة النص، وذلك أن كون الثواب على أحد القولين أو الفعلين أكثر منه على الثاني إنما كان لأنه في نفسه أفضل، ولهذا إنما تنطق النصوص بفضل القول والعمل في نفسه كما قد سئل النبي ﷺ غير مرة: أي العمل أفضل؟ فيجيب بتفضيل عمل على عمل، وذلك مستلزم لرجحان ثوابه، وأما رجحان الثواب مع تماثل العملين فهذا مخالف للشرع والعقل[4].

أما تفضيل الثواب بدون تفضيل نفس القول والعمل فلم يرد به نقل، ولا يقتضيه عقل فإنه إذا كان القولان متماثلين من كل وجه أو العملان متماثلين من كل وجه، كان جعل ثواب أحدهما أعظم من ثواب الآخر ترجيحاً لأحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح والنصوص والآثار في تفضيل بعض صفاته على بعض متعددة، وقول القائل: (صفات الله كلها فاضلة في غاية التمام والكمال وليس فيها نقص) كلام صحيح، لكن توهمه أنه إذا كان بعضها أفضل من بعض كان المفضول معيباً منقوصا خطأ منه.

فإن النصوص تدل على أن بعض اسمائه أفضل من بعض ولهذا يقال: دعا الله باسمه الأعظم وتدل على أن بعض صفاته أفضل من بعض وبعض أفعاله أفضل من بعض.

وليس في الكتاب والسنة نص يمنع من تفضيل بعض كلام الله على بعض، بل ولا يمنع

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٢) أخرجه الترمذي: (٨/٢٨٢، ح ٣١٢٤) في التفسير: باب ومن سورة الحجر، والنسائي: (٢/١٣٩) في الافتتاح: باب تاويل قول الله عز وجل: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾، والحاكم: (١/٥٥٧) وصححه ووافقه الذهبي، وإسناده صحيح.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

(٤) «مجموع الفتاوى»: (١٧/١٦٨، ١٧٠).



تفاضل صفاته تعالى، بل ولا نقل هذا النفي عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. ولا عن أئمة المسلمين الذين لهم لسان صدق في الأمة بحيث جعلوا أعلاماً للسنة وأئمة للأمة[1].

والمثبت للتفاضل في أسماء الله تعالى وصفاته معتصم بالكتاب والسنة والآثار ومعه من المعقولات الصريحة التي تبين صحة قوله وفساد قول منازعه مالا يتوجه إليها طعن صحيح، وأما النافي فليس معه آية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله ﷺ ولا قول أحد من سلف الأمة وإنما معه مجرد رأي يزعم أن عقله دل عليه، ومنازعه يبين أن العقل إنما دل على نقيضه وأن خطاه معلوم بصريح المعقول كما هو معلوم بصحيح المنقول.

ومما تقدم يتضح خطأ ابن حبان ومخالفته لرأي السلف في مسألة تفاضل أسماء الله تعالى، وأن الحق فيما ذهب إليه سلف الأمة في تفاضل أسماء الله تعالى وصفاته كما قامت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واجمع عليه سلف الأمة رضي الله عنهم أجمعين.

المطلب الثاني: صفات الله تعالى:

عقد ابن حبان رحمه الله تعالى في كتابه «الصحيح» باباً أورد فيه بعض القواعد التي يمكن من خلالها معرفة آرائه بشكل مجمل في صفات الله تبارك وتعالى، ومن هذه القواعد التي قررها في صفات الله جل وعلا ما يلي:

١ - نفي صفات النقص عن الله تبارك وتعالى

وقد استدل رحمه الله على تقرير هذه القاعدة بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تبارك وتعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني ويشتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يشتمني، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول خلق باهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي، فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوا أحد**»[2]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن كل صفة إذا وجدت في المخلوقين كان لهم بها النقص، غير جائز إضافة مثلها إلى الباريء جل وعلا)[3].

وترجمة ابن حبان هذه صريحة في تقرير هذه القاعدة، ولا ريب أن هذه القاعدة التي قررها

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (١٧/ ٧٨، ٧٩).

(٢) أخرجه البخاري: (٨/ ٧٣٩، ح ٤٩٧٤) في التفسير: باب سورة ﴿قل هو الله أحد﴾.

(٣) «الإحسان»: (١/ ٥٠٠).

ابن حبان مما يتفق به مع أهل السنة والجماعة في القول بها، فإن صفات النقص التي لا كمال فيها ممتنعة في حق الله تعالى، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة.

قال تعالى: ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿**أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلىٰ ورسلنا لديهم يكتبون**﴾[(٢)].

وقال ﷺ: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا»[(٣)]، وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص كما في قوله تعالى: ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾[(٤)].

ونزه الله تبارك وتعالى نفسه عما يصفونه به من النقائص فقال سبحانه: ﴿**سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين**﴾[(٥)].

فإذا تقرر امتناع صفات النقص في حق الله تعالى، فإن صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة والعزة وقد دل على هذا السمع والعقل والفطرة.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿**للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾[(٦)] والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فإن كل موجود حقيقة فلابد أن تكون له صفة، إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهده أن للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى فمعطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة: فإن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته[(٧)].

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٥٨.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٠.

(٣) أخرجه البخاري: (١١/ ٥٠٠، ح ٦٦١٠) في القدر: باب لا حول ولا قوة إلا بالله، ومسلم: (٤/ ٢٠٧٧) في الذكر والدعاء: باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٥) سورة الصافات: الآيات ١٨٠-١٨٢.

(٦) سورة النمل: الآية ٦٠.

(٧) «القواعد المثلىٰ»: (ص ٢٣-٢٤).





وخلاصة القول أن ابن حبان رحمه الله يتفق مع أهل السنة والجماعة في تقرير هذه القاعدة في صفات الله تعالى، فتثبت له سبحانه وتعالى صفات الكمال اللائقة به عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1].

٢- نفي العلم بكيفية صفات الله تبارك وتعالى

قرر ابن حبان رحمه الله تعالى أن الصفات الإلهية التي ورد الإخبار بها في الكتاب لا يمكن إدراك كيفيتها ولا الإحاطة بها.

وقد استدل ابن حبان رحمه الله تعالى لتقريره هذه القاعدة بما رواه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تصدق عبد بصدقة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا طيباً، ولا يصعد إلى السماء إلا طيب ـ إلا كأنما يضعها في يد الرحمن فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه وفصيله، حتى إن اللقمة، والتمرة لتأتي يوم القيامة مثل الجبل العظيم**»[2]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن هذه الأخبار أطلقت بألفاظ التمثيل والتشبيه على حسب ما يتعارفه الناس بينهم دون كيفيتها أو وجود حقائقها)[3].

ومن هذه الترجمة للحديث يمكن القول بأن ابن حبان يرى أنه لا مجال للإحاطة بصفات الله تعالى أو العلم بكيفيتها.

وما قرره ابن حبّان في هذه المسألة هو ما يراه أهل السنة والجماعة كما دل على ذلك الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة.

فإن من قواعد أهل السنة والجماعة في باب صفات الله تبارك وتعالى أنه يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين:

أحدهما: التمثيل. والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) أخرجه مسلم: (٢/٧٠٢، ح ١٠١٤) في الزكاة: باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، أخرجه البخاري: (١٣/٤١٥، ح ٧٤٣٠) في التوحيد: باب قوله الله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾.

(٣) «الإحسان»: (١/٥٠٤).

وأما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل، وهذا اعتقاد باطل.

وكان من أوائل من قرر هذه القاعدة العظيمة، امام داره الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، فقد سئل عن قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[1] كيف استوى؟ **فاطرق** برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[2].

وقد مشى أهل العلم على هذ القاعدة فردوا علم كيفية الصفات وماهيتها إلى الله تعالى العالم بها فلا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا أحد من البشر البتة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ في «التدمرية» القاعدة الخامسة: (في علمنا بما أخبرنا الله تعالى به عن نفسه).

ما أخبرنا الله به عن نفسه فهو معلوم لنا من جهة ومجهول من جهة، معلوم لنا من جهة المعنى، ومجهول لنا من جهة الكيفية ... إلى أن قال: وأما كون ما أخبرنا الله به عن نفسه مجهولاً لنا من جهة الكيفية، فثابت بدلالة السمع والعقل.

فأما دلالة السمع فمن وجهين:

الأول: قوله تعالى: ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما**﴾[3] فإن نفي الإحاطة بالله علما شامل للإحاطة بذاته وصفاته، فلا يعلم حقيقة ذاته وكنهها إلا هو سبحانه وتعالى، وكذلك صفاته.

الثاني: أن الله أخبرنا عن ذاته وصفاته، ولم يخبرنا عن كيفيتها، وعقولنا لا تدرك ذلك، فتكون الكيفية مجهولة لنا، لا يحل لنا أن نتكلم فيها أو نقدرها بأذهاننا لقوله تعالى: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا**﴾[4].

وأما دلالة العقل على ذلك؛ فلأن الشيء لا تدركه كيفيته إلا بمشاهدته، أو بمشاهدة نظيره

---

(١) سورة طه: الآية ٥.

(٢) «الرد على الجهمية» للدارمي: (ص ٥٦) ط ١، ١٤٠٥هـ الدار السلفية، الكويت. والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (ص ٤٠٨).

(٣) سورة البقرة: الاية ٢٥٥.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٦.





المساوى له، أو الخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية ذات الله تعالى وصفاته، فتكون كيفية ذات الله وصفاته مجهولة لنا.

ويقال أيضاً: ما هي الكيفية التي تقدرها لذات الله تعالى وصفاته؟ إن أي كيفية تقدرها بذهنك أو تنطق بها بلسانك، فالله أعظم وأجل من ذلك، وإن أي كيفية تقدرها في ذهنك أو تنطق بها بلسانك، فستكون كاذباً فيها، لأنه ليس لك دليل عليها[1].

وبهذا يتضح موافقة ابن حبان رحمه الله تعالى لأهل السنة والجماعة في تقرير هذه القاعدة في صفات الله جل وعلا.

٣- نفي وجود حقائق الصفات

ومن القواعد التي قررها ابن حبان في باب صفات الله جل وعلا أن النصوص الواردة بالاخبار عن بعض صفات الله جل وعلا أطلقت بألفاظ التمثيل دون وجود حقائقها قال أبو حاتم - أي ابن حبان - عقب حديث: «**ما تصدق عبد بصدقة من كسب طيب**»[2] الحديث. قوله ﷺ: «**إلا كأنما يضعها في يد الرحمن**» يبين لك أن هذه الاخبار أطلقت بألفاظ التمثيل دون وجود حقائقها أو الوقوف على كيفيتها إذ لم يتهيأ معرفة المخاطب بهذه الأشياء إلا بالألفاظ التي أطلقت بها[3].

وكلام ابن حبان هذا يعني أن النصوص الواردة في بعض الصفات لا تجرىٰ على ظاهرها لأن ظاهرها غيره مراد، وإنما استعملت هذه الألفاظ من باب التمثيل إذ لا يتهيأ للمرء معرفة ما خوطب به إلا بهذه الألفاظ، فيمكن إذا القول بأن ابن حبان يرى أنه لابد من تأويل هذه الصفات لعدم إمكان حملها على الحقيقة.

وبالنظر في هذه القاعدة التي قررها، ابن حبان يتضح مخالفته لمنهج أهل السنة والجماعة في إجراء النصوص على ظاهرها بدون تحريف، وهذا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها فقد اتفقوا على أن نصوص الصفات تجرى على ظاهرها اللائق بالله عز وجل من غير تحريف وأن ظاهرها لا يقتضي تمثيل الخالق بالمخلوق، فاتفقوا على أن لله تعالى حياة وعلماً وقدرة وسمعاً وبصراً حقيقة وأنه مستو على العرش حقيقة، وأنه يحب ويرضى ويكره ويغضب حقيقة، وأن له وجها ويدين حقيقة كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

---

(١) «تقريب التدمرية» للشيخ محمد بن عثيمين: (ص ٧٢، ٧٣) ط ١، ١٤١٢هـ دار ابن الجوزي، الدمام.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «الإحسان»: (١/ ٥٠٥).

قال ابن عبدالبر رحمه الله: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما «أهل البدع» من الجهمية[1]، والمعتزلة[2]، والخوارج[3] فينكرونها ولا يحملونها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقرّ بها نافون للمعبود لا مثبتون، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به الكتاب والسنة وهم أئمة الجماعة)[4].

والحقيقة يراد بها اللفظ المستعمل فيما وضع له، وقد يراد بها المعنى الموضوع للفظ الذي يستعمل اللفظ فيه فاسم العلم يستعمل مطلقا ويستعمل مضافا إلى العبد كقوله: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط**﴾[5]، ويستعمل مضافا إلى الله كقوله: ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء**﴾[6] فإذا أضيف العلم إلى المخلوق لم يصلح أن يدخل فيه علم الخالق سبحانه، ولم يكن علم المخلوق كعلم الخالق، وإذا أضيف إلى الخالق كقوله: ﴿**أنزله بعلمه**﴾[7] لم يصلح أن يدخل فيه علم المخلوقين ولم يكن علمه كعلمهم ومن ظن أن «الحقيقة» إنما تتناول صفة العبد المخلوقة المحدثة دون صفة الخالق كان في غاية الجهل، فإن صفة الله أكمل وأتم وأحق بهذه الأسماء الحسنى فلا نسبة بين صفة العبد وصفة الرب كما لا نسبة بين ذاته

---

(١) الجهمية: هم اتباع جهم بن صفوان، الذي قال: إن العبد مجبور على فعله ولا قدرة له ولا اختيار ومن ضلالاته: إنكار الصفات، والقول بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان بالله هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به فقط. انظر «مقالات الإسلاميين»: (١/٣٣٨)، «الفرق بين الفرق»: (ص ٢١١، ٢١٢). «الفصل» لابن حزم: (٤/٢٠٤).

(٢) المعتزلة: سُمو بذلك لاعتزال واصل بن عطاء وعمر بن عبيد - من رؤسائهم - مجلس الحسن البصري، لقولهما بأن الفاسق - مرتكب الكبيرة - لا مؤمن ولا كافر ويجمع المعتزلة القول بنفي الصفات عن الله تعالى، والقول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يُرى في الآخرة، وأن الله ليس خالقاً لافعال العباد، ويسمون أيضاً القدرية والعدلية وتصل فرقهم إلى عشرين فرقة. انظر «مقالات الإسلاميين»: (١/٢٣٥) وما بعدها، «الفرق بين الفرق»: (ص ٢٠-٢١)، «الملل والنحل»: (١/٤٣-٤٦).

(٣) الخوارج: هم الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، كما أجمعوا - عدا النجدات منهم - على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصراً عليها، وفرق الخوارج تصل إلى عشرين فرقة، ويرون الخروج على الإمام الجائر، وكانوا أهل عبادة لكن على جهل. انظر «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/١١٤) وما بعدها، «مقالات الإسلاميين»: (١/٨٦) وما بعدها، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للرازي: (ص ٤٦) وما بعدها.

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٥/١٩٨).

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.

(٧) سورة النساء: الآية ١٦٦.



وذاته فكيف يكون العبد مستحقاً للأسماء الحسنى حقيقة فيستحق أن يقال له: عالم قادر سميع بصير، والرب لا يستحق ذلك إلا مجازاً؟! ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من الرب سبحانه وتعالى وله المثل الأعلى، فكل كمال حصل للمخلوق فالخالق أحق به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه عنه، ولهذا كان لله «المثل الأعلى» فإنه لا يقاس بخلقه ولا يمثل لهم ولا تضرب له الأمثال.

ويقال أيضاً إن من ظن أن اسم الحقيقة إنما يتناول المخلوق وحده فهو جاهل، وقوله معلوم الفساد بالضرورة في «العقول» و «الشرائع» و «اللغات»، فوجود الله وذات الله وعلم الله وقدرة الله، وسمع الله، وبصر الله، وإرادة الله، وكلام الله، ورحمة الله، وغضب الله، واستواء الله، ونزول الله، ومحبة الله، وإرادة الله، ونحو ذلك كله حقيقة لله تعالى من غير أن يدخل فيها شيء من المخلوقات، ومن غير أن يماثله فيها شيء من المخلوقات.

ووجود العبد وذاته، وماهيته وعلمه، وقدرته، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستواؤه، ونزوله، كل ذلك حقيقة للعبد مختصة به من غير أن تماثل صفات الله تعالى وأبلغ من ذلك أن الله تعالى أخبر أن في الجنة من المطاعم والمشارب والملابس ما ذكره في كتابه العزيز، وقد قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

وتلك الحقائق التي في الآخرة ليست مماثلة لهذه الحقائق، ومعلوم أن الخالق أبعد من مشابهة المخلوق، فكيف يجوز أن يظن أن فيما أثبته الله تعالى من أسمائه وصفاته مماثلا لمخلوقاته؟ وأن يقال: ليس ذلك بحقيقة، وهل يكون أحق بهذه الأسماء الحسنى والصفات العليا من رب السموات والأرض؟؟!! مع أن مباينته للمخلوقات أعظم من مباينة كل مخلوق[1].

وبهذا يتضح بطلان ما ذهب إليه ابن حبان من نفي حقائق بعض الصفات وصرف النصوص الدالة على إثباتها عن ظاهرها، والقول الحق أن تحمل تلك الصفات والإخبار الدالة عليها على الحقيقة على الوجه اللائق بالله تبارك وتعالى من غير أن يشبهه أحد من خلقه كما قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[2]، وسوف يأتي بعد هذا عرض للصفات التي أوردها ابن حبان في كتبه وأبان فيها عن رأيه وتتمثل الصفات التي سيتم تناولها في أمرين:

(١) «التدمرية»: (ص ٧٦، ٧٧)، «مجموع الفتاوى»: (٥/ ٢٠٠، ٢٠١)، (٢٠/ ٤٤١، ٤٤٥).
(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

:

١- الصفات الذاتية. ٢- الصفات الفعلية.

أولاً: الصفات الذاتية:

ويراد بها تلك الصفات التي لم يزل الله تعالى ولا يزال متصفا بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة، ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين.

وقد أورد ابن حبان رحمه الله جملة من الصفات الذاتية مثبتاً لبعضها ومتأولا للبعض الآخر منها، وفيما يلي عرض لما تناوله من الصفات الذاتية مع إقرار ما أثبته منها، ومناقشته فيما أوّله منها في ضوء منهج أهل السنة والجماعة المستمد من الكتاب والسنة.

١- صفة السمع والبصر

من الصفات الذاتية التي جاء ت بإثباتها نصوص الكتاب والسنة ـ صفة السمع والبصر ـ وقد ذهب ابن حبان رحمه الله تعالى إلى إثبات هذه الصفة مستدلاً بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ـ إلى قوله ـ **إن الله كان سميعاً بصيراً**﴾[١]، رأيت النبي ﷺ يضع إبهامه على أذنه وأصبعه الدعاء على عينه[٢].

قال أبو حاتم: (أراد ﷺ بوضعه أصبعه على أذنه وعينه تعريف الناس أن الله جل وعلا، لا يسمع بالأذن التي لها سماخ والتواء، ولا يبصر بالعين التي لها أشعار وحدق وبياض، جل ربنا وتعالى عن أن يُشبّه بخلقه في شيء من الأشياء، بل يسمع ويبصر بلا آله كيف يشاء)[٣].

فقوله رحمه الله: بل يسمع ويبصر بلا آلة كيف يشاء، صريح في إثبات السمع والبصر لله تعالى، لكن قوله: «بلا آلة» قول لا داعي له، بل الواجب إثبات هذه الصفة لله تعالى على الوجه اللائق به تبارك وتعالى. كما قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[٤].

ومعنى السميع: المدرك لجميع الأصوات مهما خفتت، فهو يسمع السر والنجوى بسمع هو صفة لا يماثل أسماع خلقه.

ومعنى البصر: المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما لطفت أو بعدت فلا

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) أخرجه أبو داود: (٤/٢٣٣، ح ٤٧٢٨) في السنة: باب في الجهمية، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (ص ١٧٩) وإسناده صحيح.

(٣) «الإحسان»: (١/٤٩٨، ٤٩٩).

(٤) سورة الشورى: الآية ١١.



تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار.

ومعنى الحديث الذي استدل به ابن حبان على إثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، أنه سبحانه وتعالى يسمع بسمع ويرى بعين.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وإنما وضع إبهامه على أذنه وعينه رفعا لتوهم أن السمع والبصر غير العينين المعلومتين، وأمثال ذلك كثيرة في الكتاب والسنة[١].

وقال البيهقي رحمه الله: (وأراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر لله ببيان محلهما من الإنسان يريد أن له سمعاً وبصراً، لا أن المراد به العلم فلو كان كذلك لأشار إلى القلب لأنه محل العلم)[٢].

وإثبات صفة السمع والبصر مما ذهب إليه أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إثبات كونه سميعاً بصيراً، وأنه ليس مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات هو قول أهل الإثبات قاطبة من أهل السنة والجماعة)[٣].

وقال أبو بكر الإسماعيلي[٤] رحمه الله: (اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى وصحت به الرواية عن رسول الله ﷺ ... ويثبتون أن له وجهاً وسمعاً وبصراً وعلما وقدرة وكلاماً لا على ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة)[٥].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة السمع والبصر لله تعالى بالسمع والعقل.

أما السمع: فقد قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿**إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً**﴾[٧].

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة»: (١/٣٩٧).

(٢) «فتح الباري»: (١٣/٣٧٣).

(٣) «شرح الأصفهانية» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٧٣).

(٤) هو أبو بكر بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي إمام أهل جرجان وشيخ المحدثين والفقهاء ولد سنة ٢٧٧هـ وتوفي سنة ٣٧١. انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٦/٢٩٢)، «الأنساب» للسمعاني: (١/٢٤١).

(٥) «اعتقاد أهل الحديث» لأبي بكر الإسماعيلي: (ص ٥٥) ط ٢، ١٤١٢هـ، دار العاصمة، الرياض.

(٦) سورة الشورى: الآية ١١.

(٧) سورة النساء: الآية ٥٨.

وروى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفا أو نعلو شرفا ولا نهبط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم ما تدعون أصم ولا غائبا، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[1].

والآيات والأحاديث في إثبات السمع والبصر لله تعالى أكثر من أن يحاط بها.

وأما العقل: فقد دل على إثبات صفة السمع والبصر لله تعالى وذلك من وجوه:

الوجه الأول: إن الله تبارك وتعالى لو لم يتصف بالسمع والبصر، لاتصف بضد ذلك وهو العمىٰ والصمم وهذا ممتنع في حق الرب تعالى، فيجب أن يتصف بكونه سميعاً بصيراً.

الوجه الثاني: أن السمع والبصر من صفات الكمال، فإن الحي إذا كان سميعاً بصيراً أكمل من حي ليس كذلك، وهذا معلوم بضرورة العقل، وإذا كان كذلك فلو لم يتصف الرب تبارك وتعالى به لكان ناقصا، وتعالى ربنا عن كل نقص.

الوجه الثالث: أن نفي السمع والبصر عن حي أو جماد نقص وما انتفى عنه ذلك فلا يجوز أن يحدث عنه شيء، ولا يخلقه ولا يجيب سائلاً لأنه لا يسمع كلام أحد ولا يبصر أحداً، فلا يصلح أن يكون معبوداً كما قال الخليل عليه السلام: ﴿**يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً**﴾[2]، ومن المستقر في الفطر أن ما لا يسمع ولا يبصر لا يكون رباً معبوداً، والخالق سبحانه وتعالى أبعد عن هذه النقائص والعيوب واتصافه بهذه العيوب من أعظم الممتنعات[3].

وبهذا يتضح موافقة ابن حبان رحمه الله تعالى لأهل السنة والجماعة في إثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، لكن قوله: (بلا آلة) مما ينكر عليه، إذ الواجب أن يقال إن الله تعالى يسمع ويبصر بسمع وبصر لا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه وتعالى.

٢ ـ صفة اليد:

روىٰ ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**ما تصدق عبد بصدقة**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سورة مريم: الآية ٤٢.

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٦/٨٨)، «شرح العقيدة الأصفهانية»: (ص ٨٥، ٨٦)، «مجموع الفتاوى»: (٦/٨٩، ٩٠).



من كسب طيّب ـ ولا يقبل الله إلا طيبا أو لا يصعد إلى السماء إلا طيب ـ **إلا كأنما يضعها في يد الرحمن، فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه وفصيله، حتى إن اللقمة أو التمرة لتأتي يوم القيامة مثل الجبل العظيم**»[1].

وأعقب الحديث بقوله: قال أبو حاتم: (قوله ﷺ: «إلا كأنما يضعها في يد الرحمن» يبين لك أن هذه الأخبار أطلقت بألفاظ التمثيل دون وجود حقائقها أو الوقوف على كيفيتها، إذ لم يتهيأ معرفة المخاطب بهذه الأشياء إلا بالألفاظ التي أطلقت بها)[2].

ومن هذا التعقيب لابن حبان على الحديث يتضح أنه يتأول صفة اليد لله عز وجل ولا يمكن أن يكون لله تعالى يد حقيقة.

وما ذهب إليه ابن حبان مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة اليد لله عز وجل حقيقة على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، ولا يعلم كيفيتها إلا هو عز وجل، وإثبات هذه الصفة مما نطقت به نصوص الكتاب والسنة وتواترت به الأخبار من كلام السلف، فقد ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مئة موضع وروداً متنوعاً، متصرفا فيه، مقرون بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة، والحثيات والنضح باليد، والخلق باليدين والمباشرة بهما وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده، إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار الصحيحة[3].

أدلة إثبات صفة اليد لله تعالى من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾[4]، فقد أنكر الله تعالى على اليهود نسبة يده إلى النقص والعيب ولم ينكر عليهم إثبات يده. فدل ذلك على إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به سبحانه.

٢- قال تعالى منكراً على إبليس امتناعه عن السجود لآدم: ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ**﴾[5]، ولفظ اليدين لم يعرف استعماله إلا في اليد الحقيقية ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة.

---

(١) أخرجه مسلم: (٢/٧٠٢، ح ١٠١٤) في الزكاة: باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

(٢) «الإحسان»: (١/٥٠٥).

(٣) «مختصر الصواعق المرسلة»: (٢/١٧١-١٧٢) بتصرف.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٥) سورة ص: الآية ٧٥.

أدلة إثبات صفة اليد لله تعالى من السنة

تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في إثبات صفة اليد لله عز وجل، ومما ورد في ذلك:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار**»، وقال: «**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده**»، وقال: «**عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**»[١].

٢- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل، ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[٢].

٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك، والخير بين يديك، ...»[٣] الحديث.

والأحاديث في إثبات صفة اليدين لله عز وجل أكثر من أن يحاط بها في مثل هذا الموضع.

أما كلام السلف في إثبات هذه الصفة لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، فقد قال ابن خزيمة رحمه الله تعالى في كتاب «التوحيد» باب: ذكر إثبات اليد للخالق الباريء جل وعلا والبيان بأن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله، ثم سرد جملة من الآيات والأحاديث الدالة على ذلك[٤].

وقال أبو بكر الإسماعيلي: (وخلق آدم عليه السلام بيده، ويداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف يداه، إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف)[٥].

وقال أبو بكر الآجري[٦]: باب الإيمان بأن لله عز وجل يدين، وكلتا يديه يمين[٧].

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/٣٩٣، ح ٧٤١١)، في التوحيد: باب قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾، ومسلم: (٢/٦٩٠، ح ٩٩٣) في الزكاة: باب الحث على النفقه وتبشير المنفق بالخلف.

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢١١٣، ح ٢٧٥٩) في التوبة: باب قبول التوبة من الذنوب.

(٣) أخرجه البخاري: (١٣/٤٨٧، ح ٧٥١٨) في التوحيد: باب كلام الرب مع أهل الجنة، ومسلم: (٤/٢١٧٦، ح ٢٨٢٩) في الجنة وصفة نعيمها: باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

(٤) «كتاب التوحيد وإثبات صفة الرب عز وجل» لابن خزيمة: (١/١١٨) ط ١، ١٤٠٨هـ دار الرشد، الرياض.

(٥) «اعتقاد أئمة الحديث»: (ص ٥١).

(٦) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي الآجري، الإمام المحدث القدوة، كان **صدوقاً**، خيرا، عابداً، صاحب سنة وإتباع وله مصنفات كثيرة توفي سنة ٣٦٠هـ. انظر «طبقات الشافعية للسبكي»: (٣/١٤٩)، «وفيات الأعيان»: (٣/٤١٩).

(٧) «الشريعة» للآجري: (ص ٢٨٧).

وقال أبو عثمان الصابوني[1] في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة ـ حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ـ يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسول الله ﷺ على ما وردت به الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل: ﴿**قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾[2] ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين، تحريف المعتزلة والجهمية ـ أهلكهم الله ـ ولا يكيفونهما بكيف، أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله ... وكما ورد القرآن بذكر اليدين، وردت الأخبار الصحاح رسول الله ﷺ بذكر اليد كخبر محاجة موسى آدم[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (إن لله تعالى يدين مختصتان به ذاتيتان له كما يليق بجلاله)[4].

ومما تقدم يتضح أن مذهب أهل السنة والجماعة إثبات أن لله تعالى يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم، وهما من صفاته الذاتية له حقيقة على الوجه اللائق به. كما دل على ذلك الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة.

أما من نفى إثبات هذه الصفة لله عز وجل وأولها بتأويلات باطلة، كتأويل اليد بالقوة أو النعمة أو نحو ذلك، فإن أهل السنة والجماعة قد أبطلوا تلك التأويلات وبينّوا فسادها.

ولما كان تأويلها بالقوة أو النعمة من أشهر تأويلات أهل البدع لصفة اليدين لله عز وجل أورد بإيجاز إبطال أهل السنة لهذا التأويل:

أولاً: أن تأويل اليد بالنعمة أو القدرة صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل.

---

(١) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن احمد بن إسماعيل بن إبراهيم النيسابوري الصابوني ولد سنة ٣٧٣هـ، كان من أئمة الأثر، كثير السماع والتصانيف توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٨/٤٠-٤٤)، «الوافي بالوفيات»: (٩/١٤٣، ١٤٤).

(٢) سورة ص: الآية ٧٥.

(٣) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» لأبي عثمان الصابوني: (ص ٣-٤)، ط ١، ١٤١٣هـ دار طيبة، الرياض.

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٦/٢٦٣).

ثانياً: أنه معنى تأباه اللغة في مثل السياق الذي جاءت به مضافة إلى الله تعالى، فإن الله قال: ﴿**لما خلقت بيّدي**﴾[١]، ولا يصح أن يكون المعنى لما خلقت بنعمتي أو قوتي.

ثالثاً: أنه ورد إضافة اليد إلى الله بصيغة التثنية ولم يرد في الكتاب والسنة ولا في موضع واحد إضافة النعمة والقوة إلى الله بصيغة التثنية، فكيف يفسر هذا بهذا؟

رابعاً: أنه لو كان المراد بهما القوة لصح أن يقال: إن الله خلق إبليس بيده ونحو ذلك وهذا ممتنع، ولو كان جائزاً لاحتج به إبليس على ربه حين قال: ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾.

خامساً: أن اليد التي أضافها الله إلى نفسه تصرفت تصرفاً يمنع أن يكون المراد بها النعمة، أو القوة فجاءت بلفظ اليد، والكف، وجاءت إثبات الأصابع لله تعالى والقبض، والهز كقوله ﷺ: «يقبض الله سمواته بيده والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك»[٢].

وهذه التصرفات تمنع أن يكون المراد بها النعمة أو القوة.

ومن الصفات التي ذهب ابن حبان إلى أنها لا تحمل على الحقيقة، صفة اليمين ليدي الله عز وجل، فقد روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، المقسطون على أهليهم وأولادهم وما ولوا»[٣]، وأعقب الحديث بقوله: (هذا الخبر من ألفاظ التعارف، أطلق لفظه على حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم لا على الحقيقة لعدم وقوفهم على المراد منه إلا بهذا الخطاب المذكور)[٤].

وما ذهب إليه ابن حبان من أن يدى الرحمن عز وجل كلتاهما يمين لا تحمل على الحقيقة قول باطل مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

وقد تقدم إثبات صفة اليدين لله عز وجل بالكتاب والسنة، وفيما يلي أسوق الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على أن يدي الله عز وجل توصف بأنهما يمين حقيقة كما وصف الله تعالى

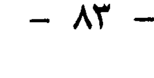
---

(١) سورة ص: الآية ٧٥.

(٢) أخرجه البخاري: (١٣/٣٦٧، ح ٧٣٨٢) في التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿ملك الناس﴾، ومسلم: (٤/٢١٤٨، ح ٢٧٨٨) في صفات المنافقين: باب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) أخرجه مسلم: (٢/١٤٥٨، ح ١٨٢٧) في الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

(٤) «الإحسان»: (١٠/٣٣٧).







نفسه بذلك من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل قال تعالى: ﴿ **والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه** ..»[٢] الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»[٣].

والأحاديث في وصف يدي الله تعالى باليمين كثيرة متضافرة.

وإلى إثبات صفة اليمين ليدي الله عز وجل ذهب أهل السنة والجماعة.

قال ابن خزيمة رحمه الله في كتاب «التوحيد»: باب ذكر سنة ثامنة تبين وتوضح أن لخالقنا جل وعلا يدين، كلتاهما يمينان، لا يسار لخالقنا عز وجل، إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجلّ ربنا عن أن يكون له يسار[٤].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (وكما صح الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وكلتا يديه يمين» الإيمان بذلك، فمن لم يؤمن بذلك، ويعلم أن ذلك حق كما قال رسول الله ﷺ فهو مكذب برسول الله ﷺ)[٥].

وقال الآجري رحمه الله تعالى في كتاب «الشريعة» باب الإيمان بأن لله عز وجل يدين وكلتا يديه يمين ثم سرد جملة من الأحاديث الدالة على ذلك[٦].

ومن هذا يتبين خطأ ابن حبان فيما ذهب إليه من أن وصف يدي الله تعالى بأنهما يمين ليس على الحقيقة. وهذا مخالف للنصوص الصحيحة الصريحة الدالة على وصف يدي الله تبارك وتعالى بأنهما يمين على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) «كتاب التوحيد»: (١/١٥٩).
(٥) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى: (١/٣١٣)، دار المعرفة، بيروت.
(٦) «الشريعة» للآجري: (ص ٢٨٧).

٤ - صفة الأصابع

يرى ابن حبان أن الأصابع الوارد ذكرها في قول النبي ﷺ: «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه»[١]، ليست على ظاهرها وأن ظاهرها غير مراد. ويدل ذلك على أنه عقب إيراده لهذا الحديث، أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله جل وعلا للعبد يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ..»[٢] الحديث، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن هذه الألفاظ من هذا النوع أطلقت بألفاظ التمثيل والتشبيه على حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم دون الحكم على ظواهرها)[٣].

وصنيعه هذا يتضح منه أن الأصابع التي جاء الحديث بذكرها أطلقت بلفظ التمثيل والتشبيه على حسب ما يتعارفه الناس بينهم دون الحكم على ظواهرها، أي أن ظاهرها غير مراد، وهو بهذا يتفق مع المؤولة من المعتزلة والأشاعرة[٤]، إذ الجميع يؤولونها على خلاف ما يدل عليه ظاهر النصوص المثبتة لها.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الأصابع من صفات الله تبارك وتعالى حقيقة على ما يليق بجلاله وكماله وعظمته، وليست على معنى الجارحة ولا بمعنى النعمة ولا على أي معنى يلزم منه حدوثها.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الأصابع لله عز وجل بما جاءت الأخبار الصحاح عن رسول الله ﷺ، ومن ذلك:

١- ما رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قلب

---

(١) أخرجه أحمد: (٤/١٨٢)، وابن ماجه: (١/٧٢، ح ١٩٩) في المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية، والآجري في «الشريعة»: (ص ٣١٧)، وإسناده صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «الإحسان»: (٣/٢٤٤).

(٤) الأشاعرة هم أصحاب أبي الحسن الأشعري: (٢٦٠هـ - ٣٢٤هـ) تتلمذ على الجبائي المعتزلي حتى صار رأساً في المعتزلة، ثم فارقهم إلى مذهب وسط بين أهل الحديث والمعتزلة وهذا الذي ينتسب إليه جمهور الأشاعرة، ثم رجع إلى معتقد السلف أصحاب الحديث في جُل أقوالهم، وقد صرح برجوعه إلى مذهب السلف في آخر كتبه كالإبانة ومقالات الإسلاميين، والأشاعرة يثبتون لله تعالى صفات: السمع والبصر، والعلم، والكلام، والقدرة، والإرادة، والحياة، وإثباتهم لها لدلالة العقل عليها لا السمع، ويخالفون أهل السنة والجماعة أيضاً في الإيمان والقدر. انظر «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/٩٤) وما بعدها، «مذاهب الإسلاميين» عبدالرحمن بدوي: (١/٤٨٧).



إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه» قال: وكان رسول الله ﷺ يقول: **«يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»** قال: **«والميزان بيد الرحمن يرفع قوماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة»**[(١)].

٢- ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد: إن الله يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قرأ: **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** وفي بعض طرق الحديث: **«فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له»**[(٢)].

فهذان حديثان صحيحان في إثبات صفة الأصابع لله عز وجل على ما يليق بجلاله وكماله وعظمته يستدل بهما أهل السنة والجماعة على إثبات هذه الصفة لله تعالى.

أما المبتدعة من المعتزلة والأشاعرة ومن سلك سبيلهم فإنهم يصرفون هذه النصوص عن ظاهرها، ويرون أن ظاهرها غير مراد، فأولها بعضهم بمعنى النعمة وهو تأويل باطل، والمانع من حمل الأصبعين في حديث النواس على النعمتين؛ أن القلب إذا كان بين نعمتين فهو محاط بهما فلو مال عن واحدة أصاب الأخرى، فلا وجه للدعاء بالتثبيت.

يقول ابن قتيبة [(٣)] رحمه الله في معرض رده على من تأول الأصابع بالنعم: (ونحن نقول: إن هذا الحديث صحيح، وإن الذي ذهبوا إليه في تأويل الإصبع لا يشبه الحديث لأنه عليه السلام قال في دعائه: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقالت له إحدى أزواجه: «أو تخاف يا رسول الله على نفسك»؟ فقال: **«إن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله عز وجل»** فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى فهو محفوظ بتلك النعمتين، فلأي شيء دعا بالتثبيت، ولِمَ احتج على المرأة التي قالت له: أتخاف على نفسك ـ بما يؤكد قولها وكان ينبغي أن لا يخاف، إذا كان القلب محروساً بنعمتين»[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: (١٣/٤٧٤، ح ٧٥١٣) في التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾، ومسلم: (٤/٢١٤٨، ح ٢٧٨٦) في صفة القيامة.

(٣) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، كان فاضلا ثقة، سكن بغداد وحدث بها، له تصانيف كثيرة ومفيدة في الغريب، ولد سنة ٢١٣هـ ببغداد. انظر «وفيات الأعيان»: (٢/٢٤٦، ٢٤٧)، «شذرات الذهب»: (٢/١٦٩، ١٧٠).

(٤) «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة: (١٨٩-١٩٠) ط ١، ١٤٠٢هـ دار الكتب الإسلامية، القاهرة.

وبهذا يتضح أن حمل الإصبعين في الحديث على النعمتين غير صحيح ولا يستقيم معنى الحديث على هذا التأويل فالحمل عليه خطأ بيّن.

وأولها بعضهم على أنه أراد إصبعا من أصابع خلقه، وهو كذلك **تأويل باطل** لأن الله تعالى قد أضاف الأصابع إلى نفسه كما في قوله ﷺ: «**بين أصبعين من أصابع الرحمن**»[1]، والأصل حمل اللفظ على الحقيقة فلا يعدل عنه إلا بقرينه.

كما أن هناك تأويلات أخرى كلها مخالفة للأحاديث الصحيحة وبطلانها يغني عن إبطالها ولعل من أبرز الأسباب التي حملت المعتزلة والأشاعرة ومن سلك سبيلهم على تأويل الصفات عموماً ومن بينها صفة الأصابع، ما زعموه من أن إثبات الصفات على حقيقتها يستلزم التشبيه والتجسيم، وذلك لأنهم اعتمدوا في تنزيه الله تعالى على نفي الجسم، حيث قرروا أن الصفات أعراض لا تقوم إلا بجسم. والله تعالى ليس بجسم، لأن الأجسام لا تخلو عن الأعراض، والأعراض حادثة، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

ويمكن الجواب عن شبهتهم هذه بأن يقال: هذه الصفات كالوجه واليد والغضب والرضا .. ونحوها يمكن قيامها بغير جسم، كما أمكن قيام عندكم علم وقدرة وإرادة وسمع وبصر وكلام بغير جسم، فأثبتوا تلك الصفات كما أثبتم هذه وقولوا أنها تقوم بغير جسم. فإن قالوا لا يعقل رضا، وغضب إلا بما يقوم بقلب هو جسم، ولا نعقل وجها ويداً إلا ما هو بعض من جسم.

قيل لهم: ولا نعقل علما إلا ما هو قائم بجسم، ولا قدرة إلا ما هو قائم بجسم، ولا نعقل سمعاً وبصراً وكلاماً إلا ما هو قائم بجسم، فلم فرقتم بين المتماثلين؟ وقلتم: إن هذه يمكن قيامها بغير جسم وهذه لا يمكن قيامها إلا بجسم ، وهما في المعقول سواء إذا فدعوى المدعي الفرق بينهما بأن أحدهما يستلزم التشبيه أو التجسيم دون الآخر تفريق بين المتماثلين وجمع بين النقيضين، فإن ما نفاه في أحدهما أثبته في الآخر وما أثبته في أحدهما نفاه في الآخر، فهو يجمع بين النقيضين.

ولهذا قال المحققون: كل من نفى شيئاً من الأسماء والصفات الثابتة بالكتاب والسنة فإنه متناقض لا محالة، فإن دليل نفيه فيما نفاه هو بعينه يقال فيما أثبته، فإن كان العقل صحيحاً بالنفي وجب نفي الجميع، وإن لم يكن لم يجز نفي شيء من ذلك، فإثبات شيء ونفي نظيره

(١) تقدم تخريجه. وانظر «الإحسان»: (٣/٢٢٣).



تناقض باطل[١].

وبهذا يظهر أن إجراء النص الوارد في إثبات صفة الأصابع على ظاهرة لا يستلزم التشبيه والتجسيم، بل تثبت لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله وكماله وعظمته عز وجل. وما ذهب إليه ابن حبان من تأويل الأصابع خلاف ما عليه السنة والجماعة الذين يثبتون هذه الصفة لله عز وجل إثباتاً بلا تعطيل وتنزيها بلا تمثيل كما قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[٢].

٥- صفة القدم

جاءت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ بإثبات صفة القدم لله عز وجل، وقد روى ابن حبان شيئاً من الأحاديث الدالة على ذلك، فروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يلقىٰ في النار، فتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الرب جل وعلا قدمه فيها، فتقول: قط، قط**»[٢]، وأعقب هذا الحديث بقوله: قال أبو حاتم: (هذا الخبر من الاخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يلقى في النار من الأمم والامكنة التي عصي الله عليها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب جل وعلا موضعاً من الكفار والأمكنة في النار، فتمتليء، فتقول: قط قط، تريد: حسبي حسبي، لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع. قال الله جل وعلا: ﴿**لهم قدم صدق عند ربهم**﴾[٣] يريد: موضع صدق، لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه)[٤].

وبتأمل كلام ابن حبان هذا وتفسيره للقدم الوارد ذكرها في الحديث، يتضح أنه يذهب إلى

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٦/٤٥، ٤٦)، (٥/٣٤٦-٣٦٤)، (١٧/٢٩٨، ٢٩٩)، «درء التعارض»: (١/١٢٧-١٣٠).

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) سورة الشورى: الآية ١١.

(٤) أخرجه البخاري: (٨/٥٩٤، ح ٤٨٤٨) في التفسير: باب ﴿وتقول هل من مزيد﴾، ومسلم: (٤/٢١٨٧، ح ٢٨٤٨) في الجنة: باب النار يدخلها الجبارون.

(٥) سورة يونس: الآية ٢.

(٦) «الإحسان»: (١/٥٠٢).

تأويل صفة القدم على أن المراد بها الأمم والأمكنة التي عصي الله لكن قوله، لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار ... إلخ، يجعل كلامه محتملاً للإثبات وللتأويل، وعلى فرض التسليم بأن ابن حبان يثبت صفة القدم لله جل وعلا، فإن تأويله لوضع القدم في النار تأويل باطل كما أوضح ذلك أئمة السلف رحمهم الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (أما وضعه تعالى قدمه في النار فهذا لا استحالة فيه بالنسبة لله تبارك وتعالى رب كل شيء، وقياسكم ذلك على الخلق باستحالة وضع القدم منهم، هو عين التشبيه الذي ادعيتم الفرار منه، فوقعتم في أعظمه، فقياسكم الله تعالى على خلقه هو الذي أوقعكم في تعطيله بعد تشبيهه فجمعتم بين محذورين، تشبيه الله بخلقه وتعطيله بنفي صفاته اللائقة بجلاله وعظمته،

ثم إن دعوى استحالة وضع القدم في النار غير صحيحة حتى بالنسبة للمخلوق، فالله سبحانه وتعالى قد خلق للنار خزنة يدخلونها ملائكة غلاظ شداد، يقول تبارك وتعالى: ﴿**عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[1]، فيخرجون من النار من أمرهم الله بإخراجه وهم غير معذبين بها[2].

يقول تعالى: ﴿**عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا**﴾[3]، فإذا كانت جهنم لا تضر الخزنة الذين يدخلونها ويقومون عليها فكيف تضر الذي سخرها لهم تعالىٰ وتقدس[4].

الرد على تأويل صفة القدم

ذكرت فيما سبق أن كلام ابن حبان حول صفة القدم لله عز وجل يحتمل الإثبات لها كما يحتمل التأويل على أنها الأمم والأمكنة التي عصي الله عليها، وبينت أنه إن كان مثبتاً للصفة فتأويله لوضع القدم تأويل باطل كما أوضح ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٣/ ١٥١)، مطابع المجد التجارية.

(٣) سورة المدثر: الآية ٣٠، ٣١.

(٤) «نقض الدارمي» علي المريسي: (ص ٦٩).



وإذا كان ابن حبان يؤول صفة القدم كما هو مذهب المعتزلة عامة وبعض الأشاعرة ويقولون أن المراد بالقدم: أهل الشقوة الذين سبق في علم الله تعالى إنهم صائرون إلى النار، أو أن المراد بها ما يلقي من الأمم والأمكنة التي عصي الله عليها، إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة. فإن تأويل القدم على تلك التأويلات مخالف للنصوص الصحيحة الصريحة بإثبات صفة القدم لله جل وعلا حقيقة على ما يليق بجلاله وكماله.

ثم إن في نص الأحاديث التي ذكر فيها القدم، والرجل ما يبطل حملها على تأويل ابن حبان إن كان مؤولا لها. ومن تلك الأحاديث:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**تحاجت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم، فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنتي عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلىء، فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط، فهناك تمتليء، ويزوىٰ بعضها إلى بعض**»[(١)].

٢- روى عن مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ـ وساق الحديث كالحديث المتقدم آنفاً إلى أن قال: «**فأما النار فلا تمتليء حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول: قط قط فهناك تمتليء، ويزوىٰ بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا، وأما الجنة، فإن الله ينشيء لها خلقا**»[(٢)].

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول: قط قط وعزتك ويزوىٰ بعضها إلى بعض**»[(٣)].

ففي هذه الأحاديث إثبات صفة قدم الرحمن جل وعلا حقيقة على ما يليق به من غير تكييف وإثباتها صفة كمال وعدمها نقص يتنزه الله عنه.

قال الترمذي رحمه الله تعالى عقب روايته لحديث أبي هريرة المتقدم: وقد روى عن النبي

---

(١) أخرجه البخاري: (٨/٥٩٥، ح ٤٨٥٠) في التفسير: باب ﴿وتقول هل من مزيد﴾، ومسلم: (٤/٢١٨٦، ح ٢٨٣٦) في الجنة: باب النار يدخلها الجبارون والنار يدخلها الضعفاء.

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢١٨٦، ٢١٨٧، ح ٢٨٤٦) في الجنة: باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٣) أخرجه البخاري: (٨/٥٩٤، ح ٤٨٤٨) في التفسير: باب ﴿وتقول هل من مزيد﴾، ومسلم: (٤/٢١٨٧، ح ٢٨٤٨) في الجنة: باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

ﷺ روايات كثيرة مثل هذا ما يذكر فيه أمر «الرؤية» أن الناس يرون ربهم، وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء.

والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل: سفيان الثوري **ومالك** بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث نؤمن بها ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم، ولا يقال كيف. وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه[1].

وقال ابن خزيمة رحمه الله في «التوحيد» باب ذكر إثبات «الرِّجْل» لله عز وجل وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا عز وجل التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه ﷺ، قال الله عز وجل يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله: ﴿**ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذن يسمعون بها قل أدعو ا شركائكم**﴾[2][3].

وفي هذه الأحاديث أيضاً ما يبعد حملها على تأويل ذلك بالأمة أو الجماعة التي سبق في علمه تعالى أنه يملأ جهنم بها، لأن في كل الأحاديث التي سبق ذكرها: «أنه ينزوي بعض النار إلى بعض» أي: يقرب بعضها إلى بعض، يقال: انزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا والمعنى في الأحاديث أن النار بعد هذا الفعل من الله تعالى تجمع وتضيق على من فيها فتمتليء بهم، ولو أن المقصود بوضع القدم أو الرجل الجماعة، لقال في تلك الأحاديث: يلقي بها حتى تمتليء، لأن الجماعة تلقى فيها إلقاء، ولم يقل: «يزوىٰ بعضها إلى بعض» وفي معنى الزوي الجمع والتضيق ولا يحتاج إلى هذا مع زيادة فيها غير الموجودين لأن الله تعالى قادر على ملئها من غير تضييق.

والمؤلون لصفة القدم قد غلطوا من وجوه:

الوجه الأول: أن النبيﷺ قال: «حتى يضع» ولم يقل، حتى يلقي كما قال في قوله: لا يزال يلقىٰ فيها».

---

(١) سنن الترمذي: (٤/ ٦٩٢).

(٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: (١/ ٢٠٢).

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٩٥.



الوجه الثاني: أن قوله: «قدمه» لا يفهم منه هذا لا حقيقة ولا مجازاً كما تدل عليه الإضافة.

الوجه الثالث: أن قوله: «فيزوي بعضها إلى بعض» دليل على أنها تنضم على من فيها فتضيق بهم من غير أن يلقى فيها شيء.

الوجه الرابع: أن قوله: «يضع قدمه» هاء كناية، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور، والمذكور في الخبر هو الله سبحانه[1].

الوجه الخامس: أن هذا التأويل يسقط فائدة التخصيص بالنار، لأن المتقدم بفعل الخير يضعه في الجنة ولو كان المراد بالقدم المتقدم لم يكن لتخصيصه بالنار فائدة، فوجب حمله على ظاهره ليفيد فائدة.

الوجه السادس: أن قوله: «لا يزال يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع فيها قدمه» جعل الوضع الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء ويكون عندها الإنزواء فيقضي ذلك أن تكون الغاية أعظم مما قبلها. وليس في قول المعطلة معنى للفظ: «قدمه» إلا وقد اشترك فيه الأول والأخر، والأول أحق به من الآخر[2].

وإن قال المؤلون: كيف يصح لكم أن تثبتوا لله تعالى قدماً حقيقية، ثم تقولون إنه يضعها في النار إذا طلبت المزيد والملء كما وعدها ووضع القدم في النار مستحيل؟

قيل لهم: إن إثبات القدم لله تعالى ليس ابتداعاً من عند أنفسنا، ولا نثبت لله تعالى شيئاً لم يثبته لنفسه أو يثبته له أعلم الخلق به رسول الله ﷺ، وقد أثبت القدم لربه كما في الأحاديث السابقة.

وليس في إثبات القدم، أو الرجل نقص في حقه سبحانه، فصفاته تليق بجلاله وكماله وليست على ما نعلم من صفات الخلق فليست بجارحة بل صفة له تليق بعظمته فنؤمن بها غير مبدلين لمعانيها أو محرفين أو معطلين كما هو سبيل الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأئمة السلف المتبوعين.

وخلاصة القول أن صفة القدم من الصفات الثابتة لله عز وجل كما بذلك الأحاديث الصحيحة، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بها من غير بحث في كيفيتها.

---

(١) «إبطال التأويلات»: (١/١٩٨، ١٩٩).

(٢) «الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية» للشيخ زيد بن فياض: (ص ١٨٤، ١٨٥)، ط ٣، ١٤١٤هـ دار الوطن، الرياض.

وأما ابن حبان فقد أخطأ على كل حال سواء في تأويل وضع القدم في النار إن قيل بإثباته لها أو كان متأولا للصفة ذاتها.

٦- صفة الساق:

من الصفات الذاتية التي جاءت بإثباتها نصوص الكتاب والسنة ـ صفة الساق ـ ويرى ابن حبان أن المراد بها الشدة، وقوله هذا موافق لتأويل المعتزلة والأشاعرة إذ هؤلاء لا يثبتون الساق صفة لله تعالى، بل يتأولون النصوص الواردة بإثباتها، ويقولون إن الساق إخبار عن شدة الأمر وهول الموقف.

وقد أورد ابن حبان تأويله هذا عقب إخراجه لحديث أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله أنرى ربنا؟ قال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان يوم صحو؟**» .. إلى أن قال: «**فيأتيهم الجبار لا إله إلا هو، فيقول: أنا ربكم فلا يكلمه إلا نبي، فيقال: هل بينكم وبينه أية تعرفونها؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساق، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد له رياء وسمعة فيذهب يسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً** ...»[1] الحديث. ثم أعقبه بقوله: قال أبو حاتم الساق الشدة[2]، ولا ريب أن ما ذهب إليه ابن حبان وغيره من المعتزلة والأشاعرة من تأويل الساق بالشدة وهول الموقف قول باطل كما سيتضح فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة الساق لله عز وجل وأنه صفة من صفات الله تعالى تليق بجلاله وكبريائه على ما وصف به نفسه من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الساق لله تعالى بالكتاب العزيز والسنة النبوية.

فأما الكتاب:

قال تعالى: ﴿**يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون**﴾[3]، أخرج ابن منده عن أبي هريرة في الآية. قال: يكشف ربنا عز وجل عن ساقه، وأخرج عبدالرزاق وعبد بن

---

(١) أخرجه البخاري: (٨/٦٦٣، ح ٤٩١٩) في التفسير: باب ﴿يوم يكشف عن ساق﴾، ومسلم: (١/١٦٧، ح ١٨٣) في الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية.

(٢) «الإحسان»: (١٦/٣٨٢).

(٣) سورة القلم: الآية ٤٢.







حميد وابن منده من ابن مسعود في الآية قال: يكشف عن ساقه تبارك وتعالى[1].

وأما السنة:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟**» قلنا لا: قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ....**» الحديث وفيه: «**ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء. فيقول: هل بينكم وبينه آية يعرفونه؟ فيقولون الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقىٰ من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً**»[2].

٢- روى مسلم بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما حديثاً طويلاً - في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله له، وذهاب أهل الخير وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور، وبعث من في القبور - وساق الحديث إلى أن قال: «**ثم ينفخ فيه (الصور) أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم قال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤلون. قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. قال ذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق**»[3].

فقوله ﷺ: «يكشف عن ساقه» صريح في إثبات صفة الساق لله عز وجل إذ غير ممتنع إضافة الساق إلى الله تعالى وإثبات ذلك صفة لذاته، كما لم يمتنع إضافة اليد والوجه على وجه الصفة لا على وجه الأبعاض والأجزاء، كذلك في الساق.

فالآية الكريمة والحديث الصحيح متفقان على إثبات الساق لله تعالى، وقد أشار ابن القيم رحمه الله تعالى إلى أن هذا فقال: قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾[4] مطابق لقوله ﷺ:

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للشيخ الألباني: (٢/١٢٨، ١٢٩) ط ١، ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي، بيروت.
وصفة الساق لله تعالى بيْن إثبات السلف وتعطيل الخلف: لمحمد موسى نصر: (ص ٢٢)، ط ١، ١٤١٣هـ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٥٨، ٢٢٥٩، ح ٢٩٤٠) في الفتن وأشراط الساعة: باب خروج الدجال ومكثه في الأرض.

(٤) سورة القلم: الآية ٤٢.

«يكشف عنه ساقه» وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال: يكشف عن ساق عظيمة، قالوا: وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه، فإن لغة القوم أن يقال: كشفت الشدة عن القوم، لا كشفت عنها كقوله تعالى: ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب﴾[1] فالعذاب هو المكشوف لا المكشوف عنه، وأيضاً فهناك تحدث شدة لا تزول إلا بدخول الجنة. وهنا لا يدعون إلى السجود وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة[2].

وقد جاء في السنة ما يبطل تأويل المبتدعة لصفة الساق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله العباد بصعيد واحد، نادى مناد: يلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، ويبقى الناس على حالهم، فيأتيهم، فيقول ما بال الناس ذهبوا وأنتم هاهنا؟ فيقولون: ننتظر إلهنا، فيقول: هل تعرفونه؟ فقولون: إذا تعرف إلينا، عرفناه. فيكشف لهم عن ساقه، فيقعون سجداً، وذلك قول الله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ ويبقىٰ كل منافق فلا يستطيع أن يسجد، ثم يقودهم إلى الجنة»[3].

أما ما ذهب إليه المعتزلة والأشاعرة ومن وافقهم كابن حبان من تأويل الساق بالشدة فهو تأويل باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

فحملهم الآية على الشدة لا يصح بوجه لأن العرب يقولون: كشفت الشدة عن القوم، لا كشف عنها كما قال تعالى: ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب﴾[4] فالعذاب والشدة هو المكشوف لا المكشوف عنه والشدة تحدث في الآخرة وتشتد ولا تزال وترفع إلا بدخول الجنة إذ المخاطين في حال من الشدة لا يعلمها إلا الله، فإذا زالت عن من رضي الله عنهم فهي باقية على أشد ما كانت عليه لمن غضب الله عليهم.

وعلى هذا فلا يمكن حمل الشدة في كل ما أوردنا من الأدلة على غير الساق الحقيقي الذي يليق بالله تعالى.

قال أبو يعلى بعد ذكره لحديث أبي سعيد رضي الله عنه: «ولا يصح تأويل ذلك على الشدة، ولأنه يقال: فيتمثل لهم الرب وقد كشف عن ساقه، والشدائد لا تسمى ربا، ولأنه قال:

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٥٠.

(٢) «الصواعق المرسلة»: (١/٢٥٢).

(٣) أخرجه الدارمي: (٢/٣٢٦) وإسناده حسن، وانظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٢/١٢٨، ١٢٩).

(٤) سورة الزخرف: الآية ٥٠.



﴿يخرون ... سجداً﴾ والسجود لا يكون للشدائد»[١].

وليس إثبات الساق لله عز وجل بأعجب من إثبات الوجه واليد والقدم وغيرها من الصفات، إذ كل ذلك مما جاءت به آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي ﷺ، فيثبت لله تعالى على الوجه اللائق تبارك وتعالى.

وبهذا يتضح بطلان ما ذهب إليه ابن حبان من تأويل الساق بالشدة ومخالفته للسف في إثباتها.

خلق الله تعالى آدم على صورته:

من المواضع التي تناولها ابن حبان وأطال الكلام حولها، مسألة خلق الله آدم على صورته، والتي جاءت في عدة أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، أورد جملة منها في صحيحه، وأعقب تلك الأحاديث ببيان عود الضمير في قوله: «على صورته» واضطرب قوله فيه، فمرة أعاد الضمير - «الهاء» إلى آدم عليه السلام، ومرة أخرى أعاده إلى صورة المضروب. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته**»[٢].

أورد هذا بسنده ثم أعقبه بقوله: قال أبو حاتم: «يريد به صورة الذي قيل له قبح الله وجهك من ولده، والدليل على أن الخطاب لبني آدم دون غيرهم قوله ﷺ: «**ووجه من أشبه وجهك**»، لأن وجه آدم في الصورة تشبه صورة ولده»[٣].

وقال في موضع آخر عقب حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا ضرب أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»[٤]، قال أبو حاتم: «يريد به صورة المضروب لأن الضارب إذا ضرب وجه أخيه المسلم ضرب وجهاً خلق الله آدم على صورته»[٥].

ففي هذين الحديثين أعاد ابن حبان الضمير «الهاء» على: المضروب.

---

(١) «إبطال التأويلات»: (١/١٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/٢٥١)، والحميدي في «المسند»: (١١٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (ص ١٧٢)، وإسناده حسن.

(٣) «الإحسان»: (١٣/١٩).

(٤) أخرجه مسلم: (٤/٢٠١٧، ح ٢٦١٢) في البر والصلة: باب النهي عن ضرب الوجه.

(٥) «الإحسان»: (١٢/٤٢١).

أما الحديث الآخر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً ....»[1] الحديث، وأعقبه بقوله: «فمعنى الخبر عندنا بقوله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته» إبانة فضل آدم على سائر الخلق «والهاء» راجعة إلى آدم، والفائدة من رجوع «الهاء» إلى آدم دون إضافتها إلى البارىء - جلا وعلا - جل ربنا وتعالى عن رجوع «الهاء» إلى آدم دون إضافتها إلى البارىء - جلا وعلا - ربنا وتعالى عن أن يُشبّه بشيء من المخلوقين - أنه جل وعلا جعل سبب الخلق الذي هو المتحرك النامي بذاته - اجتماع الذكر والأنثىٰ، ثم زوال الماء عن قرار الذكر إلى رحم الأنثىٰ، ثم تغير ذلك إلى العلقة بعده مدة، ثم إلى المضغة، ثم إلى الصورة ثم إلى الوقت الممدود فيه، ثم الخروج من قراره، ثم الرضاع، ثم الفطام، ثم المراتب الأخر على حسب ما ذكرنا إلى حلول المنيّة به....»[2].

وفي هذا الحديث أعاد الضمير إلى آدم عليه السلام.

فهذه الأحاديث مما اختلف أهل العلم سلفا وخلفا في عود الضمير فيها، هل هو على الله تعالى، أم على غيره؟

وابن حبان كما سبق أعاد الضمير مرة إلى آدم، ومرة أخرىٰ إلى سورة المضروب، وقد وافقه على هذا جماعة من أهل العلم، وعلى رأسهم شيخه ابن خزيمة رحمه الله، بل لعل ابن حبان ممن نصر قول ابن خزيمة في هذه المسألة.

أما جمهور السلف كالإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وابن عيينة والحميدي وشيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي رحمهم الله جميعاً، فإنهم أعادوا الضمير في مختلف تلك الأحاديث إلى الله عز وجل.

ولاشك أن ما ذهب إليه جمهور السلف من عود الضمير إلى الله عز وجل، هو القول الصحيح في هذه المسألة وأقوالهم في تقرير هذه المسألة أكثر من أن يحاط بها في مثل هذا الموضع لكنني أورد جملة من أقوالهم التي تبين صحة ما ذهبوا إليه، وتبين أيضاً خطأ المخالفين في تأويلاتهم التي ذهبوا إليها.

---

(١) أخرجه البخاري: (٦/٣٦٢، ح ٣٣٢٦) في الأنبياء: باب خلق آدم وذريته، ومسلم: (٤/٢١٨٣، ح ٢٨٤١) في الجنة: باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير.

(٢) «الإحسان»: (١٤/٣٤، ٣٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد إيراده لروايات «خلق الله آدم على صورته»: والكلام على ذلك أن يقال: هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدة من الصحابة وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك ..، ولكن لما انتشرت الجهمية في المئة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم، كأبي ثور[1] وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني[2] وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة»[3].

وقال أبو بكر الآجرى رحمه الله تعالى في كتابه «الشريعة» باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق أدم على صورته بلا كيف، وأورد فيه الأحاديث المصرحة بذلك ثم قال: «هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل نستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر»[4].

وقال الإمام ابن بطة[5] رحمه الله في «الشرح والإبانة» باب: (الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته بلا كيف)، وأورد في هذا الباب جملة من الأحاديث الدالة على ذلك وذكر أن ما جاء عن النبي ﷺ من هذه الأحاديث، وثبتت صحته، ففرض على المسلمين قبولها والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وإمرارها كما جاءت فلا يقال فيها: كيف؟ ولا لم؟ إنما يُؤمن بها وتصدق كما صدق بها من سلف من العلماء[6].

وقال ابن قتيبة رحمه الله: (والذي عندي - والله تعالى أعلم - أن الصورة ليست بأعجب من

---

(١) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان، أبو ثور الكلبي، البغدادي الفقيه، كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وفضلاً وديانة وخير. توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر «تهذيب الكمال» للمزي: (٢/٨٠-٨٣) تاريخ بغداد: (٦/٦٦)

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، محدث كبير، صنف التفسير والكتب الكثيرة في الأحكام، توفي سنة ٣٦٩هـ. انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٦/٢٧٦، ٢٨٠)، «شذرات الذهب»: (٣/٦٩).

(٣) «نقض التاسيس»: مخطوط: (٣/ق ٢٠٨-٢٠٩).

(٤) «الشريعة» للآجرى: (ص ٢٧٩).

(٥) هو أبو عبدالله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث شيخ العراق: كان اماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، له مصنفات جليلة، توفي سنة ٣٨٧هـ. انظر «طبقات الحنابلة»: (٢/١٤٤)، «سير أعلام النبلاء»: (١٦/٥٢٩، ٥٣٣).

(٦) «الشرح والإبانة» لابن بطة: (ص ٢١٣، ٢١٦) المكتبة الفيصلية، ١٤٠٤هـ مكة.

اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد)[1].

وقال أبو يعلى رحمه الله: الفصل الثاني - في إطلاق القول بأنه خلق آدم على صورته وأن الهاء راجعة إلى الرحمن ... ثم ذكر حديث: «إن الله خلق آدم .. إلخ» ثم قال: «والوجه في أنه ليس في حمله على ظاهرة ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور، كما أطلقنا تسميته ذات ونفس لا كالذوات والنفوس ..»[2].

فهذا ما قرره جمهور أهل السنة وسلف الأمة، بل إنهم ذهبوا إلى أن من خالف في ذلك فهو جهمي مع الاعتذار لبعض الأئمة الذين خالفوا في هذا الرأي.

عن أبي طالب[3] قال: سمعت أبا عبدالله - يعني أحمد بن حنبل - يقول: من قال: إن الله تعالى خلق آدم على صورة آدم، فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه.

وعن عبدالله بن الإمام أحمد، أنه قال: قال رجل لأبي عبدالله: إن فلانا يقول في حديث رسول الله ﷺ: **«إن الله خلق آدم على صورته»** فقال: صورة الرجل قال أبي: كذب هذا، هذا قول الجهمية، وأي فائدة في هذا»[4].

ومن أصرح ما استند إليه جمهور السلف في عود الضمير إلى الله عز وجل، هو ما روى صريحاً عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقبحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن»[5]، وقد صحح هذا الحديث جماعة من أئمة السلف كالإمام أحمد وإسحاق بن راهوية وشيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي رحمهم الله تعالى كما صححه أيضاً ابن حجر وأبو يعلى[6].

---

(١) تاويل مختلف الحديث: (ص ١٥٠).

(٢) «إبطال التاويلات»: (١/ ٨١).

(٣) هو أحمد بن حميد أبو طالب المشكاني روى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة، وكان الإمام أحمد يكرمه ويعظمه توفي سنة ٢٤٤هـ. انظر: «طبقات الحنابلة»: (١/ ٣٩-٤٠)، «تاريخ بغداد»: (٤/ ١٢٢).

(٤) المصدر السابق: (١/ ٨٨).

(٥) أخرجه الآجري في «الشريعة»: (ص ٣١٥)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١٢/ ٤٣٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (٢/ ١٨).

(٦) انظر «نقض التاسيس» مخطوط: (٣/ق ٢٣٦-٢٣٨) وإبطال التاويلات (١/ ٨١، ٩١)، «فتح الباري»: (٥/ ١٨٣)، «سير أعلام النبلاء»: (٥/ ٤٥٠)، «عقيدة أهل الإيمان»: (ص ٧٣-٧٦).

واستدلوا كذلك بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر بعض ما سيجري يوم القيامة، في حديث طويل، وفيه: «فيأتيهم الله تبارك وتعالىٰ في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون ....»[(١)] الحديث.

قال أبو يعلى، بعد إيراده لهذا الحديث: «واعلم أن هذا الخبر يدل على إثبات الصورة، وعلى الإتيان، وأنه غير ممتنع جواز إطلاق الصورة لا كالصور كإطلاق نفس وذات لا كالنفوس والذوات ...»[(٢)].

أما التأويلات التي ذهب إليها أهل البدع ووافقهم عليها بعض أهل السنة، فقد أبطلها أئمة السنة وبيّنوا خطأها، ولا مجال لا يرادها هاهنا، ومن أراد الوقوف على تهافت هذه التأويلات وبيان فسادها فليرجع إلى ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «نقض التأسيس» فقد ذكر رحمه الله جميع الأقوال وفندها تفنيداً شافياً كافياً في نحو مئة وخمسة وعشرين، ورقة من المخطوط.

وخلاصة القول أن جمهور أهل السنة يثبتون «الصورة» لله عز وجل كإثبات سائر الصفات من غير تحريف ولا تعطيل، وينزهون الله تعالى عن التشبيه والتمثيل.

قال ابن عبدالبر رحمه الله في بيان طريقة أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى وأسمائه: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه ... ثم روى بإسناده عن الأوزاعي قال: كان محكول الزهري يقولان: أجروا هذه الأحاديث كما جاءت قال: وقد روينا عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت نحو حديث النزول وحديث: «أن الله خلق آدم على صورته» وأنه يدخل قدمه في جهنم وما كان مثل هذه الأحاديث.

قال أبو عمر بن عبدالبر: رواها السلف وسكتوا عنها وهم كانوا أعمق الناس علماً وأوسعهم فهماً وأقلهم تكلفا، ولم يكن سكوتهم على عي، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٤١٩، ح ٧٤٣٧) في التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، ومسلم: (١/ ١٦٣، ١٦٤، ح ١٨٢) في الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية.

(٢) «إبطال التأويلات»: (١/ ١٥١).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر: (٢/ ١١٧-١١٨) دار الفكر.

ثانياً : الصفات الفعلية :

وهي تلك الصفات التي تتعلق بمشيئة الله تعالى، متىٰ شاء فعلها كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، كما أن هناك صفات تكون فعلية ذاتية في آن واحد كالكلام، فهو باعتبار أصله صفة ذاتية لأنه سبحانه لم يزل ولا يزال متكلماً، وهو باعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئة يتكلم بما يشاء متى شاء عز وجل.

١- صفة الكلام

يذهب ابن حبان رحمه الله تعالى إلى القول بإثبات صفة الكلام لله عز وجل، ومما قاله في إثبات هذه الصفة: (فكما أن الله جل وعلا متكلم من غير آلة بأسنان ولهوات ولسان وشفة كالمخلوقين، جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه، ولم يجز أن يقاس كلامه إلى كلامنا، لأن كلام المخلوقين لا يوجد إلا بآلات، والله جل وعلا يتكلم كما يشاء بلا آلة)[١].

وقد أورد في صحيحه جملة من الأحاديث الدالة على هذه الصفة منها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: أنت آدم خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأغويت الناس، وأخرجتهم من الجنة، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، تلومني على عمل عملته كتبه الله عليّ قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: فحج آدم موسى»[٢].

وهكذا الحديث صريح الدلالة في إثبات تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام، ولهذا أورد ابن حبان كثيراً من الأحاديث التي تتضمن ذكر موسى عليه السلام وكان يصفه في تراجم تلك الأحاديث بأنه كليم الله، كقوله: «ذكر صبر كليم الله جل وعلا على أذى بني إسرائيل إياه» وقوله: «ذكر سؤال الكليم ربه عن أدنى أهل الجنة وأرفعهم منزلة»[٤]، وقوله: «ذكر سؤال كليم الله جل وعل ربه عن خصال سبع»[٥]، ومثل هذه التراجم كثير.

٢- عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلا أتي النبي ﷺ قال: يا نبي الله، أنبيا كان آدم؟

---

(١) «الإحسان»: (٣/٢٠٠، ٢٠١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «الإحسان»: (١٤/٩٥).

(٤) المصدر السابق: (١٤/٩٩).

(٥) المصدر السابق: (١٤/١٠٠).



قال: «نعم مكلم» قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون»[1].

كما أن هناك أحاديث أخرى أوردها ابن حبان رحمه الله فيها الدلالة على إثبات صفة الكلام لله عز وجل، ولم أذكرها خشية الإطالة ـ علماً بأن إثبات صفة الكلام لله عز وجل مما استفاضت به نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة.

ومن هنا يمكن القول بأن ابن حبان يتفق مع أهل السنة والجماعة في إثبات صفة الكلام لله عز وجل وأنه سحانه يتكلم بما يشاء وكيف يشاء وأن كلامه عز وجل بحرف وصوت.

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله: (ويثبتون ـ أي أهل الحديث ـ أن له وجهاً وسمعاً وبصراً وعلماً وقدرة وقوة وعزة وكلاماً .... فهو تعالىٰ ذو العلم والقوة والقدرة والسمع والبصر والكلام كما قال تعالى: ﴿**ولتصنع علي عيني**﴾[2] ﴿**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا**﴾[3] وقال: ﴿**حتى يسمع كلام الله**﴾[4] وقال: ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾[5][6].

وقال ابن خزيمة رحمه الله تعالى في كتاب «التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل»: أبواب إثبات صفة الكلام لله عز وجل، ثم أورد جملة من آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي ﷺ في إثبات هذه الصفة لله عز وجل[7].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة، والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة، أنه سبحانه ينادي بصوت، نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف)[8].

وقال ابن أبي العز الحنفي[9] رحمه الله تعالى في شرحه للعقيدة الطحاوية بعد أن سرد أقوال الناس في كلام عز وجل: (تاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو

---

(١) أخرجه الطبراني من «المعجم الكبير»: (٧٥٤٥)، والحاكم: (٢/٢٦٢) وصححه، وإسناده صحيح.

(٢) سورة طه: الآية ٣٩.

(٣) سورة هود: الآية ٣٧.

(٤) سورة التوبة: الآية ٦.

(٥) سورة النساء: الآية ١٦٤.

(٦) «اعتقاد أئمة السلف»: (ص ٥٥، ٥٦).

(٧) «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب جل وعلا»: (١/٣٢٨).

(٨) «مجموع الفتاوى»: (٦/٥١٣-٥٤٥).

(٩) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ولد سنة ٧٣١هـ وتوفي سنة ٧٩٢هـ. انظر «الدر الكامنة»: «٣/٨٧»، «شذرات الذهب»: (٦/٣٢٦).

يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع لكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة)[١].

ولو أوردنا أقوال السلف في إثبات صفة الكلام لله عز وجل لطال بنا المقام، ولكن حسبنا ما نقل هاهنا عن هؤلاء الأئمة الأعلام.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام لله عز وجل بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

أما الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله** ﴾[٢]. الآية.

وقال تعالى: ﴿ **وكلم الله موسى تكليماً** ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾[٤] الآية.

والآيات في ذلك كثيرة جداً.

وأما السنة:

فقد تقدم حديث أبي هريرة في ذكر احتجاج آدم وموسى عليهما السلام وقول آدم لموسى: «أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه..»[٥] الحديث

ومن ذلك أيضاً حديث جابر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل»[٦] الحديث.

والأخبار عن رسول الله ﷺ في إثبات صفة الكلام لله عز وجل لا تدخل تحت الحصر، ولو لم يثبت منها إلا حديثاً واحداً لكان كافياً في الاحتجاج به، فكيف إذا كانت الأحاديث قد تواترت به؟

وأما الإجماع:

فقد نقل السفاريني رحمه الله تعالى عن الإمام الموفق أنه قال: (وهذه الأخبار ونحوها ـ أي

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ١٢٩).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٣) سورة النساء: الآية ١٦٤.

(٤) سورة التوبة: الآية ٦.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه الترمذي: (٨/١٢٤، ح ٢٩٢٦) في ثواب القرآن: باب حرص النبي ﷺ على تبليغ القرآن، وابن ماجه: (١/٧٣، ح ٢٠١) في المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية، وأحمد في «المسند»: (٣/٣٩٠) وإسناده صحيح.





أحاديث صفة الكلام لله عز وجل ـ لم تزل متداولة بين أهل العلم من الصحابة والتابعين يرويها بعضهم عن بعض لم ينكرها منكر فيكون إجماعاً)[1].

وتقدم فيما قبل ذكر كلام شيخ الإسلام في أنه لم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله لم يتكلم بلا صوت ولا حرف.

لكن مما يؤخذ على ابن حبان رحمه الله في إثبات صفة الكلام لله عز وجل، ما ذكره من اللوازم التي لم يرد نص بإثباتها ولا نفيها، كقوله: فكما أن الله جل وعلا متكلم من غير آله بأسنان ولهوات ولسان وشفة كالمخلوقين، جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه وكان الأولى بابن حبان رحمه الله أن يمسك عن الخوض في مثل هذه الأقوال التي لم يرد بها كتاب ولا سنة، فالأسلم السكوت عنها.

ومما يحسن ذكره هاهنا أن الأشاعرة ومن سلك سبيلهم يحتج على إنكار أن يكون كلام الله بحرف وصوت بمثل هذه الشبه التي دحضها السلف رحمهم الله.

فهذا الإمام أحمد رحمه الله يقول: (وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان، أليس الله قال للسموات والأرض: ﴿**أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا آتينا طائعين**﴾[2] وقال: ﴿**وسخرنا مع داود الجبال يسبحن**﴾[3]، أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟، والجوارح إذا شهدت على الكافر فقالوا: ﴿**لم شهدتهم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء**﴾[4] أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء من غير أن يقول. بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان)[5].

ويقال لهم أيضاً: إن هذا قياس للرب تعالى على المخلوق، فإنهم تصوروا كلام المخلوق بأنه لا يكون إلا بمخارج فقالوا مثله من ربهم، وهذا نقض لقاعدة أهل السنة في التنزيه ﴿**ليس كمثله شيء**﴾.

كما يلزم من أنكر أن يكون الكلام بحرف وصوت: قول المعتزلة في الصفات، فإنهم يثبتون

---

(١) «لوامع الانوار»: (١/ ١٧٠).
(٢) سورة فصلت: الاية ١١.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.
(٤) سورة فصلت: الآية ٢١.
(٥) «الرد على الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد بن حنبل: (ص ١٣١)، دار اللواء، ١٣٩٧هـ الرياض.

العلم والسمع والبصر ونحو ذلك من الصفات لله تعالى، والمخلوق يتصف بها أيضاً، وهي لا تكون منه إلا بآلة، فالعلم لا يحصل إلا بقلب، والبصر لا يكون إلا بحدقة، والسمع لا يقع إلا من انخراق، وقد ألزمتهم المعتزلة بهذا، فأجابوا: بأن هذا من قياس الغائب على الشاهد، وهو باطل، والله تعالى ليس كمثله شيء، فهلا قالوا مثل هذا في صفة الكلام، وأنها بحرف وصوت، لا يشبه كلامه كلام خلقه ولا صوته أصواتهم؟[1].

وبهذا يبطل قول من ادعى أن الكلام بلا حرف ولا صوت، وأن الحق فيما قرره أهل السنة والجماعة من أن كلام الله تعالى بحرف وصوت يليق به عز وجل لا يشبه أحداً من خلقه.

رأي ابن حبان في القرآن:

يرى ابن حبان رحمه الله أن القرآن كلام الله عز وجل منزل بواسطة جبريل على قلب محمد ﷺ وأنه ليس بمخلوق ولا مجعول ولا مربوب كما يزعمه المعتزلة.

فقد أورد عن جابر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**القرآن شافع مشفع وما حل مصدق، ومن جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار**»[2]، وأعقب الحديث بقوله: (قال أبو حاتم: «هذا خبر يوهم لفظه من جهل صناعة العلم أن القرآن مجعول مربوب، وليس كذلك، لكن لفظه مما نقول في كتبنا، إن العرب في لغتها تطلق اسم الشيء على سببه، كما تطلق اسم السبب على الشيء، فلما كان العمل بالقرآن قاد صاحبه إلى الجنة أطلق اسم ذلك الشيء الذي هو العمل بالقرآن على سببه الذي هو القرآن، لا أن القرآن يكون مخلوقاً»[3].

وقال رحمه الله في سياق ترجمته للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: (كان حافظا متقنا ورعاً فقيهاً، ملازما للورع الخفي، مواظباً على العبادة الدائمة، به أعان الله عز وجل أمة محمد ﷺ، وذلك أنه ثبته في المحنة، وبذل نفسه لله عز وجل حتى ضرب بالسياط للقتل، فعصمه الله عن الكفر وجعله عالماً يقتدى به)[1].

فالقرآن عنده رحمه الله كلام الله عز وجل، ليس بمخلوق، ولا مربوب، ولا مجعول، وقائل ذلك كافر.

---

(١) «العقيدة السلفية في كلام رب البرية» عبدالله الجديع: (ص ٣٦٠) ط ١، ١٤٠٨هـ.

(٢) أخرجه البزار: (٢/١٢٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١/١٧١): رجاله ثقات.

(٣) «الإحسان»: (١/٣٣٢).

(٤) «كتاب الثقات»: (٨/٤).







ورأى ابن حبان في القرآن لم يعدُ ما قرره أهل السنة والجماعة في مصنفاتهم من أن القرآن كلام الله على الحقيقة ليس بمخلوق.

قال الطحاوي[٢] رحمه الله: (وأن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله علىٰ رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر)[٣].

وقال ابن أبي زمنين رحمه الله[٤]: (ومن قول أهل السنة أن القرآن كلامه الله وتنزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدا وإليه يعود)[٤].

وقال أبو عثمان الصابوني: (ويشهد أصحاب الحديث، ويعتقدون، أن القرآن كلام وكتابه وخطابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم)[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه، ليس ذلك مخلوقاً منفصلا عنه وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته فكلامه قائم بذاته، ليس مخلوقاً بائنا عنه)[٧].

وقال أيضاً: (ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ: هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن

---

(١) هو أبو جعفر احمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الحنفي، ولد بمصر سنة ٢٣٩هـ كان ثقة ثبتا فقيها عاقلاً توفي سنة ٣٢١هـ. انظر «شذرات الذهب»: (٢/٢٨٨)، «تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٣/٢٨، ٢٩).
«شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١٢٧).

(٢) هو محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد المرى الالبيري الأندلسي، اشتهر بأبي زمنين، من كتاب المحدثين والفقهاء الراسخين في العلم توفيّ سنة ٣٩٩هـ انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٧/١٨٨)، «ترتيب المدارك» للقاضي عياض: (٧/١٨٣).

(٣) «أصول السنة»: (ص ٨٢)، ط ١، ١٤١٥هـ مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية.

(٤) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (ص ٥).

(٥) «مجموع الفتاوى»: (١٢/٣٧-٣٨).

الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا، لا إلى من قاله مبلغا مؤديا، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف)[1].

وبهذا يتضح أن ابن حبان رحمه الله تعالى يتفق مع أهل السنة والجماعة في القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

رأي ابن حبان في تفاضل كلام الله:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن كلام الله تعالى لا يتفاضل، بل كله في الفضل سواء، والتفاضل إنما هو في الأجر والثواب لا في القرآن بعضه على بعض.

وقد حمل النصوص الواردة بالأخبار عن فضل سورة معينة من القرآن بأن ذلك في أفضلية القرآن للعبد، ومما استدل به على رأيه ما رواه عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في مسير فنزل فمشىٰ رجل من أصحابه إلى جانبه فالتفت إليه فقال: «ألا أخبرك بأفضل القرآن»؟ قال: فتلا عليه: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[2].

وأعقب الحديث بقوله: قال أبو حاتم: (قوله ﷺ: «ألا أخبرك بأفضل القرآن» أراد به بأفضل القرآن لك، لا أن بعض القرآن يكون أفضل من بعض، لأن كلام الله يستحيل فيه تفاوت التفاضل)[3].

وروى أيضاً عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: ما في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل»[4]، وأعقب هذا الحديث بقوله: (قال أبو حاتم: معنى هذه اللفظة: «ما في التوراة والإنجيل مثل أم القرآن» أن الله لا يعطي لقارىء التوراة والإنجيل من الثواب ما يعطي لقارىء أم القرآن، إذ الله بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم وأعطاها الفضل على قراءة كلام الله أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه، وهو فضل منه لهذه الأمة، وعدل منه على غيرها)[5].

---

(١) «العقيدة الواسطية»: (ص ٤٠-٤١).

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة: (ح ٧٢٣)، والحاكم: (١/٥٦٠)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) «الإحسان»: (٣/٥٢).

(٤) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في «زيادات المسند»: (٥/١١٤)، والحاكم: (١/٥٥٧)، وصححه ووافقه الذهبي، وسنده صحيح، وأخرجه الترمذي: (٨/٢٨٢، ح ٣١٢٤) في التفسير: باب ومن سورة الحجر، والنسائي: (٢/١٣٩) في الافتتاح: باب تأويل قوله الله عز وجل: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾.

(٥) «الإحسان»: (٣/٥٤).



وروى كذلك عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد، فدعا لي رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «**ألم يقل الله ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾**»، ثم قال: «**ألا أعلمك سورة هي أعظم سورة في القرآن**»؟ فقلت! بلىٰ فقال: «**الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**»[1]، وقال عقب الحديث: قال أبو حاتم رضي الله عنه: (قوله ﷺ: «**هي أعظم سورة**» أراد به في الأجر، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض)[2].

وابن حبان في قوله بعدم تفاضل كلام الله تعالىٰ يتفق مع الأشاعرة القائلين بذلك أيضاً، وقولهم مخالف للنصوص الصحيحة الصريحة الثابتة عن النبيﷺ الدالة على إثبات تفضيل كلام الله تعالى بعضه على بعض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والقول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو القول المأثور عن السلف، وهو الذي عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم، وكلام القائلين بذلك كثير منتشر في كتب كثيرة)[3].

وقال أيضاً: (ومن ذكر تفضيل بعض القرآن على بعض في نفسه أصحاب الشافعي وأحمد، وغيرهما كالشيخ أبي حامد الاسفرائيني[4] والقاضي أبي الطيب وأبي إسحاق الشيرازي[5] وغيرهم، ومثل القاضي أبي يعلى والحلواني الكبير[6] وابنه عبدالرحمن وابن عقيل[7]).

---

(١) أخرجه البخاري: (٨/١٥٦، ح ٤٤٧٤) في التفسير: باب ما جاء في فاتحة الكتاب.

(٢) «الإحسان»: (٣/٥٧).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (١٧/١٣).

(٤) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد الاسفراييني الأصولي الشافعي المتكلم الأشعري، لقي تلاميذ أبي الحسن الأشعري، روي عنه البيهقي والقشيري توفي سنة ٤١٨هـ انظر «طبقات الشافعية» للسبكي: (٤/٢٥٦)، تبيين كذب المفتري لابن عساكر: (ص ٢٤٣).

(٥) هو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي ولد سنة ٣٩٣هـ، كان يضرب به المثل بفصاحته وقوة مناظرته، صنف في الأصول والفروع والخلاف والمذاهب توفي سنة ٤٩٦هـ انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٨/٤٥٢-٤٦٣)، «صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٤/٦٦-٦٧).

(٦) هو محمد علي بن محمَّد بن عثمان المراق الحلواني، الفقيه الزاهي، ولد سنة ٤٣٩هـ، كان من فقهاء الحنابلة ببغداد وكان مشهوراً بالورع الثخين والدين المتين توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر «الذيل على طبقات الحنابلة»: (١/١٠٦)، «المنتظم» لابن الجوزي»: (١٧/١٢٨).

(٧) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل الحنبلي، العالم المشهور، ولد سنة ٤٣١هـ وتوفي سنة ٥١٣هـ. انظر «سير أعلام النبلاء» (١٩/٤٤٣)، «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي: (١/١٤٢).

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن القول بمنع التفاضل في كلام الله لم يعرف قط عن أحد من السلف وإنما حدث هذا الإنكار لما ظهرت بدع الجهمية الذين اختلفوا في الكتاب وجعلوه عضين[1].

وشبهة من منع التفاضل في كلام الله تعالى هي ظنهم أن القول بتفاضل كلام الله بعضه على بعض إنما يكون على قول المعتزلة ونحوهم الذين يقولون إنه مخلوق، فإن القائلين بأنه مخلوق يرون فضل بعضه على بعض فضل مخلوق على مخلوق، وتفضيل بعض المخلوقات على بعض لا ينكره أحد، فيظن المانعون للتفاضل أن القول بتفضيل كلام الله على بعض مستلزم لكون القرآن مخلوقا ففروا من ذلك وأنكروا القول به لأجل ما ظنوه من التلازم، وليس الأمر كما ظنوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان مأخذ من منع التفاضل في كلام الله: (وفي الجملة فالذين يمنعون أن يكون كلام الله بعضه من بعض لهم مأخذان:

أحدهما: أن صفات الرب لا يكون بعضها أفضل من بعض، وقد يعبرون عن ذلك بأن القديم لا يتفاضل.

الثاني: أنه واحد، والواحد لا يتصور فيه تفاضل ولا تماثل، وهذا على قول من يقول: إنه واحد بالعين)[2].

ومما ينبغي التنبيه عليه أن المانعين للتفاضل في كلام الله تعالى قد تأولوا النصوص الدالة على إثبات التفاضل، فمنهم من قال إن المراد بكون القرآن أعظم وأفضل كونه عظيماً في نفسه، ومنهم من قال إن المراد بذلك كثرة الثواب والأجر المترتب على القراءة.

وقد أبطل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ما ذهب إليه هؤلاء وبين أن تأويلاتهم للنصوص الدالة على التفاضل تأويلات باطلة، بل هي نوع من القرمطة.

قال رحمه الله: (ثم إن هؤلاء تأولوا نصوص الكتاب والسنة بتأويلات باطلة: منهم من قال: المراد بكونه أعظم وأفضل وخير أي كونه عظيماً في نفسه، وامتنع هؤلاء من إجراء التفضيل عليه، وحكى هذا عن الأشعري وابن الباقلاني وجماعة غيرهم، ومعلوم أن من تدبر ألفاظ الكتاب والسنة تبين له أنها لا تحتمل هذا المعنى، بل هو نوع من القرمطة، فإن الله تعالى يقول: ﴿نزل أحسن

---

(١) المصدر السابق: (١٧/٤٦).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١٧/١٦٢، ١٦٣).



الحديث ﴾[1] وقال النبي ﷺ لأبي رضي الله عنه: «**أتدري أي آية معك في كتاب الله العظيم**»[2] وقال: «**لأعلمنك سورة لم تنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها**»[3].

ومنهم من قال: بل المراد بقوله: ﴿**خير منها**﴾[4] أي خير منها لكم أي: أكثر ثوابا أو أقل تعبا، وقال: ما دل على بعضه أفضل من بعض فليس هو تفضيلا لنفس الكلام بل لمتعلقه، وهو أن تلاوة هذا العلم به يحصل به من الأجر أكثر مما يحصل بالآخر، فيقال لهؤلاء: ما ذكرتموه حجة عليكم، مع ما فيه من مخالفة للنص، وذلك أن كثرة الثواب على أحد القولين أو الفعلين أكثر منه على الثاني إنما كان لأنه في نفسه أفضل، ولهذا إنما تنطق النصوص بفضل القول والعمل في نفسه كما قد سئل النبي ﷺ غير مرة أي العمل أفضل؟ فيجيب بتفضيل عمل على عمل وذلك مستلزم لرجحان ثوابه، وأما رجحان الثواب مع تماثل العملين فهذا مخالف للشرع والعقل.

أما تفضيل الثواب بدون تفضيل نفس القول والعمل فلم يرد به نقل ولا يقتضيه عقل فإنه إذا كان القولان متماثلين من كل وجه أو العملان متماثلان من كل وجه كان جعل ثواب أحدهما أعظم من ثواب الآخر ترجيحا لأحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح[5].

وأيضاً فقول القائل: إنه ليس بعض ذلك خير من بعض بل بعضه أكثر ثواباً: ردّ لخبر الله الصريح فإن الله يقول: ﴿**نأت بخير منها أو مثلها**﴾ فكيف يقال ليس بعضه خير من بعض؟ وإذا كان الجميع متماثلا في نفسه امتنع أن يكون فيه شيء خيراً من شيء وكون معنى الخبر أكثر ثواباً مع كونه متماثلاً في نفسه أمر لا يدل عليه اللفظ حقيقة ولا مجازاً، فلا يجوز حمله عليه، فإنه لايعرف قط أن يقال: هذا خير من هذا، وأفضل من هذا مع تساوي الذاتين بصفاتهما من كل وجه، بل لابد ـ مع إطلاق هذه العبارة ـ من التفاضل ولو ببعض الصفات، فأما إذا قدر أن مختاراً جعل لأحداهما مع التماثل ما ليس للآخر مع استوائهما بصفاتهما من كل وجه فهذا لا يعقل وجوده، ولوعقل لم يقل إن هذا خير من هذا أو أفضل لأمر يتصف به أحدهما البتة[6].

ومما ينبغي أن يعلم أن التفاضل الذي يقول به أهل السنة والجماعة في مسألة كلام الله عز وجل ليس باعتبار نسبته إلى المتكلم، فإنه سبحانه واحد ولكن باعتبار معانيه التي يتكلم بها

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٣.
(٢) تقدم تخريجهما.
(٣) تقدم تخريجهما.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٦.
(٥) «مجموع الفتاوى»: (١٧/ ١٦٨-١٦٩).
(٦) المصدر السابق: (١٧/ ١٧٠-١٧١).

وباعتبار ألفاظه المبينة لمعانيه، فإنه سبحانه واحد ولكن باعتبار معانيه التي يتكلم بها وباعتبار ألفاظه المبينة لمعانيه، فالكلام له نسبتان: نسبة إلى المتكلم به[1].

ونسبة إلى المتكلم فيه، فهو يتفاضل باعتبار النسبتين، وباعتبار نفسه **أيضاً**، مثل الكلام الخبري له نسبتان، نسبة إلى المتكلم المخبر، ونسبة إلى المخبر عنه المتكلم فيه **فقل هو الله أحد** وتبت يدا أبي لهب كلاهما كلام الله، وهما مشتركان من هذه الجهة لكنّهما متفاضلان من جهة المتكلم فيه المخبر عنه، فهذه كلام الله وخبره الذي يخبر به عن نفسه، وصفته التي يصف بها نفسه وكلامه يتكلم به عن نفسه، وهذه كلام الله الذي يتكلم به عن بعض خلقه ويخبر به عنه ويصف به حاله، وهما في هذه الجهة متفاضلان بحسب تفاضل المعنى المقصود بالكلامين.

وهذا كلام المخلوق بعضه أفضل من بعض مع أنه كله كلامه، لكن كلامه الذي يذكر به ربه أعظم من كلامه الذي يذكر به بعض المخلوقات.

فتفاضل الكلام من جهة المتكلم فيه سواء كان خبراً أو إنشاء أمر معلوم بالفطرة والشرعة فليس الخبرالمتضمن للحمد لله والثناء باسمائه الحسنى كالخبر المتضمن لذكر أبي لهب وفرعون وإبليس، وإن كان هذا كلاماً عظيماً معظماً تكلم الله به[2].

وأما بالنسبة للمآخذ التي يذكرها المانعون للتفاضل في كلام الله عز وجل فيجاب عنها بما يلي:

أولاً: إن قولكم بإن صفات الله تعالى لا تتفاضل، قول لا دليل عليه، بل هو مورد النزاع، ومن الذي جعل صفته التي هي الرحمة لا تفضل على صفته التي هي الغضب، وقد ثبت عن النبي ﷺ: «**إن الله كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي** - وفي رواية - **تسبق غضبي**»[3] وصفة الموصوف من العلم والإرادة والقدرة والكلام والرضا والغضب وغير ذلك من الصفات تتفاضل من وجهين:

أحدهما: أن بعض الصفات أفضل من بعض، وأدخل في كل الموصوف بها، فإنا نعلم أن اتصاف العبد بالعلم والقدرة والرحمة أفضل من اتصافه بضد ذلك، لكن الله تعالى لا يوصف بضد ذلك ولا يوصف إلا بصفات الكمال، وله الأسماء الحسنى يدعى بها، فلا يدعىٰ إلا بأسمائه الحسنى، وأسماؤه متضمنة لصفاته، وبعض أسمائه أفضل من بعض وأدخل في كمال الموصوف بها.

---

(١) المصدر السابق: (١٧/ ١٢٩).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١٧/ ٥٨).

(٣) أخرجه البخاري: (١٣/ ٣٨٤، ح ٧٤٠٤) في التوحيد: باب قول الله: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، ومسلم: (٤/ ٢١٠٧، ح ٢٧٥١) في التوبة: باب من سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.



والثاني: أن الصفة الواحدة قد تتفاضل، فالأمر بمأمور يكون أكمل من الأمر بمأمور أخر، والرضا عن النبيين أعظم من الرضا عمن دونهم، والرحمة لهم أكمل من الرحمة لغيرهم، وتكليم الله لبعض عباده أكمل من تكليمه لبعض. وكما أن أسمائه وصفاته متنوعة فهي أيضاً متفاضلة كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع مع العقل وإنما شبهة من منع تفاضلها من جنس شبهة من منع تعددها، وذلك يرجع إلى نفي الصفات، كما يقول الجهمية لما ادعوه من التركيب وهو قول معلوم بالاضطرار من دين الإسلام فساده شرعاً وعقلاً.

والقول بعدم تفاضل الصفات لم يقله أحد من السلف ولا هو معروف في الكتب التي نقلت أقوالهم، والثابت عنهم القول بتفاضل الصفات[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومعلوم أنه ليس في الكتاب والسنة نص يمنع تفضيل بعض كلام الله على بعض، بل ولا يمنع تفاضل صفاته تعالى، بل ولا نقل هذا النفي عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أئمة المسلمين الذين لهم لسان صدق في الأمة بحيث جعلوا أعلاماً للسنة وأئمة للأمة)[٢].

ثانياً: إن ما ذهبتم إليه من أن كلام الله شيء واحد لا يتعدد، فلا يكون بعضه أفضل من بعض قول باطل شرعاً وعقلاً، وأول من قال هذا القول في الإسلام هو ابن كلاب ولم يسبقه إليه أحد من الصحابة ولا التابعين ولا غيرهم من أئمة المسلمين.

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة وآثار الصحابة على خلاف هذا القول.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان فساد هذا القول وشناعته: (ومن المعلوم أن مجرد تصور هذا القول يوجب العلم الضروري بفساده، كما اتفق على ذلك سائر العقلاء، فإن أظهر المعارف أن الأمر ليس هو الخبر، وأن الأمر بالسبت ليس هو الأمر بالحج، وأن الخبر عن الله ليس هو الخبر عن الشيطان الرجيم، ولاشك أيضاً أن معنى آية الكرسي ليس هو معنى آية الدين كما أن معاني ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ لس هي معاني ﴿ **تبت يدا أبي لهب** ﴾)[٣].

وكذلك أيضاً فإن المعاني التي أخبر الله بها في القرآن في قصة بدر وأُحد والخندق ونحو ذلك لم ينزلها الله على لسان موسى بن عمران، كما لم ينزل على محمد تحريم السبت، ولا الأمر

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (١٧/٢١١، ٢١٢).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١٧/٧٨، ٧٩).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (١٢/١٢٢، ٢٦٧).

بقتال عباد العجل، فكيف يكون كلام الله معنى واحد؟؟.

ومن المعلوم أن التوراة إذا عربت لم تكن هي القرآن كما أن آية الكرسي ليست معنى آية الدين، وهذا واضح جداً[١].

وقال للأشاعرة أيضاً: موسى لما كلمه الله تعالى، أفهم كلامه كله أو بعضه؟ فإن قالوا كله فقد صار موسى يعلم علم الله، وهذا من أعظم الباطل، وإن قالوا بعضه: فقد تبعض كلام الله وهم يقولون: إنه لا يتبعض، وفي هذا إبطال لقولهم.

وأيضاً فإن الله فضل موسى بالتكليم على غيره ممن أوحى إليهم، كما فرق بين التكليم والوحي، وهذا يدل على أن الكلام ليس معنى واحد لأنه ـ حينئذ ـ لا يكون هناك فرق بين التكليم الذي خص به موسى، والوحي العام الذي يكون لغيره، وهذا بين ومما يلزم به من منع تعدد كلام الله فضلا عن تفاضله أن تكون الصفات من العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر والحياة والإرادة ـ صفة واحدة، والتزام القول بهذا لا محيد لهم عنه)[٢].

وهذا كتاب الله عز وجل ينطق بتعدد كلمات الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته**﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿**ما نفدت كلمات الله**﴾[٤] وقال تعالى: ﴿**ويحق الحق بكلماته**﴾[٥]، وغيرها كثير جداً، فبطلان من زعم أن كلام الله معنى واحد واضح جدا فلا ريب إذا أن التماثل أو التفاضل لا يعقل إلا مع التعدد، وتعدد أسماء الله وصفاته وكلماته هو القول الذي عليه جمهور المسلمين، وهو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو الموافق للفطرة التي فطر الله عباده عليها.

وجماع القول أن من أثبت المفاضلة في كلام الله وصفاته فهو معتصم بالكتاب والسنة والآثار ومعه من المعقولات الصريحة التي تبين صحة قوله وفساد قول منازعه ما لا يتوجه إليها طعن صحيح، وأما النافي فليس معه أية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله ﷺ، ولا قول عن أحد من سلف الأمة، وإنما معه مجرد رأي يزعم أن عقله دل عليه، ومنازعه يبين أن العقل إنما دل

---

(١) «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٣/ ١٠٤) دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٩/ ٢٨٣)، (١٢/ ١٣٠)، (١٧/ ١٥٣، ١٥٤).

(٣) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

(٤) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٥) سورة يونس: الآية ٨٢.



على نقيضه وأن خطأه معلوم بصريح المعقول كما هو معلوم بصحيح المنقول.

٢- صفة النزول:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى إثبات صفة النزول تبارك وتعالى كما صحت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ، أيدّ رأيه برواية بعض الأحاديث الدالة على ذلك، ومما رواه في إثبات هذه الصفة من الأحاديث:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا جل وعلا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني أغفر له»(١). ثم اتبع الحديث بقوله: قال أبو حاتم رضي الله عنه: «صفات الله جل وعلا لا تكيف، ولا تقاس إلى صفات المخلوقين، جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه، ولم يجز أن يقاس كلامه إلى كلامنا، لأن كلام المخلوقين لا يوجد إلا بآلات، والله جل وعلا يتكلم كما يشاء بلا آلة، كذلك ينزل بلا آلة، ولا تحرك ولا انتقال من مكان إلى مكان، وكذلك السمع والبصر، فكما لم يجز أن يقال الله يبصر كبصرنا بالأشفار والحدق والبياض، بل يبصر كيف يشاء بلا آلة، وكذلك ينزل كيف يشاء بلا آلة من غير أن يقاس نزوله إلى نزول المخلوقين، كما يكيف نزولهم جل ربنا وتقدس من أن تشبه صفاته بشيء من صفات المخلوقين»(٢).

٢- عن رفاعة بن عرابة الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له حتى ينفجر الصبح»(٣).

ولاشك أن ما ذهب إليه ابن حبان من إثبات صفة النزول هو الحق الذي لا معدل عنه لتواتر الإخبار بذلك عن رسول الله ﷺ، وبذلك يقول أهل السنة والجماعة.

قال ابن القيم رحمه الله: (ونزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به

(١) أخرجه البخاري: (٣/٢٩، ح ١١٤٥) في التهجد: باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، ومسلم: (١/٢٢١، ح

(٢) ٧٥٨) في صلاة المسافرين: باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.

(٣) «الإحسان»: (٣/٢٠٠، ٢٠١).

(٤) أخرجه مسلم: (١/٥٢٢، ح ٧٥٨) في صلاة المسافرين: باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في «المسند»: (٢/٥٠٤)، والدارمي: (١/٣٤٦).

عن رسول الله ﷺ رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسا من الصحابة »[١].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: (وأحاديث النزول متواترة قد سقت طرقها وتكلمت عليها مما أسأل عنه يوم القيامة فلا قوة إلا بالله العلي العظيم)[٢].

وصفة النزول صفة فعلية من أفعال الله الإختيارية التي يفعلها بمشيئته وقدرته متى شاء وكيف شاء، وتثبت لله تعالى حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته لا يشبهه أحد من خلقه فيها فكما أنه واحد في ذاته فهو واحد في صفاته كما قرر ذلك أئمة السلف.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله تعالى: (ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا بتمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله)[٣].

وقال أيضاً: (فلما صح خبر النزول عن الرسول لله أقرّ به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه، وعلموا وتحققوا واعتقدوا ان صفات الله سبحانه وتعالى لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه الخلق تعالى لله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيراً)[٤].

وقال ابن خزيمة رحمه الله: (نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا واعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك، ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول)[٥].

وقال أبو سعيد الدارمي رحمه الله بعد أن ذكر ما يثبت النزول من أحاديث رسول الله ﷺ « فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن وعلى

---

(١) « مختصر الصواعق المرسلة »: (٢/ ٢٢١).

(٢) « العلو للعلي الغفار » للذهبي: (ص ٧٣) ط ٢، دار الفكر، بيروت.

(٣) « عقيدة السلف وأصحاب الحديث »: (ص ٢٣).

(٤) المصدر السابق: (ص ٤٢).

(٥) « كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل »: (١/ ٢٨٩-٢٩٠).





تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها »[١].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (أن صفة النزول مما استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق الأخبار الواردة في النزول وتلقيها بالقبول، كما أشار رحمه الله تعالى إلى أنّ وصف الله تعالى بهذه الصفة وإثباتها له هو كوصفه بسائر الصفات إذ الجميع من جنس واحد ومذهب سلف الأئمة وأئمتها أنهم يصفونه تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ في النفي والإثبات)[٢].

لكن مما يستدرك على ابن حبان رحمه الله في إثباته لصفة النزول ما يراه من أن النزول بلا آله ولا تحرك ولا انتقال من مكان إلى مكان.

وهذه المسألة ـ مسألة الانتقال والحركة بالنسبة لله تعالى للسلف فيها ثلاثة أقول ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: (واختلف أصحاب أحمد وغيرهم من المنتسبين إلى السنة والحديث في النزول والإتيان والمجيء وغير ذلك، هل يقال: إنه بحركة وانتقال؟ أم يقال بغير حركة، وانتقال؟ أم يمسك عن الإثبات والنفي؟ على ثلاثة أقوال:

فالأول : قول أبي عبدالله بن حامد وغيره.

والثاني: قول أبي الحسن التميمي وأهل بيته.

والثالث: قول أبي عبدالله بن بطه وغيره[٣].

فأما قول ابن حامد، فقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن الحامل له عليه هو أنه يرى أن إثبات النزول حقيقة لا يكون إلا بهذا الوجه، لأن حقيقته لا تثبت إلا بالانتقال وأنه لا يوجد في العقل ولا في النقل ما يحيل الانتقال عليه، فإنه كالمجيء والإتيان والذهاب والهبوط والانتقال جنس لا نوع المجيء والإتيان والنزول.

وليس في القول بلازم النزول والمجيء والإيتان ونحوها محذور البته ولا يستلزم ذلك نقصاً ولا سلب كمال، بل هو الكمال نفسه، وهذه الأفعال كمال ومدح فهي حق دال عليه النقل، ولازم

---

(١) «الرد على الجهمية» للدارمي: (ص ٧٩).

(٢) «شرح حديث النزول» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٦٩)، ت. محمد الخميس، ط ١، ١٤١٤هـ دار العاصمة، الرياض.

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٥/٤٠٢).

الحق حق[1].

أما أصحاب القول الثاني، وهو القول الذي يراه ابن حبان، فقد ردّ عليهم ابن القيم رحمه الله بقوله: (وأما الذين نفوا الحركة والانتقال فإن نفوا ما هو من خصائص المخلوق فقد أصابوا، ولكن أخطأوا في ظنهم أن ذلك لازم ما أثبته لنفسه.

وأما القول الثالث وهو الإمساك عن الإثبات والنفي فهو القول الأسعد الصواب والأولى بالإتباع، لإن فيه التزاما بما ورد في النصوص من إثبات ما أثبته والسكوت عما سكتت عنه.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن صحة هذه الطريقة تظهر ظهوراً تاماً فيما إذا كانت الألفاظ التي سكت النص عنها مجملة محتملة لمعنين صحيح وفاسد كلفظ الحركة والنزول .. ونحو ذلك من الألفاظ التي تحتها حق وباطل، فهذه لا تقبل مطلقاً، ولا ترد مطلقا فإن الله سبحانه لم يثبت لنفسه هذه المسميات ولم ينفها عنه، فمن أثبتها مطلقاً فقد أخطأ، ومن نفاها مطلقاً فقد أخطأ، فإن معانيها منقسمة إلى ما يمتنع إثباته لله، وما يجب إثباته له، فإن الانتقال يراد به انتقال الجسم والعرض من مكان هو محتاج إليه إلى مكان آخر يحتاج إليه وهو يمتنع إثباته للرب تبارك وتعالى، وكذلك الحركة إذا أريد بها هذا المعنى امتنع إثباتها لله تعالى.

ويراد بالحركة والانتقال حركة الفاعل من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلا، وانتقاله أيضاً من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلا، فهذا المعنى حق في نفسه لا يعقل كون الفاعل فاعلا إلا به فنفيه عن الفاعل نفي لحقيقة الفعل وتعطيل له.

وقد يراد بالحركة الانتقال ما هو أعم من ذلك وهو فعل يقوم بذات الفاعل يتعلق بالمكان الذي قصد له وأراد إيقاع الفعل بنفسه فيه، وقد دال القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة وينزل لفصل القضاء بين عبادة، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا وينزل عشية عرفه .. وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة، فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة به، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له[2].

فالسكوت عن الإثبات هو المنهج السليم الذي يتفق مع النصوص الشرعية مع اعتقاد إثبات المعنى الصحيح من هذه الألفاظ المجملة والسكوت عن اللفظ فقط.

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة»: (٢/٢٥٤).

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة»: (٢/٢٥٧، ٢٥٨).

٣- صفة الضحك :

يرى ابن حبان أن صفة الضحك التي وردت بها الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ليست على ظاهرها بل المراد بها أن الله عز وجل يُضحك ملائكته، فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ضحك الله من رجلين قتل أحدهما صاحبه، وكلاهما في الجنة»[١]. وأعقب هذا الحديث بقوله: قال أبو حاتم: (هذا الخبر مما نقول في كتبنا: بأن العرب تضيف الفعل إلى الآمر كما تضيفه إلى الفاعل، وكذلك تضيف الشيء الذي هو من حركات المخلوقين إلى الباريء جل وعلا، كما تضيف ذلك الشيء إليهم سواء، فقوله ﷺ: «ضحك الله من رجلين» يريد: ضحك الله ملائكته وعجبهم من الكافر القاتل المسلم، ثم تسديد الله الكافر وهدايته إياه إلى الإسلام وتفضله عليه بالشهادة بعد ذلك حتى يدخلا الجنة جميعاً، فيعجب الله ملائكته ويضحكهم من موجود ما قضى وقدر، فنسب، الضحك الذي كان من الملائكة إلى الله جل وعلا على سبيل الأمر والإرادة)[٢].

هكذا حمل ابن حبان صفة الضحك التي أخبر بها النبي ﷺ عن ربه عز وجل، وهو تأويل مخالف لمذهب السلف في صفات الله جل وعلا، فالسلف أهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة لله عز وجل كما وصف الله بها نفسه على لسان نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «العقيدة الواسطية» في بيان طريقة السلف في نصوص الصفات الواردة في السنة النبوية: (وما وصف به الرسول ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك، ثم أورد حديث أبي هريرة المتقدم في إثبات صفة الضحك لله عز وجل)[٣].

وقال ابن خزيمة رحمه الله في كتاب «التوحيد»: باب ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل، ثم قال: «بلا صفة تصف ضحكه، جل ثناؤه، ولا يشبّه ضحكه بضحك المخلوقين وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضْحك كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا، إذ الله

---

(١) أخرجه مسلم: (٣/١٥٠٤، ح ١٨٩٠) في الإرادة: باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة.
(٢) «الإحسان»: (١٠/٥٢٢).
(٣) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١١٣).

عز وجل استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ مصدقون بذلك، بقلوبنا منصتون عما لم يبين لنا، مما استأثر الله بعلمه.

ثم ساق جملة من الأخبار الدالة على إثبات الضحك لله عز وجل[١].

وقال الآجرى رحمه الله: باب الإيمان بأن الله عز وجل يضحك، قال محمد بن الحسين رحمه الله: (اعملوا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل أن أهل الحَق بصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل، وبما وصفه به رسوله ﷺ وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم وهذا مذاهب العلماء فمن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له والإيمان به: أن الله عز وجل يضحك. كذا روي عن النبي ﷺ وعن صحابته رضي الله عنهم فلا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق)[٢].

فهذه طريقة أهل السنة والجماعة في إثبات هذه الصفة لله عز وجل على ما يليق به تبارك وتعالى من غير تشبيه ولا تكييف.

وأما تأويل الضحك بالرضا أو القبول أو أن الله يضحك ملائكته أو غير ذلك من التأويلات التي تنفي ضحك الله حقيقة فهي تأويلات باطلة مخالفة للشرع والعقل.

وأهل السنة والجماعة لم يثبتوا هذه الصفة من عند أنفسهم، بل هم متبعون لا مبتدعون لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله، وإثبات هذه الصفة لله عز وجل مما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله، فالسنة والإجماع والعقل كلها دالة على إثبات هذه الصفة لله عز وجل[٣].

فأما السنة:

فالأحاديث متواترة بذلك، فمن ذلك ما تقدم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ضحك الله من رجلين قتل أحدهما صاحبه وكلاهما في الجنة»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يضرب الصراط بين ظهراني جهنم**»

(١) «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل»: (٢/٥٦٣).

(٢) «الشريعة»: (٢٤٧).

(٣) «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية: (٣٨/٥٨) ط ٣، ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) تقدم تخريجه.







وذكر الحديث وقال فيه: «فيقول ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، ألم تعطني عهودك مواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيتك؟ فقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حق يضحك الرب منه، فإذا ضحك الله منه قال له: ادخل الجنة»[1].

وأما الإجماع:

فقد حكى حرب الكرماني[2] إجماع أهل السنة والحديث على الإقرار بهذه الصفة وما شاكلها فقال: «... وكان من قولهم ... أن الله جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى ولا يسهو، قريب لا يغفل ويتكلم وينظر ويبسط ويضحك ويفرح ويحب ويكره ويبغض ويرضى ويسخط ويرحم ويعفو ويغفر ويعطي ويمنع»[3].

وأما العقل:

فإن الضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال، وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه، والآخر لا يضحك قط، كان الأول أكمل من الثاني[4].

ومن له أيضاً أدنى عقل وعلم باللغة يعلم أن الأفعال اللازمة لا يتصور فيها أن يضاف مصدرها إلى مفعول، فضحك مثل عجب وفرح وحزن، فإذا قيل أعجبني ضحك زيد أو فرحه أو حزنه لم يتصور أن يتصور في هذا الكلام مفعول هو المضحك والمفرح والمحزن. وجماع القول أن صفة الضحك ثابتة لله عز وجل والأحاديث الواردة بإثباتها حق لاشك فيها رواها الثقات بعضهم عن بعض، وتأويلها رد لخبر الله تعالى على لسان رسوله ﷺ، وقدح في أئمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان الذين أمروها على ظاهرها ولم يخوضوا في كيفيتها، مع اعتقاد ثبوتها لله عز وجل على الحقيقة، ورحم الله الزهري إذ قال: «على الرسول ﷺ البلاغ وعلينا التسليم»[5].

---

(١) أخرجه البخاري: (١١/٤٤٤، ح ٦٥٧٣) في الرقاق: باب الصراط جسر جهنم، ومسلم: (١/١٦٣، ح ١٨٢) في الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية.

(٢) هو حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني أبو محمد، حدث عن الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية وسعيد بن منصور وجماعة، توفي سنة ٢٨٠هـ. انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٣/٢٤٤، ٢٤٥)، «طبقات الحنابلة»: (١/١٤٥، ١٤٦).

(٣) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن قيم الجوزية: (ص ٢٩٧)، ط ٣، مكتبة النهضة الحديثة، مكة.

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٦/١٢١).

(٥) «الإحسان»: (١/٤١٤).

٤- صفة العجب:

يذهب ابن حبان إلى تأويل صفة العجب التي وردت في بعض الأحاديث الصحيحة، والتي روى بعضا منها، فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «عجب ربنا من أقوام يقادون إلى الجنة في السلاسل»[1]، وقال عقب الحديث: قال أبو حاتم: (قوله ﷺ: «عجب ربنا» من ألفاظ التعارف التي لا يتهيأ علم المخاطَب بما يخاطب به في القصد إلا بهذه الألفاظ التي استعملها الناس فيما بينهم)[2].

وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته، فيقول الله جل وعلا لملائكته انظروا إلىٰ عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله، فانهزم أصحابه وعلم ما عليه من الانهزام وماله في الرجوع، فرجع حتي هريق دمه، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رجاءً فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى هريق دمه»[3]، وترجم للحديث بقوله: «ذكر تعجيب الله جل وعلا ملائكته من التأثر عن فراشه وأهله يريد مفاجاة حبيبه)[4].

وترجمة ابن حبان للحديث بهذا القول يدل على أنه ينحني منحىٰ التأويل لها بأن الله يعجب ملائكته، وهذا خلاف طريقة أهل السنة والجماعة في صفات الله جل وعلا، فإن أهل السنة والجماعة يثبتون صفة العجب لله عز وجل لثبوتها بالكتاب العزيز والسنة الصحيحة وإثباتهم لها وفق منهجهم السوي، إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال ابن أبي عاصم[5] رحمه الله في كتابه «السنة» باب: في تعجب ربنا من بعض ما يصنع

---

(١) أخرجه البخاري: (١٤٥/٦، ح ٣٠١٠) في الجهاد: باب الاسارئ في السلاسل.

(٢) «الإحسان»: (٣٤٣/١).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤١٦/١)، وأبو داود: (١٩/٣، ح ٢٥٣٦) في الجهاد: باب في الرجل يشري نفسه، والبيهقي في «السنن»: (٤٦/٩)، والحاكم: (١١٢/٢) وصححه وسنده صحيح.

(٤) «الإحسان»: (٢٩٨/٦).

(٥) هو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم حافظ كبير، وإمام ورع من أهل السنة توفي سنة ٢٨٧هـ. «الجرح والتعديل»: (٦٧/٢)، «السير»: (٤٣٠/١٣، ٤٣٩).



عباده مما يتقرب به إليه، ثم سرد جملة من الأحاديث التي تثبت هذه الصفة لله عز وجل[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «العقيدة الواسطية» وما وصف به الرسول ﷺ به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك، ثم أورد رحمه الله حديث: «**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ينظر إليكم أزلين قنطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب**»[2] حديث حسن.

فإثبات صفة العجب لله على ما يليق به تبارك وتعالى من غير مشابهة لخلقه مما يؤمن به أهل السنة والجماعة، وحجتهم في ذلك الكتاب والسنة.

فأما الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿**بل عجبت ويسخرون**﴾[3].

قال ابن جرير في تفسيره: (قوله: ﴿**بل عجبت ويسخرون**﴾؛ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة: ﴿**بل عجبتُ ويسخرون**﴾ بضم التاء من (عجبت) بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: (بل عجبتَ) بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار فبأيتهما قرأ القارىء، فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارىء بهما مع اختلاف معنييهما؟!

قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما، فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك، وقد عجب ربنا من عظم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه»[4].

وقال أبو زرعة عبدالرحمن بن زنجلة[5] في كتابه: «حجة القراءات»: (قرأ حمزة والكسائي:

---

(١) «السنة» لابن أبي عاصم: (١/٢٤٩).

(٢) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ٤١١)، والحديث أخرجه أحمد: (٤/١١)، والآجري في «الشريعة»: (ص ٢٧٩-٢٨٠)، وابن ماجة: (ح ١٨١)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة»: (١/٦٨) هذا إسناد فيه مقال.

(٣) سورة الصافات: الآية ١٢.

(٤) «تفسير ابن جرير الطبري»: (٢٣/٤٣).

(٥) هو أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة من علماء القرن الرابع الهجري كان قاضياً على مذهب مالك توفي حوالي سنة (٤٠٣هـ). انظر «الأعلام»: (٣/٣٢٥)، «مقدمة محقق حجة القراءات»: (٢٥-٣٠)

﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾ بضم التاء، وقرأ الباقون بفتح التاء ...» ثم قال: قال أبو عبيد: قوله: ﴿بل عجبت﴾ بالنصب بل عجبت يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك، ومن قرأ: ﴿عجبت﴾ فهو إخبار عن الله عز وجل»[١].

وأما السنة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**عجب الله منْ قوم يدخلون الجنة في السلاسل**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود ... الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة»[٣].

وعن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قرأ عبدالله - يعني ابن مسعود رضي الله عنه - ﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾ قال شريح: إن الله لا يعجب من شيء، إنما يعجب من لا يعلم قال الأعمش: فذكرت لإبراهيم فقال: إن شريحاً كان يعجبه رأيه، إن عبدالله كان أعلم من شريح، وكان عبدالله يقرأها: ﴿**بل عجبتُ**﴾[٤].

فأهل السنة والجماعة يثبتون لله عز وجل صفة العجب على ما يليق به تبارك وتعالى دون أن يتوهموا في ذلك تشبيها أو تمثيلاً، لأن هذا منتف أصلا بين الله تعالى وبين خلقه.

قال الفراء[٥] رحمه الله مبيناً أن وصف الله نفسه بشيء لا يقتضي مشابهة خلقه له في ذلك الشيء إذا وصفوا به: «والعجب، وإن أسند إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد، ألا ترى أنه قال: ﴿**فيسخرون منهم سخر الله منهم**﴾[٦] وليس السُخريُ من الله كمعناه من العباد، وكذلك

---

(١) «حجة القراءات»: (ص ٦٠٦) عبدالرحمن بن زنجلة، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: (٨/٦٣١، ح ٤٨٨٩) في التفسير: باب ﴿ويؤثرون على انفسهم﴾، ومسلم: (٣/١٦٢٤، ح ٢٠٥٤) في الأشربة: باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٢/٤٣٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (٢/٢٢٥).

(٥) وهو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الأسدي مولاهم الكوفي، العلامة اللغوي النحوي الأديب الفقيه الثقة ولد سنة ١٤٤هـ وتوفي بطريق مكة سنة ٢٠٧هـ. «تاريخ بغداد»: (١٤/١٤٩-١٥٥)، «تهذيب التهذيب»: (١١/٢١٢-٢١٣).

(٦) سورة التوبة: الآية ٧٩.



قوله: ﴿الله يستهزئ بهم﴾[1] ليس ذلك من الله كمعناه من العباد»[2].

وقال أبو يعلى الفراء بعد أن أورد جملة من الأحاديث في إثبات صفة العجب: (إعلم أن الكلام في هذا الحديث ـ يعني الحديث الذي أورده ـ كالكلام في الذي قبله، وأنه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه وحمله على ظاهره، إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نثبت عجباً هو تعظيم لأمر دهمه استعظمه لم يكن عالما به، لأنه مما لا يليق بصفاته بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته)[3].

وقال قوام السنة الأصبهاني[4] منكراً على نفىٰ عن الله صفة العجب بحجة أن العجب إنما يكون ممن يعلم ما لم يكن يعلم: (وقال قوم، لا يوصف الله بأنه يعجب، لأنه العجب ممن يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث، وبقراءة أهل الكوفة: ﴿**بل عجبت ويسخرون**﴾ على أنه إخبار من الله عز وجل عن نفسه)[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على من نفىٰ إثبات صفة العجب لله عز وجل بحجة أن التعجب استعظام للمتعجب منه وأما قوله: (التعجب استعظام للمتعجب منه» فيقال نعم، وقد يكون مقرونا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره، والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه، بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيماً له، والله تعالى يعظم ما هو عظيم، إما لعظمة سببه أو لعظمته)[6].

وتأويل ابن حبان للعجب من جنس التأويلات الباطلة التي ذهب إليها نفاة الصفات الفعلية من الأشاعرة ومن سلك سبيلهم.

ومن تأمل تأويل ابن حبان لصفة العجب بأن الله يُعجّب ملائكته، علم بالضرورة أن تأويله باطل شرعاً لمخالفته نصوص الكتاب والسنة المثبتة لهذه الصفة، وكذلك هو باطل من جهة اللغة

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥.

(٢) «معاني القرآن» للفراء: (٢/٣٨٤).

(٣) «إبطال التأويلات»: (١/٢٤٥).

(٤) هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي الطلحي الأصبهاني: الملقب بقوام السنة ولد سنة ٤٥٧هـ إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب، توفي سنة ٥٣٥هـ. انظر «سير أعلام النبلاء»: (٢/٨٠، ٨٨)، «الوافي بالوفيات»: (٩/٢١١).

(٥) «الحجة في بيان المحجة» لإسماعيل الأصبهاني: (٢/٤٥٧)، ط ١، ١٤١١هـ، دار الراية، الرياض.

(٦) «مجموع الفتاوى»: (٦/١٢٣).

فإن من له أدنى عقل وعلم باللغة أن الفعل اللازم لا يتصور أن يضاف مصدره إلى مفعول فعجب مثل فرح وضحك وحزن، فإذا قيل أعجبني عجب زيد أو فرحه أو ضحكه لم يتصور أن يكون في هذا الكلام مفعول هو المعُجب والمفرح والمحزن، وهذا واضح لاخفاء به.

وخلاصة القول أن هذه الصفة تثبت لله عز وجل فلا تحرف ولا تكيف ولا تعطل ولا تتأول، وعلى العقول لا تحمل، وبصفات الخلق لا تشبه، ولا يعمل فيها الرأي والفكر بل يؤمن بها ويوكل علمها إلى عالمها عز وجل كما فعل السلف الصالح، وهم القدوة لنا في كل علم.

٥ - صفة البشبشه :

من الصفات التي أوّلها ابن حبان صفة البشبشة، فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا يوطن الرجل المسجد للصلاة أو لذكر الله إلا تبشبش الله به كما يتبشبش الله به كما يتبشبش أهل الغائب إذا قدم عليهم غائبهم»[(١)].

وترجم للحديث بقوله: «ذكر نظر الله جل وعلا بالرأفة والرحمة إلى الموطن المكان في المسجد للخير والصلاة»[(٢)]. ثم أعقب الحديث بقوله: (فتبشبش الله جل وعلا لعبده الموطن المكان في المسجد للصلاة والخير، إنما هو نظره إليه بالرأفة والرحمة والمحبة لذلك الفعل، وهذا كقوله: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً»[(٣)] يريد به: من تقرب مني شبرا بالطاعة ووسائل الخير تقربت منه ذراعاً بالرأفة والرحمة)[(٤)].

فصفة البشبشة التي وصف الله تعالى بها نفسه في هذا الحديث على لسان رسول الله ﷺ يرى ابن حبان أنها نظر الله إلى العبد المُوطِّن المكان في المسجد للخير والصلاة بالرأفة والرحمة، وهذا تأويل منه لهذه الصفة وصرف للفظ عن ظاهره كما هو منهج الأشاعرة ومن سلك سبيلهم في الصفات الفعلية التي جاءت في الكتاب والسنة.

وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/٣٢٨)، والطيالسي في «مسنده»: (ح ٢٣٣٤)، والحاكم في «المستدرك»: (١/٢١٣)، وابن ماجة: (١/٢٦٢، ح ٨٠٠) في المساجد: باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة وإسناده صحيح.

(٢) «الإحسان»: (٤/٤٨٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) «الإحسان»: (٤/٤٨٦).



قال أبو يعلىٰ الفراء في «إبطال التأويلات» تعقيباً على كلام ابن قتيبة: (فحمل الخبر على ظاهره ولم يتأوله)[1]. وكلام ابن قتيبة الذي أشار إليه أبو يعلىٰ، هو قوله في «غريب الحديث» يتبشبش: هو من البشاشة، وهو «يتفعّل»[2].

ومما قال أبو يعلى عند إثباته لصفة الفرح لله عز وجل: « ... وكذلك القول في البشبشة لأن معناه يقارب معنى الفرح، والعرب تقول، رأيت لفلان بشاشة وهشاشه وفرحا ويقولون: هش بش فرح، إذا كان منطلقاً، فيجوز إطلاق ذلك كما جاز إطلاق الفرح»[3].

قلت: وهذا هو الحق الذي يجب اعتماده وعدم التعويل على ما سواه من التأويلات المخالفة للكتاب والسنة.

وإثبات هذه الصفة لله عز وجل ليس من عند أنفسنا، بل سبيلها التوقيف، فلما صح الخبر عن رسول الله ﷺ بأن الله يتبشبش أثبتنا هذه الصفة لله عز وجل إثباتاً بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[4].

ومن نفىٰ إثبات هذه الصفة لله عز وجل فإنما سلك سبيل المعتزلي بشر المريسي[5] الذي لم يستطع أن يرد هذه الأخبار المتضمنة لما وصف الله به نفسه فلجأ إلى التأويل ليبث منه شره وضلالته.

قال الإمام الدارمي رحمه الله في رده على بشر المريسي: (وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قال له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجون بها علينا في رد مذهبنا مما لا يمكن التكذيب بها، مثل: سفيان عن منصور عن الزهري، والزهري عن سالم وأيوب بن عوف عن ابن سيرين، وعمرو بن دينار عن جابر عن النبي ﷺ ... وما أشبهها؟ قال: المريسي: لا تردوه تفتضحوا، ولكن غالطوهم بالتأويل، فتكونوا قد رددتموها بلطف إذ لم يمكنكم ردها بعنف، كما فعل هذا المعارض سواء.

---

(١) «إبطال التأويلات»: (١/٢٤٣).

(٢) «غريب الحديث» لابن قتيبة: (١/٤١٤)، ط ١، ١٤٠٨هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) «إبطال التأويلات»: (١/٢٤٣).

(٤) سورة الشورى: الآية ١١.

(٥) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المتكلم المناظر، من كبار الفقهاء نظر في الكلام، وغلب عليه، فانسلخ من الورع والتقوى فمقته أهل العلم، وكفره عدة منهم توفي سنة ٢١٨هـ. انظر «ميزان الاعتدال»: (١/٣٢٢، ٣٢٣) «وفيات الأعيان»: (١/٢٥١، ٢٥٢).

ونقل بعض ما روى في هذه الأبواب من الحب والبغض والسخط والكراهية وما أشبهه ... ثم ذكر الدارمي رحمه الله أحاديث في صفة الحب ثم البغض ثم السخط ثم الكره ثم العجب ثم الفرح، ثم حديث أبي هريرة السابق في البشاشة ثم قال: وفي هذه الأبواب روايات كثيرة أكثرها مما ذكرنا لم نأت بها مخافة التطويل(١).

٦ - صفة الهرولة:

ومن الصفات الفعلية التي أورد ابن حبان الحديث المتضمن لها ـ صفة الهرولة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن الله جل وعلا قال: «الكبرياء رداءي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحدة منهما، قذفته في النار، ومن اقترب إليّ شبرا، اقتربت منه ذراعاً، ومن اقترب مني ذراعاً، اقتربت منه باعا، ومن جاءني يمشي جئته أهرول، جئته أسعى، ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب»(٢).

وترجم للحديث بقوله: (ذكر الاخبار بأن من تقرب إلى الله قدر شبر أو ذراع بالطاعة كانت الوسائل والمغفرة أقرب منه بباع»(٣).

وقال في موضع آخر: «يريد به: من تقرب مني شبراً بالطاعة ووسائل الخير تقربت منه ذراعاً بالرأفة والرحمة»(٤).

فابن حبان إذا يتأول صفة الهرولة على أن المراد بها قرب الرأفة والرحمة من العبد، وهذا تأويل مخالف لظاهر النص والواجب امرار الحديث على ظاهر وإثبات هذه الصفة لله عزّ وجل على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وقد سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء عن إثبات هذه الصفة لله عز وجل، يقول السائل: هل لله صفة الهرولة؟

فأجابت اللجنة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ... وبعد:

الجواب: نعم: صفة الهرولة على نحو ما جاء في الحديث القدسي الشريف على ما يليق به

(١) رد الإمام الدارمي أبي سعيد على بشر المريسي العنيد (ص ٢٠٠)، مطبعة الأشراف، ١٤٠٢هـ لاهور.
(٢) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٠٦١، ح ٢٦٧٥) في البر والصلة: باب تحريم الكبر.
(٣) «الإحسان»: (٢/ ٣٥).
(٤) «الإحسان»: (٤/ ٤٨٦).



قال تعالى: «**إذا تقرب إليّ العبد شبرا، تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليّ ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإذا أتاني ماشياً، أتيته هرولة**»[1]. رواه البخاري، ومسلم.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وقد وقع على هذه الفتوى كل من المشايخ: عبدالعزيز بن باز، عبدالرزاق عفيفي، عبدالله بن غديان، عبدالله بن قعود[2].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين حفظه الله في «القواعد المثلى» في رده على الاعتراضات التي اعترض المعترض بها أهل التأويل على أهل السنة بأنهم أولوا بعض الأحاديث التي فيها ذكر لبعض الصفات فيلزم أهل السنة قبول ما ذهب إليه أهل التأويل من التأويلات الباطلة.

«المثال الثاني عشر: قوله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: «**من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[3]، وهذا الحديث صحيح، رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وروى نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً، وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد، الباب الخامس عشر وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى وأنه سبحانه فعّال لما يريد، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، مثل قوله: ﴿**وجاء ربك والملك صفا صفا**﴾[4] وقوله: ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**﴾[5] وقوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[6] وقوله ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**»[7] وقوله ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة طيبة - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه**»[8] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى فقوله في هذا الحديث: «**تقربت منه وأتيته هرولة**»[9] من هذا الباب.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: (٣/١٤٢)، فتوى رقم: (٦٩٣٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) سورة الفجر: الآية ٢٢.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

(٦) سورة طه: الآية ٥.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) تقدم تخريجه.

(٩) تقدم تخريجه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح حديث النزول (ص٤٤٦ ج ٥) من مجموع الفتاوى: وأما دنوه نفسه وقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة، ونزوله واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين، وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر.

فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه؟

وأيّ مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل؟

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالا لما يريد على الوجه الذي يليق به؟

وذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: «**أتيته هرولة**» يراد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه وأن مجازة الله للعامل له أكمل من عمل العامل. وعلل ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال: «**ومن أتاني يمشي**» ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله عز وجل ـ الطالب للوصول إليه لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد ومشاعر الحج والجهاد في سبيل الله ونحوها وتارة بالركوع والسجود ونحوها وقد ثبت عن النبي ﷺ أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه كما قال الله تعالى: ﴿**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾[1] وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين: «**صل قائماً فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب**»[2]. قال: فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى للعبد بأكمل من عمله وأفضل وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ القرينة الشرعية، لم يكن تفسيره خروجاً به عن ظاهره ولا تأويلا كتأويل أهل التعطيل فلا يكون حجة لهم على أهل السنة ولله الحمد وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر، لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف.

ويجاب عما جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر، فيكون المعنى من أتاني يمشي في عبادة

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

(٢) اخرجه البخاري: (٢/٥٨٧، ح ١١٧) في تقصير الصلاة: باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب.



تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة أو من ماهيتها كالطواف والسعي، والله تعالى أعلم[١].

ومما تقدم يتضح خطأ ابن حبان فيما ذهب إليه من التأويل في صفة الهرولة، وأن الواجب إثبات هذه الصفة لله جز وجل على الوجه اللائق ـ سبحانه وتعالى ـ بلا تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٧ - صفة الملل :

روى ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا**». قالت: وكان أحب الأعمال إلى رسول الله ﷺ ما دام عليه وإن قل، وكان إذا صلى صلاة دام عليها[٢].

ثم فسر قوله ﷺ: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**» فقال: قوله ﷺ: فذكر الحديث من ألفاظ التعارف التي لا يتهيأ للمخاطب أن يعرف صحة ما خوطب به في القصد على الحقيقة إلا بهذه الألفاظ[٣]، أي: أن هذا الحديث من المتشابه الذي لا يعرف معناه، ومن ثم فلا يحمل هذا الحديث على ظاهره.

وما ذهب إليه ابن حبان إنما هو من التأويل المذموم التي أنكره السلف رحمهم الله، إذ المراد منه إنكار صفات الله عز وجل التي أثبتها جل وعلا لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون هذه الصفة لله عز وجل على الوجه اللائق به عز وجل إثباتاً بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل كما قال عز وجل: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[٤].

قال الشيخ محمد بن إبراهيم[٥] رحمه الله تعالى: («**فإن الله لا يمل حتى تملوا**»): من نصوص

---

(١) «القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنى» للشيخ محمد بن عثيمين: (ص ٦٩-٧٢)، ط ٢، الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض.

(٢) أخرجه البخاري: (٤/٢٥١، ح ١٩٧٠) في الصوم: باب صوم شعبان، ومسلم: (٢/٨١١، ح ٧٨٢) في الصيام: باب صيام النبي ﷺ في رمضان.

(٣) «الإحسان»: (٢/٦٩).

(٤) سورة الشورى: الآية ١١.

(٥) هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ حسن بن إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد سنة ١٣١١هـ اشتغل بالتدريس والإفتاء ورئاسة القضاء توفي سنة ١٣٨٩هـ رحمه الله. انظر «مقدمة فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم» جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم: (١/٩-٢٣).

الصفات وهذا على وجه يليق بالباري لا نقص فيه كنصوص الاستهزاء والخداع فيما يتبادر)[1].

والقاعدة عند أهل السنة والجماعة أن الصفة إذا كانت كمالاً في حال ونقصاً في حال، فإنها لا تكون جائزة في حق الله عز وجل ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تثبت إثباتاً مطلقاً ولا تنفىٰ عنه نفياً مطلقاً، بل لابد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً وذلك كالمكر والكيد والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد.

وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها.

فلا ضير إذا على أهل السنة والجماعة في إثبات هذه الصفة لله عز وجل، إذ لم يثبتوا هذه الصفة إلا لمجيء الأخبار الصحيحة بها، وإثباتهم لها أيضاً إنما هو من باب المقابلة، وعندئذ تكون كمالاً في حقه جل وعلا، لا نقص فيها بوجه من الوجوه إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٨ - صفة الشكر :

روى ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخذه، فشكر الله له، فغفر له**»[2]، وأعقب الحديث بقوله: قال أبو حاتم: (الله جل وعلا أجل من أن يشكر عبيده، إذ هو البادىء بالإحسان إليهم، والمتفضل باتمامها عليهم، ولكن رضىٰ الله جل وعلا ـ بعمل العبد ـ عنه يكون شكراً من الله جل وعلا على ذلك الفعل»[3].

فالشكر عند ابن حبان بمعنى الرضا، والحامل له على هذا التأويل أنه يرىٰ أن الله عز وجل هو البادىء بالنعم والمتفضل بها على خلقه، فهو أجل من أن يشكر عباده، وما ذهب إليه ابن حبان

---

(١) «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم» جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم: (١/٢٠٩)، ط ١، ١٣٩٩هـ مطبعة الحكومة، مكة.

(٢) أخرجه البخاري: (٢/١٣٩، ح ٦٥٢) في الأذان: باب فضل التهجد إلى الظهر، ومسلم: (٣/١٥٢١، ح ١٩١٤) في الإمارة: باب بيان الشهداء.

(٣) «الإحسان»: (٢/٢٩٥-٢٩٦).



من تأويل الشكر بالرضا، تأويل مخالف لما أثبته الله تعالى لنفسه وعلى لسان رسول الله ﷺ من صفة الشكر، فالشكر من صفات الله عز وجل الفعلية وقد سمىٰ الله عز وجل نفسه شاكراً وشكوراً وقد ثبت وصف الله بالشكر بالكتاب العزيز والسنة والمطهرة:

فأما الكتاب:

قال تعالى: ﴿**ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**والله شكور حليم**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وكان الله شاكر عليما**﴾[3].

وأما السنة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب فشكر الله له، فغفر له»[4].

فصفة الشكر إذا ثابتة لله عز وجل في الكتاب والسنة.

ولكن ما معنى شكر الله عز وجل؟

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وأما شكر الرب تعالى، فله شأن آخر، كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور، بل هو الشكور على الحقيقة، فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر للقليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكره ويفعله فإذا ترك له شيئاً أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك ... وأبلغ من ذلك أنه

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٨.

(٢) سورة التغابن: الآية ١٧.

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٧.

(٤) أخرجه البخاري: (٥/٤١، ح ٢٣٦٣) في المساقاة: باب فضل سقي الماء، ومسلم: (٤/١٧٦١، ح ٢٢٤٤) في السلام: باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها.

سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن إلى نفسه، وشكره على قليله بالأضعاف المضاعفة التي لا نسبة لإحسان العبد إليها، فهو المحسن بإعطائه الإحسان وإعطاء الشكر فمن أحق باسم الشكور منه؟!)[1].

ومن هذا يتبين خطأ ابن حبان فيما ذهب إليه من تأويل صفة الشكر بالرضا، فالشكر صفة مستقلة وصف الله بها نفسه والرضا كذلك، لكن من شكر الله له عمله كان من آثار شكر الله للعبد أن يرضىٰ عنه.

الرؤية:

من المسائل التي عرض لها ابن حبان رحمه الله تعالى - رؤية الله تبارك وتعالى - وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون.

وقد أثبت ابن حبان رؤية الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة مستدلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية، ومفندا لشبه النفاة موهنا لها.

أما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد ذهب إلى نفيها حتى في حق النبي ﷺ كما جاء ذلك في الأحاديث المصرحة بنفي ذلك في حقه ﷺ، وفيما يلي عرض لما قاله ابن حبان في مسائل الرؤية في ضوء الأحاديث التي أوردها.

١- رؤية الله في الآخرة:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن الله عز وجل يُرى في الدار الآخرة كما نطقت بذلك نصوص الكتاب والسنة. ومما استدل به ابن حبان على ذلك:

قوله تعالى عن الكفار: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾[2] قال رحمه الله تعالى: فلما أثبت المجاب عنه للكفار، دل ذلك على أن غير الكفار لا يحجبون عنه[3].

عن جرير رضي الله عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ليلة البدر قال: «**إنكم سترون ربكم**

(١) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن القيم الجوزية: (ص ٣٣٥-٣٣٦) باختصار. ط ١، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) سورة المطففين: الآية ١٥.

(٣) «الإحسان»: (١٦/ ٤٧٧).





يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته»[١] واتبع هذه بقوله: قال أبو حاتم رضي الله عنه: (هذه الأخبار في الرؤية يدفعها من ليس العلم صناعته، وغير مستحيل أن الله جل وعلا يُمكن المؤمنين المختارين من عباده من النظر إلى رؤيته - جعلنا الله منهم بفضله - حتى يكون فرقاً بين الكفار والمؤمنين)[٢].

عن صهيب رضي الله عنه قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾[٣] قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار نادى منادٍ يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يحب أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل الله ميزاننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه**»[٤]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن رؤية المؤمنين ربهم في المعاد من الزيادة التي وعد الله جل وعلا عباده على الحسنى التي يعطيهم إياها)[٥].

فابن حبان رحمه الله تعالى يرى أن الزيادة التي وردت بها الآية في قوله تعالى: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ وهي رؤية الله تعالى بالأبصار.

كما أنه رحمه الله تعالى تناول الأدلة التي يستدل بها نفاة الرؤية من المعتزلة والخوارج ومن وافقهم وبين عدم صحة الاستدلال بها على نفي الرؤية.

وكان مما استدل به النفاة قوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾[٦]، ولكن ابن حبان أبطل تعلق نفاة الرؤية بهذا الدليل فقال: (وقوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾، فإنما معناه: لا تدركه الأبصار، يرى في القيامة، ولا تدركه الأبصار إذا رأته، لأن الإدراك هو الإحاطة، والرؤية هي النظر، والله يرى ولا يدرك كنهه، لأن الإدراك يقع على المخلوقين، والنظر يكون من العبد ربه)[٧].

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/٤١٩، ح ٧٤٣٦) في التوحيد: باب قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، ومسلم: (١/٤٣٩، ح ٦٣٣) في المساجد: باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٢) «الإحسان»: (١٦/٤٧٧).

(٣) سورة يونس: الآية ٢٦.

(٤) أخرجه مسلم: (١/١٦٣، ح ١٨١) في الإيمان: باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

(٥) «الإحسان»: (١٦/٤٧١).

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٧) «الإحسان»: (١/٢٥٩).

ومما يدل على بطلان احتجاج النفاة بهذه الآية على نفي الرؤية أن الآية أدل على جواز الرؤية من امتناعها، ذلك أن الله سبحانه وتعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال يمدح به، وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيوميه، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ولو كا ن المراد بقوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ أن لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن المعدوم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمتدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله: ﴿**وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة**﴾[١] أنه يعلم كل شيء.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (فقوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية ...، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به، وهذا هو المعنى الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ لا تحيط به الأبصار.

قال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار، وقال عطية: (ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم، فذلك قوله: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾ فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تدركه أبصارهم بمعنى لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط)[٢].

وقال أبو بكر الآجري رحمه الله تعالى: (فإن قال الجهمي: فما تأويل قوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾؟ قيل له: معناها عند أهل العلم أي: لا تحيط به الأبصار ولا تحويه عز وجل وهم يرونه من غير إدراك ولا يشكون في رؤيته، كما يقول الرجل: رأيت السماء وهو صادق لم يحط بصره بكل السماء ولم يدركها، وكما يقول الرجل: رأيت البحر وهو صادق، ولم يدرك بصره كل البحر ولم يحط ببصره وهو صادق هكذا فسر العلماء إن كنت تعقل)[٣].

(١) سورة يونس: الآية ٦١.

(٢) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن القيم الجوزية: (ص ١٨٥).

(٣) «التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة» للآجرى: (ص ١١٢) ط ١، ١٤٠٦هـ دار عالم الكتب، الرياض.



وبهذا يتضح اتفاق ابن حبان رحمه الله تعالى مع أهل السنة والجماعة في إبطال استدلال المعتزلة على نفي الرؤية بهذه الآية.

ولا ريب أن ما ذهب إليه ابن حبان من إثبات الرؤية هو الرأي الذي لا يجوز العدول عنه لصراحة ما أورده من أدلة لذلك، ولإجماع سلف الأمة عليه، وممن حكاه من السلف وانتصر له وقرر عدم جواز الذهاب إلى سواه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي - رحمه الله - حيث قال بعد أن أورد الأدلة التي ذكر ابن حبان بعضا منها: (فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية على تصديقها والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه من مشايخنا، ولم يزل المسلمين قديماً وحديثاً يروونها، ويؤمنون بها لا يستنكرونها ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال، بل كان من أكبر رجائهم وأجزل ثواب الله في أنفسهم، النظر إلى وجه خالقهم حتى ما يعدلون به شيئاً من نعيم الجنة[1] وقال أيضاً: قد صحت الآثار عن رسول الله ﷺ فمن بعده من أهل العلم وكتاب الله الناطق به، فإذا اجتمع الكتاب وقول الرسول ﷺ وإجماع الأمة لم يبق لمتأول عندها تأويل إلا مكابر أو جاحد»[2].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس في الظهيرة)[3].

وقال الآجرى رحمة الله تعالى بعد أن ساق الأحاديث والأخبار الواردة في هذا الباب: (فهذه الأحاديث والأخبار كلها يصدق بعضها بعضا مع ظاهر القرآن، وتبين أن المؤمنين يرون الله عز وجل، والإيمان بهذا واجب، فمن آمن بما ذكرنا فقد أصاب حظه من الخير - إن شاء الله - في الدنيا والآخرة، ومن كذب بجميع ما ذكرنا وزعم أن الله عز وجل لا يرى يوم القيامة فقد كفر، ومن كفر بهذا كفر بأمور كثيرة مما يجب عليه الإيمان به)[4].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن ابن حبان رحمه الله تعالى يتفق مع أهل السنة والجماعة

---

(١) «الرد على الجهمية» للدارمي: (ص ١٠٥).

(٢) المصدر السابق: (ص ١٠٤).

(٣) «حادي الأرواح»: (ص ٢٢٠).

(٤) «التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة»: (ص ١٠٨).

في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة لأهل الإيمان وأنها من الزيادة التي وعدهم الله تعالى بها كما تواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ وأجمع عليها سلف الأمة رحمهم الله .

٢- رؤية الله تعالى في الدنيا :

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن الله عز وجل لا تمكن رؤيته في الدنيا حتى في حق النبي ﷺ مع ما في ذلك من خلاف بين العلماء .

وقد استدل ابن حبان لما قرره من نفي رؤية الله تعالىٰ في الدنيا بما رواه عن جرير رضي الله عنه قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال : «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا ، لا تضامون من رؤيته**»[١] ، وأتبع الحديث بكلام له يقرر به إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة إلى أن قال : «**فأما في هذه الدنيا فإن الله جل وعلا خلق الخلق فيها للفناء ، فمستحيل أن يرى بالعين الفانية الشي الباقي ، فإذا أنشأ الله الخلق ، وبعثهم من قبورهم للبقاء في إحدى الدارين ، غير مستحيل حينئذ أن يرى بالعين التي خلقت للبقاء في الدار الباقية الشيء الباقي . لا ينكر هذا الأمر إلا من جهل صناعة العلم ، ومنع بالرأي المنكوس والقياس المنحوس**»[٢] .

وما ذهب إليه ابن حبان رحمه الله تعالى هو الحق الذي تؤيده الأدلة الصحيحة الصريحة ، وهو المقرر عند أهل السنة والجماعة ، فاتضح بذلك موافقته لهم في هذه المسألة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة ، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم ، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ ، وثبت عنه في الصحيح أن قال : « واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت »[٣])[٤] .

ومن قال من الناس : إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة لاسيما إذا ادعوا أنهم أفضل من موسى ، فإن هؤلاء يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا والله أعلم[٥] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) «الإحسان» : (١٦/ ٤٧٧-٤٧٨) .

(٣) أخرجه مسلم : (٤/ ٢٢٤٥ ، ح ٢٩٣١) في الفتن وأشراط الساعة : باب ذكر ابن صياد .

(٤) «مجموع الفتاوى» : (٥/ ٤٩٠) .

(٥) المصدر السابق : (٦/ ٥١٢) .



وقال ابن خزيمة رحمه الله: (ولو قلنا: أن الأبصار ترى ربنا لكنا قد قلنا الباطل والبهتان)[1].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يُرى في الدنيا ويحاضر ويسامر.

والثاني: من يزعم أنه لا يرى في الآخرة البتة ولا يكلم عباده، وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين»[2].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على نفي رؤية الله تعالى في الدنيا بالكتاب والسنة.

فأما الكتاب:

قال تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾[3].

وقد فسرت هذه الآية في أحد القولين على أن المراد بها نفي الرؤية في الدنيا قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: وقوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ فيه أقوال للأئمة من السلف: أحدهما: لا تدركه في الدنيا، وإن كانت تراه في الآخرة، كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن وأورد عن ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عُلّيه رحمه الله تعالى أنه قال في الآية: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ قال: هذا في الدنيا»[4].

وأما السنة:

فقد روى مسلم في صحيحه عن عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يوم حذر الناس من الدجال: «أنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله أو يقرؤه كل مؤمن» وقال: «**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**»[5] فهذا الحديث نص صريح في نفي رؤية الله عز وجل في الدنيا، وإليه استند السلف رحمهم الله في إجماعهم على نفي الرؤية في الدنيا.

رؤية النبي ﷺ لله عز وجل:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن رؤية النبي ﷺ لله عز وجل لم تكن رؤية بصرية وإنما

---

(١) كتاب «التوحيد» لابن خزيمة: (٢/٥٥٨).

(٢) «حادي الأرواح»: (ص ٢٢٠).

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٤) تفسير ابن كثير: (٣/٣٠٢).

(٥) تقدم تخريجه.

كانت رؤية قلبية، وأورد رحمه الله جملة من الأدلة الدالة على أنها رؤية قلبية كما أنه قد أجاب على أدلة القائلين بأنها رؤية بصرية، ومما أورده رحمه الله:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قد رأى محمد ﷺ ربه»[١]، وأعقب الحديث بقوله: (قال أبو حاتم: معنى قول ابن عباس: «قد رأى محمد ﷺ ربه» أراد به بقلبه في الموضع الذي لم يصعده أحد من الشرف ارتفاعاً»[٢].

٢- ولإثبات أنها رؤية قلبية أورد عقب حديث ابن عباس، حديث أبي ذر رضي الله عنه، فعن عبدالله بن شقيق العقيلي قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته عن كل شيء. فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ فقال: سألته: فقال: «رأيت نوراً»[٣].

قال ابن عباس عقب هذا الحديث: قال أبو حاتم: «معناه أنه لم ير ربه، ولكن رأي نوراً علويا من الأنوار المخلوقة»[٤].

٣- عن عائشة رضي الله عنها قالت: أعظم الفرية على الله من قال: إن محمداً ﷺ رأى ربه، وإن محمد ﷺ كتم شيئاً من الوحي، وإن محمداً ﷺ يعلم ما في غدٍ. قيل: يا أم المؤمنين وما رآه؟ قالت: لا إنما ذلك جبريل رآه مرتين في صورته: مرة في الأفق، ومرة ساداً أفق السماء[٥]. وترجم لهذا الخبر بقوله: (ذكر تعداد عائشة قول ابن عباس الذي ذكرناه من أعظم الفرية)[٦]. ثم أعقب الخبر بقوله: قال أبو حاتم: (قد يتوهم من لم يحكم صناعة الحديث، أن هذين الخبرين متضادان وليسا كذلك، إذ الله جل وعلا فضل رسوله ﷺ على غيره من الأنبياء، حتى كان جبريل من ربه أدنى من قاب قوسين، ومحمد ﷺ يعلمه جبريل حينئذ، فرآه ﷺ بقلبه كما شاء)[٧].

---

(١) اخرجه الترمذي (٩/٣٠، ح ٣٢٧٦) في التفسير: باب ومن سورة النجم، والبيهقي في الأسماء والصفات: (ص ٤٤٢، ٤٤٣) وإسناده حسن.
(٢) «الإحسان»: (١/٢٥٤).
(٣) أخرجه مسلم: (١/١٦١، ح ١٧٨) في الإيمان: باب قوله عليه الصلاة والسلام: «نور أنىٰ أراه».
(٤) «الإحسان»: (١/٢٥٥).
(٥) أخرجه مسلم: (١/١٥٩، ح ١٧٧) في الإيمان: باب معنى قوله الله عز وجل: ﴿ولقد رآه نزلة اخرى﴾.
(٦) «الإحسان»: (١/٢٥٧).
(٧) المصدر السابق: (١/٢٥٩).

وما ذهب إليه ابن حبان رحمه الله هو الحق في هذه المسألة، وهو ما يراه أهل السنة والجماعة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه: (وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحداً من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وأئمة المسلمين.

ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم قالوا: (رأى ربه بعينه، بل الثابت عنهم إما إطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه)[١].

وقال أيضاً: (وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا يثبت عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنىٰ أراه»[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول في قوله ﷺ: «نور أني أراه؟» معناه: كان ثم نور وحال دون رؤيته نور فأنىٰ أراه؟ قال: ويدل عليه أن في بعض ألفاظ الصحيح، هل رأيت ربك؟ فقال: رأيت نوراً.).

وقد أعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم فقال: «نوراً إني أراه» على أنها ياء النسبة، والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظاً ومعنى، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله ﷺ رأى ربه وكان قوله: «إنىٰ أراه» كالإنكار للرؤية حاروا في الحديث ورده بعضهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول من موجب الدليل ... ثم قال ابن القيم وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال إنه رآه ولم يقل بعيني رأسه قال: ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر قوله ﷺ في الحديث الآخر: «حجابه النور»[٣] فهذا النور هو ـ والله أعلم ـ النور المذكور في حديث أبي ذر: «رأيت نوراً»[٤].

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٦/٥٠٩، ٥١٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم: (١/١٦٢، ح ١٧٩) في الإيمان: باب في قوله عليه السلام: «إن الله لا ينام» وفي قوله: «حجابه النور...» الحديث.

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٦/٥٠٧، ٥٠٨).

وما ذكره ابن القيم رحمه الله عن شيخ الإسلام كلام في غاية الحسن إذ تحمل رواية الإثبات على رؤية الفؤاد ورواية النفي على رؤية العين، وبذا يجمع بين الروايات المروية ابن عباس رضي الله عنهما فلا خلاف إذا على وجه الحقيقة.

وجزم صاحب الطحاوية بأن معنى قوله ﷺ في حديث أبي ذر: «نور أنىٰ أراه»: النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنىٰ أراه. أي: كيف أراه وهو حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟ قال: فهذا صريح في نفي الرؤية والله أعلم[1].

ومما تقدم يتضح موافقة ابن حبان رحمه الله تعالى لأهل السنة والجماعة في نفي رؤية النبي ﷺ لله عز وجل رؤية بصرية وأن تلك الرؤية رؤية قلب على القول الصحيح.

مسألة إثبات الحد لله تعالى

يعرف الحد بالحاجز بين الشيئين ومنتهى الشيء، وهو ما يتميز به الشي عن غيره، من صفته وقدره، كما هو المعروف في لفظ الحد في الموجودات فيقال: حد الإنسان، وحد كذا وهي من الصفات المميزة له، ويقال حد الدار والبستان، وهي جهاته وجوانبه المميزة له[2].

وقد ذكر عن ابن حبان أنه ينكر الحد لله، ودليل ذلك ما ورد في «ذم الكلام» للهروي من أنه ـ أي الهروي ـ سأل يحيى بن عمار عن أبي حاتم بن حبان البستي، قلت: رأيته قال: كيف لم أراه ونحن أخرجناه من سجستان كان له علم كثير ولم يكن له كبير دين قدم علينا فأنكر الحد لله فأخرجناه في سجستان[3].

ومما يستدل به أيضاً على إنكار ابن حبان للحد ما ذكره في مقدمة كتابه «الثقات» حيث قال: (الحمد لله الذي ليس له حد محدود فيتوىٰ، ولا له أجل معدود فيفنىٰ، ولا يحيط به جوامع المكان[4] ... إلخ كلامه رحمه الله.

فلأجل هذه العبارة شُنع على ابن حبان وطرد من سجستان، ولكن ما الموقف الصحيح نحو إثبات الحد لله أو نفيه؟ وقبل ذكر الرأي الصحيح في المسألة، من الأولى معرفة معاني الحد الذي

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ١٦٣).

(٢) «نقض التاسيس»: (١/٤٤٢-٤٤٣).

(٣) «ذم الكلام» مخطوط: (ص ٢٣٧).

(٤) كتاب «الثقات» لابن حبان: (١/١).



ذهب السلف إلى إثباته.

أولاً: الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، وحد كل شيء موضع بينونته من غيره، حيث أن الله تعالى غير حال في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه المقيم لما سواه، فلا يجوز نفي الحد إذ ليس وراء نفيه إلا نفيه وجود الرب ونفي حقيقته[1].

ثانياً: ويطلق الحد على معنى الكيفية، فالله له حد بهذا المعنى، لكن لا يجوز لأحد أن يحده لأنه غير معلوم لنا ولا يعلمه إلا هو كما قال الإمام أحمد رحمه الله لمن سأله: (الله تبارك وتعالى حد؟ قال: نعم، لا يعلمه إلا هو)[2].

وكما قال الدارمي رحمه الله: (والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره)[3].

ثالثاً: ويطلق الحد على معنى غاية ونهاية تنتهي إليها صفات الله، فهذا ممنوع، لأن صفات الله تعالى لا تحد بغاية.

ويدل على ذلك قول الإمام أحمد: (سميع بصير بلا حد ولا تقدير)[4].

وقول الدارمي: (ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحدة غاية في نفسه)[5].

فإذا اتضحت هذه المعاني أمكن حينئذ توجيه قول المثبت له، وقول النافي له، مع العلم بأن لفظ الحد من الألفاظ المبتدعة التي تحمل حقاً وباطلاً ولم يأت بها نص، ولهذا أوضح الذهبي رحمه الله ـ بعد أن أورد حادثة إخراج ابن حبان من سجستان لما أنكر الحد ـ في ترجمة ابن حبان قال: (إنكاره للحد وإثباتكم للحد، نوع من فضول الكلام، والسكوت عن الطرفين أولى، إذ لم يأت نص بنفي ذلك ولا إثباته، والله تعالى ليس كمثله شيء، فمن أثبته قال له خصمه: جعلت لله حداً برأيك، ولا نص معك بالحد، والمحدود مخلوق تعالى الله عن ذلك، وقال هو للنافي: ساويت ربك بالشيء المعدوم، إذ المعدوم لا حد له فمن نزه الله وسكت، وسلم وتابع السلف)[6].

وكلام الذهبي هذا هو الأصل الذي سار عليه السلف في أنه لا تثبت مثل هذه الألفاظ ولا

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١٩٠).
(٢) «نقض التأسيس»: (١/ ٤٣٠).
(٣) «نقض الدارمي» علي بشر المريسي: (ص ٣٨٢).
(٤) «نقض التأسيس»: (١/ ٤٣١).
(٥) «نقض الدارمي» علي بشر المريسي: (ص ٣٨٢).
(٦) «ميزان الاعتدال»: (٣/ ٥٠٧).

تنفىٰ إلا إذا جاء نص بإثباتها أو نفيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً منهج السلف في استعمال هذه الألفاظ: (وما تنازع في المتأخرون نفياً وإثباتاً، فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدا على إثبات لفظه أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً يُردّ وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك)[1].

قلت: ولفظ الحد من هذا الباب: فمن أثبته وأراد به معنى صحيحاً قبل، وإن نفاه وأراد معنى باطلاً رُدّ.

ولاحتمال لفظ الحد أن يكون حقاً أو باطلاً، اختلفت أقوال السلف فيه بين النفي والإثبات فممن أثبته عبدالله بن المبارك رحمه الله وذلك عندما سئل، بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش. بائن من خلقه. قيل بحد؟ قال: بحد[2].

وأثبته أيضاً الإمام عثمان بن سعيد الدارمي حيث قال رحمه الله: والله تعالى له حد لا يعلمه غيره ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحدّه غاية في نفسه، ولكن نؤمن بالحدّ، ونكل علم ذلك إلى الله تعالى، ولمكانه أيضاً حد، وهو على عرشه فوق سماواته، فهذان حدان إثنان[3] وأثبته كذلك الإمام أحمد في رواية عنه، فقد سأله محمد بن إبراهيم القيسي قال: قلت لأحمد بن حنبل: يحكى عن ابن المبارك، قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه بحد، فقال أحمد: هكذا هو عندنا[4].

وأورد القاضي أبو يعلى في «إبطال التأويل» عن أبي داود قال: جاء رجل إلى أحمد بن حنبل: فقال: لله تعالى حد؟ فقال: نعم لا يعلمه إلا هو، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وترى الملائكة حافين من حول العرش**﴾[5] يقول: محدقين[6].

وأثبته جماعة غير هؤلاء من أهل العلم.

---

(١) «التدمرية»: (ص ٦٥-٦٦).

(٢) «نقض التاسيس»: (١/٤٢٧)، «نقض الدارمي»: (٣٨٢).

(٣) «نقض التاسيس»: (١/٤٢٧)، (٢/١٥٨)، «نقض الدارمي» علي بشر المريسي: (ص ٣٨٢).

(٤) «نقض التاسيس»: (١/٤٢٩).

(٥) سورة الزمر: الآية ٧٥.

(٦) «نقض التاسيس»: (١/٤٣٠).



وممن نفىٰ الحد، الإمام أحمد في الرواية الأخرى عنه، حيث قال رحمه الله: ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية. وقال كذلك: وهو على العرش بلا حد، كما قال: ﴿ثم استوى على العرش﴾ كيف شاء، المشيئة إليه عز وجل، والاستطاعة له ﴿ليس كمثله شيء﴾ وهو خالق كل شيء، وهو كما وصف نفسه، سميع بصير بلا حد ولا تقدير[١].

ونفى هذا اللفظ أيضاً: ابن الماجشون[٢]، فقد قال في وصف الله تعالى: وكيف يكون لصفة شيء منه حدا، أو منتهىٰ يعرفه عارف أو يحدّ قدره واصف[٣].

وقال ابن عبدالبر: (إن مذهب أهل السنة في صفات الله تعالى، لا يحدون فيه صفة محصورة)[٤]. وممن أنكره كذلك جماعة ذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: (وقد أنكره طائفة من أهل الفقه والحديث، ممن يسلك في الإثبات مسلك ابن كلاب والقلانسي، وأبي الحسن ونحوهم، في هذه المعاني، ولا يكاد يتجاوز ما أثبته هؤلاء، مع ما له من معرفة بالفقه والحديث كأبي حاتم هذا وأبي سليمان الخطابي وغيرهما)[٥].

فهذا إذاً موقف طوائف من السلف في مسألة الحد لله تعالى، فمن أثبته منهم ـ كابن المبارك والدارمي والإمام أحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم ـ لاشك أنهم قصدوا بإثباته الرد على الجهمية وأصحاب الحلول والإلحاد القائلين بأن الخالق لا يتميز عن الخلق وليس له حد فأبطل هؤلاء الأئمة قولهم ببيان أن الله سبحانه وتعالى مستو على عرشه عال على خلقه، فأثبتوا الحد رداً على الجهمية فيما قصدوا من نفيهم للحد.

فإثبات هؤلاء له صحيح لما تضمنه من المعنى الحق، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على من أنكر على المثبتين: كيف أنكرتم على أئمة الدين ردهم لبدعة ابتدعها الجهمية، مضمونها، إنكار وجود الرب تعالى وثبوت حقيقته، وعبروا عن ذلك بعبارة، فأثبتوا تلك العبارة ليبيّنوا ثبوت المعنى الذي نفاه أولئك، وأين في الكتاب والسنة أن يحرم رد الباطل بعبارة

---

(١) المصدر السابق: (٢/١٦٤-١٦٥).

(٢) هو الفقيه العلامة أبو مروان عبدالملك بن الإمام عبدالعزيز بن عبدالله الماجشون التيمي، مفتي المدينة، توفي سنة ٢١٣هـ. انظر ترجمة في «السير»: (١٠/٣٥٩-٣٦٠)، «الجرح والتعديل»: (٥/٣٥٨).

(٣) «نقض التأسيس»: (٢/١٦٦).

(٤) «التمهيد»: (٧/١٤٥).

(٥) «نقض التأسيس»: (١/١٤٠-١٤١).

مطابقة له؟ فإن هذا اللفظ لم نثبت به صفة زائدة على ما في الكتاب والسنة، بل بينّا به ما عطله المبطلون من وجود الرب تعالى ومباينته لخلقه وثبوت حقيقته[١].

وأما من نفاه من السلف فيحمل قولهم على نفي الإدراك والإحاطة بصفات الله جل وعلا وعليه يحمل قول الإمام أحمد في نفيه كما في الرواية الأخرى عنه: سميع بصير بلا حد ولا تقدير. والذي يظهر لي أن ابن حبان في إنكاره للحد لا يريد به أن الخالق عز وجل لا يتميز عن الخلق كما تقوله الجهمية ومن سلك سبيلهم، وبرهان ذلك أن ابن حبان ممن يقرر علو الله تعالى على خلقه وأنه تعالى بائن عنهم مستو على عرشه وذلك بإخراجه الأحاديث الدالة على ذلك في صحيحة كحديث الجارية وسؤال النبي ﷺ إياها: أين الله؟ فقالت في السماء . . .»[٢] الحديث.

وخلاصة القول أن لفظ الحد من الألفاظ المجملة التي لم يرد بها نص من كتاب ولا سنة، والأولى الإمساك عن اطلاقها، لكن متى ما أطلقت استفصل عن معناها فإن كان حقاً قُبل وإن كان باطلاً رد. وهذا هو سبيل السلف في هذه الألفاظ التي لم يرد نصوص بإثباتها أو نفيها.

(١) «نقض التأسيس»: (١/٤٤٥).

(٢) أخرجه مسلم: (١/٣٨٢، ح ٥٣٧) في المساجد: باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ من كان من إباحة.



الفصل الثاني:

تمهيد معنى القضاء والقدر

المبحث الأول : وجوب الإيمان بالقدر

المبحث الثاني : ذم القدرية وذم الخائضين في القدر.

المبحث الثالث: مراتب القدر.

ويتضمن أربع مطالب:

المطلب الأول: العلم.

المطلب الثاني: الكتابة.

المطلب الثالث: المشيئة.

المطلب الرابع: الخلق والإيجاد

المبحث الرابع : الاحتجاج بالقدر

المبحث الخامس: تكليف ما لا يطاق.

تمهيد

معنى القضاء والقدر لغة:

معنى القضاء: هو بالمدّ ويقصر، أصله قضاي، فلما جاءت الياء بعد ألف زائدة متطرفة همزت، وجمعه أقضية[١].

قال ابن فارس[٢]: القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام الأمر وإتقانه وانفاذه لجهته[٣].

وقال في النهاية: القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وكماله[٤].

ومما تقدم يتضح أن معنى القضاء في اللغة هو احكام الشيء وإتمام الأمر، وهذا هو أصل معنى القضاء، وإليه ترجع جميع معاني القضاء في اللغة، وقد يأتي بمعنى القدر[٥].

معنى القدر: قدر: «القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته»[٦] وهو بتسكين الدال وفتحها مع القاف[٧]، ويطلق القدر على الحكم والقضاء[٨]، ومن ذلك حديث الاستخارة وفيه «**فاقدره لي ويسره لي**»[٩].

معنى القضاء والقدر شرعا:

هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم وعلمه سبحانه بوقوعها في أوقات معلومة عنده وعلى

---

(١) «الصحاح» للجوهري: (٦/٢٤٦٣)، «لسان العرب» (١٦/١٨٦).

(٢) هو أبو الحسن بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، ولد سنة ٣٢٩هـ وتوفي سنة ٣٩٥هـ ويُعد من أئمة اللغة والأدب، من مؤلفاته: «معجم مقاييس اللغة»، «وجامع التأويل في التفسير»، وغيرها، «وفيات الأعيان» (١/١١٨)، «الأعلام»: (١/٨٤).

(٣) «معجم مقاييس اللغة»: (٥/٩٩) ابن فارس، ط الثانية ١٣٨٩هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

(٤) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير: (٤/٧٨) ط الأولى ١٣٨٣هـ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني: (ص ٤٢٢)، دار الفكر، بيروت ١٣٩٢هـ.

(٦) «معجم مقاييس اللغة»: (٥/٦٢).

(٧) المصدر السابق: (٥/٦٢)، «الصحاح» للجوهري: (٢/٧٨٦).

(٨) «لسان العرب»: (٥/٧٤).

(٩) أخرجه البخاري: (٣/٤٨، ح ١١٦٢) في التهجد: باب ما جاء في التطوع مثنىً مثنىً.



صفات مخصوصة وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها[1].

وقال السفاريني في تعريفه: (ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدر مقادر الخلائق وما يكون في الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها)[2].

ويمكن القول بإن بين المعنى اللغوي للقضاء والقدر والمعنى الشرعي ارتباطا قويا، فكل منهما يأتي بمعنى الآخر، ومعاني القضاء ترجع إلى إحكام الأمر وإتقانه وانفاذه.

ومعاني القدر ترجع إلى التقدير ـ والله عز وجل ـ قدر مقادير الخلائق فعلمها وكتبها وشاءها وخلقها، وهي مقضية ومقدرة فتقع حسب أقدارها.

○ ○ ○

---

(١) «العقيدة الواسطية»: (ص ١٥٣).

(٢) «لوامع الأنوار البهية»: (ص ٣٤٨).

المبحث الأول:
وجوب الإيمان بالقدر

جاءت نصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية تبين ما يجب على المسلم الإيمان به من أركان الإيمان المتمثلة في:

١- الإيمان بالله تعالى.
٢- الإيمان بالملائكة.
٣- الإيمان بالكتب.
٤- الإيمان بالرسل.
٥- الإيمان باليوم الآخر.
٦- الإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن تلك النصوص الدالة على وجوب الإيمان بها:

أولا: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿**ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدا**﴾[٢].

وهاتان الآيتان جمعت أركان الإيمان سوى القدر، وقد جاء الاخبار بوجوب الإيمان به كما في قوله تعالى: ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾[٣].

ثانيا: من السنة النبوية:

من أظهر أدلة السنة النبوية على وجوب الإيمان بأركان الإيمان الستة حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله إياه عن الإسلام والإيمان والإحسان وفيه قال: «**فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر**

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.
(٢) سورة النساء: الآية ١٣٦.
(٣) سورة القمر: الآية ٤٩

بالقدر خيره وشره، قال: صدقت ...»[1].

رأي ابن حبان في وجوب الإيمان بالقدر:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى وجوب الإيمان بالقدر كما نطقت بذلك نصوص الكتاب والسنة وأن الإيمان به فرض على المخاطبين في كل الأحوال.

وقد قرر هذا الأمر من خلال ايراده للأحاديث الدالة على وجوب الإيمان بأركان الإيمان جميعها، كحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله إيّاه عن الإسلام والإيمان والإحسان، فروى هذا الحديث من طرق عدة، وهذا الحديث عمدة في وجوب الإيمان بالقدر عند العلماء.

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان مشركو قريش عند رسول الله ﷺ يخالفونه في القدر، فنزلت هذه الآية: **﴿إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾**[2].

وبوب لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عما عاتب الله جل وعلا من خالف رسول الله ﷺ في إثبات القدر)[3]، وهذه الترجمة منه للحديث صريحة في وجوب الإيمان بالقدر، إذ المخالف في إثباته إنما هو المشرك كما بين ذلك سبب نزول تلك الآيات.

وما استدل به ابن حبان من الأحاديث ـ والتي أوردت بعضا منها ـ مما يتفق به رحمه الله مع أهل السنة والجماعة في وجوب الإيمان بالقدر، إذ الإيمان به عندهم أصل من أصول الإيمان الستة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وتؤمن الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين)[4]، ثم ذكر رحمه الله تعالى هاتين الدرجتين كما سيأتي إيضاحهما بإذن الله تعالي فيما بعد

---

(١) أخرجه مسلم: (١/٣٦، ح ٨) باب الإيمان والإسلام والإحسان، والترمذي: (٧/٢٧١، ح ٢٦١٣) في الإيمان: باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ للإيمان، وابو داود: (٤/٢٢٣، ح ٤٦١٥) في السنة: باب في القدر، والنسائي: (٨/٩٧) في الإيمان، وابن ماجه: (١/٢٤، ح ٦٣) في المقدمة: باب في الإيمان.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٢/٤٤٤، ح ٤٧٦)، ومسلم: (٤/٢٠٤٧، ح ٢٦٥٦) في القدر: باب كل شيء بقدر، وابن حبان في «صحيحه»: (١٤/٦، ح ٦١٣٩).

(٣) «الإحسان»: ١٤/٦.

(٤) «العقيدة الواسطية»: ص ١٥٢.

وقال الإمام اللالكائي رحمه الله بعد أن ساق ما فُسر من الآيات في كتاب الله عز وجل وما روى من سنة رسول الله ﷺ في إثبات القدر من إجماع الصحابة والتابعين لهم من علماء الأمة أن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل طاعتها ومعاصيها، ...: «وهذا مذهب **أهل** السنة والجماعة يتوارثونه خلفاً عن سلف من لدن رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب»[1].

أدلة وجوب الإيمان بالقدر من الكتاب العزيز والسنة النبوية:

أولا: من الكتاب العزيز:

١- قوله تعالى: ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾[2] فقد بيّن الله تعالى كل شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى قد خلقه وأوجده وقدره بعلمه وحكمته.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره لهذه الآية: (يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها»[3].

٢- قوله تعالى: ﴿**سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدورا**﴾[4] أي: قضاء مقضياً وحكماً مبتوتا.

٣- قوله تعالى -عن موسى عليه السلام-: ﴿**فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى**﴾[5] أي: أنه جاء موافقاً لقدر الله تعالي وإرادته على غير ميعاد[6].

ثانيا: من السنة النبوية:

دلت نصوص السنة النبوية على وجوب الإيمان بالقدر، وقد تقدم ذكر شيء فيها فيما رواه ابن حبان في صحيحه كحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجيء جبريل عليه السلام وسؤاله النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان.

ومن تلك الأدلة أيضاً:

١- ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتى**

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (٣/٥٣٨).
(٢) سورة القمر: الآية ٤٩.
(٣) «تفسير ابن كثير»: (٧/٤٥٧).
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٨.
(٥) سورة طه: الآية ٤٠.
(٦) «تفسير ابن كثير»: (٥/٢٨٧).



يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»[1].

فنفى الإيمان حتى يؤمن العبد بالقدر، وأن ما يجرى عليه، إنما هو بقدر من الله لا يتغير أبداً، ونفي الإيمان عمن لم يؤمن بالقدر يدل على وجوبه.

٢ حديث طاووس، قال: أدركت أناساً من أصحاب النبي ﷺ يقولون: كل شيء بقدر قال: وسمعت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: **«كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»**[2].

وهذا يدل على إثبات القدر، وأنه عام في كل شيء حتى أن العاجز قد قُدّر عجزه، والكيس قد قُدَّر كيسه، فكل ذلك مقدر في الأزل معلوم لله تعالى مراد له، وهذا يدل على وجوب الإيمان بالقدر.

وقد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ما يقرر ما وردت به نصوص الكتاب والسنة ويؤكده فروى اللالكائي بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال: **«إن أحدكم لن يخلص الإيمان إلى قلبه حتى يستقر يقيناً غير ظن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ويقر بالقدر كله»**[3].

وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **«لا والله لا يطعم رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر ويقر ويعلم أنه ميت مخرج وأنه مبعوث بعد الموت»**[4].

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما لما أخبر عمن ينكر القدر ويقول إن الأمر أنف قال: **«أخبروهم أن منهم بري وهم مني براء»**[5].

---

(١) أخرجه الترمذي: (٦/٣١٨، ح ٢١٤٥) في القدر: باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن ميمون وعبدالله بن ميمون منكر الحديث، وقد صحح الحديث الشيخ الألباني كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٢٤٣٩).

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢٤٥، ح ٢٦٥٥) في القدر: باب كل شيء بقدر، وأحمد: (٢/١١٠) ومالك في «الموطأ»: (٢/٨٩٩) في القدر: باب النهي عن القول في القدر.

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (٤/٦٦٦).

(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (٤/٦٦٧)، وابن بطة في «الإبانة»: (٢/٢٥٣).

(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (٤/٦٧٢)، وابن بطة في «الإبانة»: (٢/٢٢٦) وعبدالله بن أحمد في «السنة»: (٢/٤٢٠).

وروى عن الحسن البصري رحمه الله قوله: **«من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام»**[1].

وروى عنه كذلك قوله: **«لا تجالسوا القدرية، فوالذي نفسي بيده إنهم لنصارى»**[2].

وقال أبو قلابة[3] لأيوب السختياني[4]: **«يا أيوب احفظ عني أربعاً: لا تقولن في القرآن برأيك وإياك والقدر، وإذا ذكر أصحاب محمد ﷺ فأمسك، ولا تمكن أصحاب الأهواء سمعك فيغيروا قلبك»**[5].

وخلاصة القول أن وجوب الإيمان بالقدر مما تضافرت عليه نصوص الكتاب السنة وأجمع عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله، وقد سلك ابن حبان في إثباته ووجوب الإيمان به منهج أهل السنة والجماعة.

ο ο ο

(١) المصدر السابق: (٤/ ٢٨٢) وابن بطة في «الإبانة»: (٢/ ٢٦٢).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٦٧٣

(٣) هو عبدالله بن زيد بن عمرو، أو عامر الجرمي، أبو قلابة البصري ثقة فاضل، مات بالشم سنة ١٠٤هـ وقيل بعدها انظر: «ميزان الاعتدال»: (٢/ ٤٢٥، ٤٢٦)، «تقريب التهذيب»: (ص ٣٠٤، ت: ٣٣٣٣).

(٤) هو أيوب بن أبي تميمة: كيسان السختياني أبو بكر البصري، ثقة، ثبت، حجه، من كبار الفقهاء والعباد توفي سنة ١٣١هـ انظر «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٥)، «تهذيب التهذيب»: (١/ ٣٧٩).

(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (٤/ ٦٨٩).





المبحث الثاني:
ذم القدرية وذم الخائضين في القدر

أولاً: ذم القدرية:

وردت جملة من الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله في ذم القدرية الذين سلكوا سبيل الهوى والباطل فخرجوا عن جادة الحق والهدى، فوصفوا في تلك الأحاديث والآثار بأنهم مجوس هذه الأمة، وعلى شعبة من اليهودية والنصرانية وإن كانت لا تخلو من مقال في إسانيدها أو متونها إلا أنها بمجموع طرقها قد حسنها بعض أهل العلم المعتبرين، ولو لم تصح تلك الأحاديث والآثار لكفى في ذم الواقعين في هذه البدعة، عمومات الأحاديث المحذرة من الابتداع إيجاداً أو اتباعاً.

رأي ابن حبان في ذم القدرية:

أورد ابن حبان رحمه الله ـ كغيره من المحدثين ـ عدداً من الأحاديث التي رواها بأسانيده في ذم القدرية، وترجم لها بما يدل على إنكاره لهذه البدعة وذمة لأهلها وتحذيره منهم، ومن تلك الأحاديث:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم**»[١] وترجم لهذا الحديث بقوله: «**ذكر الزجر عن مجالسه أهل الكلام والقدر ومفاتحتهم بالنظر والجدال**»[٢]، وهذه الترجمة منه فيها دلالة واضحة على وقوفه عند هذا النص الذي صح عنده، فعمل بمقتضاه كما سيأتي في هجر القدرية وترك الرواية عنهم وعدم الاحتجاج بأخبارهم لبدعتهم النكراء.

٢- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ستة لعنتهم ولعنهم الله، وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله والمسلط بالجبروت ليذل بذلك من أعز الله وليعز به من أذل الله، والمستحل لحرُم الله، والمستحل من عترتي ما حرّم الله والتارك لسنتي**»[٣] وترجم لهذا

---

(١) أخرجه أحمد: (١/ ٣٠) وأبو داود: (٤٧١٠) في السنة: باب في القدر، وابن حبان في «صحيحه»: (٧٩) كتاب العلم، والحاكم: (١/ ٨٥)، البيهقي في «السنن»: (١٠/ ٢٠٤) وإسناده ضعيف لجهالة حكيم بن شريك الهذلي.

(٢) «الإحسان»: (١/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي: (٥٤/ ١) في القدر: باب رقم (١٧)، والحاكم: (٢/ ٥٢٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار»: (٤/ ٣٦٦)، وابن حبان في «صحيحه»: (٥٧٩)، وإسناده ضعيف، عبيدالله بن عبدالرحمن بن موهب مختلف فيه.

الخبر بقوله: «**ذكر لعن المصطفى ﷺ مع سائر الأنبياء أقواماً من أجل أعمال ارتكبوها**»[1]، ومن بين هؤلاء؛ المكذب بالقدر، فلعنهم ـ وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى ـ إن صح الحديث فيه غاية الذم لأهل هذه البدعة.

وقد سلك ابن حبان منهجاً علمياً في العمل بما دلت عليه تلك الأحاديث التي صحت عنده، وذلك بامتناعه عن قبول رواية الدعاة إلى هذه البدعة، فعند ذكره لأصناف من ترد أخبارهم قال: (النوع التاسع عشر: ومنهم المبتدع إذا كان يدعو الناس إلى بدعته حتى صار إماماً يقتدى به ويرجع إليه في ضلالته كغيلان وعمرو بن عبيد»[2].

وهذان الرجلان اللذان امتنع ابن حبان من قبول أخبارهما، هما من أئمة الدعاة إلى بدعة القدرية، فأما غيلان بن أبي غيلان، فقد قال ابن حبان في ترجمته في كتاب «المجروحين»: (كان داعية إلى القدر، قتل وصلب بالشام لا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به لدعيته التي كان يدعو إليها وقتل عليها»[3].

وأما عمرو بن عبيد، فقال في ترجمته في كتاب «المجروحين» كذلك: (كان عمرو بن عبيد داعية إلى الاعتزال، ويشتم أصحاب رسول الله ﷺ ويكذب مع ذلك في الحديث توهماً لا تعمداً)[4].

وما ذهب إليه ابن حبان رحمه الله من ذم القدرية وترك جدالهم والخوض معهم هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة وذلك عملاً بما جاءت به الأحاديث النبوية والآثار السلفية عن الصحابة والتابعين.

الأحاديث الواردة في ذم القدرية:

١ـ عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»[5] وجاء كذلك مرفوعاً عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

---

(١) «الإحسان»: (١٣/ ٦٠).

(٢) «المجروحين» ١/ ٨٢.

(٣) المصدر السابق: (٢/ ٢٠٠).

(٤) المصدر السابق: (٢/ ٦٩).

(٥) أخرجه أبو داود: (٤٦٩١) في السنة: باب في القدر، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٨٥)، وأحمد في «مسنده»: (٢/ ١٢٥)، وغيرهم إلا أن طرق هذا الحديث لا تخلو من مقال، وقد حسن الشيخ الألباني في هذا الحديث بشواهده المتعددة كما في «تخريج السنة»: (١/ ١٤٤-١٤٥)، «وصحيح الجامع الصغير»: (٢/ ٨١٨).



٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية»**[١].

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: **«يكون في أمتي خسف ومسخ وذلك في المكذبين بالقدر»**[٢].

وهذه الأحاديث الواردة في ذم القدرية، وإن تعددت، إلا أنها لا تثبت مرفوعة إلى النبي ﷺ كما أوضح ذلك ابن أبي العز الحنفي رحمه الله حيث قال: **«كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة وإنما يصح الموقوف»**[٣].

وأوردها أيضاً الشاطبي في الاعتصام وجزم بعدم صحتها[٤]، وضعفها كذلك ابن الجوزي في كتابه (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية)[٥]، والمنذري وابن القيم[٦]، كما في مختصر سنن أبي داود وتهذيبه.

وأما الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله فهي كثيرة يصعب حصرها، ولكن أذكر منها ما يلي:

١- لما أخبر ابن عمر رضي الله عنهما بظهورالقول بالقدر قال: (من رأى منكم أحداً منهم فليقل إن ابن عمر منكم بريء)[٧].

عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ذكر عنده القدرية، قال: فقال: لو رأيت أحداً منهم لعضضت أنفه)[٨].

٣- عن الحسن البصري رحمه الله قال: (من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام)[٩].

---

(١) أخرجه الترمذي: (٢١٤٩) في القدر: باب ما جاء في القدرية وقال: هذا حديث غريب حسن صحيح، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (٤/٦٤١) وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي: (٢١٥٣) في القدر، وابن ماجة: (٤٠٦١) في الفتن. والحديث صححه الشيخ الألباني كما في «صحيح سنن ابن ماجة»: (٢/٣٨١).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٢٤٩).

(٤) «الاعتصام» للشاطبي: (١/٧٧).

(٥) «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» لابن الجوزي: (١/١٤٠-١٥٦).

(٦) «مختصر سنن ابن داود» للمنذري وبهامشه «تهذيب السنن» لابن القيم: (٧/٥٦-٦٠).

(٧) تقدم تخريجه

(٨) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة»: (٢/٤٣٢)، وإسناده صحيح واللالكائي: (٤/٦٤٤)، وأحمد في «المسند»: (١/٣٣٠).

(٩) تقدم تخريجه

٤- عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى قال: (إن لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون في آيات الله فلا أدري من هم)[١].

٥- وقال عكرمة بن عمار: (سمعت القاسم بن محمد وسالم بن عبدالله يلعنان القدرية الذين يكذبون بقدر الله حتى يؤمنوا بالقدر خيره وشره)[٢].

٦- وسأل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله نافع بن مالك عن الذين يقولون لا قدر؟ فأجاب بقوله: «أرى أن يستتابوا وإلا ضربت أعناقهم، قال عمر: وذلك الرأي فيهم، ولو لم يكن إلا هذه الآية الواحدة: ﴿**فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم**﴾[٣]»[٤].

٧- قال طاوس: (احذروا معبد الجهني، فإنه قدري)[٥].

فهذه الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين واضحة الدلالة في ذم القدرية وتحذير الأمه منهم لخطرهم عليها وسوء عاقبة أهلها.

ثانيا: ذم الخائضين في القدر:

إن الأحاديث والآثار الواردة عن سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين والتي تقدم ذكرها في ذم القدرية لتدل بطريق الإيماء والتنبيه على ذم الخوض في القدر كذلك، إذ القدر سر الله تعالى في خلقه.

وقد حذر النبي ﷺ الأمة من الخوض في القدر، وأرشد الناس إلى ما فيه النجاة والفلاح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب، وأحمر وجهه حتى كأنما فقىء في وجهه حب الرمان، فقال: «**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**»[٦].

وفي رواية أخرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان من الغضب فقال:

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة»: (٤٣٢/٢) وإسناده صحيح، واللالكائي: (٦٠/٤).
(٢) المصدر السابق: (٣٩٢/٢).
(٣) سورة الصافات: الآيات ١٦١-١٦٣.
(٤) المصدر السابق: (٤٣١/٢) وإسناده صحيح، وروى مالك في «الموطأ»: (٩٣/٣) بنحوه.
(٥) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة»: (٣٩٠/أ).
(٦) أخرجه الترمذي: (٢١٣٣) في القدر: باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، وقال عقبه (وهذا الحديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب لا يتابع عليها).



«أبهذا أُمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم» قال: فقال عبدالله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه[1].

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت الآية: ﴿**يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * انا كل شيء خلقناه بقدر**﴾[2]. والمخاصمة هنا جاءت من المشركين فنزلت هذه الآية مهدده لهم بالنار ورادة عليهم دعواهم.

٢- حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فامسكوا وإذا ذكر القدر فامسكوا**»[3].

والنهي عن الخوض في القدر الذي وردت فيه هذه الأحاديث إنما هو عن الخوض فيه بالباطل من معرفة وجه الحق فيه بواسطة العقل من سبب غنى فلان وفقر فلان أو إيمان زيد وكفر عمرو، فهذا لا يجوز.

والنهي كذلك ينصب على الخوض فيه على وجه التنازع والاعتراض على الله تعالى.

ونهى النبي ﷺ الصحابة عن التنازع في القدر، لأن التنازع مظنة الاختلاف وهذا داع إلى القول فيه بغير الحق وهو منهي عنه.

أما الخوض في معرفة هذا الركن بالتفصيل كما جا به الكتاب والسنة وأقوال السلف، فهذا ليس من الخوض فيه بالباطل، بل إنه من الخوض بالحق، لبيان الحق للناس حتى لا يضلوا فيقعوا في ضلالات القدرية أو الجبرية المنحرفين عن الحق.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٢/١٧٨)، وابن ماجة في «المقدمة»: (١/٣٣، ح ٨٥) باب في القدر، وسنده حسن.

(٢) سورة القمر: الآيتان ٤٨، ٤٩.

(٣) أخرجه الطبري. وقال الهيثمي: (فيه مسهر بن عبدالملك، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه خلاف أو بقية رجاله رجال الصحيح «مجمع الزوائد»: (٧/٢٠٢)، وقد صححه الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (١/٤٢، ح ٣٤).

المبحث الثالث:

مراتب القــدر

للإيمان بالقدر أربع مراتب كما دلت على ذلك آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي ﷺ فمن أقر بها جميعاً، فإن إيمانه بالقدر يكون موافقاً لما عليه سلف الأمة، ومن انتقص واحدة منها فقد اختل إيمانه وضل عن الهدى، وهذه المراتب الأربع هي:

١- مرتبة العلم: أي الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون به بعلمه الأزلي الأبدي.

٢-مرتبة الكتابة: وتقتضي الإيمان بأن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.

٣- مرتبة الإدارة والمشيئة: أي الإيمان بأن كل ما يقع في الكون ويجري فيه فهو بمشيئة الله تعالى، فما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن.

٤- مرتبة الخلق: أي الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه.

وقد أشار ابن حبان رحمه الله تعالى إلى هذه المراتب وقررها كما سيأتي في بيان كلامه على كل مرتبة وذلك في المطالب الآتية:

• المطلب الأول: مرتبة العلم

كثُر في الكتاب والسنة تقرير هذا الأصل العظيم، ويراد به: العلم بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء وأنه علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم، ومن منهم من أهل الجنة.

وقد أثبت ابن حبان رحمه الله هذه المرتبة وقررها في ضوء الأحاديث النبوية الدالة عليها.

فروى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتجون إبلكم هذه، هل تحسون فيها من جدعاء؟**» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: فاقرؤا إن شئتم ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا**

تبديل لخلق الله ﴾[1].

وقال أبو حاتم بن حبان عقب إيراده لهذا الحديث: «قوله ﷺ: **«فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»** مما نقول في كتبنا: إن العرب تضيف الفعل إلى الأمر كما تضيفه إلى الفاعل فأطلق ﷺ اسم التهود والتنصر والتمجس على من أمر ولده بشيء منها بلفظ الفعل لا أن المشركين هم الذين يهودون أولادهم أو ينصرونهم أو يمجسونهم دون قضاء الله عز وجل في سابق علمه في عبيده»[2].

وروى أيضاً بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما لما قيل له: إنك تقول: إن القلم قد جف فقال رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله جل وعلا خلق الناس في ظلمة ثم أخذ نوراً من نوره فألقاه عليهم، فأصاب من شاء، وأخطأ من شاء، وقد علم من يخطئه ممن يصيبه، فمن أصابه من نوره شيء اهتدى، ومن أخطأه فقد ضل»** ففي ذلك ما أقول: إن القلم قدجف[3].

وهذا الحديث صريح في إثبات علم السابق بالأشياء كلها، ومن ذلك؛ الاهتداء والاضلال ولذلك قال في الحديث: **«وقد علم من يخطئه ممن يصيبه»** وترجم ابن حبان لهذا الحديث بما يثبت مرتبة العلم بقوله: (ذكر الاخبار عن علم الله جل وعلا من يصيبه من ذلك النور أو يخطئه عند خلقه الخلق في الظلمة)[4].

وهذه المرتبة التي أثبتها ابن حبان، يثبتها أهل السنة والجماعة، فيكون بذلك موافقاً لهم في إثباتها كما وردت بذلك نصوص الكتاب السنة.

ومن أدلة أهل السنة والجماعة على إثبات هذه المرتبة من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾**[5].

ومفاتح الغيب قد فسرها رسول الله ﷺ بأنها خمس لا يعلمها إلا الله، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله سبحانه: **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس**

---

(١) أخرجه البخاري: (٦٥٩٩) في القدر: باب الله أعلم بما كانوا عاملين، و«مسلم»: (٢٦٥٨) في القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وابن حبان في «صحيحه»: (١٣٠) في الإيمان: باب الفطرة.

(٢) «الإحسان»: (١/ ٢٣٩).

(٣) أخرجه أحمد: (٢/ ١٩٧) والحاكم: (١/ ٣٠)، والترمذي: (٢٦٤٢) في الإيمان: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وحسنه الأجرى في «الشريعة» (١٧٥).

(٤) «الإحسان»: (١٤/ ٤٤).

(٥) سورة الإنعام: الآية ٣٤.

ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾[١].

والآية دلت على أن الله سبحانه وتعالى محيط علمه بجميع الموجودات برّيها وبحريها، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، فهو يعلم حركة الجمادات، ومن باب أولى غيرها من الحيوانات، وبني الإنسان المكلفين[٢]، وقد أحاط علمه سبحانه وتعالى بكل حبة كائنة في ظلمات الأرض من الأمكنة المظلمة، أو النبات الذي في بطن الأرض قبل أن يظهر[٣].

٢- قوله تعالى: **﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾**[٤] فلا يخرج عن علمه شيء منها كائنا ما كان، فإحاطته سبحانه بكل شيء علما يدل على ثبوت صفة العلم لله المتصف به أزلا والشامل لكل شيء.

واستدل أهل السنة والجماعة على إثبات هذه المرتبة بالسنة النبوية، ومن أدلتهم:

١- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رجل يا رسول الله: أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «**نعم**»، قال: ففيم يعمل العاملون؟ قال: «**كل ميسر لما خلق له**»[٥] فبين النبي ﷺ أن الله عز وجل قد علم أهل الجنة وأهل النار، وهذا يدل على علمه المحيط بلك شيء والشامل لكل شيء.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[٦] والشاهد قوله: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» بالنسبة لأولاد المشركين والمسلمين، ومعنى ذلك أنهم لو عاشوا فإن الله عالم بأعمالهم خيرها وشرها فهو سبحانه يعلم ما كان وما لم يكن لو كان كيف يكون.

٣- الأحاديث التي استدل بها ابن حبان في إثبات مرتبة العلم والتي سبق ذكرها مما يستدل به أهل السنة والجماعة على إثبات مرتبة العلم.

والأدلة على إثبات مرتبة العلم من الكتاب والسنة كثيرة جداً، اقتصرت على بعض منها إذ

---

(١) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير: (٣/ ٢٦٠).

(٣) تفسير النسفي: (٥/ ١٨١).

(٤) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٥) أخرجه مسلم: (٢٦٤٩) في القدر: باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

(٦) أخرجه البخاري: (١٣٨٤) في الجنائز: باب ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم: (٢٢٦٠) في القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.



المقصود إنما هو بيان ثبوت هذه المرتبة عند السلف الصالح، وقد جمع ابن القيم رحمه الله تعالى أدلة هذه المرتبة في كتابه القيم: «شفاء العليل» بما لا مزيد عليه.

• المطلب الثاني: مرتبة الكتابة

وهي أن الله عز وجل، كتب مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ أو الكتاب المبين أو الإمام المبين أو الكتاب المسطور، وهو الكتاب الذي لم يفرط فيه الله من شيء فكل ما جرى ويجري وما كائن في المستقبل، فهو مكتوب عند الله تعالى.

وقد أثبت ابن حبان رحمه الله هذه المرتبة من مراتب القدر كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، وقد استدل رحمه الله تعالى على إثبات هذه المرتبة بالعديد من الأحاديث النبوية، ومنها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**حين خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه الرحمة أن رحمتي غلبت غضبي**»[١] وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر البيان بأن كتبة الله الكتاب الذي ذكرناه كتبه بيده»[٢].

٢- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أنه قال لأبي الأسود الديلي: يا أبا الأسود أرأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضي، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ، واتخذت به الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضي عليهم، قال: فيكون ذلك ظلماً؟ قال: ففزعت من ذلك فزعاً شديداً، فقلت: إنه ليس شيء إلا خلق الله وملك يده، ما يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال عمران: سدّدك الله، أو وفقك الله، أما والله ما سألتك إلا لأحزر عقلك. إن رجلا من مزينة أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم، ومضى عليهم، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم، واتخذت عليهم به الحجة؟ فقال: «بل شيء قضي عليهم، ومضى عليهم» قال: فلم نعمل إذاً؟ قال: «من كان خلقه الله لواحدة من المنزلتين فهو يستعمل لها وتصديق ذلك في كتاب الله: **﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾**»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي: (٣٥٤٣) في الدعوات: باب خلق الله منه رحمة، وابن ماجة: (٤٢٩٥) في الزهد: باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، وأحمد: (٢/٤٣٢)، وابن حبان في «صحيحه»: (٦١٥) في التاريخ: باب بدء الخلق.

(٢) «الإحسان»: (١٤/١٤).

(٣) أخرجه أحمد: (٤/٤٣٨)، ومسلم: (٢٦٥٠) في القدر: «باب كيفية الخلق الآدمي، وابن حبان في «صحيحه»: (٦١٢) في التاريخ: باب بدء الخلق.

وترجم لهذا الحديث بقوله: «**ذكر كتبة الله جل وعلا أولاد آدم لداري الخلود واستعماله إياهم لهما في دار الدنيا**»[1].

وهاتان الترجمتان من ابن حبان لهذين الحديثين صريحتان في إثباته رحمة الله لمرتبة الكتابة لكل شيء، ومن ذلك؛ أهل الجنة وأهل النار وما هم عاملون في الدنيا.

وبهذا النقل عن ابن حبان يتضح موافقته لأهل السنة والجماعة في إثبات هذه المرتبة. وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات هذه المرتبة بالكتاب العزيز والسنة النبوية.

فأما الأدلة من الكتاب العزيز فمنها:

١- قوله تعالى: ﴿**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير**﴾[2] وهذه الآية من أوضح الأدلة الدالة على علمه تعالى المحيط بكل شيء وأنه علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، فهذه الآية جمعت بين إثبات مرتبة العلم ومرتبة الكتابة.

٢- قوله تعالى: ﴿**وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين**﴾[3] أي: خفية أو سر من أسرار العالم العلوي والسفلي، إلا في كتاب مبين، قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان ويكون إلى أن تقوم الساعة، فما من حادث جلي أو خفي إلا وهو مطابق لما كتب في اللوح المحفوظ فالآية دليل على الكتابة السابقة لكل ما سيقع.

وأما الأدلة من السنة النبوية فمنها:

١- حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[4]

والدليل من الحديث: قوله: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض**» فالمراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له.

٢- حديث جابر رضي الله عنهما قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم رضي الله عنه قال: يا رسول الله بيّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير،

---

(١) «الإحسان»: (١٤/١٥).

(٢) سورة الحج: الآية ٧٠.

(٣) سورة النمل: الآية ٧٥.

(٤) أخرجه مسلم: (٣٦٥٣) في القدر: باب حجاج آدم وموسى، والترمذي: (٢١٥٦) بلفظ: قدر الله المقادير.



أم فيما نستقبل؟ قال: «**لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**»، قال: ففيم العمل؟ قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر**»[1]. وهذا يبين أن ما مضت به المقادير وسبق علم الله تعالى به قد تمت كتابته في اللوح المحفوظ، وجفت به القلم الذي كتب به وامتنعت فيه الزيادة والنقصان.

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات هاتين الدرجتين ـ العلم والكتابة ـ فقال رحمه الله: (فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق، فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: ما اكتب قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصبه جفت الأقلام وطويت الصحف، كما قال تعالى: ﴿**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير**﴾[2]، وقال: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علىٰ الله يسير**﴾[3] وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ونحو ذلك، فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكروه اليوم قليل)[4].

ومن المناسب هاهنا ذكر التقادير التي تتعلق بمرتبة العلم، مرتبة الكتابة وهي بإيجاز:

١ـ التقدير الأول: كتابة ذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة لما خلق الله القلم.

٢ـ التقدير حين أخذ الميثاق على بني آدم وهم على ظهر أبيهم آدم.

٣ـ التقدير العمري عند أول تخليق النطفة.

٤ـ التقدير الحولي في ليلة القدر.

٥ـ التقدير اليومي.

---

(١) أخرجه مسلم: (٢٦٤٨) في القدر: باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٠.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٢

(٤) «العقيدة الواسطية»: ص ١٥٤.

• المطلب الثالث: مرتبة المشيئة

وهي الإيمان بمشيئة الله تعالي النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون في السموات ولا في الأرض إلا بمشيئة الله عز وجل فلا يكون في ملكه إلا ما يريد.

وقد أثبت ابن حبان رحمه الله تعالي هذه المرتبة وقررها كما وردت بذلك آيات الكتاب العزيز وأحاديث السنة النبوية.

أدلة ابن حبان على إثبات هذه المرتب:

استدل رحمه الله تعالى على إثبات مرتبة المشيئة بالعديد من الأحاديث التي أخرجها في كتابه الصحيح ومنها:

١- عن طاووس اليماني رحمه الله قال: أدركت ناساً من أصحاب النبي ﷺ يقولون: كل شيء بقدر، فسمعت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز**»[(١)] وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر الإخبار بأن كل شيء بمشيئة الله جل وعلا وقدرته سواء كان محبوباً أو مكروهاً»[(٢)]، فهذه الترجمة منه لهذا الحديث صريحة في أنه يرى أن كل شيء في هذا الكون من خير وشر أو محبوب ومكروه لا يقع إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته.

٢- عن عبدالله بن رضي الله عنهما أنه دخل عليه ابن الديلمي فقال لابن عمر: إنهم يزعمون أنك تقول: الشقي من شقى في بطن أمه؟ فقال: لا أحل لأحد يكذب عليّ. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله خلق خلقه من ظلمة وألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأ ضل**» فلذلك أقول: جف القلم عن علم الله جل وعلا[(٣)]. وترجم لهذا الحديث بقوله: «**ذكر إلقاء الله جل وعلا النور على من شاء من خلقه هدايته**»[(٤)].

ومن هاتين الترجمتين لهذين الحديثين يتضح موافقة ابن حبان رحمه الله لأهل السنة والجماعة في إثبات مرتبة المشيئة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الإحسان»: (١٤/١٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) «الإحسان»: (١٤/٤٣).





وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات هذه المرتبة بالكتاب العزيز والسنة النبوية.

فأما الأدلة من الكتاب العزيز فمنها:

١- قوله تعالى: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير**﴾[١] فقد أوضح الله عز وجل في هذه الآية وغيرها من الآيات أن حوادث الدنيا من إعطاء ومنع وإعزاز وإذلال وغير ذلك كله يجرى وفق مشيئة الله جل وعلا فما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

٢- قوله تعالى: ﴿**هو الذي يصوركم في الإرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾[٢] فهو سبحانه وتعالى الذي يصور الخلق في الأرحام كيف يشاء ذكوراً وإناثاً، أشقياً، وسعداء مختلفين في صفاتهم وأشكالهم حسناً وقبحاً، فلا يخرج أحد كائناً ما كان عما شاءه تعالى وقضاه. والآيات في إثبات مشيئة الله النافذة وقدرته الكاملة أكثر من أن تحصىٰ.

وأما الأدلة من السنة النبوية فمنها:

١- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**» ثم قال ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[٣]، والشاهد قوله: «**كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**» فمعناه: أنه سبحانه وتعالي مصرف في قلوب العباد كلهم فيهدي من شاء ويضل من شاء له الحكمة البالغة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

٢- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**»[٤] فأوصى ﷺ بالشفاعة وذلك فيما ليس بمحرم، وضابطها: ما أذن فيه الشرع دون ما لم يأذن فيه، ثم بين أن ذلك يقضى على لسان رسوله ما شاء، أي يظهر على لسان رسوله بالوحي أو الإلهام ما قدره في علمه بأنه سيقع فهذا يدل على مرتبة المشيئة[٥].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦

(٣) أخرجه مسلم: (٢٦٥٤) في القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٣٢) في الزكاة: باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، ومسلم: (٢٦٢٧) في البر والصلة والآداب: باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام.

(٥) «فتح الباري»: (١٣/٤٥٢).

وقد بين السلف رحمهم الله هذه المرتبة أتم بيان لئلا يلتبس الحق بالباطل كما فعل ذلك من ضل في القدر من القدرية والجبرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر أن الله خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن وأن الله يضل ما يشاء ويهدي ما يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بقدرتهم ومشيئتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم: «إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله»)[1].

وقال الطحاوي رحمه الله: (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله لهم، فما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن، يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي فضلاً وعدلاً وكلهم متقلبون في مشيئته بين فضله وعدله)[2].

وبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه المرتبة فقال: (وأما الدرجة الثانية فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان باب ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه: لا يكون في ملكه ما لا يريد)[3].

وإثبات المشيئة مما أجمعت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام وفطر الله الخلق عليه، قال ابن القيم رحمه الله: (وقد دل على ذلك - أي على إثبات المشيئة - إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول وليس في الوجود موجب ومقتضى إلا بمشيئة الله وحده فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن)[4].

وقال الصابوني رحمه الله تعالى: (ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله مريد لجميع أفعال العباد خيرها وشرها، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته ولم يكفر أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء إلا يعصى ما خلق إبليس، فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره وإرادته ومشيئته، أراد كل شيء وشاءه وقضاه ويرضى الإيمان والطاعة

(١) «مجموع الفتاوى»: (٨/٤٥٩).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية»: ص ١٠٣-١٠٧.

(٣) «العقيدة الواسطية»: ص ١٥٦.

(٤) «شفاء العليل»: ص ١٠٩.





ويسخط الكفر والمعصية)[١].

فهذه النقول عن هؤلاء الأئمة الأعلام تبين اتفاق السلف قاطبة على إثبات مشيئة الله النافذة فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، وقد سلك ابن حبان رحمه الله منهج السلف في إثبات هذه المرتبة كما سبق بيانه فما قبل.

• المطلب الرابع: مرتبة الخلق والإيجاد

جاءت أدلة الكتاب والسنة ببيان أن الله تعالى خالق كل شيء، فهو الذي خلق الخلق وكونهم وأوجدهم، ومن ذلك أفعال العباد، فهو الخالق وحده عز وجل، وما سواه مخلوق، ولا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه، وهذه المرتبة هي محل النزاع بين أهل السنة ومن خالفهم من القدرية والجبرية.

إثبات ابن حبان لهذه المرتبة:

قرر ابن حبان رحمه الله تعالي هذه المرتبة وأثبتها كما نطقت بذلك الأدلة من الكتاب والسنة، واستدل على إثباتها بالعديد من الأحاديث التي رواها في صحيحه ومنها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب عنده غلبت أو قال: سبقت رحمتي غضبي، قال: فهو عنده فوق العرش**»[٢] أو كما قال.

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان باب قوله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق**» أراد به لما قضى خلقهم)[٣].

٢- حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وفيه قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[٣] وابتداء بهذا الحديث باب « بدء الخلق » الذي أورده في صحيحه.

فإيراده لهذين الحديثين وغيرهما من الأحاديث الأخرى يدل على إثباته لهذه المرتبة، من مراتب القدر فيكون بذلك قد اتفق مع أهل السنة والجماعة وسلك سبيلهم في إثبات هذه المرتبة.

وهذه المرتبة ـ مرتبة الخلق ـ والتي ضل فيها من ضل من القدرية والجبرية، وهدى الله أهل

---

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: ص ٨١.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «الإحسان»: (١٤/ ١٣).

(٤) تقدم تخريجه.

السنة والجماعة للحق فيها، قد جاءت نصوص الكتاب والسنة بإثباتها.

أدلة الكتاب العزيز في إثبات هذه المرتبة:

١- قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام وجداله مع قومه لما كسر أصنامهم فقال لهم كما حكى الله عنه: ﴿**أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون**﴾[١]. أي: خلقكم وعملكم، فتكون «ما» مصدرية، وقيل: إنها بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم وهو الأصنام.

وقد ذكر ابن كثير القولين ثم قال: (وكلا القولين متلازم والأول أظهر)[٢]، أما ابن القيم رحمه الله فقد أورد هذا الدليل ثم قال: (فإن كان «ما» مصدرية كما قدره بعضهم فالاستدلال ظاهر وليس بقوي إذ لا تناسب بين إنكاره عليهم عبادة ما ينحتون بأيديهم وبين إخبارهم بأن الله خالق أعمالهم من عبادة تلك الآلهة ونحتها وغير ذلك، فالأولى أن تكون «ما» موصولة، أي والله خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم فهي مخلوقة له لا آلهة شركاء معه، فأخبر أنه خلق معمولهم وقد خلق عملهم وصنعهم، ولا يقال: المراد مادته، فإن مادته غير معمولة لهم، وإنما يصير معمولا بعد عملهم)[٣].

٢- قوله تعالى: ﴿**الله خالق كل شيء**﴾[٤] وفي آية أخرىٰ قوله تعالى: ﴿**ذلكم الله ربكم خالق كل شيء**﴾[٥] وهذه نصوص واضحة في الدلالة على مرتبة الخلق، فالآية الأولى جاءت في معرض إنكار أن يكون للشركاء خلق كخلقه - سبحانه وتعالى - فنفى سبحانه ذلك وأمر رسوله ﷺ أن يقرر هذه الحقيقة وهي انفراد الله وحده بالخلق والرزق.

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على أن الله تعالى - هو المضل، والهادي، والمؤيد لأوليائه والهازم لأعدائهم، وأن المضحك والمبكي، والمميت والمحيي، وكل ذلك دليل على إثبات مرتبة الخلق.

الأدلة من السنة النبوية:

١- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما قال رسول الله ﷺ يقول،

---

(١) سورة الصافات: الآيتان ٩٥-٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير: (٧/٢٢).

(٣) «شفاء العليل»: ص ١٣٩.

(٤) سورة الرعد: الآية ١٦.

(٥) سورة غافر: الآية ٦٢.



كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ...**»[1] الحديث والشاهد قوله: «**اللهم آت نفسي تقواها وزكها ..**» فالفاعل هو الله تعالي فهو الذي يطلب منه ذلك، ولفظ (خير) ليس للتفضيل، بل لا مزكي للنفس إلا الله تعالى ولهذا قال بعد ذلك: أنت وليها ومولاها. فهو سبحانه الملهم للنفس الخير والشر قال تعالى: ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾[2][3].

٢- عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»[4] فأوضح ﷺ أن الصناعات وأهلها مخلوقة لله تعالى.

٣- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول:

والله لـولا الله مـا اهتدينـا ... ولا صمنـا ولا صلينـا
فأنزلـن سكينـة علينـا ... وثبت الأقدام إن لاقينـا
والمشركون قد بغوا علينـا ... إذا أرادوا فتنـة أبينـا[5]

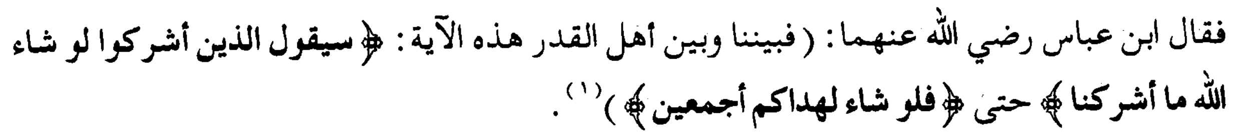
وفي رواية أخرى للبخاري: (ولا تصدقنا ولا صلينا) بدل (ولا صمنا ولا صلينا)، وبهذه الرواية يستقيم الوزن، قال ابن حجر: وهو المحفوظ[6]، ودليل هذه المرتبة قوله: لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا، فإنها دليل على أن الله هو الخالق للعباد ولأفعالهم، ومنها الهداية والصدقة والصلاة.

الآثار الدالة على إثبات هذه المرتبة:

تعددت الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في ثبات هذه المرتبة والإنكار على من جحدها، ومن تلك الآثار:

١- عن ابن طاوس عن أبيه أن رجلاً قال لابن عباس: إن أناسا يقولون: إن الشر ليس بقدر

(١) أخرجه مسلم: (٢٧٢٢) في الذكر والدعاء: باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل
(٢) سورة الشمس: الآية ٨.
(٣) شرح النووي على مسلم: (١٧/ ٤١).
(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد: (ص ٣٩ برقم ١١٧).
(٥) أخرجه مسلم: (١٨٠٣) في الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق.
(٦) «فتح الباري»: (١١/ ٥١٦).



فقال ابن عباس رضي الله عنهما: (فبيننا وبين أهل القدر هذه الآية: ﴿ **سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا** ﴾ حتى ﴿ **فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾)[١].

٢- عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (العجز والكيس من القدر)[٢].

٣- كان عبدالله بن الزبير يقول في خطبته: (إن الله هو الهادي والفاتن)[٣].

٤- وقال الحسن: (من كفر بالقدر فقد كفر بالإسلام، ثم قال: إن الله عز وجل خلق خلقا فخلقهم بقدر وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر)[٤].

٥- قال البخاري رحمه الله في خلق أفعال العباد: (سمعت عبدالله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع من أصحابنا يقول: إن أفعال العباد مخلوقة)[٥].

٦- وقال مالك بن أنس: (ما أضل من كذب بالقدر، لو لم يكن عليهم فيه حجة إلا قوله عز وجل: ﴿ **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾ لكفى بها حجة)[٦].

٧- وقال أبو بكر المروزي: (سئل أبو عبدالله ـ أي الإمام أحمد ـ عن الزنا بقدر؟ فقال: الخير والشر بقدر، ثم قال: الزنا والسرقة، وذكر عن سالم ابن عباس أنهم قالوا: الزنا والسرقة بقدر)[٧].

فهذه جملة من الآثار الوارد عن السلف في إثبات أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء ومن ذلك أفعال العباد، خيرها وشرها حسنها وقبيحها.

وجرى على هذا أهل السنة والجماعة في مصنفاتهم في العقائد، فهذا أبو عثمان الصابوني رحمه الله يقول: (ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى لا يمترون فيه ولا يعُدّون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه، ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله عليه ولا عذر له لديه ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره لا مرد لهما ولا محيص ولا محيد عنهما)[٨].

---

(١) مصنف عبدالرزاق: (١١/١١٤) وسنده صحيح.
(٢) المصدر السابق: (١١/١٧)، خلق افعال العباد (ص ٤٠) وسنده صحيح.
(٣) «الموطأ»: (٣/٩٣) وسنده صحيح.
(٤) «الشريعة»: (ص ٢١٧) وسنده صحيح.
(٥) خلق أفعال العباد: (ص ٤١).
(٦) «الشريعة»: (ص ٢٢٦).
(٧) مسائل الإمام احمد لابي داود: (ص ٢٧٢) دار المعرفة، بيروت.
(٨) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (ص ٧٥-٧٨).





وقال البغوي رحمه الله تعالى: (الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد،خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم، قال الله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ وقال الله عز وجل: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ وقال الله عز وجل: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾، فالإيمان والكفر والطاعة والمعصية كلها بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته، وقال أيضاً: فالعبد له كسب، وكسبه مخلوق يخلقه الله حالة ما يكسب، والقدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلاً)[1].

وقال ابن قدامة رحمه الله: (خلق الخلائق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته ..)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان هذه المرتبة: (وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه ... والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم.

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها)[3].

فهذه عقيدة السلف في هذه المرتبة جاءت وسطا بين القدرية والجبرية وقائمة على أصول مستمدة من الكتاب والسنة فمن سار عليها اهتدى ومن حاد عنها هلك.

---

(١) «شرح السنة للبغوي»: (١/١٤٢-١٤٤).

(٢) «لمعة الاعتقاد»: (ص ٢٠).

(٣) «العقيدة الواسطية»: (ص ١٦١).

المبحث الرابع:
الاحتجـاج بالقـدر

***تمهيـد:**

من أهم القضايا التي تثار في عقيدة الإيمان ـ قضية الاحتجاج بالقدر ـ وذلك أن كثيراً ممن يقع منهم أعمال مخالفة للشرع، يحتجون بالقدر على أعمالهم المخالفة، بل وصل الأمر عند بعضهم إلى عدم التفريق بين الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، ومنشأ هذا الخطأ عند هؤلاء يكمن في عدم تفريقهم بين مشيئة الله وإرادته وبين محبته ورضاه، فجعلوا الإرادة والمشيئة والرضا والمحبة شيئاً واحد.

قال الباقلاني: (واعلم أنه لا فرق بين الإرادة المشيئة والرضا والمحبة .... واعلم أن الاعتبار في ذلك كله بالمآل لا بالحال، فمن رضى سبحانه عنه، لم يزل راضياً عنه لا يسخط عليه أبداً، وإن كان في الحال عاصياً، ومن سخط عليه فلا يزال ساخطاً عليه ولا يرضى عليه أبداً وإن كان في الحال مطيعاً)[١].

ولا شك أن ما ذهب إليه هؤلاء في التسوية بين الإرادة والمشيئة والمحبة والرضا، مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة، وهو ما يراه أهل السنة والجماعة، وفيما يلي سياق موجز لما يستدل به أهل السنة والجماعة على أن الإرادة لا تستلزم الرضا والمحبة، بل بينهما فرق.

أولاً: من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء**﴾[٢] فهذا من نصوص المشيئة والإرادة.

وقال تعالى: ﴿**والله لا يحب الفساد**﴾[٣] وقال تعالى: ﴿**ولا يرضى لعباده الكفر**﴾[٤] وهذا

---

(١) «الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» للباقلاني: (ص ٤٤، ٤٥) ط ٢، ١٣٨٢، مطبعة السنة المحمدية.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

(٤) سورة الزمر: الآية ٧.







من نصوص المحبة والرضا، فالآية الأولى وما في معناها، دلت على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ـ كما هو إجماع المسلمين ـ والآية الأخرى وما في معناها كذلك، دلت على أن هناك أشياء يكرهها الله تعالى، ولا يحبها ولا يرضاها، فدل ذلك على افتراق المشيئة عن المحبة.

ثانيا: من السنة النبوية:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(١) فهذه كراهة لموجود تعلقت به مشيئة الله تعالى والأحاديث في هذا كثيرة جداً.

ثالثا: الفطرة الصحيحة:

وذلك أن الله تعالى قد فطر عباده على أن يقولوا: هذا الفعل يحبه الله، وهذا يكرهه الله وفلان يفعل ما يبغضه الله ... والكل واقع بقدره الله ومشيئة، فدل ذلك على أن بينهما فرقاً(٢).

رابعا: العقل:

إذ لا يمتنع في بداهة العقول أن يريد الإنسان شيئاً وهو لا يحبه كما في شرب المريض الدواء وهو كاره له(٣).

فهذه هي أدلة أهل السنة فيما ذهبوا إليه، ولهذا فإن الإرادة عند أهل السنة نوعان:

أحدهما: نوع بمعنى المشيئة العامة، وهذه هي الإرادة الكونية القدرية، فهذه الإرادة كالمشيئة شاملة لكل ما يقع في هذا الكون، وهي لا تستلزم المحبة وليست بمعناها.

والثاني: نوع بمعنى المحبة والرضى، وهذه الإرادة الدينية الشرعية، وهذه الإرادة هي المستلزمة للمحبة والرضى، وهي المستلزمة للأمر(٤)، فمن فهم المراد بأن هناك فرقاً بين المشيئة والمحبة فقد انجلى له الأمر أو كما قال ابن القيم رحمه الله: (والذي يكشف هذه النعمة، ويبّصر من هذه العماية، وينجي من هذه الورطة، إنما هو التفريق بين ما فرق الله بينه، وهو المشيئة والمحبة، فإنهما ليسا واحدا ولا هما متلازمين)(٥).

---

(١) اخرجه البخاري: (٥/٦٨، ح ٢٤٠٨) في الاستعراض: باب ما ينهى عن إضاعة المال، ومسلم: (٣/١٣٤١، ح ١٧١٥) في الأقضية: باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة.

(٢) «مدارج السالكين»: (١/٢٥٤، ٢٥٥).

(٣) «منهاج السنة النبوية»: (٢/٣٥-٣٦)

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٨/٢٢، ٢٣)، (١٧/١٠١)، (١٨/١٣٢).

(٥) «مدارج السالكين»: (٢/١٩٢).

رأي ابن حبان في الاحتجاج بالقدر:

عرض ابن حبان رحمه الله لهذه المسألة وأبطل الاحتجاج بالقدر عند ارتكاب الذنوب، وبيّن رحمه الله بأنه على المرء أن يجتهد فيما يقربه إلى الله تعالى ويشمر عن نفسه في سبيل مرضاة الله جل وعلا، واستدل على بطلان الاحتجاج بالقدر عند ارتكاب المعصية بالعديد من الأحاديث التي أوردها في صحيحه ومنها:

١- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في جنازة، فأخذ عوداً فجعل ينكث به في الأرض، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة» فقال رجل: ألا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر» ثم قرأ: ﴿**فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى**﴾[١] وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر ما يجب على المرء من ترك الإتكال على قضاء الله دون التشمير فيما يقربه إليه)[٢]، فهو رحمة الله يقرر بأن على المرء أن يعمل فيما يقربه إلى الله تعالى من أفعال الخير من الطاعات والقربات، ولا يترك الإقدام على الطاعة إتكالاً على ما سبق في علم الله لما يكون عليه، بل عليه العمل ولا يتكل على القدر فكل ميسر لما خلق.

٢- عن جابر رضي الله عنهما أنه قال: قلت يا رسول الله: أنعمل لأمر قد فرغ منه أم لأمر نأتنفه؟ قال: «لأمر فرغ منه» قال: ففيم العمل إذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**كل عامل ميسر لعمله**»[٣] وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ترك الإتكال على القضاء النافذ دون إتيان المأمورات والانزجار عن المحظورات»[٤].

وما ذهب إليه ابن حبان من إبطال الاحتجاج بالقدر عن فعل المعصية مما يتفق به مع أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وعلى االعبد أن يؤمن بالقدر، وليس له أن يحتج به على الله فالإيمان به هدى، والاحتجاج به على الله ضلال وغي، بل الإيمان بالقدر يوجب أن

---

(١) أخرجه البخاري: (٤٩٤٦) في التفسير: باب ﴿**فسنيسره لليسرى**﴾، ومسلم: (٢٦٤٧) في القدر: باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وابن حبان في صحيحه «الإحسان»: (٣٣٤) كتاب البر والإحسان: باب ما جاد في الطاعات وثوابها.

(٢) «الإحسان»: (٢/٤٥).

(٣) أخرجه مسلم: (٢٦٤٨) في القدر: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وابن حبان في صحيحه «الإحسان»: (٣٣٦) كتاب البر والإحسان: باب ما جاء في الطاعات وثوابها.

(٤) «الإحسان»: (٢/٤٨).



يكون العبد صباراً شكوراً، صبوراً على البلاء شكوراً على الرخاء، إذا أصابته نعمة علم أنها من عند الله هو الذي يسر عمل الحسنات، وهو الذي تفضل بالثواب عليها فله الحمد على ذلك وإذا اصابته مصيبة صبر عليها، وإن كانت تلك المصيبة قد جرت على يد غيره، فالله هو الذي سلط ذلك الشخص، وهو الذي خلق أفعاله، وكانت مكتوبة على العبد، وعليه إذا أذنب أن يستغفر الله ويتوب، ولا يحتج على الله بالقدر، ولا يقول: أي ذنب لي وقد قدر علي هذا الذنب؟ بل يعلم أنه المذنب العاصي الفاعل للذنب، وإن كان ذلك كله بقضاء الله وقدره ومشيئته، إذ لا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته وخلقه لكن العبد هو الذي أكل الحرام وفعل الفاحشة، وهو الذي ظلم نفسه ... والله خالق ذلك وغيره من الأشياء لما له في ذلك من الحكمة البالغة بقدرته التامة ومشيئته النافذة قال تعالى: ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾ فعلى العبد أن يصبر على المصائب وأن يستغفر من المعائب)[1].

وله أيضاً كلام نفيس في غاية الوضوح والبيان وقوة الحجة والبرهان أبطل به شبهة من يحتج بالقدر عندما سئل عن أقوام يحتجون بسابق القدر، ويقولون: إنه قد مضى الأمر والشقي شقي والسعيد سعيد، محتجين بقول الله سبحانه: **﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾**[2] قائلين بأن الله قدر الخير والشر، والزنا مكتوب علينا، وما لنا في الأفعال قدره.

فأجاب رحمه الله تعالى بقوله: (وقول هؤلاء يظهر بطلانه من وجوه:

أحدهما: أن الواحد من هؤلاء إما أن يرى القدر حجة للعبد وإما أن لا يراه حجة للعبد، فإن كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس، فإنهم كلهم مشتركون في القدر وحينئذ فيلزم أن لا ينكر على من يظلمه ويشتمه، ويأخذ ماله ويفسده حريمه ويضرب عنقه ويهلك الحرث والنسل، وهؤلاء جميعهم كذابون متناقضون، فإن أحدهم لا يزال يذم هذا ويبغض هذا، ويخالف هذا، حتى أن الذي ينكر عليهم يبغضونه ويعادونه، وينكرون عليه فإن كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات لزمهم أن لا يذموا أحدا ولا يبغضوا أحدا فعله، ولو فعل الناس هذا لهلك العالم، فتبين أن قولهم فاسد في العقل كما أنه كفر في الشرع وأنهم كذابون مفترون في قولهم: إن القدر حجة للعبد.

الوجه الثاني: إن هذا يلزم منه أن يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وعاد وكل من أهلكه الله

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٢/ ٤٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠١.

بذنوبه معذوراً، وهذا من الكفر الذي اتفق عليه أرباب الملل.

الوجه الثالث: إن هذا يلزم منه انه لا فرق بين أولياء الله وأعداء الله، ولا بين المؤمنين والكفار ولا أهل الجنة وأهل النار، وقد قال تعالى: ﴿**وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أن نجعل المتقين كالفجار**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**﴾[3]. وذلك أن هؤلاء انقسموا إلى سعيد بالإيمان والعمل الصالح، وإلى شقي بالكفر والفسق والعصيان فعلم بذلك أن القضاء والقدر بحجة لأحد على معاصي الله.

الوجه الرابع: أن القدر نؤمن به ولا نحتج به، فمن احتج بالقدر فحجته داحضة، ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول من الخلق لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولو كان القدر حجة لم تقطع يد سارق ولا قتل قاتل، ولا أقيم حد على ذي جريمة ولا جوهد في سبيل الله ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر.

الوجه الخامس: إن النبي ﷺ سئل عن هذا فقال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار**» فقيل: يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على القدر؟ قال: لا، «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**» رواه البخاري ومسلم.

وفي حديث آخر ـ في الصحيح ـ: «أنه قيل: يا رسول الله: أرايت ما يعمل الناس فيه ويكدحون، أفيما جفت به الأقلام وطويت به الصحف؟ أم فيما يستأنفون مما جاءهم؟» أو كما قيل ـ فقال: «بل فيما جفت به الأقلام وطويت به الصحف» فقيل: ففيم العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

الوجه السادس: أن يقال: إن الله علم الأمور وكتبها على ما هي عليه، فهو سبحانه قد كتب أن فلاناً يؤمن ويعمل صالحاً فيدخل الجنة، وفلاناً يعصي ويفسق فيدخل النار، كما علم وكتب أن فلاناً يتزوج امرأة، ويطؤها فيأتيه ولد، وأن فلانا يأكل ويشرب فيشبع ويروى، وأن فلانا يبذر البذر فتنبت الزرع.

---

(١) سورة فاطر: الآيات ١٩-٢٢.

(٢) سورة ص: الآية ٢٨.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢١.



فمن قال: إن كنت من أهل الجنة فأنا أدخلها بلا عمل صالح كان قوله قولاً باطلاً متناقضاً، لأنه علم أنه يدخل الجنة بعمله الصالح، فلو دخلها بلا عمل كان هذا مناقضاً لما علمه الله وقدره.

ومثال ذلك: من يقول أنا لا أطأ امرأة، فإن كان قد قضى الله لي بولد فهو يولد، فهذا جهل، فإن الله إذا قضى بالولد قضى أن أباه يطأ امرأة فتحمل فتلد، وأما الولد بلا حبل ولا وطء، فإن الله لم يقدره ولم يكتبه، كذلك الجنة إنما أعدها الله للمؤمنين، فمن ظن أنه يدخل الجنة بلا إيمان كان ظنه باطلاً، وإذا اعتقد أن الأعمال التي أمر الله بها لا يحتاج إليها، ولا فرق بين أن يعملها أو لا يعملها، كان كافراً، والله قد حرم الجنة على الكافرين، فهذا الاعتقاد يناقض الإيمان الذي لا يدخل صاحبه النار.

وأما قوله تعالى: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون**﴾ فمن سبقت له من الله الحسنىٰ، فلابد أن يصير مؤمناً تقياً، فمن لم يكن من المؤمنين لم يسبق له من الله حسنى، ولكن إذا سبقت للعبد من الله سابقة استعمله بالعمل، الذي يصل به إلى تلك السابقة كمن سبق له من الله أن يولد له ولد، فلابد أن يطأ امرأة يحبلها، فإن الله سبحانه قدر الأسباب والمسببات، فسبق منه هذا وهذا، فمن ظن أن أحداً سبق له من الله حسنى بلا سبب فقد ضل، بل هو سبحانه ميسر الأسباب والمسببات، وهو قد قدر فيما مضى هذا وهذا.

وبهذا كله يظهر بطلان الاحتجاج بالقدر لمن فعل المعاصي واحتج به وحجته داحضة، بل الواجب الامتثال لما أمر الله تعالى به من التوبة والاستغفار عند ارتكاب الحوبات، والشكر والثناء على الله على فعل الطاعات والصبر والاحتساب عند وقوع المصائب والبليات، فالقدر يحتج به على المصائب لا على المعائب)[1]. فهذه سبيل السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ في مسألة الاحتجاج بالقدر، وقد سلك ابن حبان سبيلهم فيها، فجاء قوله موافقاً لما وردت به نصوص الكتاب والسنة

○ ○ ○

(١) «مجموع الفتاوى»: (٨/٢٦٣) وما بعدها.

المبحث الخامس:

تكليف ما لا يطاق

من القضايا التي اختلفت فيها آراء أهل الفرق - كل بحسب أصوله ومناهجه - مسألة تكليف ما لا يطيق، وكانت سبباً في نشوء الخلاف في مسائل القدر.

وقبل ذكر رأي ابن حبان في هذه المسألة، أذكر ما ذكره بعض المتكلمين من تقسيم لما لا يطاق، فقد ذكروا أن ما لا يطاق ثلاثة أنواع.

النوع الأول: الممتنع لذاته كالجمع بين النقيضين أو الضدين أو قلب الحقائق فهذا لا يجوز التكليف به إجماعاً.

النوع الثاني: المستحيل وقوعاً لعلم الله تعالى بعد وقوعه كإيمان أبي جهل فإنه ليس مستحيلاً لا عقلاً ولا عادة بل استحال وقوعاً لعلم الله بعدم وقوعه، فهذا النوع وقع التكليف به إجماعاً بلا خلاف؛ فأبو جهل كان مكلفاً بالإيمان، لكن لا يقال في مثله: إنه تكليف بما لا يطاق، لأن أبا جهل كان مقتدراً على الإيمان حيث لم تسلب عنه القدرة، وإنما اختار الكفر باختياره، فعاد النزاع فيه إلى تسمية تكليفاً بالمحال بعد التسليم بوقوعه.

النوع الثالث: المستحيل عادة لانتفاء شرط، أو وجود مانع كطيران الإنسان أو حمل جبل وهذا هو محل النزاع[1].

وهذه المسألة متعلقة بالتحسين والتقبيح العقليين، فالمعتزلة منعوا التكليف بما لا يطاق لأنه قبيح والله منزه عن فعل القبيح فلا يجوز صدوره منه.

وأما الأشاعرة فقد أجازوا التكليف به عقلاً وإن لم يقع في الشرع بدليل قوله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾[2].

وقد أجازوه عقلاً بناء على نفيهم للحسن والقبيح العقليين فقالوا إنه تعالى لا يقبح منه شيء

---

(١) «المواقف»: (ص ٣٣١)، و «المسايرة مع المسامرة»: (ص ١٧٩)، للكمال بن أبي شريف، ط الثانية، ١٣٤٧هـ، مطبعة السعادة بمصر.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.



ولا يجب عليه شيء، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾[1] بسؤالهم دفعه دليل على جواز وقوعه.

رأي ابن حبان في تكليف ما لا يطاق:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى عدم جواز التكليف بما لا يطاق واستدل لذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على النبي ﷺ هذه الآية: **﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾** أتوا النبي ﷺ فجثوا على الركب وقالوا: لا نطيق، لا نستطيع، كلفنا من العمل ما لا نطيق ولا نستطيع، فأنزل الله: «**﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾** إلى قوله: **﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾** فقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا ربنا وإليك المصير**» فأنزل الله: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾** قال: نعم. «**ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا**» قال: نعم. **﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾** قال: نعم[2].

وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر الإخبار عن نفي تكليف الله عباده ما لا يطيقونه. وما ذهب إليه ابن حبان هو ما يراه أهل السنة والجماعة، فإنهم يرون عدم جواز التكليف بالمحال مطلقاً لا عقلاً ولا شرعاً وأنه غير واقع[3].

أما نفي الوقوع، فاستدلوا بقوله تعالى: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**[4].

وأما عدم جواز عقلاً فلان عدل الله وحكمته ورحمته تأبى ذلك، والمخالفون لأهل السنة لما كانوا من نفاة الحكمة والتعليل ولهم مفهوم خاطىء في نفي الظلم عن الله أجازوا التكليف بالمحال عقلاً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: (ومثل هذا التكليف لم يكن واقعاً في

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (١٢٥) في الإيمان: باب أن الله سبحانه لم يكلف إلا ما يطاق، والإمام أحمد في «مسنده»: (٢/٤١٢)، وابن حبان في «صحيحه»: (١/٣٥٠، برقم ١٣٩) في باب التكليف: ذكر الإخبار عن نفي تكليف الله عباده ما لا يطيقون.

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٨/٤٦٩).

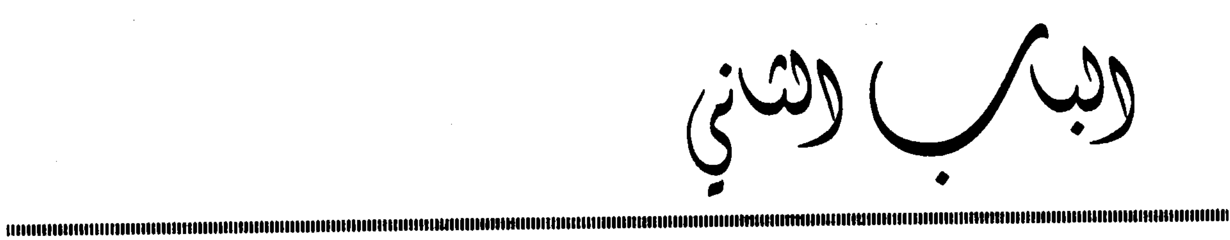
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

الشريعة باتفاق المسلمين إلا شرذمة قليلة من المتأخرين ادعوا وقوع مثل هذا التكليف في الشريعة ونقلوا ذلك عن الأشعري وأكثر أصحابه، وهو خطأ عليهم، وأما جواز هذا التكليف عقلاً فأكثر الأمة نفت جوازه مطلقاً، وجوزه عقلاً طائفة من المثبتة للقدر من أصحاب أبي الحسن الأشعري ومن وافقهم)[1].

ومما سبق يمكن القول بأن ابن حبان يتفق مع أهل السنة في هذه المسألة لأن الله تعالى قد أخبر أنه لا يفعل ذلك كما قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[2].

○ ○ ○

(١) «مجموع الفتاوى»: (٨/ ٤٧٠) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٤٤٩) وما بعدها.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.



الباب الثاني

آراء ابن حبان في النبوات

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: آراؤه في مفهوم النبوة ودلائلها.

الفصل الثاني: آراؤه في عصمة الأنبياء.

تمهيد

حاجة الناس إلى الرسل

أشار ابن حبان رحمه الله إشارة وجيزة إلى حاجة الناس للرسل حيث قال رحمه الله في مقدمة كتابه الصحيح:

أما بعد: (فإن الله جل وعلا انتخب محمداً ﷺ لنفسه وليا وبعثه إلى خلقه نبياً ليدعو الخلق من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن اتباع السبل إلى لزوم طاعته، حيث كان الخلق في جاهلية جهلاء، وعصبية مضلة عمياء يهيمون في الفتن حيارى، ويخوضون في الأهواء سكارى، يترددون في بحار الضلالة، ويجولون في أودية الجهالة، شريفهم مغرور، ووضيعهم مقهور. بعثه الله إلى خلقه رسولاً، وجعله إلى جناته دليلاً، فبلغ ﷺ عنه رسالاته، وبيّن المراد عن آياته، وأمر بكسر الأصنام ودحض الأزلام حتى أسفر الحق عن محضه وأبدى الليل عن صبحه، وانحط به أعلام الشقاق وانهشم به بيضة النفاق)[1].

فهذا كلام رصين ابن حبان رحمه الله أظهر فيه حاجة البشر إلى رسالة محمد ﷺ، والتي أنقذ الله بها البشر من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، من الشرك إلى التوحيد الخالص، وبها خلصوا من ظلمات الأهواء إلى نور الاقتداء.

ولهذا فإن حاجة الناس إلى الرسل فوق كل حاجة، وضرورتهم إلى معرفتهم ومعرفة ما جاءوا به فوق كل ضرورة، والنفوس أحوج إلى معرفة ما جاءوا به واتباعه منها إلى الطعام والشراب، فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا، وذاك إذا فات حصل العذاب، ولا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا باتباع الرسل وتصديقهم، وبهذا يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، وكذلك لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهة الرسل، فالطيب من الأقوال والأعمال والأخلاق ما جاءوا به ودعوا إليه دون ما سواه، والإنسان في حاجة إلى من يعرفه طريق الحياة الصحيح، ويعرفه صفات الإله الذي يجب أن يعبده وحده، ويستعين به، ويعرفه أن هذه

---

(١) «الإحسان»: (١/١٠٢).



الحياة ليست هي الغاية، بل إن هناك حياة أخرى؛ هي الدار الآخرة بعد الموت، والعقل لا يدرك تفاصيل هذه الأمور ويحيط بها. وجميع هذا لا يتم إلا على أيدي من ابتعثهم الله تعالى لإبلاغ الناس بتفاصيل ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة، وهو من الأموات قال تعالى: ﴿ **أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾[1]. الآية).

ومما يؤكد الحاجة إلى الرسل؛ أن العقل قاصر عن إدراك تفاصيل صفات الله وشرعه، واليوم الآخر وما فيه من جنة ونار وثواب وعقاب، وإن كان العقل قد يدرك وجة الضرورة إليه من حيث الجملة، كالمريض يدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويه، وإن كان لا يهتدي إلى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه، وكما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور نور أمامه فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة)[2]. ا.هـ

○ ○ ○

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٩/٩٣-٩٦) بتصرف.

الفصل الأول:

المبحث الأول: مفهوم النبوة.

المبحث الثاني: دلائل النبوة.

المبحث الأول:

مفهـوم النبـوة

تعريف النبي في اللغة:

النبي في لغة العرب مشتق من واحد من ثلاثة أشياء:

أولاً: إما مشتق من النبأ وهو: الخبر قال تعالى: ﴿**عم يتساءلون؟ عن النبأ العظيم**﴾[1].

وإنما سُمي النبي نبياً لأنه مُخْبَرٌ مُخبِر، فهو مخبر ـ أي ـ أن الله أخبره وأوحى إليه ﴿**قالت من أنبأك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير**﴾[2]، وهو مخبر عن الله تعالى أمره ووحيه: ﴿**نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم**﴾[3].

ثانياً: وإما أن يكون النبي مشتقاً من النبوة وهو: الإرتفاع، وذلك لارتفاع قدره ومنزلته[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والتحقيق ان هذا المعنى داخل في الأول، فمن أنبأه الله وجعله عنه فلا يكون إلا رفيع القدر عليا)[5].

ثالثاً: وإما أن يكون مأخوذاً من النبي بمعنى: الطريق وإنما أخذ عن ذا، لأن الأنبياء طرق الهدى.

والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي: أن الأنبياء ذوو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم.

تعريف الرسول في اللغة:

الإرسال في لغة العرب: التوجيه، فإذا أرسلت أحداً برسالة فهو: مرسل ورسول.

قال الأزهري في كتابه: وسمي الرسول رسولاً: لأنه ذو رسول ـ أي: رسالة ـ والرسول اسم

---

(١) سورة النبأ: الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة التحريم: الآية ٣.

(٣) سورة الحجر: الآية ٤٩.

(٤) «معجم مقاييس اللغة»: (٥/٣٨٥)، «الصحاح» لجوهري: (٦/٢٥٠٠).

(٥) «النبوات» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٢٣٧).

من أرسلت.

وقال أيضاً: الرسول: الذي يتابع أخبار من بعثه.

قال أبو بكر الأنباري[1] في قول المؤذن: أشهد أن لا إله إلا لله، أشهد أن محمداً رسول الله - قال: معنى أشهد: أعلم وأبين أن محمداً متابع للإخبار عن الله جل وعز. قال: والرسول معناه في اللغة: الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذ من قولهم: جاءت الإبل رَسَلا: أي متتابعة[2].

الفرق بين النبي والرسول:

اختلف في الفرق بينهما اختلافا طويلا، وأولى هذه الأقوال قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنه قال: (فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وإما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول)[3].

النبوة منحة أم مكتسبة:

النبوة؛ سفارة العبد بين الله تبارك وتعالى وبين ذوي الألباب من خليقته لإزاحة عللهم في أمر معادهم ومعاشهم.

قال أبو نعيم الحافظ[4]: (ولهذا توصف - أي النبوة - أبدا بالرسالة والبعثة)[5]. ا.هـ

والنبوة نعمة من الله تبارك وتعالى يمنّ بها تعالى على من يشاء من عباده ممن سبق في علمه تعالى وإرادته إصطفائه لها.

ولهذا فلا يبلغها أحد بعلمه ولا بكشفه، ولا يستحقها باستعداد تهذيب نفس وتخليصها من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف الممدوحة كما يقوله أهل الزيغ والفساد من الفلاسفة، بل النبوة مطلق فضل من الله تبارك وتعالى، يمن بها على من يشاء من عباده إكراماً له وإعزازاً.

---

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري النحوي صاحب التصانيف كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وكان صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة، صنف في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل والموقف والابتداء، توفي سنة ٣٢٨هـ، انظر «الانساب»: (١/٣١٢).

(٢) «تهذيب اللغة» للازهري: (١٢/٣٩١)، «لسان العرب» لابن منظور: (٣/١٨٤٥).

(٣) «النبوات» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ١٨٤)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) هو أحمد بن عبدالله الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، احد الأعلام ولد سنة ٥٣٣٦، أكثر من التصنيف، وتوفي سنة ٤٣٠هـ انظر «ميزان الاعتدال»: (١/١١١)، «البداية والنهاية»: (١٢/٤٥).

(٥) «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني: (١/٣٣) ط ٢، ١٤٠٦هـ، دار النفائس، بيروت.



وهذا مذهب سلف الأمة قاطبة؛ أن الله تبارك وتعالى يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس كما قال تعالى: ﴿ **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس** ﴾[1] الآية.

والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته.

وهذا الاصطفاء والاختيار لله تبارك وتعالى فحسب، وليس مسبوقا بكسب وجد واجتهاد وتكلف أنواع العبادات واقتحام أشق الطاعات.

ومما يؤكد أن النبوة اصطفاء واجتباء لا اكتساب؛ أن معايش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى يقسمها بين عباده كيف يشاء وله الحكمة البالغة في ذلك، وهذه رحمة دنيوية، فإذا كانت الرحمة الدنيوية، بيد الله تعالىٰ وحده فكذلك رحمته الدينية، والتي أعلاها وأشرفها؛ النبوة والرسالة وهي أولى وأحرى أن تكون بيد الله تعالى وابن حبان رحمه الله لا يعدو رأيه في أن النبوة اجتباء واصطفاء رأي السلف في ذلك كما سيتضح فيما بعد بطلان قول من اتهمه رحمه الله باكتساب النبوة.

تهمة ابن حبان باكتساب النبوة:

اشتهر عن ابن حبان رحمه الله ـ كما ذكر في ترجمته ـ قوله: (أن النبوة هي العلم والعمل، وقد ذكر هذه المقولة بسندها أبو إسماعيل الأنصاري رحمه الله، حيث قال في كتابه «ذم الكلام»: سمعت عبدالصمد بن محمد بن محمد سمعت أبي يقول: انكروا على أبي حاتم قوله النبوة: «العلم والعمل، فحكموا عليه بالزندقة وهجر وكتب فيه إلى الخليفة، فكتب بقتله»[2].

وقد شنع عليه أقوام لأجل هذه المقولة، فكاد أن يقتل ولكنه نجا من ذلك، وانقسم أهل العلم في شأنه إلى طائفتين، فطائفة حكمت عليه بالزندقة والمروق في الدين فكتبوا فيه للسلطان فأجابهم فكتب بقتله.

وطائفة اعتذرت عنه ووجهت قوله الوجهة الصحيحة، لما عرفوا عنه من علمه ومحبته للسنة وذبه عن حريمها.

وهذا المفهوم للنبوة المنسوب إلى ابن حبان يحتمل أن يتفق مع مفهوم الفلاسفة المنحرفين عما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام في قولهم: إن النبوة ليست وحياً واصطفاءً من الله عز وجل، بل هي مكتسبة.

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٥.

(٢) «ذم الكلام»: لابن إسماعيل الهروي: (ص ٢٧٨) ط ١، ١٩٩٤هـ، دار الفكر اللبناني، بيروت.

ويحتمل أن يكون أراد به معنى صحيحاً، وهو أن أكمل صفات النبي كمال العلم والعمل.

وقد كان لبعض الأئمة من أهل العلم جهود في توجيه كلام ابن حبان المنسوب إليه، ومن أشهر هؤلاء ـ الإمام شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى[١]: (فقد أورد القصة في كتابه «سير أعلام النبلاء» وعقب عليها بقوله: هذه حكاية غريبة، وابن حبان فمن كبار الأئمة ولسنا ندعي فيه العصمة من الخطأ، لكن هذه الكلمة التي أطلقها، قد يطلقها المسلم، ويطلقها الزنديق الفيلسوف، فإطلاق المسلم لها لا ينبغي، لكن يعتذر عنه فنقول: لم يرد حصر المبتدأ في الخبر، ونظير ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «الحج عرفة» ومعلوم أن الحاج لا يصير بمجرد الوقوف بعرفة حاجاً، بل بقي عليه فروض وواجبات، وإنما ذكر مهم الحج وكذا هذا، ذكر مهم النبوة، إذ من أكمل صفات النبي ـ كمال العلم والعمل، فلا يكون أحد نبياً إلا بوجودهما، وليس كل من برز فيهما نبيا، لأن النبوة موهبة من الحق تعالى لا حيلة للعبد في اكتسابها، بل بها يتولد العلم اللدني والعمل الصالح وأما الفليسوف فيقول: النبوة مكتسبة ينتجها العلم والعمل، فهذا كفر، ولا يريده أبو حاتم أصلا وحاشاه)[٢].

وقال في موضع آخر: (ولقوله هذا محمل سائغ إن كان عناه: أي عماد النبوة العلم والعمل، لأن الله لم يؤت النبوة والوحي إلا من اتصف بهذين النعتين، وذلك لأن النبي ﷺ يصير بالوحي عالماً، ويلزم من وجود العلم الإلهي العمل الصالح، فصدق بهذا الاعتبار قوله النبوة: العلم اللدني والعمل المقرب إلى الله، فالنبوة إذا تفسر بوجود هذين الوصفين الكاملين، ولا سبيل إلى تحصيل هذين الوصفين بكمالهما إلا بالوحي الإلهي وهو علم يقيني ما فيه ظن، وعلم غير الأنبياء، منه يقيني وأكثره ظني، ثم النبوة ملازمة للعصمة ولا عصمة لغيرهم ولو بلغ في العلم والعمل ما بلغ.

والخبر عن الشيء يصدق ببعض أركانه وأهم مقاصده، غير أنا لا نسوغ لأحد إطلاق هذا إلا بقرينه كقوله عليه الصلاة والسلام: «الحج عرفة» وإن كان عنىٰ الحصر، أي ليس شيء إلا العلم والعمل، فهذه زندقة وفلسفة)[٢].

---

(١) هو: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي الحافظ صاحب التصانيف وعلامة زمانه في الرجال وأحوالهم حديد الفهم ثاقب الذهن مات سنة ٧٤٨.
انظر: «فوات الوفيات»: (٣/٣١٥)، «طبقات الشافعية»: (٩/١٠٠)، «الدر الكامنة»: (٣/٤٦٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء»: (١٦/٩٦، ٩٧).

(٣) «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي: (٣/٥٠٧، ٥٠٨)، دار المعرفة، بيروت.



وقال ابن كثير في ترجمة ابن حبان: (وقد حاول بعضهم الكلام فيه من جهة معتقده ونسبه إلى القول بأن النبوة مكتسبة،وهي نزعة فلسفية والله أعلم بصحة عزوها إليه ونقلها عنه)[١]. ا.هـ

وقال الشيخ عبالرحمن المعلمي[٢] في كتابه: «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» عند ذكره لابن حبان، وإجابته عن التهم التي وجهها إليه الكوثري[٣]: «ومنها أنه حكي عنه أنه قال في النبوة أنها العلم والعمل. قال أقول: إن صح هذا فهو قول مجمل، وابن حبان معروف عنه في جميع تصانيفه أنه يعظم النبوة حق تعظيمها، ولعله أراد أن المقصود من إيحاء الله عز وجل إلى النبي ﷺ أن يعلم هو ويعمل، ثم يبين للناس فيعلموا ويعملوا)[٤].ا.هـ

فهذه نقول عن هؤلاء الأئمة تضمنت الاعتذار عما قاله ابن حبان وإحسان الظن به، ووجهوا ـ ما نسب إليه إن صح عنه ـ بما يتفق مع ما عرف عنه من تعظيم النبوة ودفاعه عن السنة وذبه عن حريمها، ومن ثم فلا مجال لتصديق اتهامه بالقول باكتساب النبوة.

مفهوم النبوة المنسوب إلى ابن حبان

قبل الخوض في نقد مفهوم النبوة المنسوب إلى ابن حبان، من الأولى البحث في ثبوت هذه الحكاية التي نسب إليه فيها هذا القول، إذ البحث فيها في ضوء القواعد التي وضعها المحدثون من أهم الأمور التي تكشف لنا حقيقة هذه التهمة، فلطالما اتهم أئمة أعلام بتهم شتى تقدح في دينهم وعدالتهم، ولكن بعد بحثها وتمحيص أحوال رواتها، يتبين زيفها وفسادها، فيجب إذا اتباع هذا المنهج في البحث عن حقيقة هذه التهمة الملصقة بابن حبان.

وقد تقدم سياق الحكاية كما أوردها الهروي في ذم الكلام حيث قال: سمعت عبدالصمد ابن محمد بن صالح يقول: سمعت أبي يقول: أنكروا على ابن حبان قوله النبوة العلم والعمل، فحكموا عليه بالزندقة، وهُجُرَ، فكتب فيه إلى الخليفة فكتب بقتله، وسمعت غيره يقول. لذلك

---

(١) «البداية والنهاية»: (١١/٢٥٩).

(٢) هو عبدالرحمن بن يحيى بن علي بن أبي بكر المعلمي العتمي اليماني ولد في سنة ١٣١٣هـ اشتغل بالتدرس مدة من الزمن ثم عمل مصححاً لكتب الحديث بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن واستقر به الأمر في مكة أميناً لمكتبة الحرم المكي الشريف، توفي سنة ١٣٨٦هـ. انظر «الأعلام»: (٣/٣٤٢).

(٣) هو محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الجركسي الحنفي، فقيه جدلي، متكلم مؤرخ، عارف بعدة لغات اشتهر عنه عدائه لمذهب السلف الصالح ومصنفاتهم، توفي سنة ١٣٧١هـ انظر «الإعلام»: (٦/٣٦٣، ٣٦٤)، «معجم المؤلفين»: (١٠/٤، ٥).

(٤) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي: (١/٤٣٧) ط ٢، ١٤٠٦هـ مكتبة المعارف، الرياض.

خرج إلى سمرقند[١].

هكذا أورد الهروي هذه الحكاية في « ذم الكلام ».

فأقول وبالله التوفيق: إن شيخ الهروي في هذه الحكاية هو عبدالصمد بن محمد بن صالح، وعبدالصمد هذا يرويها عن أبيه - محمد بن صالح - ولمعرفة حال هذه الحكاية من جهة صحتها أو ضعفها، يستلزم البحث في حال عبد الصمد وحال أبيه، ولقد بحثت عنهما في كتب التراجم والتاريخ والطبقات والمشيخات والأنساب وغيرها من الكتب التي يحتمل أن تكون مظنة وجود ترجمة لهما، فلم أعثر لهما على ذكر، فترجح لدي عدم صحة هذه الحكاية لجهالة هذين الراويين مستنداً في ذلك إلى ما وضعه علماء السنة من قواعد في قبول الأخبار أو ردها.

ومما أوردوه فيما يتعلق برواية المجهول، أن الجهالة مما ترد به رواية الشخص.

قال ابن حجر رحمه الله: (ثم الطعن: إما أن يكون لكذب الراوي، أو تهمته بذلك، أو فحش غلطه أو غفلته، أو فسقه أو وهمه، أو مخالفته، أو جهالته، أو بدعته، أو سوء حفظه)[٢]. ا.هـ

فقد بيّن ابن حجر أن ممن ترد روايته، الراوي إذا كان مجهولاً، ثم فسر المراد بالجهالة قال: « فإن سُمّي وانفرد واحد عنه: فمجهول العين، أو اثنان فصاعداً ولم يوثق فمجهول الحال وهو المستور)[٣]. ا.هـ

وقال ابن الوزير[٤] في « تنقيح الأنظار »: قال المحدثون: في قبول رواية المجهول خلاف وهو على ثلاثة أقسام: مجهول العين، ومجهول الحال ظاهراً وباطناً، ومجهول الحال باطناً)[٥]. ا.هـ

ثم أوضح أن مجهول العين - وهو من لم يرو عنه إلا راو واحد - لا تقبل روايته عند أكثر المحدثين، ومجهول الحال ظاهراً أو باطناً - وإن علمت عينه - لا تقبل روايته كذلك عند جمهور أهل العلم، وهذا ما قرره السيوطي رحمه الله وحكاه عن الجمهور، فقد قال: (رواية مجهول العدالة

(١) « ذم الكلام »: (ص ٢٧٨).

(٢) « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر »: (ص ١١٦-١١٧).

(٣) المصدر السابق: (ص ١٣٥-١٣٦).

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن منصور الإمام الكبير المجتهد المطلق المعروف بابن الوزير، تبحر في جميع العلوم كانت له جهود في الذب عن السنة والمناضلة لأهل البدع توفي سنة ٨٤٠هـ. انظر: « البدر الطالع » للشوكاني: (٢/٨٢، ٩٢).

(٥) « توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار » محمد بن إسماعيل الصنعاني: (٢/١٨٥) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.



ظاهراً وباطناً مع كونه معروف العين برواية عدلين عنه لا تقبل عند الجماهير)[1].

وسبق إلى اقرار هذا ابن الصلاح رحمه الله في مقدمته بقوله: (المجهول في غرضنا هاهنا أقسام أحدهما: المجهول العدالة من حيث الظاهر والباطن جميعاً وروايته غير مقبولة عند الجميع)[2].

وبتطبيق هذه القاعدة على هذين الرجلين، عبدالصمد بن محمد بن صالح وأبيه، يتضح أنهما مجهولان عيناً وحالاً، وإذا كانا كذلك، فكيف يقبل خبرهما الذي يتضمن الطعن على إمام من أئمة المحدثين في دينه، وذلك بنسبة القول إليه باكتساب النبوة كما هو رأي الفلاسفة، والذي كفروا به عند كثير من أهل العلم.

ومما يدل على بطلان هذه الحكاية، أن محمد بن صالح لم يسم أحداً ممن أنكر هذا القول على ابن حبان، وعبارة محمد بن صالح توهم أن الذين أنكروا ذلك على ابن حبان، جماعة من الناس، لكن لِمَ لم يسم واحداً منهم؟ فهل المنكرون خصومه في الأصول أو الفروع؟ فلا يقبل قولهم، أم المنكرون أقرانه؟ فكلام الأقران لا يقبل قولهم في بعضهم بعضا.

وإني لأعجب من إمامي هذا العلم - الذهبي وابن حجر - وهما هما، إذ كيف لم يتعرضا للبحث في إسناد هذه القصة لما عرف عنهما من تمحيص الأخبار والتنقيب عن الرجال وبيان صحيح الأخبار من سقيمها.

وإذا كان قد فاتهما نقد مثل هذه القصة وبيان بطلانها، فإنه بإجراء القواعد التي قرراها في كتبهما، يتضح بلا شك ولا ريب؛ بطلان هذه الحكاية، وذلك في ضوء القواعد العلمية التي وضعت لتمحيص الأخبار ونقد الروايات.

وعلى فرض ثبوت هذه الحكاية وصحة نسبتها إلى ابن حبان، فإنه يمكن الإجابة عنها بما يبطل دعوى اتهام ابن حبان بالقول باكتساب النبوة، وذلك بحمل قوله - إن صح عنه - على ما يتفق مع ما عرف عنه من تعظيم النبوة ومحبة السنة والدفاع عنها والذب عن حريمها ومنابذة البدع والأهواء.

وفيما يلي بعض الأجوبة التي يمكن من خلالها إبطال تهمة ابن حبان باكتساب النبوة، وذلك بالإستناد إلى أقوال ابن حبان نفسه، وما يمكن استنباطه من تراجمه للأحاديث التي رواها

---

(١) «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» للسيوطي: (١/ ٢٦٨)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٢) «مقدمة ابن الصلاح»، لابي عمرو بن الصلاح: (ص ٥٣) دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ.

في مختلف كتبه.

١- قال رحمه الله في خطبة صحيحه: (وأشهد أن لا إله إلا الذي بهدايته سعد من اهتدى وبتأييده رشد من اتعظ وارعوى، وبخذلانه ضل من زل وغوى وحاد عن الطريق المثلى وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ورسوله المرتضى بعثه إليه داعياً وإلى جنانه هاديا، فصلى الله عليه وأزلفه في الحشر لديه وعلى آله الطيبين الطاهرين أجمعين، أما بعد: فإن الله جل وعلا انتخب محمداً ﷺ لنفسه ولياً، وبعثه إلى خلقه نبيا ليدعو الخلق من عباده الأشياء إلى عبادته، ومن اتباع السبل إلى لزوم طاعته ... فبعثه الله إلى خلقه رسولاً وجعله إلى جنانه دليلاً فبلغ ﷺ عنه رسالته وبين المراد عن آياته)[١].

وقال في مقدمة كتابه «الثقات»: (وأشهد أن محمداً عبده المجتبىٰ ورسوله المرتضى .. أما بعد فإن الله اختار محمداً ﷺ من عباده واستخلصه لنفسه من بلاده، فبعثه إلى خلقه بالحق بشيراً ومن النار لمن زاغ عن سبيله نذيراً)[٢].

وبالنظر في هاتين المقدمتين له رحمه الله، نجد أنه قد صرح بأن الله تعالى قد اختار نبيه محمداً ﷺ واجتباه واصطفاه، وبعثه إلى الناس داعياً ليبلغ عن الله رسالاته، فكيف يقال بعد هذا: ان ابن حبان يقول باكتساب النبوة؟!!

فعبارات هاتين المقدمتين من أظهر الأدلة على أنه يرى أن النبوة اجتباء واصطفاء من الله عز وجل وليست مجاهدة ورياضة توصل إلى الحصول على منزلة النبوة.

٢- ثم إنه لم يذكر النبي ﷺ في المواضع التي يرد فيها ذكره ﷺ إلا وهو يذكره باسم المصطفى، وهذا ما تكرر كثيراً في كتابه الصحيح وذلك في أبواب صفته ﷺ وأخباره، وكان أيضاً يكرر قول: صفي الله ﷺ عند ذكره للنبي عليه الصلاة والسلام)[٣].

ووصفه للنبي ﷺ بالاصطفاء، وأن الله تعالى جعله صفيا؛ برهان واضح في أنه يرى أن النبوة اصطفاء واجتباء لا اكتساب يؤمل الوصول إليه.

٣- بيّن رحمه الله تعالى أن الله جل وعلا قد عصم نبيه ﷺ، فهو سبحانه عز وجل يحفظ

---

(١) «الإحسان»: (١/١٠١، ١٠٢).

(٢) «الثقات»: (١/٢).

(٣) «الإحسان»: (١٤/١٠٩٥) وما بعدها، فقد أكثر المؤلف في تراجم أحاديث الأبواب من قول المصطفى ﷺ.



نبيه ويرعاه ويحوطه.

روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«ما هممت بقبيح مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين، كلتاهما عصمني الله عنها ....»**[1] الحديث.

فقوله ﷺ: **«عصمني الله منها»** تدل صراحة على أن الله تعالى يحفظ نبيه ويرعاه، والعصمة مقترنة بالنبوة، إذ لا عصمة لغير الأنبياء ولو بلغوا في العلم ما بلغوا، فلا صحة إذا لهذه التهمة التي اتهم بها، فقد صرح رحمه الله بعصمة النبي ﷺ وذلك بترجمته للحديث المتقدم آنفاً بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه قبل أن يوحى إليه)[2].

وبتأمل هذه الترجمة نجد أمراً آخر وهو إثبات إيحاء الله تعالى إلى نبيه ﷺ، وأن ما يأتي به النبي ﷺ إنما هو وحي أوحاه الله إليه: ويوضح هذا الأمر التالي.

٤- صرح رحمه الله تعالى بأن الله عز وجل قد أوحى إلى نبيه ﷺ، وكل ما أتى به النبي ﷺ إنما هو من عند الله لا من تلقاء نفسه كما قال تعالى: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحىٰ﴾**[3].

وقد أورد في صحيحه عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إني أوتيت الكتاب وما يعدله، يوشك شبعان على أريكته أن يقول: بيني وبينكم هذا الكتاب فما كان من حلال أحللناه، وما كان فيه من حرام حرمناه، ألا وإنه ليس كذلك»**[4].

وروى أيضاً عن أبي رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا أعرفن الرجل يأتيه الأمر من أمري، إما أمرت به، وإما نهيت عنه، فيقول: ما ندري هذا؟ عندنا كتاب الله ليس هذا فيه»**[5].

وترجم للحديثين بقوله: (ذكر الخبر المصرح بأن سنن المصطفى ﷺ كلها عن الله لا من تلقاء نفسه)[6].

---

(١) «الإحسان»: (١٤/١٦٩)، والحديث أخرجه الحاكم: (٤/٢٤٥)، والبزار في «مسنده»: (٢٤٠٣) وذكره الهيثمي في «المجمع»: (٨/٢٢٦) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) «الإحسان»: (١٤/١٦٩).

(٣) سورة النجم: الآيتان ٣، ٤.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٤/١٣١)، وأبو داود (٤/٢٠٠) في السنة: باب لزوم السنة، والبيهقي في «سننه»: (٩/٣٣٢)، والحاكم: (١/١٠٩) وصححه، والطبراني في «الكبير»: (٢/٦٧٠).

(٥) أخرجه أبو داود: (٤/٢٠٠، ح ٤٦٠٥) في السنة: باب لزوم السنة، وابن ماجه (١/٦، ٧، ح ١٣) في المقدمة، والحاكم في «المستدرك»: (١/١٠٨)، والبيهقي في «سننه»: (٧/٧٦) وإسناده صحيح.

(٦) «الإحسان»: (١/١٨٩).

وأورد كذلك قصة عمرو بن العاص مع عظيم من عظماء الأسكندرية في فتح المسلمين لمصر، قال عمرو رضي الله عنه لما سأله ذلك العظيم ما أنتم؟ فقال عمرو: إنا نحن العرب، ونحن أهل الشرك والقرظ ونحن أهل بيت الله، كن أضيق الناس أرضاً، وأشدهم عيشاً، نأكل الميتة والدم ويغير بعضنا على بعض باشد عيش عاش به الناس، حتى خرج فينا رجل ليس باعظمنا ـ يومئذ ـ شرفا أو لا أكثرنا مالا وقال: «أنا رسول الله إليكم» يأمرنا بما لا نعرف وينهانا عما كنا عليه أو كانت عليه آباؤنا فكذبناه، ورددنا عليه مقالته ...[1] الخ.

وترجم لهذا القصة المتضمنة لهذا الحديث بقوله: «ذكر تكذيب المشركين رسول الله ﷺ وردهم عليه ما أتاهم به من الله عز وجل»[2].

وقال في مقدمة كتاب «المجروحين»: (كيف يستحل أن يفتي أو كيف يسوغ لنفسه تحريم الحلال أو تحليل الحرام تقليدا منه لمن يخطئ ويصيب رافضاً قول من لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ ﷺ)[3].

وقال في ترجمة الحسن بن عمارة في كتاب المجروحين: (كان الحسن بن عمارة هو الجاني على نفسه بتدليسهم عن هؤلاء واسقاطهم من الأخبار، حتى الزقت الموضوعات به، وأرجو أن الله عز وجل يرفع لشعبه في الجنان درجات لا يبلغها غيره إلا من عمل عمله بذبه الكذب عمن أخبر الله عز وجل أنه لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحى ﷺ)[4].

وقد عقد رحمه الله في كتابه الصحيح، كتابا يتعلق بالوحي، أورد فيه الأحاديث التي تبين بداية أمر الوحي للنبي ﷺ؛ من تحنثه في غار حراء الليالي ذوات العدد، ثم إتيان جبريل عليه السلام إليه وإخباره بأنه رسول الله حقا، ووصف للحالات التي ينزل فيها الوحي على النبي ﷺ كتمثل الملك في هيئة رجل فيكلمه ﷺ فيعي ما يقول، أو إتيانه إليه في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليه ﷺ فيعي ما يقول بعد أن ينفصم عنه.

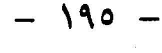
وختم كتاب الوحي ببيان أن الوحي لم ينقطع عنه ﷺ إلا عند خروجه من الدنيا إلى جنة الله

(١) «الإحسان»: (١٤/٥٢٢، ٥٢٣) والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/٢١٨) وقال: رواه الطبراني، وفيه محمد بن عمرو ابن علقمة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات.

(٢) «الإحسان»: (٤/٥٢٢).

(٣) «المجروحين»: (١/١٣).

(٤) المصدر السابق: (١/٢٢٩).



عز وجل، وذلك بما رواه رحمه الله بسنده عن الزهري قال: يا أبا بكر كم انقطع الوحي عن رسول الله ﷺ قبل موته؟ فقال: ما سألني عن هذا أحد مذوعيتها من أنس بن مالك رضي الله عنه. قال أنس بن مالك: «**لقد قبض من الدنيا وهو أكثر مما كان**»[1] وترجم لهذا الخبر بقوله: «ذكر البيان بأن الوحي لم ينقطع عن نبي الله ﷺ إلى أن أخرجه الله من الدنيا إلى جنته»[2].

وانقطاع الوحي دلالة ظاهرة على عدم اكتساب النبوة بل هي اجتباء واصطفاء من الله تعالى وقد صرح ابن حبان رحمه الله بهذا فقال عقب إيراده لحديث ذي اليدين في سهو النبي ﷺ واستفهام الصحابة رضي الله عنهم عما حدث في الصلاة: «وأما جواب الصحابة رضوان الله عليهم أن نعم، فكان الواجب عليهم أن يجيبوه، وإن كانوا في نفس الصلاة لقول الله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ فأما اليوم فقد انقطع الوحي وأقرت الفرائض، فإن تكلم الإمام وعنده أن الصلاة قد تمت بعد السلام، لم تبطل صلاته، وإن سأل المأمومين فأجابوه بطلت صلاتهم، وإن سأل بعض المأمومين الإمام عن ذلك، بطلت صلاته لاستحكام الفرائض وانقطاع الوحي)[3].

فكيف يقال بعد تصريحه رحمه الله بانقطاع الوحي إنه ممن يرى اكتساب النبوة؟!! وهذه الأمور التي قررها ابن حبان من نزول الوحي عليه ﷺ واستمراره إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى وانقطاع الوحي بعده ﷺ كلها أمارات وحجج تدحض من حمل قوله: النبوة هي العلم والعمل - إن صح عنه - على اكتساب النبوة.

٥- أورد في صحيحه عدداً من الأحاديث الدالة على أنه ﷺ خاتم الأنبياء، وأنه لا نبي بعده، ومن ذلك: حديث سعد بن أبي وقاص وأم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لعلي: «**أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي**»[4]. وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر نفي المصطفى ﷺ كون النبوة بعده إلى قيام الساعة»[5]. كما بين رحمه الله أيضاً انقطاع

---

(١) أخرجه البخاري: (٩/ ٣، ح ٤٩٨٢) في فضائل القرآن: باب نزول الوحي.
(٢) «الإحسان»: (١/ ٢٣٢).
(٣) «الإحسان»: (٦/ ٤٠٦، ٤٠٧).
(٤) أخرجه البخاري: (٨/ ١١٢، ح ٤٤١٦) في المغازي: باب غزوة تبوك، ومسلم: (٤/ ١٢٨٣، ح ٢٤٠٤) في فضائل الصحابة: باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٥) «الإحسان»: (١٥/ ١٥).

النبوة بعده ﷺ وذلك بما رواه عن أم كرز الكعبية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**ذهبت النبوة وبقيت المبشرات**»[1] وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر البيان بأن الرؤيا المبشرة تبقى في هذه الأمة عند انقطاع النبوة»[2].

واقرار ابن حبان رحمه الله بختم النبوة بالنبي ﷺ وانقطاعها بعده من أظهر الدلائل على بطلان القول باكتساب النبوة، فلو كانت النبوة مما يكتسب كما يقوله الفلاسفة؛ لم يكن لختمها فائدة، بل هي مستمرة بحسب اجتهاده في طلبها، وليس لها حد تنتهي إليه، ولكن هذا باطل قطعاً، فالنبوة ـ كما هو معلوم ـ اصطفاء واجتباء من الله عز وجل لمن شاء من عباده، ولا حيلة للعباد لاكتسابها بحال من الأحوال ولو بلغ من العلم والعمل ما بلغ.

٦- عقد ابن حبان في كتابه الصحيح باباً تحدث فيه عن معجزات النبي ﷺ التي أيده الله بها وأجراها على يديه، كشهادة الذئب للنبي ﷺ بصدق الرسالة، وشهادة الشجر له ﷺ بالرسالة، وانشقاق القمر له ﷺ، إلى غير ذلك من الدلائل الواضحة على صدق ما جاء به ﷺ وأنه من عند الله تعالى[3].

ومن المعلوم أن هذه المعجزات التي أيده الله بها مما لا يستطيع البشر الاتيان بها ومعارضتها ولا حيلة لهم في الوصول إليها، لأنها تأييد من الله تعالى وبرهان على صدق نبوة ورسالة من أرسله الله عز وجل.

ولو كانت النبوة مما يكتسب كما زعمه الفلاسفة فإنه لا حيلة لهم في الوصول إلى مثل هذه المعجزات الخارجة عن قدرة البشر مهما بلغ من الرقي والتقدم المادي، وتأييد أنفسهم بها.

٧- أخرج في صحيحه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال له جبريل، هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك، أملكاً لهم أم عبداً رسولاً؟ فقال له جبريل: تواضع لربك يا محمد، فقال ﷺ: «**لا بل عبداً رسولاً**».

(١) اخرجه احمد في «المسند»: (٦/٣٨١) والدارمي في «سننه»: (٢/١٢٣)، وابن ماجه: (٢/١٢٨٣، ح ٣٨٩٦) في تعبير الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وسنده صحيح.

(٢) «الإحسان»: (١٣/٤١١).

(٣) للمزيد من المعجزات التي أيد الله بها النبي ﷺ يراجع ما أورده ابن حبان من معجزات في «صحيحه»: (١٤/٤٠٢، ٤٨٤).
أخرجه أحمد في المسند: (٢/٢٣١)، وأبو يعلى: (٢/٢٨٢)، والبزار: (٢٤٦٢) وأورده الحافظ الهيثمي في «المجمع»: (٩/٢٠٢١٩) وقال رواه أحمد والبزار وأبو يعلى، ورجال الأولين رجال الصحيح، وهو كما قال.







وفي هذا الحديث دلائل على إبطال دعوى النبوة وذلك من وجوه:

١- أن النبي ﷺ مرسل من عند الله تعالى، ويبين هذا قول الملك للنبي ﷺ: «أملكاً أم عبداً رسولاً» فاختار عليه الصلاة والسلام أن يكون عبداً رسولاً.

٢- نزول الملك، إنما هو من عند الله عز وجل ليبلغ النبي ﷺ رسالة ربه إليه، ومن المعلوم أن الفلاسفة لا يثبتون ملكاً مفضلا يأتي بالوحي من الله تعالى، ولا ملائكة ولا جان يخرق الله بهم العادات للانبياء إلا قوي النفس. أما ابن حبان رحمه الله تعالى، فإنه يؤمن بوجود الملائكة ونزولهم على الأنبياء بالوحي، ومن أعظمهم جبريل عليه السلام، وقد وصفه ابن حبان رحمه الله تعالى بالأمانة كما في ترجمته لحديث جبريل عليه السلام وسؤاله النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان حيث قال رحمه الله: «ذكر البيان بأن الإيمان والإسلام شعب وأجزاء غير ما ذكرنا في خبر ابن عباس وابن عمر بحكم الأمينين محمد وجبريل عليهما السلام»[1]. وإقراره رحمه الله بنزول جبريل عليه بالوحي كما في الأحاديث المتواترة يبطل ما نسب إليه من دعوى اكتساب النبوة وهو منها بريء.

٨- عقد في كتاب التاريخ من صحيحه باباً يتعلق بتبليغ النبي ﷺ الرسالة وما لقي من قومه، وأورد في هذا الباب الأحاديث التي تبين أنه ﷺ مبلغ عن الله تعالى أوامره ونواهيه، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[2] قال «يا معشر قريش: اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا»[3].

وروى في صحيحه قصة وضع عقبة بن أبي معيط رداءه في عنق النبي ﷺ حتى سقط ﷺ وتصايح الناس وظنوا أنه مقتول، فلما قضى صلاته مرّ بهم وهم جلوس في ظل الكعبة فقال: «**يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح**» وأشار بيده إلى حلقه ،فقال له أبو جهل:

---

(١) «الإحسان»: (١/٣٩٧).

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٣) أخرجه البخاري: (٥/٣٨٢، ح ٢٧٥٣) في الوصايا: باب هل يدخل النساء والولد في الاقارب، ومسلم: (١/١٩٢، ح ٢٠٤) في الإيمان: باب في قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾.

يا محمد ما كنت جهولا، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت منهم**»[1] وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر جعل المشركين رداء المصطفى ﷺ في عنقه عند تبليغه إياهم رسالة ربه جل وعلا».

وقيام النبي ﷺ بأعباء هذه الرسالة كما أمره الله تعالى بذلك في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾[2]. دليل واضح على بطلان ما اتهم به ابن حبان من القول باكتساب النبوة.

كما أن تبيلغ النبي ﷺ الرسالة أمر فرضه الله عليه كما في الآية السابقة، وقد تحمل ﷺ من الأذى ما لا يصبر عليه إلا من كان يُمد من السماء، فلو كانت النبوة مما يكتسب فإنه لا طاقة لأصحابها بأنواع الأذى التي حصلت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وإبلاغ الوحي أمانة حمّلها النبي ﷺ، ولهذا وصف ابن حبان النبي ﷺ بالأمانة كما تقدم بيانه، فأي أمانة يؤديها من يزعم اكتساب النبوة؟

٩- أورد ابن حبان رحمه الله جملة من الأحاديث النبوية التي تتضمن أموراً غيبية لا مجال للعقل البشر في العلم بها أو إدراكها إلا بالوحي الإلهي، كإخباره ﷺ عن الجنة والنار وعذاب القبر ونعيمه وغيرها من أخبار اليوم الآخر.

ومن ذلك أيضاً، إخباره ﷺ عن حوادث تقع في المستقبل، فوقعت كما أخبرها ﷺ، كإخباره ﷺ عن فتح العراق والشام ومقتل عثمان رضي الله عنه، ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وخروج من يدعى النبوة كالأسود والعنسي وغيره[3]، فلو كانت النبوة مما يكتسب فإنه لا سبيل إلى الإحاطة بمثل هذه المغيّبات التي مصدرها الوحي الإلهي.

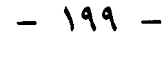
١٠- أورد ابن حبان رحمه الله في صحيحه حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه في حادثة الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس وعروج جبريل به بعد ذلك إلى السماء، وقد جاء في الحديث استفتاح جبريل عليه السلام السماء وسؤال خزنة كل سماء جبريل عن النبي ﷺ وقد

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده»: (١/٣٤٣) وابن أبي شيبة في «مصنفه»: (١٤/٢٩٧)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة»: (١٥٩)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٦/١٦) وقال: رواه أبو يعلي والطبراني وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وحديثه حسن، وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٣) أطال ابن حبان رحمه الله في ذكر ما أخبر به النبي ﷺ من الحوادث والفتن التي تكون بعده ﷺ، للإطلاع ينظر «الإحسان»: (١٥/٢٦٩).







أرسل إليه؟ فأجاب جبريل عليه السلام بقوله: نعم، فرحبوا به وفتحوا له، ثم مروره على العديد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وشهادتهم له بالنبوة، وأعظم من ذلك كله تكليم الله عز وجل له ﷺ وفرضه عليه الصلاة[1].

وحادثة الإسراء من أظهر الأدلة على أن النبوة اصطفاء واجتباء، وليست كسبا، وقد أورد ابن حبان هذه الحادثة مقرراً لها، فكيف يقال بعد ذلك إنه يرى اكتساب النبوة؟ بل إنه رحمه الله بيّن أن حادثة الإسراء قد سبقت بأمر يعجز عنه البشر وهو شق صدره ﷺ فقال رحمه الله: فأما قوله ﷺ في خبر مالك بن صعصعة: «**بينما أنا في الحطيم إذا أتاني آت فشقّ ما بين هذه إلى هذه**» فكان ذلك له فضيلة فضل بها على غيره وأنه من معجزات النبوة، إذ البشر إذا شق عن موضع القلب منهم ثم استخرج قلوبهم ماتوا[2].

هذه الحادثة ـ شق صدره ﷺ وإخراج قلبه وملئه حكمة وإيماناً ـ لا يمكن أبداً أن يقدر عليها البشر، ومن ثم فلا يمكن أن تكون النبوة مكتسبة في ظل حصول هذه المعجزة التي تدل دلالة ظاهرة على اصطفاء الله تعالى لنبيه ﷺ، وهو ما يقرره ابن حبان.

١١ – بلغ ابن حبان مبلغاً كبيراً في العلم كما وصفه بذلك من ترجم به: ومن كان هذا شأنه في العلم، فلا يكاد يسلم من كيد خصومه من مبغض وحاسد، وبخاصة من أولئك المخالفين له في الفروع، فقد كان ابن حبان ندا لهم، وذلك بذم أقوالهم وآراءهم المخالفة للكتاب والسنة، فلا يستبعد عندئذ أن تكون هذه المقولة قد تقولت عليه وهو منها بريء، أو قالها ابن حبان وأراد بها معنى صحيحاً، ولكنهم حملوها محملاً سيئاً، فتولى كبرها واشاعتها بين الناس أولئك الحاسدون لأجل الطعن وإسقاط سمعته بين الناس وتأليبهم عليه، وقد أشار تلميذه الحاكم رحمه الله إلى شيء من هذا فقال: «وأبو حاتم كبير في العلو وكان يحسد لفضله»[3].

وإذا سلّمنا باطلاق ابن حبان لهذه العبارة، فأين أطلقها ومتى؟

بين أيدينا نصان متعارضان، أحدهما يقول: بأنه تفوه بذلك في سمرقند، والآخر يقول: بل كان ذلك في بست، لأن كتاب الخليفة الذي جاء بقتله، وصل بعد وفاة ابن حبان رحمه الله، والذي

---

(١) «الإحسان»: (١/٢٣٦–٢٤٠)

(٢) «الإحسان»: (١/٢٤٤).

(٣) «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني: (٥/١١٢–١١٥) دار الكتاب الإسلامي.

يظهر لي أن ذلك كان منه في «بست» لا في «سمرقند» ولا غيرها وذلك لاعتبارات عديدة:

أولها: أن كل المصادر تنص على أن الخليفة كتب بقتله، وتسكت عما وراء ذلك، إلا ابن شاكر الكتبي[1] فإنه يوضح هذا الإتهام فيقول: إن كتاب الخليفة وصل إلى بست بعد وفاة ابن حبان[2]، وهذا يعني أن الكتابة بالقتل كانت بعد كلام قاله قريباً.

الثاني: أن ابن حبان خرج من سمرقند إلى نيسابور سنة أربعة وثلاثين وثلاثمائة، ثم تولى قضاء نسا، ثم عاد وأقام بنيسابور حتى سنة أربعين، ثم عاد سنة أربعين إلى بست ماراً بسجستان القريبة منها فامتحنه أهلها، فانكر الحدّ لله ـ إن صح ذلك ـ فأخرجوه من العام نفسه فاستقر في بست إلى حين وفاته فهل استغرق كتاب أهل سمرقند عشرين سنة حتى جاء جوابه؟؟؟

الثالث: أن مدينة بست في ذلك الحين لم تكن مستقرة، وكانت تتنازعها الأهواء والأفكار وليس فيها أمن ولا استقرار بسبب الحروب الطاحنة بين أمراء الولايات في تلك البلاد، فلا يستبعد أن يكون قد حسد من مشائخ بلده وأوغروا عليه صدر الخليفة بكتاب تضمن عدة تهم هذه منها.

قال أبو سليمان الخطابي[3] رحمه الله: (وفي العزلة الأمان ببست خاصة من دواهي الكنف الشارعة والمثاعب السائلة، فإن جناياتها عند أهلها جبار لا أرش لها، ودماء قتلاها مطلولة لا عقل ولا قود فيها، فكلما قلّ بروز الإنسان إليها وعبوره عليها، كان أوفر لمروءته، وأبقى لنظافته، وأبعد له من أذاها وغائلتها وأسلم له من دائها وعاديتها)[4].

وقال: (ولو لم يربح الإنسان في العزلة والتخلي عن الناس، وعن مساويهم والانقطاع عن محاورتهم إلا ما يكفاه من فضل مؤنة التحرز منهم، وما يستفيده من الأمان أن يرفعوا عليه قولاً يسمعونه يتكلم به في حال غفلة واسترسال أو يتأولوا عليه كلاماً لا يبلغ عقولهم كنهه، فيوجهوه إلى غير جهته، وينحلوه غير صفته لكان فيه كفاية كافية وعصمة واقية)[5].

---

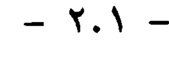
(١) هو محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر، صلاح الدين المؤرخ الكتبي الداراني الدمشقي جمع تاريخا مفيدا، توفي سنة ٧٦٤، انظر «الدرر الكامنة»: (٤/ ٧٢)، «البداية والنهاية»: (١٤/ ٣٠٣).

(٢) فوات الوفيات.

(٣) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الشافعي، ألف في فنون العلم وصنف، برع في الحديث والنحو والأدب واللغة توفي سنة ٣٨٨هـ. انظر «شذرات الذهب»: (٣/ ١٢٧، ١٢٨)، «السير»: (١٧/ ٢٣-٢٨).

(٤) «العزلة» لأبي سليمان الخطابي: (ص ١١٩) ط ١، ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، دمشق.

(٥) المصدر السابق: (ص ١٠٧-١٠٨).







فهذا وصف الخطابي لبلده، وأهل مكة أدرى بشعابها، وإيراده لهذا النص في فوائد العزلة كأنه ينطق بواقعة ابن حبان ويأسف لمصابه العظيم.

١٢- مما كفر به الفلاسفة، عند أهل العلم - قولهم باكتساب النبوة[١] - فلو كان ما نسب إلى ابن حبان رحمه الله صحيحاً وأراد به ما يريده الفلاسفة، لاشتهر ذلك بين أهل العلم في وقته وذاع بينهم، ولم ينفرد بذكرها كتاب واحد وهو «ذم الكلام»، وناقلها لم يحك أحداً ممن أنكرها على ابن حبان، كما أن التهمة الموجهة إلى عالم ذاع صيته بين الناس، ليست كتهمة اتهم بها شخص من آحاد الناس، ومثل هذه التهمة تشرئب لها الاعناق وتسير بها الركبان، ويسرى خبرها في الآفاق، ويكون لأهل العلم في ذلك الوقت موقف حاسم لا مداهنة فيه، كما هو الحال مع الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل البدع، ولكن الذي وجدناه، ثناء أهل العلم عليه، ووصفه بالعلم والدين وقبول كثير من أحاديثه التي رواها في كتبه وتفريع الأحكام عليها، فكيف يصح بعد هذا أن تقبل مثل هذه الدعوى التي قامت أمارات عديدة على عدم صحتها وإن صحت فمن الواجب أن تحمل محملاً صحيحاً وتُوجه مع ما عرف عنه رحمه الله من علم ودين.

ο ο ο

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: (٢/٦٠٩) ط ٢، ١٤٠٧هـ، دار الفيحاء، عمان - الأردن.

المبحث الثاني:
دلائــل النبــوة

إن من رحمة الله تعالى بعباده أن اصطفى من البشر اشخاصاً فضلهم بخطابه، وفطرهم على معرفته، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم، ويحرضونهم على هدايتهم، ويأخذون بحجزاتهم عن النار، ويدلونهم على طريق النجاة قال تعالى: ﴿**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾[1] الآية.

وكان فيما يلقيه إليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والأخبار والكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا عن الله بوساطتهم ولا يعلموها إلا بتعليم الله إياهم، برهان على صدق ما جاءوا به وأنه حق لا مرية فيه.

وقد أظهر الله تعالى صدق أنبيائه ورسله بالعديد من الآيات والبراهين والبيّنات التي لا يبقىٰ معها شك ولا ريب في صدق ما جاءوا به وأنه الحق الموافق لما فطر الله عليه عباده، مع كانوا عليه - عليهم الصلاة والسلام - من الأخلاق الزكية ومجانبة السوء من القول والعمل، وهذه الدلائل التي أيد الله به رسله تعرف عند بعض العلماء بالمعجزات، وعند بعضهم الآخر تسمى بالآيات أو البينات أو البراهين، وهذه البينات التي أظهرها الله تعالى على أيدي رسله الكرام ليست من جنس خوارق السحرة والمشعوذين، بل هي آيات ربانية اشتهرت باسم المعجزات لا حيلة للبشر في معارضتها أو الإتيان بمثلها.

تعريف المعجزة في اللغة:

المعجزة لغة: اسم فاعل مأخوذ من العجز المقابل للقدرة.

قال في بصائر ذوي التمييز: (والإعجاز أفعال من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو أي تدبير: وإنما قيل لأعلام الرسل معجزات لظهور عجز المرسل إليهم عن المعارضة بمثلها)[2].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٢) «بصائر ذوي التمييز»: (١/ ٦٥).



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات).

قال: (لكن كثيرٌ من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي[1]، يعني ان لفظ المعجزة يتنزل على آيات الأنبياء وكرامات الأولياء في لسان العرب ولسان السلف.

المعجزة اصطلاحا:

قال ابن حمدان في تعريفها[2]: (هي ما خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداء بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقاربها)[3].

وعرفها الرازي بقوله: (المعجزة عرفا: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة)[4].

وعرفها آخرون بتعريفات لا تخرج عن نطاق التعريفين السابقين

ولهذا فإن من لوازم المعجزة ما يلي:

١- أن تكون خارقة لعادة جميع الثقلين الإنس والجن.

٢- لا يستطيع أحد أن يعارضها ولا أن يأتي بمثلها.

المعجزات عند ابن حبان:

يطلق ابن حبان رحمه الله على دلائل النبوة اسم «المعجزة» كما قال ذلك في سياق المعجزات التي أجراها الله تعالى على يدي النبي ﷺ.

ويذهب رحمه الله إلى أن المعجزة، إحدى الدلائل التي تدل على صحة النبوة، وأنها من عند الله تعالى، وقد أورد في كتابه الصحيح جملة من المعجزات التي أيد الله تعالى بها النبي ﷺ.

ومنها على سبيل المثال:

١- انشقاق القمر، فقد روىٰ عن عبدالله رضي الله عنه قال: انشق القمر وكنا مع رسول الله

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (١١/٣١١,٣١٢).

(٢) هو أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان الحراني الحنبلي، الفقيه الأصولي الأديب توفي سنة ٦٩٥هـ انظر «ذيل طبقات الحنابلة»: (٢/٣٣١)، «شذرات الذهب»: (٥/٤٢٨).

(٣) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٢٩٠).

(٤) المصدر السابق: (٢/٢٩٠).

ﷺ بمنى حتى ذهبت فلقة خلف الجبل فقال النبي ﷺ: «أشهدوا»[١].

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بمكة)[٢].

٢- طاعة الأشجار له ﷺ، روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل من بني عامر إلى النبي ﷺ كان يداوي ويعالج فقال: يا محمد، إنك تقول أشياء، هل لك أن أداويك؟ قال: فدعاه رسول الله ﷺ إلى الله، ثم قال: «هل لك أن أريك آية» وعنده نخل وشجر، فدعا رسول الله ﷺ عذقا منها، فأقبل إليه وهو يسجد، ويرفع رأسه ويسجد، ويرفع رأسه حتى انتهىٰ إليه ﷺ، فقام بين يديه، ثم قال له رسول الله ﷺ: «**ارجع إلى مكانك**» فقال العامري: والله لا أكذبك بشيء تقوله أبدا ثم قال: يا آل عامر بن صعصعة، والله لا أكذبه بشيء[٤].

قال والعذق: النخلة.

وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر ما أبان الله جل وعلا من دلائل صفية ﷺ على صحة نبوته من طاعة الأشجار له»[٥].

٣- تكثير الطعام له ﷺ، روى بسنده عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة من ثريد فوضعت بين يدي القوم فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة يقوم قوم ويجلس آخرون، فقال رجل لسمرة: أكان يمُدّ؟! فقال سمرة: من أي شيء تتعجب؟ ما كان يمُدّ إلا من هاهنا وأشار بيده إلى السماء»[٦].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر ما بارك الله جل وعلا في الشيء اليسير في الطعام

---

(١) أخرجه البخاري: (٧/١٨٢، ح ٣٨٦٩) في مناقب الأنصار: باب انشقاق القمر، ومسلم: (٤/٢١٥٨، ح ٢٨٠٠) في صفات المنافقين: باب انشقاق القمر.

(٢) أخرجه أحمد: (٤/٨١-٨٢) والترمذي: (٩/٣٢، ح ٣٢٨٥) في التفسير: باب ومن سورة القمر، والطبراني في «الكبير»: (١٥٥٩) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) «الإحسان»: (١٤/٤٢٢).

(٤) أخرجه الترمذي: (٩/٣٤٨، ح ٣٦٣٢) في االمناقب: باب رقم (٦)، والحاكم: (٢/٦٢٠) وصححه على شرط مسلم، والطبراني في «الكبير»: (ح ١٢٥٩٥)، وأبو يعلى في «مسنده»: (٢٣٥٠) وإسناده صحيح.

(٥) «الإحسان»: (١٤/٤٥٣).

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٥/١٢، ١٨)، والترمذي: (٩/٢٤٦، ح ٣٦٢٩) في المناقب: باب آيات إثبات نبوة النبي ﷺ، وابن أبي شيبة: (١١/٣٦٦)، والطبراني في «الكبير»: (٦٩٦٧)، والحاكم في «المستدرك»: (٢/٦١٨)، وإسناده صحيح.



للمصطفى ﷺ حتى أكل منه عالم من الناس)[1].

٤- نبع الماء من بين أصابعه ﷺ: روى عن جابر رضي الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح .. إلى أن قال: فأتينا العسكر فقال رسول الله ﷺ: «يا جابر، ناد بوضوء» فقلت: ألا وضوء، ألا وضوء؟ قلت: يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يُبرِّد لرسول الله ﷺ في أشجاب له فقال: «انطلق إلى فلان الأنصاري، فانظر هل في أشجابه من شي»، قال: فانطلقت إليه فنظرت فيها، فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب فيها لو أني أفرغه ما كانت شربه، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لم أجد فيها إلا قطرة هي عزلاء شجب منها، لو أني أفرغه لشربه يابسه. قال: «اذهب فأتني به»، فأخذه بيده ﷺ، وجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويغمزه بيده، ثم أعطانيه فقال: «يا جابر ناد بجفنة» فقلت: يا جفنة الركب، قال: فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه ﷺ فقال رسول الله ﷺ: هكذا وبسط يده في وسط الجفنة، وفرق بين أصابعه، وقال: «خذ يا جابر وصب عليّ فصبت على وقل: بسم الله، فصببت عليه، وقلت: بسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ» قال: «يا جابر، ناد من كانت له حاجة بماء» قال: فأتى الناس، فاستقوا حتى رووا، قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ قال: فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى[2].

وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر خبر منه دلائل معلومة على صحة ما أصلناه من إثبات الأشياء المعجزة لرسول الله ﷺ»[3].

فهذه نماذج عديدة لمعجزات كثيرة أيدّ الله بها النبي ﷺ ساقها ابن حبان لبيان أن النبي ﷺ صادق فيما جاء به من عند الله وأنه لا حيلة للبشر في الاتيان بمثل هذه الآيات الباهرات.

كرامات الأولياء

تعريفها: يعرف علماء التوحيد الكرامة بأنها؛ أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها العبد أم لم يعلم[4].

---

(١) «الإحسان»: (٤٦٣/١٤).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٣٠٧/٤، ح ٣٠١٢) في الزهد: باب حديث جابر الطويل.

(٣) «الإحسان»: (٤٥٥/١٤).

(٤) «لوامع الأنوار البهية»: (٣٩٣/٢).

وكرامات الأولياء خارقة للعادة لكنها دون معجزات الأنبياء، فكما أن الأولياء لا يبلغون درجات الأنبياء في الفضيلة والثواب، فكذلك كراماتهم لا تبلغ آيات الأنبياء ومعجزاتهم.

وآيات الله تبارك وتعالى كبرى وصغرى، فالآيات كانشقاق القمر، وانقلاب العصا حية، وخلق الطير من الطين، فهذه مختصة بالأنبياء.

أما الآيات الصغرى كتكثير الطعام فهي مشتركة بين الأنبياء والأولياء، لكن ما يقع منها للأولياء إنما يماثل آيات الأنبياء من حيث النوع والجنس حسب، ويخالفها من حيث القدر والكيفية، وكرامات الأولياء تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، ولذا فهي معدودة من جملة آيات الأنبياء، لأنها مستلزمة لصدقهم في قولهم: إن هذا الرسول الذي اتبعناه هو رسول حقيقة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن آيات الأولياء هي من جملة آيات الأنبياء، فإنها مستلزمة لنبوتهم ولصدق الخبر بنبوتهم، فإنه لولا ذلك لما كان هؤلاء أولياء ولم تكن لهم كرامات)[1].

رأي ابن حبان في كرامات الأولياء:

يثبت ابن حبان رحمه الله كرامات الأولياء ويسميها «معجزات» وينكر على من أنكر وجودها مفندا قول من أنكرها بالأحاديث والآثار التي وردت باثبات الكرامات لأولياء الله عز وجل.

الأحاديث التي استدل بها على وجود الكرامات:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«رب أشعث ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرّه»**[2] وترجم لهذا الحديث: بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من أبطل وجود المعجزات في الأولياء دون الأنبياء)[3].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يسوق بقرة فأراد أن يركبها فالتفت إليه، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا ليحرث علينا، فقال رسول الله ﷺ: **«آمنت به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمّ»**، قال: وبينما رجل في غنم له، فأخذ الذئب الشاة فتبعه الراعي فلفظها ثم قال: كيف لك بيوم السباع حيث لا يكون لها راع غيري؟ فقال من حوله:

(١) «النبوات» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٢١٩)، «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٢٧٥).
(٢) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٠٢٤، ح ٢٦٢٢) في البر والصلة: باب فضل الضعفاء والخاملين.
(٣) «الإحسان»: (١٤/ ٤٠٣).

سبحان الله!!! فقال ﷺ: «أمنت به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمّ»[1]. وترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر المدحض قوله من أبطل وجود المعجزات في الأولياء دون الأنبياء)[2].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كان رجل يسلف الناس في بني إسرائيل فأتاه رجل فقال: يا فلان، أسلفني ستة مئة دينار، قال: نعم إن أتيتني بوكيل، قال الله وكيلي فقال: سبحان الله، نعم، قد قبلت الله وكيلا، فأعطاه ستة مئة دينار، وضرب له أجلا، فركب البحر بالمال ليتجر فيه، وقدر الله أن حل الأجل وارتج البحر بينهما، وجعل رب المال يأتي الساحل يسأل عنه فيقول الذي يسألهم عنه: تركناه بموضع كذا وكذا، فيقول رب المال: اللهم اخلفني في فلان بما اعطيته بك، قال: وينطلق الذي عليه المال فينحت خشبة ويجعل المال في جوفها ثم كتب صحيفة: من فلان إلى فلان، إني دفعت مالك إلى وكيلي، ثم سدّ علىٰ فم الخشبة فرمىٰ بها في عُرض البحر، فجعل يهوي بها حتى رمى بها إلى الساحل، ويذهب رب المال إلى الساحل فيسأل، فيجد الخشبة، فحملها، فقرأها، فعرف وتقدم الآخر: فقال له رب المال: مالي، فقال: قد دفعت مالي إلى وكيلي إلى موكل بي، فقال له: أوفاني وكيلك»[3].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: فلقد رأيتنا يكثر مراؤنا ولغطنا عند رسول الله ﷺ أيهما آمن.

وقد ترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: «ذكر الخبر الدال على إثبات كون المعجزات في الأولياء دون الأنبياء على حسب نياتهم وصحة ضمائرهم فيما بينهم وبين خالقهم»[4].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما امرأة ترضع ابنها مرّ بها راكب وهي ترضعه، فقالت: اللهم لا تمت ابني حتى يكون مثل هذا، قال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم رجع إلي الثدي فمرّ بإمرأة تُلعن، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، أما الراكب، فكان كافراً، وأما المرأة، فيقولون لها: إنها تزني، فتقول: حسبي الله، ويقولون تسرق، وتقول: حسبي الله»[5]. وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر الخبر المدحض قول من

---

(١) أخرجه البخاري: (٦/٥١٢، ح ٣٤٧١) في الأنبياء: باب عن بني إسرائيل، ومسلم: (٤/١٨٥٧، ح ٢٣٨٨) في فضائل الصحابة: باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) «الإحسان»: (١٤/٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري: (٤/٢٩٩، ح ٢٠٦٣) في البيوع: باب التجارة في البحر.

(٤) «الإحسان»: (٤/٤٠٨).

(٥) أخرجه البخاري: (٦/٥١١، ح ٣٤٦٦) في الأنبياء.

أبطل المعجزات إلا في الأنبياء»[(١)].

٥- أورد بسنده خبر السرية التي بعثها رسول الله ﷺ عينا وأمّر عليها عاصم بن ثابت، واعترضت لهم بنو لحيان، حيٌّ من هذيل، وأعطوهم العهد والميثاق أن لا يقتلوا من السرية أحداً، ولكنهم غدروا بعهدهم فقتلوا من قتلوا، وأسروا خبيب بن عدي رضي الله عنه وباعوه بمكة، واشتراه بنو الحارث بن عامر فمكث عندهم أسيراً وكان في أسره رضي الله عنه يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقاً رزقه الله إياه.

أما عاصم بن ثابت رضي الله عنه فقد قتل لما امتنع من اعطاءهم العهد فبعثت قريش إلى موضع قتله تريد الشيء من جسده ليعرفوه، فبعث الله على جسده مثل الظلة فلم يقدروا على شيء منه، فهاتان كرامتان لرجلين من أصحاب النبي ﷺ اكرمهما الله بهما، ذكرها ابن حبان في صحيحه في ذكر فضائل خبيب بن عدي رضي الله عنه[(٢)].

وما ذهب إليه ابن حبان رحمه الله من إثبات كرامات الأولياء، أصل من أصول أهل السنة والجماعة، قال الطحاوي رحمه الله تعالى: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم ـ أي الأولياء ـ وصح عن الثقات من رواياتهم وكرامات الأولياء»[(٣)].

وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين: (وكرامات الأولياء حق، وقد أنكر الإمام أحمد رحمه الله على من أنكرها وضلله)[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى على أيديهم من خوارق العادات من أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة)[(٥)].

المنكرون للكرامة والرد عليهم:

أنكر طوائف من المسلمين كرامات الأولياء، ومن هؤلاء المعتزلة، وحجتهم في دعواهم أن

---

(١) «الإحسان»: (١٤/٤١٠).
(٢) «الإحسان»: (١٥/٥١٢-٥١٣).
(٣) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٥٠٧).
(٤) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٣٩٣).
(٥) «شرح العقيدة الواسطية»: (١٧٧-١٧٨).



خرق العادة لو صح من غير الأنبياء لالتبس النبي بالولي، ولم تكن المعجزة دليلاً على صدق الأنبياء قال البغدادي: (وأنكرت القدرية كرامات الأولياء لأنهم لم يجدوا في أهل بدعتهم ذا كرامة)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فقالت طائفة لا تخرق العادة إلا لنبي وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم كأبي محمد بن حزم وغيره، بل يحكى هذا القول عن أبي إسحاق الإسفراييني وأبي محمد بن أبي زيد، ثم قال: ولكن كأن في الحكاية عنهما غلطا وإنما أرادوا الفرق بين الجنسين)[٢]. وقد عد ابن السبكي من غرائب إبي إسحاق الاسفريني إنكاره لكرامات الأولياء)[٣].

وقول من أنكر الكرامة مردود، لأن من كرامات الأولياء ما حدث به القرآن، ومن ذلك ما جاء في القرآن في شأن مريم، فقد كان يوجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء: ﴿**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال: يا مريم أنىٰ لك هذا؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾[٤]، قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي: يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، حكاه ابن كثير رحمه الله عنهم في تفسيره ثم قال: (وفيه دلالة على كرامات الأولياء وفي السنة لهذا نظائره كثيرة)[٥].

وصح ذكر الكرامات في السنة النبوية الصحيحة وتواتر النقل بها، كما مرّ فيما سبق من ذكر ابن حبان لبعض منها.

كما أن الناس يشاهدون شيئاً منها في كل عصر ومصر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض رده على من أنكر وجود كرامات الأولياء: (والمنازع لهم ـ أي للمعتزلة ـ يقول: هي ـ أي الخوارق ـ موجودة مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء، وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء فكيف يكذبون بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره)[٦]. ا.هـ

---

(١) «أصول الدين»: (ص ١٧٥).

(٢) «النبوات»: (ص ٢).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي: (٤ / ٢٦٠).

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٥) «تفسير ابن كثير: (٢/٢٨، ٢٩).

(٦) «النبوات»: (ص ٢).

وقد أورد السبكي شبه المعتزلة لنفي الكرامات ورد عليها من عدة أوجه، ثم بين أوجها لاثباتها فقال فيها: (فنقول: الدليل على ثبوت الكرامات وجوه:

أحدها: وهو أوحدها: ما شاع وذاع بحيث لا ينكره إلا جاهل معاند من أنواع الكرامات للعلماء والصالحين الجاري مجرى شجاعة علي وسخاء حاتم، بل إنكار الكرامات أعظم مباهته، فإنه أشهر وأظهر ولا يعاند فيه إلا من طمس قلبه والعياذ بالله)[1].

وخلاصة القول أن كرامات الأولياء مما جاء به القرآن الكريم وصحت من الأحاديث المتواترة وشاع وذاع بين الناس فلا ينكره إلا مكابر ومعاند.

○ ○ ○

(١) «طبقات الشافعية الكبرى»: (٢/٣٣٤).



الفصل الثاني:

المبحث الأول : الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً؟

المبحث الثاني : عصمة الأنبياء



المبحث الأول:
الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً؟

من أصول الإيمان التي جاءت نصوص الكتاب والسنة بوجوب الإيمان بها ـ الإيمان بالرسل ـ إذ هم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه، يدعونهم إلى توحيد الله تعالى والالتزام بشرائعه ويبلغون أقوامهم أوامر الله ونواهيه، وحاجة العباد إليهم فوق حاجتهم إلى كل شيء، إذ لا ينتظم للبشر حال ولا يصلح لهم دين ولا دنيا إلا بهذا الإرسال.

ومعنى الإيمان بالرسل: التصديق الجازم بأن الله تبارك وتعالى أرسل رسلا لإرشاد الخلق، فيجب الإيمان بما سمى الله تعالى في كتابه منهم، والإيمان بأن لله تعالى سواهم رسلا وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم سبحانه وتعالى.

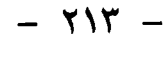
قال الإمام محمد بن نصر المروزي[١] رحمه الله تعالى: (وأما قوله «ورسله» فأن تؤمن بما سمى الله في كتابه من رسله وتؤمن بأن لله رسلا وأنبياء لا يعلم اسماءهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد ﷺ وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، وإيمانك بسائر الرسل، إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد ﷺ، إقرارك به وتصديقك إياه دائبا على ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به أديت الفرائض وأحللت الحلال وحرمت الحرام، وقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات)[٢].

الإيمان بالرسل عند ابن حبان رحمه الله:

يرى ابن حبان رحمه الله أن الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان المكلف إلا بالإقرار بها، واستدل لذلك بما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا محمد، ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر» قال يا رسول الله: فما الإسلام؟ قال: «لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» قال يا محمد: ما

---

(١) محمد بن نصر بن الحجاج المروزي الإمام أبو عبدالله الحافظ، ولد ببغداد سنة ٢٠٢هـ كان أعلم الأئمة باختلاف العلماء توفي سنة ٢٩٤هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: (١٤/٣٣-٤٠)، تاريخ بغداد: (٣/٣١٥-٣١٨).
(٢) «مجموع الفتاوى»: (٧/٣١٣).







الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال يا محمد: فمتى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراطها: «إذا ولدت الأمة ربتها، ورأيت العراة الحفاة رؤوس الناس. في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿**إن الله عنده علم الساعة** ...﴾ الآية، ثم انصرف الرجل، فالتمسوه فلم يجدوه، فقال: «**ذاك جبريل جاء ليعلم الناس دينهم**»[1].

واستدل أيضاً بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**»[2]، وقال عقب هذا الحديث: (والدليل على أن الإيمان أجزاء بشعب: أن النبي ﷺ قال في خبر عبدالله بن دينار: «**الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله**» فذكر جزءاً من أجزاء شعبة، هي كلها فرض على المخاطبين في جميع الأحوال، لأنه ﷺ لم يقل: وأني رسول الله، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار وما يشبه هذا من أجزاء هذه الشعبة، واقتصر على ذكر جزء واحد منها حيث قال: «**أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله**» فدلّ هذا على أن سائر الأجزاء من هذه الشعبة، كلها في الإيمان)[3].

فهذا كلام صريح منه رحمه الله تعالى في اعتبار الإيمان بالرسل من أصول الإيمان التي لا يقبل الله تعالى إيمان عبد حتى يأتي به، وقد دل الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالرسل وأنه أصل من أصول الإيمان.

١- قال تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾[4].

٢- وقال تعالى: ﴿**ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً**﴾[5].

٣- حديث ابن عمر رضي الله عنه في مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان بقوله: فأخبرني ما الإيمان؟ فقال له النبي ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**

---

(١) أخرجه البخاري: «(١/١١٤، ح ٥٠)، في الإيمان: باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، ومسلم: (١/٣٩، ح ٩١) في الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٢) أخرجه البخاري: (١/٥١، ح ٩) في الإيمان: باب أمور الإيمان، ومسلم ١٠/٦٣، ح ٣٥) في الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان.

(٣) «الإحسان»: (١/٣٨٨).

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٥) سورة النساء: الآية ١٣٦.

والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره حلوه ومره» فقال جبريل عليه السلام: «**صدقت ...**»[1] الحديث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان معتقد أهل السنة والجماعة: (أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة: أهل السنة والجماعة، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره)[2].

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: (وأما الأنبياء والمرسلون فعلينا الإيمان بمن سمى الله في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله أرسل رسلا سواهم وأنبياء لا يعلم عددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة، لأنه لم يأت في عددهم نص، وقد قال تعالى: ﴿**ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك**﴾[3]، وعلينا الإيمان بأنهم بلّغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به وبينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا له جهله، ولا يحل خلافه، قال تعالى: ﴿**فهل على الرسل إلا البلاغ المبين**﴾[4] ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن توليتم، فإنما على رسولنا البلاغ المبين**﴾[5])[6].

عدد الأنبياء والرسل عند ابن حبان:

أخرج ابن حبان في صحيحه حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفيه أنه سأل النبي ﷺ عن عدد الأنبياء، وكم الرسل منهم، قال رضي الله عنه: قلت يا رسول الله: كم الأنبياء؟ قال: «**مئة ألف وعشرون ألفا**» قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلاث مئة وثلاثة وعشرون جمّا غفيرا**» قلت: يا رسول الله: من كان أولهم؟ قال: «**آدم**» قلت: يا رسول الله: أنبي مرسل؟ قال: «**نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا**»[7].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» محمد خليل هراس: (١٧-١٨) مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

(٣) سورة النساء: الآية ١٦٤.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٥.

(٥) سورة التغابن: الآية ١٢.

(٦) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٢٩٠).

(٧) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: (٢/٢٧٦، ح ٣٦١) في البر والإحسان: باب ما جاء في الطاعات وثوابها، وأبو نعيم في «الحلية»: (١/١٦٦، ١٦٨)، وابن عدي في «الكامل»: (٧/٢٦٩٩)، والبيهقي في «سننه»: (٩/٤)، وسنده ضعيف جداً. «الإحسان»: (٢/٧٩).





فهذا الحديث الوارد فيه ذكر الأنبياء المرسلين مما صححه ابن حبان وأخرجه في كتابه، وقد عاب الأئمة من أهل الحديث على ابن حبان إخراجه لهذا الحديث وتصحيحه له، وذلك لضعفه الشديد، فقد ضعفه الإمام أحمد كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية عند سياقه لكلام الإمام أحمد في الإنكار على من ينفي زيادة الإيمان ونقصانه حيث قال: (قال الإمام أحمد: فإن زعموا أنهم لا يقبلون زيادة الإيمان من أجل أنهم لا يدرون ما زيادته، وأنها غير محدودة، فما يقولون في أنبياء الله وكتبه ورسله؟ هل يقرون بهم في الجملة؟ ويزعمون أنه من الإيمان، فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: هل تحدونهم وتعرفون عددهم؟ أليس إنما يصيرون في ذلك إلى الإقرار بهم في الجملة ثم يكفون عن عددهم؟ فكذلك زيادة الإيمان، وبيّن أحمد أن كونهم لم يعرفوا منتهىٰ زيادته، لا يمنعهم من الإقرار بها في الجملة كما أنهم يؤمنون بالأنبياء والكتب وهم لا يعرفون عدد الكتب والرسل.

وهذا الذي ذكره أحمد، وذكره محمد بن نصر، وغيرهما يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل، وأن حديث أبي ذر في ذلك لم يثبت عندهم)[(١)].

وأورد ابن كثير رحمه الله الاختلاف في عدد الأنبياء والمرسلين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسىٰ تكليما﴾[(٢)].

فقال رحمه الله: (وقد اختلف في عدد الأنبياء والمرسلين، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل - ثم أورده من رواية ابن مردويه في تفسيره - ثم قال: وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم ابن حبان البستي في كتابه: «الانواع والتقاسيم» وقد وسمه بالصحة وخالفه أبو الفرج بن الجوزي[(٣)] فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات» واتهم به إبراهيم ابن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث فالله أعلم)[(٤)].

وساق بعد ذلك بعض الأحاديث التي وردت في الاخبار عن عدد الأنبياء والمرسلين ولكنه

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٧/٤٠٩).

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٤.

(٣) هو عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البكري البغدادي الحنبلي، ولد سنة ٥٠٩هـ أو ٥١٠هـ، وتوفي سنة ٥٩٧هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء»: (٢١/٣٦٥)، «وذيل طبقات الحنابلة»: (١/٣٩٩).

(٤) تفسير ابن كثير: (٢/٤٢٢، ٤٢٣).

أعلها بما يدل على ضعفها وعدم صلاحيتها للاحتجاج بها[١].

وخلاصة القول أن ابن حبان قد خولف رحمه الله في تحديد عدد الأنبياء والمرسلين ـ وهو الحق ـ والحديث الذي صححه ابن حبان مما لا تقوم به الحجة وذلك لضعفه الشديد.

وقد وردت أحاديث أخرى في تحديد عدد الأنبياء ولكنها مما لا تقوم به الحجة لضعف أسانيدها كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير، رحمه الله في تفسيره وغيره من العلماء.

التخيير بين الأنبياء عند ابن حبان:

أورد ابن حبان في صحيحه حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تخيروا بين الأنبياء»[٢] وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الزجر عن التخيير بين الأنبياء على سبيل المفاخرة)[٣]، وترجمته هذه للحديث، تدل على أنه يرى أن النهي عن التخيير بين الأنبياء إذا كان ذلك على سبيل المفاخرة والنهي الوارد في الحديث كما يقول ابن حبان، نهي كراهة لا نهي تحريم، واستدل لذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»**[٤] وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن هذا الزجر زجر ندب لا حتم أي أنه زجر كراهة لا زجر تحريم)[٥].

وقد أوضح رحمه الله العلة التي زجر من أجلها عن التخيير بين الأنبياء، وهي خوف الاطراء والغلو، ويستدل لذلك بما أخرجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله»**[٦]، وترجم لهذا الخبر بقوله: (ذكر العلة التي من أجلها زجر عن هذا الفعل)[٧] أي: التخيير بين الأنبياء

---

(١) للمزيد من البحث في الأحاديث الواردة في عدد الأنبياء ومعرفة عللها، يرجع إلى «تفسير ابن كثير»: (٢/٤٢٢) فما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري: (٨/٣٠٢، ح ٤٦٣٨) في التفسير: باب ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه**﴾.

(٣) «الإحسان»: (١٤/١٣٠).

(٤) أخرجه البخاري: (٨/٢٦٧، ح ٤٦٠٣) في التفسير: باب ﴿**إنا أوحينا إليك ـ إلى قوله ـ ويونس وهارون وسليمان**﴾، ومسلم (٤/١٨٤٦، ح ٢٣٧٦) في الفضائل: باب ذكر يونس عليه السلام.

(٥) «الإحسان»: (١٤/١٣٢).

(٦) أخرجه البخاري: (٦/٤٧٨، ح ٣٤٤٥) في أحاديث الأنبياء: باب قول الله ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا**﴾

(٧) «الإحسان»: (١٤/١٣٣).



وتفضيل بعضهم على بعض، ومسألة التفضيل أو التخيير بين الأنبياء مما اختلف الناس في الإجابة عن النصوص الواردة فيها وظاهرها التعارض.

فقيل: إن النهي عن التفضيل بين الأنبياء كان قبل أن يعلم الله النبي ﷺ أنه سيد الأولين والآخرين، فلما أعلمه الله تعالى بذلك أخبر به عليه الصلاة والسلام، ولكن ابن كثير ضعف هذا القول[1] وقيل: إنه قال ذلك تواضعاً وتأدباً واحتراماً للأنبياء قبله.

وقيل: إن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول، أو يؤدي إلى الخصومة والفتنة[2] كما هو المشهور في سبب ورود تلك الأحاديث، وهذا هو الأولىٰ في هذه المسألة، ويدل لذلك معرفة سبب الحديث، ففي صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم، والذي اصطفى محمداً ﷺ على العالمين - في قسم تقسم به - وقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي» فذهب اليهودي عند ذلك إلى النبي، فأخبره الذي كان في أمره وأمر المسلم فقال النبي ﷺ: «**لا تخيروني علىٰ موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى باطش بجانب العرش، فلا أدري، أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله**»[3] وفي رواية عند البخاري: «**لا تفضلوني على الأنبياء**»[4] وفي رواية: «**لا تخيروا بين الأنبياء**»[5].

قال ابن حجر: (قال العلماء: في نهيه عن التفضيل بين الأنبياء: إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه إلا من يقوله بدليل، أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول، أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة)[6].

وهذه النصوص الواردة في الزجر عن التفضيل بين الأولياء، لا تعارض النصوص القرآنية التي تدل على أن الله تعالى قد فضل بعض الأنبياء على بعض وبعض المرسلين على بعض، فينبغي إذا حمل تلك الأحاديث على النهي عن التفضيل إذا كان على وجه الحمّية والعصبية والانتقاص، أو كان هذا التفضيل يؤدي إلى خصومه أو فتنة، وهذا ما ذهب إليه ابن حبان رحمه الله تعالى.

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (١/٤٤٩).

(٢) المصدر السابق: (١/٤٤٩)، و«شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ١٢٠-١٢٢)، و«فتح الباري»: (٦/٤٤٦).

(٣) أخرجه البخاري: (٥/٧٠، ح ٢٤١١) في الخصومات: باب ما يذكره الأشخاص، ومسلم: (٤/١٨٤٤، ح ٢٣٧٣) في الفضائل: باب فضل موسى ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري: (٦/٤٥٠، ح ٣٤١٤) في الأنبياء: باب قوله الله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾.

(٥) أخرجه البخاري: (٥/٧٠، ح ٢٤١٢) في الخصومات: باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي.

(٦) «فتح الباري»: (٦/٤٤٦).

خصائص النبي ﷺ :

أورد ابن حبان رحمه الله جملة من الخصائص التي خص الله بها خليله محمداً ﷺ دون سائر الأنبياء، واستدل لذلك بما رواه عن جابر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»(١). وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخصال التي فضل ﷺ بها على غيره)(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»(٣).

وقد قرر رحمه الله تعالى هذه الخصائص النبوية كما جاءت بذلك آيات الكتاب العزيز والسنة النبوية، وفيما يلي عرض موجز لنماذج من تلك الخصائص.

١- عموم رسالة النبي ﷺ:

فإن الله جل وعلا كان يبعث كل نبي إلى قومه، كما في حديث جابر المتقدم آنفا، أما رسالة النبي ﷺ فإنها عامة لكافة الخلق كما قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً**﴾(٤) وقال تعالى: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً**﴾(٥) وقال تعالى: ﴿**تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**﴾(٦) فهذه الآيات وما في معناها واضحة الدلالة في تقرير عموم رسالة النبي ﷺ إلى الناس جميعاً، عربهم وعجمهم، ذكرهم وأنثاهم، إنسهم وجنهم، فيجب على كل إنسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين ـ الإنس والجن ـ وأوجب عليهم الإيمان به، وبما جاء به وطاعته، وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله، ويحرموا

---

(١) اخرجه البخاري: (١/ ٤٣٦، ح ٣٣٥) في التيمم، ومسلم: (١/ ٣٧٠، ح ٥٢١) في المساجد ومواضع الصلاة.
(٢) «الإحسان»: (١٤/ ٣٠٨).
(٣) اخرجه مسلم: (١/ ٣٧١، ح ٥٢٣) في المساجد.
(٤) سورة سبأ: الآية ٢٨.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.
(٦) سورة الفرقان: الآية ١.



ما حرم الله ورسوله، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله، ويحبوا ما أحبه الله ورسوله ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله.

وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به، استحق عقاب الله تعالىٰ كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين وسائر الطوائف من المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين[1].

وقد تناول ابن حبان رحمه الله ما يقرر هذه المسألة العظيمة وهي عموم رسالة النبي ﷺ وذلك بإثبات دعوة النبي ﷺ للجن إلى الإسلام وإبلاغهم ما أوحاه الله إليه وقراءة القرآن عليهم. روى عن ابن مسعود رضي الله عنه سئل: هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ فقال رضي الله عنه: ما صحبه منا أحد، ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة، فقلنا اغتيل أو استطير، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما كان من السحر - أو قال: في الصبح - إذا نحن به يجيء من قبل حراء فقلنا: يا رسول الله، فذكرنا له الذي كانوا فيه، فقال ﷺ: «**إنه أتاني داعي الجن، فأتيتهم فقرأت عليهم**» فانطلق رسول الله ﷺ فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم[2]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر ما أبان الله جل وعلا فضيلة صفية ﷺ بقراءته على الجن القرآن)[3].

وجاء القرآن يؤكد عموم الرسالة المحمدية للجن فقال تعالى: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلماحضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم**﴾[4].

كما أورد ابن حبان أيضاً ما يقرره عموم رسالة النبي ﷺ وذلك بما رواه من الأحاديث التي تبين دعوة النبي ﷺ ملوك العرب والعجم إلى الإسلام، فروى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كتب إلي كسرى وقيصر وأكيدر دومة يدعوهم إلى الله تعالى[5].

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (١٩/٩).

(٢) أخرجه البخاري: (٧/١٧١، ح ٣٨٥٩) في مناقب الأنصار: باب ذكر الجن، ومسلم: (١/٣٣٢، ح ٤٥٠) في الصلاة: باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن.

(٣) «الإحسان» (١٤/٢٢٥).

(٤) سورة الأحقاف: الآيات ٢٩/٣١.

(٥) أخرجه مسلم: (٣/١٦٥٧، ح ٢٠٩٢) في اللباس: باب اتخاذ النبي ﷺ خاتماً لما أراد أن يكتب للعجم.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قصة أبي سفيان ـ قبل أن يُسلم ـ مع هرقل ملك الروم وقد كتب النبي ﷺ كتاباً يدعوه فيه إلي الإسلام، فقرئ على هرقل فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين: ﴿**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله**﴾ إلي قوله: ﴿**واشهدوا بأنا مسلمون**﴾[1][2].

فهذان الأمران ـ دعوة النبي ﷺ للجن، وكتابة النبي ﷺ إلى ملوك العرب والعجم ودعوتهم إلى الإسلام ـ من أعظم الأدلة على عموم رسالة النبي ﷺ التي خصه الله بها من بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢- ختم النبوة به ﷺ:

امتن الله تعالى على نبيه ﷺ فجعله خاتم رسله، وجعل دينه ناسخاً للأديان قبله، كما قال تعالى: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾[4] قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿**ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾: (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بالطريقة الأولى والأخرى لأن مقام الرسالة، أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم)[5].

وقد قرر ابن حبان هذه الخاصية العظيمة للنبي ﷺ وذلك بالأحاديث التي رواها في تقرير ختم النبوة، فروى عن العرباض بن سارية الفزاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني عبد الله مكتوب بخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول ذلك**:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) أخرجه البخاري: (١/ ٣١، ح ٧) في بدء الوحي، ومسلم: (٣/ ١٣٩٣، ح ١٧٧٣) في الجهاد والسير: باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٥) «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٤٩٣).



دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام»[١] وترجم للحديث بقوله: (ذكر كتبة الله جل وعلا عنده محمداً ﷺ خاتم النبيين)[٢].

وتقدم ذكر حديث أبي هريرة وفيه: «وختم بي النبيون».

وعن سعد بن أبي وقاص وأم سلمة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لعلي: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»**[٣] وترجم للحديث بقوله: (ذكر نفي المصطفى ﷺ كون النبوة بعده إلى قيام الساعة)[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وكمله: إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم النبيين صلوات الله عليهم»**[٥].

والأحاديث في ختم النبوة بالنبي ﷺ متواترة كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله حيث قال: (وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه، أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل)[٦].

وقال عبدالقاهر بن طاهر البغدادي: (وقد تواترت الأخبار عنه - أي النبي ﷺ بقوله: **«لا نبي بعدي»**[٧] ومما قرر به ابن حبان ختم النبوة - بيان كذب من يدعيها بعد النبي ﷺ وبطلان قوله.

فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كلهم يزعم أنه رسول الله حتى يفيض المال وتظهر الفتن ويكثر الهرج»** قالوا: وما

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤/١٢٨)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (٢٠٧٢) وابن أبي عاصم في «السنة»: (٤٠٩)، والحاكم: (٢/٦٠٠)، والآجرى في «الشريعة»: (ص ٤٢١) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٨/٢٢٣) وقال: رواه أحمد بأسانيد والبزار والطبراني بنحوه واحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان.

(٢) «الإحسان»: (١٤/٣١٢).

(٣) أخرجه البخاري: (٨/١١٢، ح ٤٤١٦) في المغازي: باب عزوة تبوك، ومسلم (٤/١٨٧٠، ح ٢٤٠٤) في فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) «الإحسان»: (١٥/١٥).

(٥) أخرجه البخاري: (٦/٥٥٨، ح ٣٥٣٤) في المناقب: باب خاتم النبيين ﷺ، ومسلم: (٤/١٧٩٠، ح ٢٢٨٦) في الفضائل: باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

(٦) «تفسير ابن كثير»: (٣/٧٨٧).

(٧) «أصول الدين» للبغدادي: (ص ١٥٨).

الهرج يا رسول الله؟ قال: «**القتل القتل**»[1].

وروى عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**وإنه سيخرج من أمتي كذابون دجالون قريباً من ثلاثين وإني خاتم الأنبياء لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله**»[2].

فكل من خرج يدعي النبوة فالأمة مجمعة على كذبه وبطلان قوله لما علموه من الدين بالضرورة من ختم النبوة برسالة محمد ﷺ.

أما نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، فهو حق وصدق، كما أخبر النبي ﷺ بذلك، ولكن لا ينزل ليحكم بشريعة التوراة والإنجيل، بل يحكم بالقرآن ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل إلا الإسلام.

٣- الشفاعة العظمى:

وهي الشفاعة التي يشفع فيها النبي ﷺ لأهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتدافعها الأنبياء أصحاب الشرائع آدم إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وهي المقام المحمود الذي يبعثه الله فيه يوم القيامة.

وقد استدل ابن حبان رحمه الله تعالى لهذه الخاصية من خصائص النبي ﷺ بما رواه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً طهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»[3]. فقد فضل ﷺ على سائر الأنبياء بهذه الخصال، ومنها اعطاؤه الشفاعة، وهذه الشفاعة هي التي يعجز عنها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فيكرم الله تعالى محمداً ﷺ باعطائها له.

قال ابن كثير رحمه الله: (فقوله: «**وأعطيت الشفاعة**»، يعني بذلك الشفاعة العظمى، وهي

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/٢٣٦-٢٣٧)، وأخرج القسم الأول منه البخاري: (٧/ ح، ٩٣٦٠٩ في المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، وأخرج القسم الثاني منه مسلم: (٤/٢٠٥٧، ح ٢٦٧٢) في العلم: باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان.

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢٢١٥، ح ٢٨٨٩) في الفتن: باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

(٣) تقدم تخريجه.





الأولى التي يشفع فيها عند الله عز وجل، ليأتي لفصل القضاء وهي التي يرغب إليه فيها الخلق كلهم حتى الخليل إبراهيم، وموسى الكليم وسائر المرسلين، والمؤمنين، ويعترف بها الأولون والآخرون، فهذه هي الشفاعة التي اختص بها دون غيره)[1].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الناس يوم القيامة فيلهمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا كي يريحنا من مكاننا، قال: فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. قال: فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصابها فيستحي من ربه منها، ولكن ائتوا نوحا، أول رسول بعثه الله فيأتونه، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، قال فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة. قال: فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم ، ويذكر خطيئته، فيستحي من ربه منها، ولكن ائتوا عيسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا عيسى، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: فيأتوني فأستأذن على ربي، فيأذن لي، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، قال: فأرفع رأسي، فأحمد ربي بمحامد يعلمنيه ثم أشفع فيحدا لي حدا، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، وقل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فارفع رأسي وأحمد ربي بمحامد يعلمنيه، ثم اشفع فيحدا لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أضع رأسي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: ارفع رأسك، وقل تسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد الله بمحامد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة**»[1].

قال أبو عوانة: فلا أدري قال في الثالثة أو الرابعة: «فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أو وجب عليه الخلود»[2]. وترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن المصطفى ﷺ إنما يشفع في القيامة عند عجز الأنبياء عنها في ذلك اليوم)[3].

(١) «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير: (٢/٢٠٣) دار التراث الإسلامي، القاهرة.

(٢) أخرجه البخاري: (١١/٤١٧، ح ٦٥٦٥) في الرقاق: باب صفة الجنة والنار، ومسلم: (١/١٨٠، ح ١٩٣) في الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٣) «الإحسان»: (١٤/٢٧٧).

المبحث الثاني:

عصمة الأنبياء

أجمعت الأمة على أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل، فلا يستقر في الشريعة والرسالة شيء من الخطأ البتة، لأن ذلك يناقض مقصود الرسالة، فالرسول هو الذي يبلغ عن الله تبارك وتعالى الأوامر والنواهي والأخبار، فلا يجوز إذا عليه شيء من الخطأ أو التبليغ في الرسالة.

ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتي الأنبياء من ربهم كما قال تعالى: ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾[(١)]، ولو كان الخطأ في الرسالة والتبليغ جائزا عليهم؛ لما أمر الله تعالى بالإيمان بكل ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام، إذ كل ما يبلغه الأنبياء، إنما هو من عند الله كما قال تعالى مبيناً رد الأنبياء على أقوامهم: ﴿**وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿**قل إنما اتبع ما يوحىٰ إليّ من ربي**﴾[(٣)]، ولهذا اتفق المسلمون قاطبه على عصمة الأنبياء والرسل في تبليغ الرسالة.

رأي ابن حبان في عصمة الأنبياء في تبليغ الرسالة:

اتفق ابن حبان رحمه الله في رأيه في عصمة الأنبياء في تبليغ الرسالة مع ما أجمعت عليه الأمة، قال رحمه الله في مقدمة كتاب الثقات بعد بيانه لاصطفاء الله لنبيه ﷺ واجتباءه له: (ثم أمره جل وعلا بتبليغ ما أنزل الله إليه أمته مع الشهادة له بالعصمة من بين الناس فقال: ﴿**ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾[(٤)])[(٥)].

وقال رحمه الله أيضاً عقب إخراجه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحدا

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ١١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٠٣

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٥) «الثقات»: (١/٧).



أكثر أن يقول: استغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ»[١].

قال: «كان المصطفى ﷺ يستغفر ربه جل وعلا في الأحوال على حسب ما وصفناه، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولاستغفاره ﷺ معنيان:

أحدهما: أن الله جل وعلا بعثه معلماً لخلقه قولاً وفعلاً فكان يعلم أمته الاستغفار والدوام عليه لما علم من مقارفتها المآثم في الاحايين باستعمال الاستغفار.

والمعنى الثاني: أنه ﷺ كان يستغفر لنفسه عن تقصير الطاعات لا الذنوب، لأن الله جل وعلا عصمة من بين خلقه واستجاب له دعاءه على شيطانه حتى أسلم، وذاك أن من خلق المصطفى ﷺ كان إذا أتى بطاعة لله عز وجل داوم عليها ولم يقطعها، فربما شغل بطاعة عن طاعة حتى فاتته إحداهما، كما شغل ﷺ عن الركعتين اللتين بعد الظهر بوفد تميم حيث كان يقسم فيهم ويحملهم حتى فاتته الركعتان اللتان بعد الظهر، فصلاهما بعد العصر، ثم داوم عليهما في ذلك الوقت فيما بعد، فكان استغفاره ﷺ لتقصير طاعة أن أخرها عن وقتها من النوافل لاشتغاله ﷺ بمثلها من الطاعات التي كان في ذلك الوقت أولى من تلك التي كان يواظب عليها، لا أنه كان ﷺ يستغفر من ذنوب يرتكبها»[٢].

وقال أيضاً عقب إخراجه لحديث الأغر المزني رضي الله عنه وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنه ليغان على قلبي، وإني لاستغفر الله كل يوم مئة مرة»**[٣].

(قوله ﷺ: **«إنه ليغان على قلبي»** يريد به: يرد عليه الكرب من ضيق الصدر مما كان يتفكر فيه ﷺ بأمر اشتغاله كان بطاعة عن طاعة أو اهتمام بما لم يعلم من الأحكام قبل إنزال الله إياها بالمدينة ذنبا، فكان يغان على قلبه لذلك حتى كان يستغفر الله كل يوم مئة مرة لا أنه كان يغان على قلبه من ذنب يذنبه كأمته ﷺ)[٤].

فهذه النقول من كلام ابن حبان رحمه الله تبين أنه يرى عصمة النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله جل وعلا، إذ كل ما يأتي به إنما هو من عند الله تبارك وتعالى لا من تلقاء نفسه.

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة»: (٤٥٤)، وابن حبان في «صحيحه»: (٣/٢٠٧، ٢٠٨، ح ٩٢٨) في الرقاق: باب الأدعية: وفي سنده الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد عنعن.

(٢) «الإحسان»: (٣/٢٠٨).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/٢٠٧٥، ح ٢٧٠٢) في الذكر والدعاء: باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه.

(٤) «الإحسان»: (٣/٢١١).

ويستنبط من هذه النقول عنه أيضاً أنه يرى عصمة النبي ﷺ عن الكبائر والصغائر كما هو ظاهر في أقواله الآنفة الذكر.

رأي ابن حبان في النسيان في حقه ﷺ:

يرى ابن حبان جواز النسيان في حق النبي ﷺ وأيدّ ذلك بما رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**صلى النبي ﷺ فزاد أو نقص، وقيل: يا رسول الله: هل حدث في الصلاة شيء؟ فقال ﷺ: لو حدث شيء لنبأتكموه ولكني إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فأيكم شك في صلاته فلينظر أحرى ذلك إلى الصواب وليتم عليه، ثم ليسلم وليسجد سجدتين**»(١).

فهذا الحديث الذي أورده ابن حبان من أظهر الأدلة على جواز السهو في حقه ﷺ.

وقال أيضاً: «المصطفى ﷺ صلىٰ فسها، فقيل له: يا رسول الله: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال: «كل ذلك لم يكن» فلما جاز على من اصطفاه الله لرسالته وعصمه من بين خلقه؛ النسيان في أعم الأمور للمسلمين الذي هو الصلاة حتى نسي، فلما استثبتوه أنكر ذلك، ولم يكن نسيانه بدال على بطلان الحكم الذي نسيه، كان من بعد المصطفى من أمته الذين لم يكونوا معصومين جواز النسيان عليهم أجوز»(٢).

وقد بيّن ابن حبان رحمه الله العلة في سهو النبي ﷺ بقوله: «والعلة في سهو النبي في صلاته؛ أنه بعث معلماً قولاً وفعلاً، فكانت الحال يطرأ عليه في بعض الأحوال، والقصد فيه إعلام الأمة ما يجب عليهم عند حدوث تلك الحال بهم بعده ﷺ»(٣).

ومما سبق نقله عن ابن حبان رحمه الله في مسألة عصمة الأنبياء؛ يتبين أنه يتفق مع أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، في أمور ثلاثة:

الأمر الأول: عصمتهم في تبليغ الرسالة.

الأمر الثاني: عصمتهم من الوقوع في الكبائر.

الأمر الثالث: جواز النسيان في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

فأما الأمر الأول: وهو عصمتهم في تبليغ الرسالة، فهذا مما أجمعت عليه الأمة، قال شيخ

---

(١) أخرجه مسلم: (١/٤٠٠، ح ٥٧٢) في المساجد ومواضع الصلاة: باب السهو في الصلاة والسجود له.
(٢) «الإحسان»: (٩/٣٨٦).
(٣) «الإحسان»: (٦/٤٠٧).





الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الناس متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغون عن الله، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين)[1].

وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين: وإنهم ـ أي الرسل ـ معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى، وليسوا معصومين في غير ذلك من الخطأ والنسيان والسهو، والصغائر في الأشهر لا يمنع)[2].

وقال ابن عقيل[3]: (لا يجوز عليهم الكذب فيما يؤدونه عن الله تعالى)[4].

وإنما حصل الإجماع على ذلك، لأن القول بعدم عصمتهم في التبليغ يناقض مقصود الرسالة، إذ الرسول يبلغ عن الله تعالى أوامره ونواهيه وأخباره، فلا يجوز إذا عليه شيء من الخطأ أو الغلط في تبليغ الرسالة، وقد قال تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**﴾[5] الآية.

فلو كان الخطأ في الرسالة والتبليغ جائزاً عليهم، لما أمرنا الله بالإيمان بكل ما جاء به الرسل.

وأما الأمر الثاني: وهو عصمتهم من الوقوع في الكبائر، فهذا مما تنازع الناس فيه، والذي عليه جمهور أهل العلم: عصمة الأنبياء عن الكبائر دون الصغائر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر العلماء وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي[6]، أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول)[7].

وقال أيضاً: (وجمهور المسلمين على تنزيههم عن الكبائر لا سيما الفواحش، وما ذكر الله تعالى عن نبي كبيرة، فضلاً عن الفاحشة)[8].

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (١٠/٢٨٩-٢٩١).

(٢) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٣٠٤).

(٣) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، أبو الوفاء الحنبلي، مقرىء فقيه أصولي متكلم، أفتى ودرس وناظر توفي سنة ٥١٢هـ. انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٩/٤٤٣-٤٥١)، «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: (١/١٤٢، ١٦٣).

(٤) المصدر السابق: (٢/٣٠٤).

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٦) هو أبو الحسن علي بن أبي محمد بن سالم، سيف الدين الآمدي، ولد سنة ٥٥١هـ وتوفي سنة ٦٣١هـ بدمشق. انظر «سير أعلام النبلاء»: (٢٢/٣٦٤) و«وفيات الأعيان»: (٣/٢٩٣).

(٧) «مجموع الفتاوى»: (٤/٣١٩، ١٠/٢٩٣).

(٨) «منهاج السنة النبوية»: (٢/٤٢٦-٤٢٧).

كما أجمعت الأمة على أن ما نسبه اليهود والنصارى إلى الأنبياء والرسل من الزنىٰ والسرقة وصناعة الأصنام وعبادتها، لا يمكن أن يقع من أحد من الأنبياء والرسل بحال من الأحوال وأنهم معصومون من ذلك.

وقال القاضي عياض: (أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات)[1].

وأما الأمر الثالث: وهو جواز النسيان في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: فهذا مما جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

١- قال تعالى: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما**﴾[2].

٢- قال تعالى: ﴿**سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفىٰ**﴾[3].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (حدثنا بشر قال: قال يزيد، قال ثنا سعيد عن قتادة: ﴿**سنقرئك فلا تنسى**﴾ كان ﷺ لا ينسىٰ شيئاً ﴿**إلا ما شاء الله**﴾).

ثم قال: والقول الذي هو أولى بالصواب عندي قول من قال: (معنى ذلك فلا تنسىٰ إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفعه)[4].

٣- أحاديث سهوه ونسيانه ﷺ في الصلاة، وقوله في بعضها لما ذكر: «**إنما أنا بشر أنسى كما تنسون**»[5] فقد أثبت النبي ﷺ في الصلاة لنفسه النسيان، وأنه يشارك بقية البشر في هذه الخاصة.

قال ابن حجر رحمه الله في شرحه لحديث عبدالله بن بحية في سهو النبي ﷺ في صلاته: «وأن السهو والنسيان جائزان على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما طريقة التشريع)[6].

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صلى صلاة فقرأ فيها فلبس عليه فلما انصرف قال لأبيّ: «**أصليت معنا**»؟ قال: نعم. قال: «**فما منعك**»[7].

---

(١) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٣٠٥).

(٢) سورة طه: الآية ١١٥.

(٣) سورة الأعلى: الآية ٦، ٧.

(٤) «تفسير ابن جرير الطبري»: (٣٠/١٥٤).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) «فتح الباري»: (٣/٩٣).

(٧) أخرجه أبوداود: (١/٢٣٨، ح ٩٠٧) في الصلاة: باب الفتح على الإمام في الصلاة، والبيهقي في «سننه»: (٣/٢١٢) والطبراني في «الكبير»: (١٣٢١٦) وسنده صحيح.



وهذا الحديث، صريح في إثبات نسيان النبي ﷺ لشيء من القرآن ومعاتبته للصحابي الجليل أبي بن كعب لِمَ لم يفتح عليه بأن يذكره ما نسيه.

أما بالنسبة لما ذهب إليه ابن حبان رحمه الله من عصمة الأنبياء من الصغائر فهذا مما خالف فيه ما ذهب إليه الجمهور من أهل السنة والجماعة.

وممن وافق ابن حبان على عدم وقوع الصغائر من الأنبياء وعصمتهم منها: أبو إسحاق الاسفرينيي[1] والقاضي عياض والسبكي[2] وغيرهم.

وقد تقدم كلام شيخ الإسلام في ذكر قول السلف من أن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، وهذه الصغائر وإن جاز وقوعها منهم، إلا أنهم يعصمون من الإقرار عليها، وقال أيضاً رحمه الله: (والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار عن الذنوب مطلقاً والرد على من يقول أنه يجوز اقرارهم عليها وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول، ثم إن الرسل والأنبياء يوفقون على الفور إلى التوبة النصوح بخلاف غيرهم من عموم البشر، فإن من سوى الأنبياء والرسل يجوز عليهم الذنب من غير توبة، أما الأنبياء فإن الله تبارك وتعالى عصمهم من ذلك، فهم لا يؤخرون التوبة بل يسارعون إليها ويتوبون)[3].

وقال كذلك: (والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها، وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم، فالأعمال بالخواتيم)[4].

أدلة الجمهور على جواز وقوع الصغائر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

١- معصية آدم عليه السلام بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها، وقد قال تعالى: ﴿**فعصى آدم ربه فغوى**﴾[5] والآية واضحة الدلالة فقد صرحت بمعصية آدم عليه السلام ربه.

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الاسفرايني، الأستاذ الملقب بركن الدين: فقيه شافعي متكلم متبحر في العلوم مات سنة ٤١٨هـ. انظر «وفيات الأعيان»: (٨/١)، «السير»: (٣٥٣/١٧).

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام السبكي الشافعي، الشيخ الإمام الفقيه المفسر، ولي قضاء دمشق دهراً، وكان ذا عبادة وتقشف له مصنفات كثيرة توفي سنة ٧٠٦، انظر «طبقات الشافعية»: (١٣٩/١٠، ٣٣٩)، «الدرر الكامنه»: (١٣٤/٣، ١٤٢).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٢٩٣/١٠، ٣٠٩).

(٤) «منهاج السنة النبوية»: (٤٠٠/٢).

(٥) سورة طه: الآية ١٢١.

٢- موسى عليه السلام لما وكز القبطي فقضىٰ عليه كما قال تعالى: ﴿**قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم**﴾(١).

٣- قصة داود عليه السلام عندما تسرع في الحكم قبل سماع قول الخصم الثاني، فاستغفر ربه فغفر له، قال تعالى: ﴿**فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب**﴾(٢).

٤- عتاب الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ في بعض الأمور كعبوسه ﷺ في وجه الأعمى وإنشغاله عنه، فعاتبه الله عز وجل فقال سبحانه: ﴿**عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى**﴾(٣).

٥- عن الأعز المزني رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في اليوم والليلة مئة مرة»(٤).

ونصوص الكتاب والسنة في هذا كثيرة متضافرة:

وكل هذه النصوص وغيرها، يتأولها المخالفون لأهل السنة في عصمة الرسل والأنبياء بتأويلات باطلة تشبه تأويلات القرامطة الباطنية، والتي هي من باب تحريف الكلم عن مواضعه، وهؤلاء كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (يقصد أحدهم تعظيم الأنبياء فيقع في تكذيبهم، ويريد الإيمان فيقع في الكفر بهم).

وهذه العصمة التي دل عليها الشرع والعقل والإجماع وهي: (العصمة في التبليغ) لم ينتفعوا بها لأنهم لا يقرون بموجب ما بلغته الأنبياء وإنما يقرون بلفظ حرفوا معناه)(٥).

وقال أيضاً: «واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه، قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب حتى حرفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب ومغفرة الله لهم ورفع درجاتهم بذلك.

وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القرآن على ما براءتهم منه، وأضافوا عليهم ذنوباً وعيوباً

---

(١) سورة القصص: الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) سورة ص: الآيتان ٢٤، ٢٥.

(٣) سورة عبس: الآيات ١-٤.

(٤) أخرجه مسلم: (٤/٢٠٧٥، ح٢٧٠٢) في الذكر والدعاء: باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه.

(٥) «مجموع الفتاوى»: (١٠/٢٩٥).







نزههم الله عنها، وهؤلاء مخالفون للقرآن، وهؤلاء مخالفون للقرآن، ومن اتبع القرآن على ما هو من غير تحريف، كان من الأمة الوسط مهتديا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين)[١].

شبهات من نفىٰ وقوع الأنبياء في الصغائر والجواب عنها:

تعلق من نفي وقوع الأنبياء في الصغائر بشبهتين اثنتين:

إحداهما: أن الله تعالى أمر باتباع الرسل والتأسي بهم فقال: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾[٢] وهذا يستلزم أن تكون جميع أفعال الرسول وأقواله طاعات، فلو جاز أن يقع منه معصية لله تعالى، لحصل تناقض في واقع الحال، إذ يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول الأمر باتباعها وفعلها من حيث أننا مأمورين بالتأسي بالرسول، والنهي عن موافقتها من حيث كونها معصية منهي عنها، وهذا تناقض[٣].

الثانية: أن الذنوب تنافي الكمال، وهي نقص وإن تاب التائب منها، وأنها ممن عظمت عليه النعمة أقبح، وأنها توجب التنفير منهم.

والجواب عن الشبهة الأولى:

أن هذا إنما يصح لو بقيت معصية الرسول خافية غير ظاهرة بحيث تختلط الطاعة بالمعصية، أما والله تعالى لا يقر رسله وأنبيائه على ما وقع منهم من مخالفات بل يوفقهم إلى التوبة منها من غير تأخير، فيكون التأسي بهم في الإسراع إلى التوبة من غير تسويف، فلا يصلح ما أوردوه دليلاً، فالتأسي إنما هو فيما أقروا عليه، كما أن النسخ جائز فيما يبلغونه من الأمر والنهي، وليس تجويز ذلك مانعاً من وجوب طاعتهم، لأن الطاعة تجب فيما لم ينسخ، فعدم النسخ يقررُ الحكم، وعدم الإنكار يقرر الفعل، والأصل عدم كل منهما.

والجواب على الشبهة الثانية:

أن كل ما ذكرتموه إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع. ثم قولهم: إن الذنوب نقص وإن تاب منها التائب: قول باطل، بل التوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى

(١) المصدر السابق: (١٥/ ١٥٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٣) «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٢٩٢).

أعظم مما كان عليه. كما قال بعض السلف: كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة.

وقال آخر: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلىٰ آدم بالذنب أكرم الخلق عليه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[1].

وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير رحمه الله: (أن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، يعمل الحسنة فيعجب بها ويفتخر بها حتى تدخله النار، ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة)[2].

وبذلك تبطل هاتان الشبهتان اللتان يستند إليهما المخالفون في عصمة الأنبياء من الصغائر، والحق الذي دل عليه الكتاب والسنة أنها تقع منهم لكن لا يقرون عليها، بل يبادرون إلى التوبة فيكونون بعدها أكمل منهم قبلها.

○ ○ ○

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١٠/٢٩٤، ١٠/٢٩٩).





آراء ابن حبان في السمعيات

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: آراؤه في الملائكة، والجن

الفصل الثاني: آراؤه في المعاد



الفصل الأول:

أراؤه في الملائكة، والجن

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول : الملائكـــة.

المبحث الثاني : الجـــــن.

المبحث الأول:
الملائكــة

* **تمهيد:**

الإيمان بالغيب من أهم صفات عباد الله المؤمنين فقد أثنى الله تعالى عليهم بقوله تعالى: **﴿آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﷺ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾**[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب كما قال تعالى: **﴿آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب﴾** والغيب الذي يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار، فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب).

فالمسلم لا يتميز من الكافر إلا في الإيمان بالغيب، لأنه تصديق مجرد لله ورسله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر به أو أخبر به رسوله، سواء شاهده أو لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله أو لم يهتد إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة المكذبين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم قاصرة عن الاهتداء إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه.

يقول شيخ محمد رشيد رضا[٣] في ثنايا حديثه عن أهمية الإيمان بالملائكة باعتباره من جملة الإيمان بالغيب: (إن الإيمان بالملائكة أصل للإيمان بالوحي، ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب والنبيين قال تعالى: **﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾**[٤] فالملائكة هم الذين يؤتون النبين الكتاب قال تعالى: **﴿تنزل الملائكة والروح فيها**

---

(١) سورة البقرة: الآية ١-٥.

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١٣/٢٣٣).

(٣) محمد رشيد بن علي القلموني الحسيني من رجال الإصلاح في هذا العصر نشأ في الشام ثم رحل إلى مصر له مؤلفات وفتاوى توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ. انظر «الأعلام»: (٦/١٢٦)، «معجم المؤلفين»: (٩/٣١٠).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

بإذن ربهم من كل أمر﴾[1] وقال سبحانه: ﴿**نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين**﴾[2] فيلزم من إنكار الملائكة إنكار الوحي والنبوة وإنكار الأرواح وذلك يستلزم إنكار اليوم الآخر)[3].

والإيمان بالملائكة هو الأصل الثاني من أصول الإيمان التي يجب بها كما جاء ذلك في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام والإحسان، فقال له النبي ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**»[4].

تعريف الملائكة في اللغة:

الملائكة جمع ملك ـ بفتح اللام ـ قيل مخفف من مالك، وقيل مشتق من الألوكة، وهي الرسالة وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله لاك.

وقيل أصله الملك ـ بفتح الميم وسكون اللام، وهو الأخذ بقوة، وأصل وزنه «مفعل» فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال وظهرت في الجمع[5].

تعريف الملائكة في الشرع:

قال ابن حجر في تعريفهم: (وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكيل بأشكال مختلفة ومسكنها السموات)[6].

وعرفهم الشيخ ابن عثيمين بتعريف أشمل من هذا فقال: (الملائكة عالم غيبي مخلوقون لله تعالى، ليس لهم خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور ومنحهم الانقياد التام لأمره والقدرة على تنفيذه)[7]، قال تعالى: ﴿**ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾[8].

---

(١) سورة القدر: الآية ٤، ٥.

(٢) سورة الشعراء: الإية ١٩٣-١٩٥.

(٣) «تفسير المنار» للشيخ محمد رشيد رضا: (٢/١١٣) ط الثانية، دار المعرفة، بيروت.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) «فتح الباري»: (٦/٣٠٦)، «لسان العرب»: (١٠/٤٩٦)، «القاموس المحيط»: (ص ١٢٣٢).

(٦) «فتح الباري»: (٦/٣٠٦).

(٧) «رسائل في العقيدة»: (ص ١٩).

(٨) سورة الأنبياء: الآية ١٩، ٢٠.



معنى الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة هو التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم كما وصفهم الله عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم قائمون بوظائفهم التي كلفهم الله بها، ويجب الإيمان على التفصيل بمن ورد تعينه باسمه المخصوص، كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، والكرام الكاتبون، ومنكر ونكير، ويجب الإيمان بمن لم يرد تعينه باسمه المخصوص كالملائكة الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم وغيرهم.

وخلاصة القول في معنى الملائكة: الإيمان بوجودهم وصفاتهم وأسمائهم وأعمالهم التي كلفهم الله بالقيام بها.

قال الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله: (وأما قوله: ﴿**وملائكته**﴾ فأن تؤمن بمن سمى لك منهم في كتابه، وتؤمن بأن لله وملائكته سواهم، لا يعرف أسماءهم وعددهم إلا الذين خلقهم)[1].

الإيمان بالملائكة عند ابن حبان:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالي أن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان لا يتم إيمان المكلف إلا بالإقرار به كبقية أصول الإيمان.

واستدل لذلك بما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا محمد، ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر**» قال: يا رسول الله، فما الإسلام؟ قال: «**لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» قال: يا محمد، فمتى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها، ورأيت العراة الحفاة رؤوس الناس في خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿إن الله عنده علم الساعة ...﴾**» الآية، ثم انصرف الرجل. فالتمسوه فلم يجدوه فقال: «**ذاك جبريل جاء ليعلم الناس دينهم**»[2].

واستدل لوجوبه أيضاً بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع**

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٧/٣١٢).

(٢) تقدم تخريجه.

وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»[١] وقال عقب هذا الحديث: (والدليل على أن الإيمان أجزاء بشعب، أن النبي ﷺ قال في خبر عبدالله بن دينار: «**الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله**» فذكر جزءاً من أجزاء شبعة، هي كلها فرض على المخاطبين في جميع الأحوال، لأنه ﷺ لم يقل: وأني رسول الله، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار وما يشبه هذا من أجزاء هذه الشعبة، واقتصر على ذكر جزء واحد منها، حيث قال: «**أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله**» فدل هذا على أن سائر الأجزاء من هذه الشعبة كلها من الإيمان)[٢].

فهذا كلام صريح منه رحمه الله على أن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، وهو فرض على المكلفين في جميع الأحوال.

وقد دل الكتاب العزيز والسنة النبوية على وجوب الإيمان بالملائكة وأنه أصل من أصول الإيمان:

١- قال تعالى في وجوب الإيمان بالملائكة: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله والملائكة وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾[٣].

٢- وقال تعالى فيمن ينكر الإيمان بالملائكة: ﴿**ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً**﴾[٤].

٣- حديث ابن عمر رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنه في مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان بقوله: فأخبرني بها الإيمان؟ فقال ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره حلوه ومره**»[٥] فقال جبريل: «**صدقت ...**» الحديث.

٤- حديث أبي هريرة المتقدم آنفاً: «**كان النبي ﷺ يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي ..**»[٦] الحديث.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الإحسان»: (١/ ٣٨٨)

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٤) سورة النساء: الآية ١٣٦.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.





والآيات والأحاديث في وجوب الإيمان بالملائكة، وأن الإيمان بهم أصل من أصول الإيمان كثيرة متضافرة، اقتصرت على بعض منها للدلالة على المقصودة من وجوب الإيمان بهم كما أخبر الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان معتقد أهل السنة والجماعة: (أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة: أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره»[1].

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: (ونؤمن بالملائكة والنبين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين)[2].

آراء ابن حبان في الملائكة:

أولا: الإيمان بوجودهم

تقدم فيما قبل أن ابن حبان يعتبر الإيمان بالملائكة أصلا من أصول الإيمان التي يجب الإيمان به، وهذا يعنى إقراره رحمه الله بوجودهم، ومما يدل على وجودهم، إخبار الله تعالى عن خلقهم، فقد روى رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما قد وصف لكم»[3] وترجم لهذا الخبر بقوله: (ذكر الإخبار عما خلق الله جل وعلا الملائكة والجان منه)[4] ومما يدل على وجودهم أيضاً؛ سياقه للأحاديث الكثيرة جداً والمتضمنة الإخبار عن أعمالهم التي أوكلهم الله تعالى في القيام بها. ولهذا فإن إنكار الملائكة تكذيب وجحود لآيات الله تعالى، وهو يناقض الإقرار والتصديق.

قال البهوتي[5] رحمه الله: (من جحد الملائكة أو أحدا ممن ثبت أنه ملك، كفر لتكذيبه القرآن»[6].

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١٨).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٢٧٦).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٩٤، ح ٢٩٩٦) في الزهد: باب في أحاديث متفرقة.

(٤) «الإحسان»: (١٤/٢٥).

(٥) هو منصور بن يونس من صلاح الدين بن حسن بن أحمد، أبو السعادات البهوتي: شيخ الحنابلة بمصر، كان عالماً عاملاً ورعاً توفي سنة ١٠٥١ هـ بمصر. انظر «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ص ٤٧١».

(٦) «كشاف القناع»: (٦/٨).

فوجود الملائكة عليهم السلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ولذا فإنه أمر متواتر ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام.

ثانياً: الإيمان بأسمائهم

مما يتضمنه الإيمان بالملائكة ـ الإيمان بأسمائهم ـ وقد سمى الله تعالى بعضهم في كتابه، كجبريل، وميكائيل، ومالك، وسمى بعضهم على لسان رسوله ﷺ كإسرافيل، ورضوان ومنكر ونكير وغيرهم، وقد أورد ابن حبان رحمه الله تعالى جملة من الأحاديث التي تضمنت الاخبار عن اسماء الملائكة، ومن أولئك الذين ذكر ابن حبان اسمائهم:

١- جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿**قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه**﴾[١] الآية، وقد أورد اسمه في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور، وقال في آخره «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»[٢].

٢- مالك عليه السلام، قال تعالى: ﴿**ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك**﴾[٣] الآية. وقد أورد اسمه في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه «روئ وهو يبكي على سور بيت المقدس الشرقي، فقيل له: فقال من هاهنا نبأ رسول الله ﷺ أنه رأى مالكا يقلب حجراً كالقطف»[٤].

٣- منكر ونكير، وقد أورد اسمهما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر والآخر النكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فهو قائل ما كان يقول ..**»[٥] الحديث. وترجم له بقوله: (ذكر الإخبار عن اسم الملكين اللذين يسألان الناس في قبورهم ثبتنا الله بفضله لسؤالهما في ذلك الوقت)[٦].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٧٧.

(٤) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: (١٦/٥٠٥، ٥٠٦، ح ٧٤٦٤، ٧٤٦٥)، والحاكم: (٢/٤٧٨، ٤٧٩) وسنده ضعيف.

(٥) أخرجه الترمذي: ٤/٢٥، ح ١٠٧١) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، والآجرى في «الشريعة»: (ص ٣٦٥)، وابن أبي عاصم في «السنة»: (ح ٨٦٤)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر»: (ح ٥) وإسناده حسن. صحيح سنن الترمذي: (١/٣١١).

(٦) «الإحسان»: (٧/٣٨٦).







ثالثاً: الإيمان بصفاتهم:

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى جملة من الأحاديث التي تتضمن الإخبار عما خلق الله عليه الملائكة من صفات خلقية وخُلُقيه، وفيما يلي ذكر نماذج لما ورد من ذلك كما ذكره ابن حبان رحمه الله.

١- عِظمُ خلق جبريل عليه السلام، أورد فيه عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من ياقوت قد ملأ ما بين السماء والأرض»[1].

وأورد عن عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن رؤية النبي ﷺ لربه جل وعلا فأنكرت ذلك وقالت: «**لا، إنما ذلك جبريل رآه مرتين في صورته: مرة في الأفق، ومرة ساداً أفق السماء**»[2].

وعظم خلق جبريل جاء به الخبر أيضاً في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ قال: «**رأى جبريل عليه السلام له ست مئة جناح**»[3].

وقد أخرج ابن حبان هذا الحديث وترجم له بقوله: (ذكر رؤية المصطفى ﷺ جبريل) بأجنحته»[4].

٢- أجنحة الملائكة: مما أخبر الله به في كتابه الكريم أن للملائكة أجنحة، قال تعالى: ﴿**الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء**﴾[5] فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، وقد أورد ابن حبان رحمه الله رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام وله ستة مائة جناح.

---

(١) أخرجه أحمد: (١/٣٩٤) والترمذي: (٩/٢٧، ٣٢٧٣) في التفسير: باب ومن سورة النجم، وابن منده في «الإيمان»: (ح ٧٥١) والحاكم وصححه: (٢/٤٦٨) وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري: (٨/٢٧٥، ح ٤٦١٢) في التفسير: باب ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾، ومسلم: (١/١٦١، ح ١٧٧) في الإيمان: باب معنى قول الله عز وجل ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾.

(٣) أخرجه البخاري: (٦/٣١٣، ح ٣٢٣٢) في الأنبياء: باب إذا قال أحدكم آمين، ومسلم: (١/١٥٨، ح ١٧٤) في الإيمان: باب ذكر سدرة المنتهى.

(٤) «الإحسان»: (١٤/٣٣٦).

(٥) سورة فاطر: الآية ١.

ومما أورد أيضاً من الأحاديث في إثبات الأجنحة للملائكة حديث صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من خارج من بيته يطلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع**»[١].

وأورد فيه أيضاً حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه لما قتل أبوه يوم أحد فبكى فقال له النبي ﷺ: «**لا تبكه ما زالت الملائكة بأجنحتها تظله حتى دفنتموه**»[٢].

٣- قدرة الملائكة على التشكل: أعطى الله الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم، كما أخبر الله عز وجل عن مجيء جبريل عليه السلام إلى مريم في صورة بشر، قال تعالى: ﴿**فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا**﴾[٣] الآيات.

وقد أورد ابن حبان رحمه الله تعالى ما يقرر هذا الأمر للملائكة مما جاءت به سنة المصطفى ﷺ ومن تلك الأحاديث:

(أ) حديث عمر بن الخطاب في مجيء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة رجل وسؤاله إياه عن الإسلام والإيمان والإحسان، فلما ولى وطلبه النبي ﷺ فلم يجده الصحابة رضي الله عنهم قال: «**هذا جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم خذوا عنه، والذي نفسي بيده ما شبّه عليّ منذ أتاني قبل مرتي هذه، وما عرفته حتى ولّى**»[٤].

(ب) حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مجييء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلطمه موسى ففقأ عينه .. الحديث، وقد قال ابن حبان عقب إيراده لهذا الحديث: (وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها، كدخول الملائكة على رسوله إبراهيم ولم يعرفهم حتى أوجس منهم خيفة، وكمجيء جبريل إلى رسول الله ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام ولم يعرفه المصطفى حتى ولى، فكان مجيء ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليه السلام عليها، وكان موسى غيوراً، فرأى في داره

(١) اخرجه أحمد: (٤/٢٣٩)، وابن ماجه: (١/٨٢، ح ٢٢٦) في المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، والطبراني في «الكبير»: (ح ٧٣٥٢)، والنسائي: (١/٩٨) في الطهارة وإسناده حسن.

(٢) اخرجه البخاري: (٣/١٦٣، ح ١٢٩٣) في الجنائز: باب رقم ٣٤، ومسلم: (٤/١٩١٨، ح ٢٤٧) في فضائل الصحابة: باب من فضائل عبدالله بن عمرو. بلفظ: «حتى رفعتموه».

(٣) سورة مريم: الآية ١٧.

(٤) تقدم تخريجه.





رجلاً لم يعرفه، فشال يده فلطمه، فأتت لطمته على فقء عينه التي في الصورة التي يتصور بها، لا الصورة التي خلقه الله عليها)[١].

كما أن ابن حبان قد شنع ـ عند ذكره لهذا الحديث ـ على من زعم أن أصحاب الحديث حمّالة الحطب ورعاه الليل، يجمعون ما لا ينتفعون به ويروون ما لا يؤجرون عليه ويقولون بما يبطله الإسلام، جهلاً منه لمعانى الأخبار، وترك التفقه في الآثار، معتمداً منه على رأيه المنكوس وقياسه المعكوس، وخلاصة تشنيعهم على أهل الحديث في رواية مثل الأخبار ـ ما ذكره ابن حجر رحمه الله ـ حيث قال: (قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟ والجواب: أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ وإنما بعثه إليه اختباراً، وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن)[٢].

وقد وافق ابن حبان رحمه الله شيخه ابن خزيمة في الإجابة على هذه الشبهة بمثل ما قال ابن خزيمة، وزاد ابن حبان كلامه ايضاحاً فقال: (كان جائزاً اتفاق هذه الشريعة بشريعة موسى بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه، فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحاً ولا حرج عليه في فعله، فلما رجع ملك الموت إلى ربه وأخبره بما كان من موسى فيه، أمره ثانياً بأمر آخر، أمر اختبار وابتلاء كما ذكرنا قبل، إذ قال الله له: «قل له: إن شئت فضع يدك على متن ثور فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة، فلما علم موسى كليم الله صلى الله على نبينا وعليه أنه ملك الموت وأنه جاءه بالرسالة من عند الله، طابت نفسه بالموت ولم يستمهل وقال: فالآن، فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت، لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به)[٣].

(ج) حديث عائشة رضي الله عنها في غزوة الخندق لما كفى الله المؤمنين القتال ورجع النبي ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد ـ أي ابن معاذ ـ وكان قد أصيب في المعركة في المسجد ووضع السلاح، قالت: فأتاه جبريل فقال: «**أو قد وضعت**

---

(١) «الإحسان»: (١٤/١١٥).

(٢) «فتح الباري»: (٦/٤٤٢).

(٣) «الإحسان»: (١٤/١١٥-١١٦).

السلاح فوالله ما وضعت الملائكة السلاح، اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم، فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل ولبس لامته، فخرج فمرّ على بني غنم وكانوا جيران المسجد، فقال: «من مرّ بكم قالوا: مرّ بنا دحية الكلبي ...»[1] الحديث

وكان جبريل عليه السلام إذا جاء إلى النبي ﷺ في هيئة البشر يأتي في صورة دحيه الكلبي رضي الله عنه كما صحت بذلك الأحاديث.

٤- استحياء الملائكة: من أخلاق الملائكة التي أخبر بها النبي ﷺ الحياء، وقد روى ابن حبان رحمه الله تعالى ما يدل على اتصاف الملائكة بهذا الخلق، وذلك بما أخرجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيته كاشفا عن فخذيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث: ثم استاذن عمر، فاذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فدخل، فتحدث: قالت عائشة يا رسول الله دخل أبو بكر فلم تهش له، ولم تبال به، ثم دخل عمر، فلم تهش له، ولم تبال به، ثم دخل عثمان فجلست فسويت ثيابك؟ فقال النبي ﷺ: **«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»**[2] وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر تعظيم المصطفى ﷺ عثمان إذ الملائكة كانت تعظمه)[3].

رابعاً: الإيمان بأعمالهم

جاء الكتاب العزيز ببيان بعض الأعمال التي أوكل الملائكة القيام بها، فهم يؤدونها كما أمرهم الله عز وجل قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**[4] وأخبر النبي ﷺ كذلك ببعض ما أُمر الملائكة به، وقد أورد ابن حبان جملة من الأحاديث التي تضمنت الإخبار عن بعض أعمال الملائكة، وأذكر هنا نماذج منها للدلالة على المقصود وهو الإيمان بأعمالهم:

(أ) تبليغ الوحي: وهذه المهمة يكاد يختص بها جبريل كما قال تعالىٰ: **﴿ نزل به الروح**

---

(١) اخرجه احمد: (٦/١٤١، ١٤٢) وابو بكر بن ابي شيبة: (١٤/٤٠٨، ٤١١) وإسناده حسن.

(٢) أخرجه مسلم: (٤/١٨٦٦، ح ٢٤٠١) في فضائل الصحابة: باب فضائل عثمان بن عفان.

(٣) «الإحسان»: (١٥/٣٣٦).

(٤) سورة التحريم: الآية ٦.



الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾[١]، وقد بيّن ابن حبان رحمه الله قيام جبريل بهذه المهمة بالأحاديث الكثيرة التي تضمنت نزوله عليه السلام بالوحي إلى النبي ﷺ كحديث عمر بن الخطاب المشهور في مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وسؤاله إياه عن الإسلام والإيمان والإحسان ثم قول النبي ﷺ بعد ذهابه: «**ذاك جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم**»[٢].

وقد يأتي بالوحي غير جبريل عليه السلام، كما روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال له جبريل، هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة، فلما نزل، قال: يا محمد أرسلني إليك ربك، أملكاً لهم أم عبداً رسولا؟ فقال له جبريل: تواضع لربك، فقال ﷺ: «**لا، بل عبداً رسولا**»[٣].

وروى أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**بينما جبريل جالس عند النبي** ﷺ**، إذ سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه وقال: لقد فتح باب من السماء ما فتح قط، فأتاه ملك فقال له: أبشر بسورتين أوتيتهما لم يعطهما نبي كان قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ منها حرفا إلا أعطيته**»[٤].

(ب) **كتابة الأعمال**: وهذا العمل مما أخبر القرآن به قال تعالى: **﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين﴾**[٥] وقد أورد ابن حبان في صحيحه ما يثبت قيام الملائكة بهذا العمل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**على كل باب من أبواب المسجد ملكان يكتبان الأول فالأول، فكرجل قدم بدنة، وكرجل قدم بقرة، وكرجل قدم شاة وكرجل قدم طيرا، وكرجل قدّم بيضة، فإذا قعد الإمام طويت الصحف**»[٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله قال: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها مثلها، فإن تركها من أجلي فاكتبوها حسنة، فإن أراد أن يعمل حسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عملها، فاكتبوها له عشر أمثالها إلى**

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣-١٩٤.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم: (١/٥٥٤، ح ٨٠٦) في صلاة المسافرين: باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة.

(٥) سورة الانفطار: الآيتان ١٠، ١١.

(٦) أخرجه البخاري: (٢/٤٠٧، ح ٩٢٩) في الجمعة: باب الاستماع إلى الخطبة، ومسلم: (٢/٥٨٢، ح ٨٥٠) في الجمعة: باب فضل التهجير يوم الجمعة.

سبع مئة ضعف»[1].

(ج) **قبض الأرواح**: كما أخبر الله تعالىٰ بذلك في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق**﴾[3].

وتقدم من قبل، ذكر مجيء ملك الموت إلى موسى عليه السلام لقبض روحه كما أورده ابن حبان رحمه الله.

(د) **تبليغ المصطفى ﷺ سلام أمته**: فمن أعمالهم التي أكرم الله بها نبيه ﷺ تبليغه سلام أمته، فقد روى ابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام**»[4].

(هـ) **حراسة مكة والمدينة**: روى ابن حبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، فينزل السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات يخرج إليه كل كافر ومنافق**»[5].

وأخرج أيضاً عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها، فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى**»[6].

وخلاصة القول: أن أعمال الملائكة التي كلفهم الله بها أكثر من أن تحصىٰ، ولو استقصيت ما ذكره ابن حبان وغيره لطال المقام، ولكن المقصود الإخبار عن تكليف الله إياهم بأعمال يقومون بها والإيمان بذلك كما أمر الله عز وجل.

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/٤٦٥، ح ٧٥٠١) في التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾، ومسلم: (١/١١٧، ح ١٢٨) في الإيمان: باب إذا هم العبد ...

(٢) سورة السجدة: الآية ١١.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٥٠.

(٤) أخرجه أحمد: (١/٤٤١)، والنسائي: (٣/٤٣) في السهو، وعبدالرزاق في «المصنف»: (٣١١٦)، وابن أبي شيبة: (٣/٥١٧) وإسناده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري: (٤/١١٤، ح ١٨٨١) في فضائل المدينة: باب لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم: (٤/١٦٦٥، ح ٢٩٤٣) في الفتن: باب قصة الجساسة.

(٦) أخرجه البخاري: (١٣/١٠١، ح ٧١٣٤) في الفتن: باب لا يدخل الدجال المدينة.



تفاضل الملائكة:

من الأمور التي تتعلق بالإيمان بالملائكة، الإيمان بأن الله تعالىٰ فضل بعضهم على بعض، فأفضلهم جبريل عليه السلام إذ هو الواسطة والسفير بين الله عز وجل وبين الرسل عليهم الصلاة والسلام كما وردت بذلك الآيات والأحاديث النبوية.

ومما جاءت به السنة في بيان تفاضل الملائكة، أن من شهد بدراً من الملائكة هم أفضل من غيرهم. فقد أخرج ابن حبان عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ جبريل أو ملك فقال: كيف أهل بدر فيكم؟ فقال النبي ﷺ: «**هم عندنا أفاضل الناس**» قال: وكذلك من شهد عندنا من الملائكة[١].

وشهود الملائكة بدراً وقتالهم مع المؤمنين مما جاء به الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿**إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان**﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلآف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**﴾[٣].

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر قال: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداه الحرب**»[٤].

شفاعة الملائكة:

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى ما يبين أن من الشفاعات التي يأذن الله فيها يوم القيامة لإخراج الموحدين من النار ـ شفاعة الملائكة ـ كما يشفع غيرهم من الأنبياء والشهداء والصالحين. فروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا سأله: أسمعت رسول الله ﷺ يقول في

---

(١) أخرجه أحمد: (٣/٤٦٥)، وابن ماجه: (١/٥٦، ح ١٦٠) في المقدمة: باب في فضل أصحاب رسول الله ﷺ، وأخرج البخاري في المغازي نحوه: (٣٩٩٢) باب شهور الملائكة بدراً.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ١٢٣-١٢٥.

(٤) أخرجه البخاري: (٧/٣١٢، ح ٣٩٩٥) في المغازي: باب شهود الملائكة بدراً.

هذه الآية: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[(١)] فقال: نعم، سمعته يقول: «**يُخرج الله أناسا من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم، قال: لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال المشركون: أليس كنتم تزعمون في الدنيا أنكم أولياء، فما لكم معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم، أذن في الشفاعة، فيشفع لهم الملائكة والنبيون حتى يخرجوا بإذن الله، فلما أخرجوا قالوا: ياليتنا كنا مثلهم، فتدركنا الشفاعة فنخرج من النار، فذلك قول الله جل وعلا: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قال: فيُسمّون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم فيقولون: ربنا أذهب عنا هذا الإسم، قال فيأمرهم فيغتسلون في نهر في الجنة فيذهب ذلك منهم**»[(٢)].

وهذا الحديث نص صريح في إثبات شفاعة الملائكة في إخراج الموحدين من النار بعد أذن الله تبارك وتعالى في الشفاعة لهم وإخراجهم من النار.

وقد دلّ على هذا أيضاً حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي أخرجه الشيخان في سؤال الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ عن رؤية الله عز وجل يوم القيامة: «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل ...»[(٣)] الحديث.

ومما تقدم يتبين أن ابن حبان رحمه الله يسلك في الإيمان بالملائكة مسلك أهل السنة والجماعة، فهو يؤمن بوجودهم وصفاتهم وأعمالهم، وغير ذلك مما أخبر الله تعالىٰ به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

○ ○ ○

(١) سورة الحجر: الآية ٢.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: (١٦/٤٥٨، ح ٧٤٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٧/٢٥٣، ٢٥٤) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري: (١٣/٤٢٠، ح ٧٤٣٩) في الوحيد: باب قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، ومسلم: (١/١٦٧، ح ١٨٣) في الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية.





المبحث الثاني:
الجـــن

آراء ابن حبان في الجن:

١- الإيمان بوجودهم:

أثبت ابن حبان رحمه الله تعالى وجود الجن وأنهم من مخلوقات الله تعالى التي أخبر عنها في كتابه كما قال تعالى: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾[١] وقد أورد ابن حبان رحمه الله تعالى جملة من الأحاديث التي تثبت وجود الجن، ومنها:

١- عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما قد وصف لكم**»[٢] وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عما خلق الله جل وعلا الملائكة والجان منه)[٣].

٢- عن أنس رضي الله أن رسول الله ﷺ قال: «**لما خلق الله آدم جعل إبليس يطيف به فلما رآه أجوف، قال: ظفرت به خلق لا يتمالك**»[٤].

٣- عن علقمة رحمه الله قال: أنا سألت بن مسعود، فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ فقال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ، ذات ليلة ففقدناه، فالتمساه في الأودية والشعاب فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال: فقلنا: يا رسول الله، فقدناك، فطلبناك، فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال: «**أتاني داعي الجن، فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن**» قال: فانطلق بنا فأرانا نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: «**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما، وكل بعر علف لدوابكم**» فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تستنجوا بالعظم ولا بالبعر، فإنه زاد إخوانكم من الجن**»[٥].

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢٧.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «الإحسان»: (١٤/٢٥).

(٤) أخرجه مسلم: (٤/٢٠١٦، ح ٢٦١١) في البر: باب خلق الإنسان خلقا لا يتمالك.

(٥) تقدم تخريجه.

٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[(١)].

وقد فسر ابن حبان رحمه الله تعالى الخبث والخبائث الواردة في الحديث، فقال: (الخبث والخبائث: جمع الذكور والإناث من الشياطين، يقال للواحد من ذكران الشياطين؛ خبيث، والاثنين خبيثان، والثلاث خبائث وكان يعوذ ﷺ من ذكران الشياطين وإناثهم حيث قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»)[(٢)].

والأحاديث الدالة على إثبات وجود الجن كثيرة، اقتصرت على بعضها للدلالة على المقصود منها، وهو إثبات وجودهم.

ووجود الجن مما استفاضت به الآيات والأحاديث والآثار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، وجمهور الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، فكما يوجد في بعض طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك، وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواتراً معلوماً بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنها أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة)[(٣)].

وقال أيضاً: (وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ واتفاق سلف الأمة وأئمتها، وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أهل السنة)[(٤)].

وقال ابن حزم: (لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى على أيديهم من المعجزات ... بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم، وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم، وقد جاء النص بذلك، وبأنهم أمة عاقلة مميزة متعبدة، موعودة متوعدة متناسلة يموتون ... فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلاً يخرجهم به عن هذا الظاهر، فهو كافر

---

(١) أخرجه البخاري: (١/٢٤٢، ح ١٤٢) في الوضوء: باب ما يقول عند الخلاء، ومسلم: (١/٢٨٣، ح ٣٧٥) في الحيض: باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء.

(٢) «الإحسان»: (٤/٢٥٤-٢٥٥).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (١٩/١٠) والرد على المنطقيين: (ص ٤٨٩، ٤٩٠).

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٢٤/٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢).







مشرك حلال الدم والمال)[١].

وقال أيضاً: (واتفقوا أن الملائكة حق ... وأن الملائكة كلهم مؤمنون فضلا، وأن الجن حق ويذكر أن المسلمين والنصارى والمجوس والصابئين كلهم مجمعون على وجود الجن)[٢].

وقال الجويني: (اعلموا رحمكم الله أن كثيراً من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة أنكروا الشياطين والجن رأسا، ولا يبعد لو أنكر ذلك من لا يتدبر ولا يتشبث بالشريعة، وإنما العجب من إنكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار)[٣].

وقد أنكرهم معظم المعتزلة ودل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم وركاكة دياناتهم، فليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم، وحق على اللبيب المعتصم بحبل الدين أن يثبت ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته[٤].

حكم إنكار الجن:

أنكرت قلة من الناس وجود الجن إنكار كلياً وزعم بعض المشركين أن المراد بالجن، أرواح الكواكب، وزعمت طائفة من الفلاسفة: أن المراد بالجن نوازع الشر في النفس الإنسانية وقواها الخبيثة، كما أن المراد بالملائكة نوازع الخير فيهم.

قال القرطبي رحمه الله: (وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن اجتراء على الله وافتراء، والقرآن والسنة ترد عليهم)[٥].

ولذلك فإن إنكار الجن يتنافىٰ مع ما أخبر الله به في كتابه من وجودهم، واخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فمنكرهم كافر كما بين ذلك كثير من الأئمة فلا مجال إذا للتكذيب بهم.

قال ابن بطة رحمه الله: (فمن أنكر الجن فهو كافر بالله جاحد بآياته مكذب بكتابه)[٦].

وقال ابن حزم: (فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلاً يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال)[٧].

---

(١) «الفصل»: (١١٢/٥).
(٢) «مراتب الإجماع» لابن حزم: (ص ١٧٤).
(٣) «فتح الباري»: (٣٤٣/٦).
(٤) «الإرشاد إلى قواطع الأدلة»: (ص ٣٢٣).
(٥) «تفسير القرطبي»: (٦/١٩).
(٦) «الإبانة الصغرى»: (ص ٢١٣).
(٧) «الفصل»: (١١٢/٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فمن أنكر وجود الجن والشياطين وتأثيرهم ... كان مبطلا باتفاق أهل الملل واتفاق جمهور الفلاسفة، وكان كذبه معلوماً بالاضطرار عند من عرف هذه الأمور بالمشاهدة أو الأخبار الصادقة)[١].

وقاله الألوسي: (ونفي الجن كفر صريح كما لا يخفى)[٢].

ومما سبق يتضح أن إنكار وجود الجن مناقض للإيمان بالكتب المنزلة وهو تكذيب وجحود لآيات الله تعالى فهو يناقض الإقرار والتصديق، ومن ثم فإن وجودهم أمر متواتر ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام فلا مجال لإنكاره أو التشكيك فيه أو تأويله بما ينقله عن ظاهره.

٢- الإيمان بتكليفهم:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن الجن مكلفون ومأمورون ومنهيون كالإنس كما أخبر بذلك في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا**﴾[٤] الآية.

وقد أورد ابن حبان رحمه الله جملة من الأحاديث الدالة على تكليف الجن وأنهم مأمورون منهيون بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن تلك الأحاديث الدالة على تكليفهم:

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه ... فقلنا يا رسول الله: فقدناك، فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن ..»[٥] الحديث. وقد ترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر ما أبان الله جل وعلا فضيلة صفية ﷺ بقراءته على الجن القرآن)[٦].

---

(١) «الصفدية»: (١/١٩٢، ١٩٣).
(٢) «روح المعاني للألوسي»: (٢٩/٨٢).
(٣) سورة الأحقاف: الآية ٢٩، ٣١.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) «الإحسان»: (١٤/٢٢٥، ٢٢٦).



٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون»**[(١)].

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ وطائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما ذاك إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة، وهو بنخلة وهم عامدون إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه ﷺ صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن، قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم ﴿**فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً**﴾[(٢)] فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: ﴿**قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن**﴾[(٣)].

٤- عن شريك بن طارق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله شيطان» قالوا: ولك يا رسول الله؟ قال: «ولي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم»[(٤)].

وترجم بقوله: (ذكر معونة الله جل وعلا رسوله ﷺ على الشيطان حتى كان يسلم منه)[(٥)]، ثم بين رحمه الله تعالى أن قوله: **«فأسلم»** بالنصب لا بالرفع فقال: ذكر البيان بأن قوله ﷺ في خبر شريك بن طارق **«إلا أن الله أعانني عليه فأسلم»** أراد بقوله **«فأسلم»** بالنصب لا بالرفع، وأيد ذلك بما رواه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن»** قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: **«وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»**[(٦)] وأعقب ابن حبان الحديث بقوله: (في هذا الخبر دليل على أن شيطان النبي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سورة الجن: الآية ١، ٢.

(٣) سورة الجن: الآية ١.

(٤) أخرجه البزار في «مسنده»: (٢٤٣٩)، والطبراني في «الكبير»: (٧٢٢٣) وذكره الهيثمي في «المجمع»: (٨/ ٢٢٥)، وقال: رواه الطبراني والبزار ورجال البزار رجال الصحيح وإسناده قوي.

(٥) «الإحسان»: (١٤/٣٢٦).

(٦) أخرجه مسلم: (٤/٢١٦٧، ح ٢٨١٤) في صفات المنافقين: باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس.

ﷺ أسلم حتى لم يأمره إلا بخير، لا أنه كان يسلم منه وإن كان كافراً)[١].

ففي هذه الأحاديث بيان للغاية التي خلق الإنس والجن من أجلها وهي عبادة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[٢]، فالجن على ذلك، **مكلفون** بأوامر ونواهي فمن أطاع الله أدخله الله الجنة، ومن عصى واستكبر فله النار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (كما يجب الإيمان بوجود الجن في هذا العالم، وأنهم خلق من خلق الله تعالى، وأنهم أحياء عقلاء، ومأمورون ومنهيون، وأن ذلك أمر متواتر معلوم بالاضطرار)[٣].

وقال أيضاً: (الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلين للإنس في الحد والحقيقة فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساويا لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون للأنس في جنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم وهذا ما لم أعلم فيه نزاعا بين المسلمين)[٤].

وقل ابن عبدالبر: (الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾[٥])[٦].

وقال الرازي في تفسيره: (أطبق الكل على أن الجن كلهم مكلفون)[٧].

وقال القاضي عبدالجبار[٨]: (لا علم خلافا بين أهل النظر في أن الجن مكلفون)[٩].

وقال ابن مفلح[١٠] في كتابه الفروع: (الجن مكلفون في الجملة إجماعاً يدخل كافرهم النار

---

(١) «الإحسان»: (١٤/٣٢٨).

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) «مجموع الفتاوى»: (١٩/١٠).

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٤/٢٣٣).

(٥) سورة الرحمن: الآية ١٣

(٦) «فتح الباري»: (٦/٣٤٤).

(٧) «التفسير الكبير» للفخر الرازي: (٢٨/٣١٣).

(٨) هو عبدالجبار بن أحمد الهمداني القاضي المتكلم، من غلاة المعتزلة، ولي قضاء القضاة بالرّي، له تصانيف كثيرة، مات سنة ٤١٥هـ. انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٧/٢٤٤، ٢٤٥)، «شذرات الذهب»: (٣/٢٠٢، ٢٠٣).

(٩) «فتح الباري»: (٦/٣٤٤).

(١٠) هو محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني الفقيه الحنبلي شمس الدين ولد سنة بضع وسبع مئة وقيل ٧١٢هـ كان ذا حظ من زهد وتعفف وصيانه مشكور السيرة في الأحكام، توفى في رجب سنة ٧٦٣هـ. انظر «الدرر الكامنة»: (٤/٢٦٢)، «البداية و النهاية»: (١٤/٢٩٤).



إجماعاً ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقا لمالك والشافعي رضي الله عنهما، لا أنهم يصيرون ترابا كالبهائم وأن ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافا لأبي حنيفة والليث بن سعد ومن وافقهما.

قال: وظاهر الأول أنهم في الجنة كغيرهم بقدر ثوابهم، خلافا لمن قال: إنهم لا يأكلون ولا يشربون فيها كمجاهد، أو أنهم في ربض الجنة، أي حول الجنة كعمر بن عبدالعزيز.

قال ابن حامد في كتابه: (الجن كالإنس في التكليف والعبادات)[1].

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ أن رسالة النبي ﷺ عامة إلى جميع الثقلين الإنس والجن فقال: (أرسل الله محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته، وأن يحللون ما حلل الله ورسوله ﷺ، ويحرمون ما حرم الله ورسوله ﷺ، وأن يوجبوا ما أوجب الله ورسوله ﷺ، ويحبوا ما أحب الله ورسوله ﷺ ويكرهوا ما كره الله ورسوله ﷺ، وإن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن استحق عقاب الله تعالي كما يستحق أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسل، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة التابعين وأئمة المسلمين وسائر الطوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم)[2].

وبهذا يتضح أن ابن حبان رحمه الله تعالى يتفق مع أهل السنة والجماعة في القول بوجود الجن وتكليفهم وعموم رسالة النبي ﷺ إلى الجن والإنس وذلك في ضوء الأحاديث التي رواها وترجم لها بما يقرر هذا الأمر.

٣- أصنافهم:

أخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي ثعلبة الخشني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الجن على ثلاثة أصناف، صنف كلاب وحيات، وصنف يطيرون في الهواء، وصنف يحلون ويظعنون»**[3] وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر وصف أجناس الجان التي خلقت عليها).

وأورد أيضاً ما يقرر ما أخبر به النبي ﷺ من تعدد أصناف الجن، فعن أبي السائب رحمه

---

(١) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٢٢٢).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١٩/٩).

(٣) أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار»: (٤/٩٥، ٩٦)، والحاكم: (٢/٤٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٥/١٣٧)، وذكره البيهقي في «المجمع»: (٨/١٣٦) ونسبه إلى الطبراني وقال: ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف.

(٤) «الإحسان»: (١٤/٢٦).

الله، قال: أتيت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه، فبينما أنا جالس عنده، سمعت تحت سريره تحريك شيء فنظرت فإذا حية فقمت، فقال أبو سعيد: مالك؟ قلت: حية هاهنا، قال: فتريد ماذا؟ قلت: أريد قتلها، قال: فأشار إلى بيت في دار، فعاينته فقال: إنه ابن عم لي كان في هذا البيت، فلما كان يوم الأحزاب، استأذن إلى أهله ـ وكان حديث عهد بعرس ـ فأذن له رسول الله ﷺ وأمره أن يذهب بسلاحه، فأتى داره، فوجد امرأته قائمة علي باب البيت فأشار إليها بالرمح، فقالت: لا تعجل عليّ حتىٰ تنظر ما أخرجني، فدخل البيت، فإذا حية منكرة فطعنها بالرمح ثم خرج بها في الرمح ترتكض فقال: لا أدري أيهما كان أسرع موتا الرجل أم الحية، فأتى قومه رسول الله ﷺ فقالوا: ادع الله أن يرد صاحبنا، فقال: «**استغفروا لصاحبكم**» ثم قال: «**إن نفرا من الجن بالمدينة قد أسلموا، فإذا رأيتم أحداً منهم، فحذروه ثلاث مرات ثم إن بدا لكم ان تقتله فاقتلوه بعد الثلاث**»[1].

وروى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، حتى إذا كانت المرأة تقدم من البادية بالكلب فنقتله، ثم نهانا عن قتلها، قال: «**عليكم بالأسود ذي النقطتين فإنه شيطان**»[2].

وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذه هوام من الجن فإذا رأى أحدكم في بيته شيئاً فليحرّج عليه ثلاث مرات، فإن رآها بعد ذلك فليقتلها فإنما هي شيطان**»[3].

٤- الإيمان بصفاتهم:

من الإيمان بالجن ـ الإيمان بصفاتهم التي أخبر الله عنها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ـ فمما أخبر الله تعالى به من صفاتهم في كتابه العزيز.

١- أنهم خلقوا من النار كما قال تعالى: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾[4].

وقال تعالى حكاية عن إبليس لما اعترض عن السجود لآدم عليه السلام: ﴿**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾[5].

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/١٧٥٦، ح ٢٢٣٦) في السلام: باب قتل الحيات وغيرها.

(٢) أخرجه مسلم: (٢/١٢٠٠، ح ١٥٧٢) في المساقاة: باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخة.

(٣) أخرجه أبو داود: (٤/٣٦٥، ح ٥٢٥٦) في الأدب: باب في قتل الحيات وإسناده ضعيف.

(٤) سورة الحجر: الآية ٢٧.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٢.





وقد أورد ابن حبان رحمه الله تعالى في صحيحه ما يقرر هذه الصفة، فروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[١] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عما خلق الله جل وعلا الملائكة والجان منه)[٢].

٥- أنهم لا يراهم الإنس:

قال تعالى في وصف الشيطان: ﴿**إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**﴾[٣].

قال بعض المفسرين في هذه الآية: أي إذا كانوا على صورهم الأصلية أما إذا تصوروا في غيرها فترونهم كما وقع كثيراً.

وبالنظر في لفظ «الجن» نجد أنهم لم يسموا بهذا الاسم إلا لاجتنانهم واستتارهم عن الأعين. وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على أن رؤية الشيطان غير ممكنة، وليس في الآية ما يدل على ذلك، وغاية ما فيها أنه يرانا من حيث لا نراه، وليس فيها أنا لا نراه أبداً، فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا، لا يستلزم انتفاءها مطلقاً)[٤].

والحق جواز رؤيتهم كما هو ظاهر الأحاديث الصحيحة، وتكون الآية مخصوصة بها فيكونون مرئيين في بعض الأحيان لبعض الناس دون بعض.

قال القرطبي رحمه الله: (وقد جاء في رؤيتهم أخبار صحيحة، فمنها حديث أبي هريرة الذي وكله رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ـ وذكر قصة طويلة ـ وفيها: أن الشيطان كان يأتيه في صورة رجل فقير يحثو من الطعام حتى رفع أمره إلى الرسول فأخبره ﷺ أن الذي يأتيه إنما هو شيطان)[٥].

وقال ابن حجر رحمه الله: (إن الشيطان قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته وأن قوله تعالى: ﴿**إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**﴾ مخصوص بما إذا كان على صورته التي خُلق عليها وأنهم يظهرون للإنس بالشرط المذكور: يقصد إذا اتشكلوا بغير صورهم)[٦].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الإحسان»: (١٤/ ٢٥).

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٧.

(٤) «فتح القدير»: (٢/ ١٩٧).

(٥) «تفسير القرطبي»: (٧/ ١٨٧).

(٦) «فتح الباري»: (٤/ ٤٨٩).

ورؤية بني آدم للجن عند تشكلهم أمر ممكن، بل قد وقع منه ما لا يمكن إنكاره، لكن رؤية الجن على صفتهم التي خلقهم الله عليها لا تكون إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال ابن العربي: (وليس يمتنع أن يراهم النبي ﷺ كما يرى الملائكة)[١].

وقال الألوسي: (وقد ترى ـ أي الجن ـ بصور غير صورها الأصلية، بل وبصورها الأصلية التي خلقت عليها كالملائكة عليهم السلام، وهذا للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم)[٢].

وقال القرطبي: (قال النحاس: ﴿**من حيث لا ترونهم**﴾: يدل على أن الجن لا يرون إلا في وقت نبي، ليكون ذلك دلاله علي نبوته، لأن الله جل وعز خلقهم خلقا لا يرون فيه، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم، وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم)[٣].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿**إن يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**﴾ الآية، هل ذلك عام لا يراهم أحد؟ أم يراهم بعض الناس دون بعض؟ وهل الجن والشياطين جنس واحد ولد إبليس، أم جنسين ولد إبليس وغير ولده؟

فأجاب شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (الحمد لله، الذي في القرآن، أنهم يرون الإنس من حيث لا يراهم الإنس، وهذا حق يقتضي أنهم يرون الإنس في حال لا يراهم الإنس فيها، وليس فيه أنهم لا يراهم أحد من الإنس بحال، بل قد يراهم الصالحون وغير الصالحين أيضاً، لكن لا يرونهم في كل حال، والشياطين هم مردة الإنس والجن، وجميع الجن ولد إبليس والله أعلم)[٤].

٦- قدرتهم على التشكل:

للجن قدرة على التشكيل بأشكال الإنسان والحيوان، وقد جاء في السنة ما يبين هذا الأمر فروى ابن حبان رحمه الله عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه كان له جرين فيه تمر، وكان مما يتعاهده فيجده ينقص، فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة كهيئة الغلام المحتلم، قال: فسلمت فرد السلام فقلت: ما أنت جن أم إنس؟ فقال: جن، فقلت: ناولني يدك، فإذا يد كلب وشعر كلب، فقلت: هكذا خلق الجن؟ فقال: لقد علمت الجن أن ما فيهم من هو أشد مني، فقلت: ما

---

(١) «أحكام القرآن»: (٤/١٨٦٤).

(٢) «روح المعاني للألوسي»: (٢٩/٨٢).

(٣) «تفسير القرطبي»: (٧/١٨٦).

(٤) «مجموع الفتاوى»: (١٥/٧).



يحملك على ما صنعت؟ قال: بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك، قلت: فما الذي يحرزنا منكم؟ فقال: هذه الآية، آية الكرسي، قال: فتركته، وغدا أُبيّ إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق الخبيث**»[1].

وجرى لأبي هريرة رضي الله عنه نحو هذه القصة، وذلك بتمثل الشيطان في صورة إنسان وكان يحاول السرقة من مال الصدقة، فقال النبي ﷺ لما أخبره أبو هريرة القصة: «**تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**» فقال: لا. قال: «**ذاك شيطان**»[2].

وروى ابن حبان أيضاً عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقطع صلاة الرجل إذا لم يكن بين يديه سترة كآخره الرحل: الحمار والكلب الأسود والمرأة**» قال: قلت: ما بال الأسود من الأحمر من الأصفر؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: «**الأسود شيطان**»[3].

فهذه نصوص صريحة أخبر بها النبي ﷺ، تبين ما أقدر الله تعالى عليه الجن من القدرة على التشكل والانتقال من هيئة إلى هيئة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته كثيراً، وكذلك بصورة القط الأسود، لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة)[4].

وقال أيضاً: (والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والغنم، والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير وفي صور بني آدم)[5].

وقال الباقلاني: (لسنا ننكر مع كون أصلهم النار، أن الله تعالى يكثف أجسامهم ويغلظها

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: (٧/١٠٨، ١٠٩) والبغوي في «شرح السنة»: (١١٩٧) والنسائي في «عمل اليوم والليلة»: (٩٦٠) والطبراني في «الكبير»: (٥١٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١١٧، ١١٨)، رواه الطبراني وقال: ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري: (٤/٤٨٧، ح ٢٣١١) في الوكالة: باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز وإن اقرضه إلى أجل مسمى جاز.

(٣) أخرجه أحمد: (٥/١٥٥، ح ١٥٦٢) وأبو داود: (١/١٨٧، ح ٧٠٢) في الصلاة: باب ما يقطع الصلاة، وابن ماجه: (٢/١٠٧١، ح ٣٢١٠) في الصيد: باب صيد كلب المجوس والكلب الأسود البهيم وإسناده صحيح.

(٤) «مجموع الفتاوى»: (١٩/٥٢).

(٥) «المصدر السابق»: (ص ٤٤).

ويخلق لهم أعراضا تزيد على ما في النار فيخرجون عن كونهم ناراً ويخلق لهم صوراً وأشكالاً مختلفة)[١].

وقدرة الجن على التشكل هو رأي الجمهور كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد رشيد رضا بقوله: (والجمهور على أن الجن تتشكل)[٢].

وقال القاضي أبو يعلى مبيناً كيفية تغيير خلقهم والانتقال من صورة إلى صورة: (ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والإنتقال في الصور، وإنما يجوز أن يعلمهم الله كلمات وضرباً من ضروب الافعال إذا فعل وتكلم به، نقله من صورة إلى صورة، فيقال: إنه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قول إذا قاله وفعله نقله الله من صورة إلى صورة أخرى بجري العادة.

وأما أن يصور نفسه فذلك محال، لأن انتقالها من صورة إلى صورة إنما يكون بنقيض البنية وتفريق الأجزاء، وإذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة، فكيف تنقل نفسها؟ والذي روي أن إبليس تصور في صورة سراقة، وأن جبريل تمثل في صورة دحية الكلبي، محمول على ما ذكرنا وهو أنه أقدره الله على قول قاله فنقله الله من صورة إلى صورة أخرى)[٣].

وقول أبي يعلىٰ مفتقر إلى دليل، ولا دليل عليه، بل خاصية التشكل للجن من الخصائص التي أودعها الله فيهم، وجعل لهم القدرة على ذلك، فلا يكونون بذلك خارجين عن قدرة الله، بل تصرفوا في حدود ما منحهم الله إياه من القدرة على التشكل.

والأولى في مثل هذا أيضاً الإيمان به كما أخبر نبي الله ﷺ والإمساك عن الخوض فيه، وعقولنا قاصرة عن إدراك مثل هذه الحقائق التي هي من عالم الغيب.

وخلاصة القول ان ابن حبان رحمه الله يسلك في الإيمان بالجن مسلك أهل السنة والجماعة من الإيمان بوجودهم وتكليفهم وصفاتهم وما إلى ذلك مما أخبر الله تعالى به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ. فعلينا القبول والانقياد والتسليم كما قال تعالى: ﴿ **آمنا به كل من عند ربنا** ﴾[٤].

ο ο ο

---

(١) « الفتاوى الحديثية » ابن حجر الهيثمي: (ص ٦٥).

(٢) « تفسير المنار »: (٧/٥٢٥).

(٣) « المعتمد في أصول الدين » لأبي يعلىٰ: (ص ١٧٤، ١٧٥).

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧.

الفصل الثاني:

آراؤه في المعاد

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول : الفتن وأشراط الساعة، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفتن.

المطلب الثاني: أشراط الساعة الصغرى.

المطلب الثالث: أشراط الساعة الكبرى.

المبحث الثاني : البعث والجزاء، ويتضمن ثمانية مطالب:

المطلب الأول: عذاب القبر ونعيمه.

المطلب الثاني: البعث.

المطلب الثالث: الحشر والحساب.

المطلب الرابع: الحوض.

المطلب الخامس: الشفاعة.

المطلب السادس: الصراط.

المطلب السابع: صفة الجنة.

المطلب الثامن: صفة النار.



ولكنه يتحقيق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالباً من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعم من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾[1])[2].

٢- لزوم العبادة والإكثار منها

واستدل ابن حبان لهذا بما رواه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العبادة في الهرج كالهجرة إليّ**»[3] وترجم للحديث بقوله: (ذكر إعطاء الله جل وعلا المتعبد عند وقوع الفتن ثواب الهجرة إلى رسول الله ﷺ)[4].

قال النووي رحمه الله: (المراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة، فيه؛ أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد)[5].

٣. لزوم خاصة النفس وإصلاح العمل

واستشهد ابن حبان لهذا الأمر بما رواه عن أبي هريرة وذاك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنت يا عبدالله إذا بقيت في حثالة من الناس**» قال: وذاك ما هم يا رسول الله؟ قال: «**ذاك إذا مرجت أماناتهم وعهودهم، وصاروا هكذا**» وشبك بين أصابعه، قال: فيكف بي يا رسول الله؟ قال: «**تعمل ما تعرف، ودع ما تنكر، وتعمل بخاصة نفسك، وتدع عوام الناس**»[6] وترجم للحديث بقوله: (ذكر ما يجب على المرء من لزوم خاصة نفسه وإصلاح عمله عند تغير الأمر ووقوع الفتن)[7]. وترجم له في موضع آخر بقوله: (ذكر الإخبار عمّا يجب على المرء أن يكون عليه في آخر الزمان)[8].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٥.

(٢) «فتح الباري»: (١٣/ ٤٣).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٦٨، ح ٢٩٤٨) في الفتن: باب فضل العبادة في الهرج.

(٤) «الإحسان»: (١٣/ ٢٨٩).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٨/ ٨٨).

(٦) أخرجه أحمد: (٢/ ٢١٢) وابن أبي شيبة: (١٥/ ١٠٢٩) وأبو داود: (٤/ ١٢٤، ح ٤٣٤٣) في الملاحم: باب الأمر والنهي الحاكم، (٤/ ٢٨٢، ٢٨٣) وإسناده صحيح.

(٧) «الإحسان»: (١٣/ ٢٧٩).

(٨) «الإحسان»: (١٣/ ٢٨١).

المطلب الثاني: أشراط الساعة الصغرى

*** تمهيد:**

معنى الشرط:

بالتحريك وهو العلامة، جمعه أشراط، والشرط العلامة.

قال ابن منظور: (والشرط بالتحريك، العلامة والجمع أشراط، وأشراط الساعة أعلامها وهو منه، وفي التنزيل العزيز: ﴿فقد جاء أشراطها﴾)[١].

والاشتراط على وزن افتعال: العلامة التي يجعلها الناس بينهم

ثم قال: (وأشراط الشيء أوائله، قال بعضهم: ومنه أشراط الساعة، وذكرها النبي ﷺ والاشتقاقان متقاربان، لأن علامة الشيء أوله، ومشاريط الأشياء: أوائلها كاشراطها)[٢].

معنى الساعة في اللغة:

هي جزء من أجزاء النهار جمعها: ساعاتٌ، وساعٌ، والليل والنهار معاً أربع وعشرون ساعة.

قال الزجاج: (والساعة في الأصل تطلق بمعنيين:

أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً هي مجموع اليوم والليلة.

والثاني: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل)[٣].

معنى الساعة في الاصطلاح الشرعي:

المراد بالساعة في الاصطلاح الشرعي: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسميت بذلك لسرعة الحساب فيها أو لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة.

فأشراط الساعة: هي علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها.

وقيل: هي ما تنكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة.

وقيل: هي أسبابها التي هي دون معظمها وقيامها[٤].

والساعة بمعناها الاصطلاحي تطلق على ثلاثة معان:

---

(١) سورة محمد: الآية ١٨.

(٢) «لسان العرب»: (٧/٣٢٩، ٣٣٠)، «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٢/٤٦٠).

(٣) «لسان العرب»: (٨/١٦٩).

(٤) «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٣/٤٦٠)، «لسان العرب»: (٧/٣٢٩، ٣٣٠)، «القاموس المحيط»: (ص ٩٤٤).



المبحث الأول:
الفتـــن وأشراط الساعة

المطلب الأول: الفتن

الفتن: جمع فتنة، وهي المصيبة والإختبار بمكروه.

قال ابن حجر رحمه الله: (والفتن جمع فتنة، قال الراغب: أصل الفتن، إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من ردائته، ويستعمل في إدخال الإنسان النار، ويطلق على العذاب، كقوله تعالى: ﴿**ذوقوا فتنتكم**﴾[1]، وعلى ما يحصل عنه العذاب كقوله: ﴿**ألا في الفتنة سقطوا**﴾[2]، وعلى الإختبار، كقوله: ﴿**وفتناك فتونا**﴾[3]، وفيما يدفع إليه من شدة ورخاء، وفي الشدة أظهر معنىً وأكثر استعمالاً، قال تعالى: ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**﴾[4]).

وقال غيره: (أصل الفتنة: الإختبار ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والإختبار إلى المكروه ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك)[5].

وقد اطلع الله تعالى نبيه ﷺ على كثير من الابتلاءات والفتن التي ستصيب هذه الأمة في مستقبل الزمان.

ولذلك، فقد أطال النبي ﷺ في تحديث الصحابة رضي الله عنهم عن الفتن وبيان المخرج منها، وقد أورد ابن حبان رحمه الله تعالي جملة من أخبار الفتن التي وردت بها السنة من جهة مصدرها ومنطلقها، ومن جهة أنواعها، وغير ذلك مما يرتبط بالفتن.

فروى عن حذيفة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ فما ترك شيئاً يكون في مقامه إلى أن تقوم الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون الرجل منه الشيء قد نسيه، فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه،

(١) سورة الذاريات: الآية ١٤.
(٢) سورة التوبة: الآية ٤٩.
(٣) سورة طه: الآية ٤٠.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.
(٥) «فتح الباري»: (١٣/٣).



فإذا رآه عرفه[١].

وقد ابتدأ باب الفتن الذي عقده في كتابه الصحيح بهذا الحديث الذي يتضمن إخبار النبي ﷺ بما يكون من الحوادث والفتن إلى قيام الساعة، ثم بيّن ابن حبان رحمه الله تعالى أن هذا المقام الذي قامه النبي ﷺ في الصحابة وأخبرهم فيه عن الفتن، كان في يوم خطبهم فيه من بعد صلاة الفجر إلى غروب الشمس، فإذا حضرت الصلاة، نزل فصلى، ثم عاد فخطبهم، فروى عن أبي زيد عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثم صعد المنبر، فخطب حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا»[٢].

وهذه الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أحفظ الناس لها، فقد روى عنه مسلم رحمه الله أنه قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرّ إليّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ وهو يعدُّ الفتن: «منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار»[٣] قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط - أي الذين سمعوا أخبار الفتن - غيري.

وحديث حذيفة هذا واضح في تنوع الفتن، وأنها ليست على درجة واحد، بل تختلف، فمنها الصغير، ومنها الكبير، ومنها المهلك الذي لا يكاد يبقى شيئاً.

وقد أشار ابن حبان رحمه الله إلى ما ذكره النبي ﷺ في حديث حذيفة من تنوع الفتن، فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا، ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[٤] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وقوع الفتن نسأل الله السلامة منها)[٥].

قال النووي في شرح مسلم: (معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/٢٢١٦، ح ٢٨٩١) في الفتن وأشراط الساعة: باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة أخرجه البخاري: (١٣/٤٩٤، ح ٦٦٠٤) في القدر: باب ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾.

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢٢١٧، ح ٨٢٩٢) في الفتن: باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.

(٣) أخرجه مسلم: (٤/٢٢١٦، ح ٢٨٩١) في الفتن: باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.

(٤) أخرجه مسلم: (١/١١٠، ح ١١٨) في الإيمان: باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن.

(٥) «الإحسان»: (١٥/٩٦).

قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة، المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف ﷺ نوعا من شدائد تلك الفتن، وهو أن يمسي مؤمنا ثم يصبح كافراً أو عكسه، وهذا لعظم الفتن، ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الإنقلاب والله أعلم)[١].

وذكر البغوي في شرح السنة عن الحسن رحمه الله أنه قال: («**يصبح الرجل مؤمناً**» قال: يعني محرما لدم أخيه وعرضه وماله، ويمسي مستحلا)[٢].

وما أشار إليه النووي رحمه الله حق، وذلك لشدة وطأ ة الفتن وتقلب القلوب من جرائها ما بين الإسلام والكفر، وبهذا أيضاً يعرف السرّ في كثرة تعوذ النبي ﷺ من الفتن فقد روى البخاري رحمه الله عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أعوذ بالله من سوأى الفتن**»[٣]. وترجم البخاري للحديث بقوله: (باب التعوذ من الفتن)[٤].

مصدر الفتن:

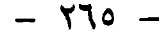
أورد ابن حبان رحمه الله تعالى الأحاديث التي تتضمن الإخبار عن كثرة إتيان الفتن من المشرق، فروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير نحو المشرق، ويقول: «**ها إن الفتنة هاهنا، إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٥] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن أول حادثة في هذه الأمة تكون في البحرين)[٦]، ثم أعقب الحديث بقوله: «مشرق المدينة هو البحرين، ومسليمة منها، وخروجه كان أول حدث في الإسلام»[٧].

فقد فسر ابن حبان المشرق بأنه البحرين، ولكن في تفسير ابن حبان نظر، فإن مسيلمة ليس من البحرين وإنما من اليمامة، واليمامة من نجد.

والروايات يفسر بعضها بعضا، فقد جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي ﷺ: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**» قالوا: وفي نجدنا قال: «**اللهم بارك لنا في**

---

(١) «شرح النووي» على صحيح مسلم: (٢/١٣).
(٢) «شرح السنة»: (١٤/١٥).
(٣) أخرجه البخاري: (١٣/٤٣، ح ٧٠٩٠) في الفتن: باب التعوذ من الفتن
(٤) «فتح الباري»: (١٣/٤٣).
(٥) أخرجه البخاري: (٦/٣٣٦، ح ٣٢٧٩) في بدء الخلق: باب صفة إبليس وجنوده، ومسلم: (٤/٢٢٢٨، ح ٢٩٠٥) في الفتن: باب في الفتنة من المشرق.
(٦) «الإحسان»: (١٥/٢٤).
(٧) «الإحسان»: (١٥/٢٥).





شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا» قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: **«هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»**[١].

قال الخطابي: (نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة، كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة، وأصل نجد ما ارتفع من الأرض)[٢].

ومن تأمل في الفتن التي جاءت من جهة المشرق، علم صدق ما أخبر به النبي ﷺ، قال ابن حجر: (وأول الفتن كان منبعها من المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة)[٣].

فمن العراق، ظهر الخوارج والشيعة والروافض والباطنية والقدرية والجهمية والاعتزال، وأكثر مقالات الكفر كان منشؤها من المشرق، من جهة الفرس المجوس، كالبوذية[٤]، والمزدكية[٥] والهندوسية[٦]، والشيوعية الملحدة[٧]، والقاديانية[٨]، والبهائية[٩]، وغير ذلك من المذاهب الهدامة.

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/٤٥، ح ٧٠٩٤) في الفتن: باب قول النبي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق».

(٢) «فتح الباري»: (١٣/٤٧).

(٣) المصدر السابق: (١٣/٤٧).

(٤) تنسب هذه النحلة إلى مؤسسها (سيد هارتا)، الذي تسمى فيما بعد بـ(بوذا) ودعوته تقوم على التقشف، والزهد، والرياضات ويقول بالتناسخ - والتناسخ أساس أديان الهند - وبوذا لا يؤمن بوجود إله، وقد امتزجت البوذية بالهندوسية وذابت فيها، وأصبح بوذ من آلهة الهندوس. انظر «الملل والنحل» الجزء الثاني للشهرستاني، «مقارنة الأديان» أديان الهند الكبرى: (٤/١٣٧-١٧٠) أحمد شلبي.

(٥) أصحاب مزدك بن بافداد، الذي دعا إلى الإباحية واشتراك الناس في النساء والأموال، وما الشيوعية الحديثة إلا امتداد للمزدكية، انظر «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/٢٤٩).

(٦) ديانة الجمهرة العظمى في الهند الآن، وقد جاء بها الآريون عندما فتحوا الهند، وليس لها مؤسس معين، وهي مجموعة عقائد، ولهم آلهة كثيرة، ويقسمون الناس إلى أربع طبقات، أعلها البراهمة، وأدناها المنبوذون، ولهم كتاب مقدس اسمه (الويدا)، وهو عبارة عن تاريخ تلاربين وهم طبقة البراهمة، وفيه مجموعة تعاليم، انظر «أديان الهند الكبرى» أحمد شلبي: (٤/٤٦-٤٩).

(٧) (الشيوعية) مذهب فكري يقوم علي الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء، وتحارب الأديان، وتقول بشيوعية الأموال وتحارب الملكية الخاصة، أسسها كارل ماركس اليهودي الألماني، ووضعها موضع التنفيذ لينين، ثم خلفه ستالين كان منطلقها روسيا، وتطبق اليوم في الصين الشيوعية وبعض البلاد الأخرى. انظر «المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها» د. عبدالرحمن عميره، «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة»، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

(٨) (القاديانية): نسبة إلى مؤسسها الميرزا غلام أحمد القادياني، ظهرت هذه النحلة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في الهند في أقليم (بنجاب بباكستان) وادعى مؤسسها النبوة، وأنه المسيح الموعود، وأعانة الانجليز على نشر دعوته، ومن أباطيله؛ نسخ الجهاد، وضرورة طاعة الحكومة الانجليزية، ويرى أنه صاحب دين جديد وشريعة مستقلة. انظر «القاديانية» الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله، «القاديانية» لأبي الحسن النووي.

(٩) (البهائية) تنسب إلى مؤسسها ميرزا علي محمدالشيرازي الذي لقب نفسه بـ(الباب) وقد سجنته الحكومة الفارسية ثم قتلته وخلفه فيما بعد بها ميرزا حسين علي، ومن عقائد هذه النحلة، القول بنسخ القرآن، وادعاء النبوة، وإبطال الحج، ووصل بزعيمهم الأمر إلى أن ادعى الألوهية. انظر: «البهائية أضواء وحقائق» إحسان إلهي ظهير، «البهائية تاريخها وعقائدها» عبدالرحمن الوكيل.



وأيضاً فإن ظهور التتار في القرن السابع الهجري كان من المشرق، وقد حدث على أيديهم من الدمار والقتل والشر العظيم ما يهول العقل.

ومن الفتن العظيمة، والتي هم أعظم الفتن على الإطلاق؛ فتنة المسيح الدجال الذي كان كل نبي يحذره أمته، فخروجه سيكون من جهة المشرق، وأعوانه وأنصاره سينطلقون ابتداءً من المشرق.

وخروج يأجوج ومأجوج يكون أيضاً من جهة المشرق، ولكن مما ينبغي التنبه له؛ أن خروج الفتن من الشرق، لا يعني عدم وجود الخير فيه، بل وجد في المشرق خير كثير، فمن المشرق انطلقت جيوش الإسلام لإنقاذ الناس من الشرك ودعوتهم إلى التوحيد، ومن المشرق ظهر علماء الأمة وسادتها في العلم والعمل، كابن المبارك، وسفيان الثوري، والإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأصحاب السنن وغيرهم ممن يطول ذكرهم، فهؤلاء الذين أظهروا علم الكتاب والسنة وذبوا عن حياضهما وقمعوا البدع وتصدوا لها إنما كانوا من جهة المشرق.

نماذج من الفتن:

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى كثيراً من الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ، واقتصر هنا على ذكر نماذج منها، وكان لها تأثير عظيم في حياة الأمة الإسلامية، فكانت سببا في فرقتها، وضعف قوتها، وتكالب أعدائها عليها، ومن هذه الفتن:

١- مقتل عثمان رضي الله عنه

فلقد كان ظهور الفتن في عهد الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه كان بابا موصداً دون الفتن، فلما قتل رضي الله عنه، ظهرت الفتن العظيمة، وظهر دعاتها ممن لم يتمكن الإيمان من قلبه، وكان من المنافقين الذي يظهرون الإيمان والخير ويبطنون الكفر والكيد لهذا الدين.

ففي الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة: أنا أحفظ أو كما قال. قال: هات، إنك لجريء، قال رسول الله ﷺ: **«فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»** قال: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر، قال: يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا بل

يكسر، قال: ذلك أحرى أن لا يغلق، قلنا: عُلم الباب؟ قال: نعم، كما أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأله، وأمرنا مسروقا فسأله، فقال: من الباب؟ قال: عمر[1] ووقع ما أخبر به النبي ﷺ، فقد قتل عمر رضي الله عنه، وكسر الباب، وظهرت الفتن، ووقع البلاء فكانت أول فتنة ظهرت، هي قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد طائفة من دعاة الشر الذين تألبوا عليه من العراق ومصر ودخلوا المدينة، وقتلوه وهو في داره رضي الله عنه.

وقد ذكر ابن حبان رحمه الله ما وقع بين حذيفة وعمر رضي الله عنهما من الحديث عن بدء الفتنة، ثم بين رحمه الله أيضاً، أن عثمان رضي الله عنه كان في الفتنة على الحق، فروى عن مرة البهزي رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة قال: «**كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي البقر؟**» قالوا: نصنع ماذا يا نبي الله؟ قال: «**عليكم بهذا وأصحابه**» قال: فأسرعت حتى عطفت إلى الرجل، قلت: هذا يا نبي الله؟ قال: «**هذا**»[2] فإذا هو عثمان رضي الله عنه، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن عثمان بن عفان عند وقوع الفتن كان على الحق)[3].

وكان النبي ﷺ قد بيّن أن عثمان رضي الله عنه سيقمص قميصاً ويكره على خلعه فنهاه النبي ﷺ عن خلعه، فقد روى ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**يا عثمان إن الله لعلّه يقمصك قميصا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه ـ ثلاثا**»[4] وترجم الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن عثمان بن عفان عند وقوع الفتن لم يخلع نفسه لزجر المصطفى ﷺ إياه)[5].

وهذا القميص الذي ذكره النبي ﷺ وأن عثمان سيليه ويكره على خلعه، هي البلوىٰ التي جاءت في حديث أبي موسى رضي الله عنه في دخول أبي بكر وعمر على النبي ﷺ وتبشيره لهما بالجنة، وفيه: ثم قال: «افتح له وبشره بالجنة على بلوى» قال: ففتحت له فإذا هو عثمان، فبشرته بالجنة، وقلت له الذي قال، فقال: اللهم صبراً: أو قال: الله المستعان[6].

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/٤٨، ح ٧٠٩٦) في الفتن: باب الفتنة التي كموج البحر، ومسلم (٤/٢٢١٨، ح ١١٤) في الفتن: باب في الفتنة التي تموج كموج البحر.

(٢) أخرجه أحمد: (٥/٣٣، ٣٥)، وابن أبي شيبة: (١٢/٤٠، ٤١) والطبراني في «الكبير»: (٢٠/٧٥٢) وإسناده صحيح.

(٣) «الإحسان»: (١٥/٣٤٦).

(٤) أخرجه أحمد: (٦/١٤٩)، والترمذي: (٩/٢٩٥، ح ٣٧٠٦) في المناقب: باب مناقب عثمان بن عفان، وابن أبي شيبة: (١٢/٤٨، ٤٩).

(٥) «الإحسان»: (١٥/٣٤٦).

(٦) أخرجه البخاري: (٧/٤٣، ح ٣٦٩٣) في فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب، مسلم: (٤/١٨٦٧، ح ٢٤٠٣) في فضائل الصحابة: باب فضائل عثمان بن عفان.

ولقد وقع كل ما أخبر به النبي ﷺ، فثار عليه دعاة الفتنة وسعوا في خلعه من الخلافة فامتنع، فاضطروا إلى قتله، فقتلوه رضي الله عنه.

وبمقتله رضي الله عنه، انقسم المسلمون، ووقع القتال بين الصحابة، وانتشرت الفتن والأهواء، وكثر الاختلاف، وتشعبت الآراء، واندس المنافقون في صفوف المسلمين وحرضوهم على إذكاء نار العداء بينهم فكان ما كان، وكان النبي ﷺ يعلم ما سيقع من الفتن في زمنهم، فإنه ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة، فقال: «**هل ترون ما أرى؟**» قالوا: لا، قال: «**فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر**»[1].

قال النووي: (والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم، أي: أنها كثير، تعم الناس، لا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم، كوقعة الجمل، وصفين، والحرة، ومقتل عثمان والحسين رضي الله عنهما ... وغير ذلك، وفيه معجزة ظاهرة له ﷺ)[2].

٢- موقعة صفين:

ومن الفتن التي ابتليت بها الأمة ـ وامتداداً لمقتل عثمان رضي الله عنه ـ ما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم في موقعة صفين، وقد أشار إلى هذه الفتنة ابن حبان، وذلك بما أخرجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي فرقتان تمرق بينهما مارقة تقتلها أولى الطائفتين بالحق»[3] وترجم للحديث بقوله: «ذكر الإخبار عن قضاء الله جل وعلا وقعة صفين بين المسلمين»[4] فقد وقعت هذه الحرب بين الطائفتين في الموقعة المشهورة بـ «صفين» في ذي الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة، وكان بين الفريقين أكثر من سبعين زحفا قتل فيها نحو سبعين ألفا من الفريقين.

وما حصل بينها من قتال بين علي ومعاوية، لم يكن يريده واحد منهما، بل كان في الجيشين من أهل الأهواء متغلبون يحرضون على القتال، الأمر الذي أدى إلى نشوب تلك المعارك الطاحنة وخروج الأمر من يد علي ومعاوية رضي الله عنهما.

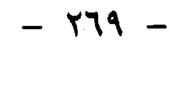
---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/ ١١، ح ٧٠٦٠) في الفتن: باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب»، ومسلم: (٤/ ٢٢١١، ح ٢٨٨٥) في الفتن: باب نزول الفتن كمواقع القطر.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٨/ ٧، ٨).

(٣) أخرجه مسلم: (٢/ ٧٤٦، ح ١٠٦٤) في الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٤) «الإحسان»: (١٥/ ١٢٩).







قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين، لم يكونوا يطيعون لا عليا ولا معاوية، وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين، لكن غلبا فيما وقع، والفتنة إذا ثارت، عجز الحكماء عن إطفاء نارها، وكان في العسكرين مثل الأشتر النخعي، وهاشم بن عتبة المرقال، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وأبي الأعور السلمي، ونحوهم من المحرضين على القتال، قوم ينتصرون لعثمان غاية الانتصار، وقوم ينفرون عنه، وقوم ينتصرون لعلي، وقوم ينفرون عنه، ثم قتال أصحاب معاوية لم يكن لخصوص معاوية، بل كان لأسباب أخرىٰ.

وقتال الفتنة مثل قتال الجاهلية لا تنضبط مقاصد أهله واعتقادهم كما قال الزهري: (وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فإنه هدر، أنزلوهم منزلة الجاهلية)[1].

ثم أوضح ابن حبان رحمه الله أن الحق والصواب في هذه الوقعة كان في جانب علي رضي الله عنه، واستدل لذلك بما رواه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تقتل عماراً الفئة الباغية**»[2] وترجم الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن عليّ بن أبي طالب كان في تلك الوقعة على الحق)[3]، وكان عمار رضي الله عنه في وقعة صفين في صف علي رضي الله عنه فلما قتل رضي الله عنه، ظهرت المعجزة التي أخبر بها النبي ﷺ من الإخبار عن قتل عمار وبإن الحق في جانب علي رضي الله عنه ومن معه، وعلى كل حال، فإن معتقد أهل السنة والجماعة في صحابة النبي ﷺ الإمساك عما دار بينهم، وعدم الخوض فيه، وأن ما جرى بينهم كان بنوع تأويل، ومعاوية رضي الله عنه مجتهد ولكنه أخطأ رضي الله عنه، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم.

٣- ظهور الخوارج:

ومن الفتن التي وقعت؛ ظهور الخوارج على عليّ رضي الله عنه، وكان بداية ظهورهم بعد انتهاء معركة صفين، واتفاق أهل العراق والشام على التحكيم بين الطائفتين، وفي أثناء رجوع عليّ رضي الله عنه إلى الكوفة، فارقه الخوارج ـ وقد كانوا في جيشه، ـ ونزولا مكاناً يقال له: حروراء، ويبلغ عددهم ثمانية آلاف، وقيل: ستة عشر ألفا، فأرسل إليهم عليّ، ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) «منهاج السنة النبوية»: (٢/٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٣٦، ح ٢٩١٦) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.

(٣) «الإحسان»: (١٥/١٣٠)».

فناظرهم، ورجع معه بعضهم ودخلوا في طاعة علي.

فأشاع الخوارج أن عليا تاب من الحكومة، ولذلك رجع بعضهم إلى طاعته، فخطبهم عليّ رضي الله عنه في مسجد الكوفة، فتنادوا من جوانب المسجد: لا حكم إلا لله، وقالوا أشركت وحكمت الرجال ولم تحكم كتاب الله.

فقال لهم عليّ: لكم علينا ثلاث: أن لا نمنعكم من المساجد، ولا رزقكم من الفيء، ولا نبدؤكم بقتال ما لم تحدثوا فساداً[1].

ثم إنهم تجمعوا وقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين، ومرّ بهم عبدالله بن خباب بن الأرت أحد الصحابة ومعه زوجته، فقتلوه، وبقروا بطن زوجته عن ولدها، فلما علم بذلك أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وسألهم من قتله؟ فقالوا: كلنا قتله. فتجهز عليّ للقتال، والتقى بهم في الموقعة المشهورة (النهروان) فهزمهم شهر هزيمة، ولم ينج منهم إلا القليل.

وقد أورد ابن حبان الأحاديث المتضمنة لخروجهم، وذكر صفاتهم، والأمر بقتلهم، وإراحة الناس من شرهم، فروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يخرج قوم فيكم، تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، تنظر في النصل فلا ترى شيئاً، وتنظر في القدح فلا ترى شيئاً، وتنظر في الريش فلا ترى شيئاً، وتتمارى في الفوق»**[3] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن خروج الحرورية التي خرجت في أول الإسلام)[4].

ثم بين أن هذه الطائفة من شرار الخلق عند الله جل وعلا، وما ذلك، إلا لما أحدثت في الدين من البدع المضلة وسفكت الدماء بغير حق، وشقت عصا المسلمين، واستدل لذلك بما رواه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة»**[5] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن الحرورية هم

---

(١) «فتح الباري»: (١٢/٢٨٤).

(٢) المصدر السابق: (١٢/٢٨٤).

(٣) أخرجه البخاري: (٩/٩٩، ح ٥٠٥٨) في فضائل القرآن: باب إثم من راءى بقراءة القرآن وتاكل به أو فجر به، ومسلم: (٢/٧٤٠، ١٠٦٤) في الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٤) «الإحسان»: (١٥/١٣٢)

(٥) أخرجه مسلم: (٢/٧٥٠، ح ١٠٦٧) في الزكاة: باب الخوارج شر الخلق والخليقة.





من شرار الخلق عند الله جل وعلا)[١].

وأورد بعد ذلك ما جاء عن النبي ﷺ من الأمر بقتل الخوارج وأن في قتلهم أجراً عظيماً لمن قتلهم فروى عن عليّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حديثوا الأسنان، سفاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم تراقيهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة»[٢]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الأمر بقتل الحرورية إذا خرجت تريد شق عصا المسلمين)[٣].

ومع ما كان عليه الخوارج من البدع في الدين والإفساد في الدنيا فقد ذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فساق، وأن حكم الإسلام يجرى عليهم لتلفظهم بالشهادتين، ومواظبتهم على أركان الإسلام، وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين إلى التأويل الفاسد وجرّهم ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك.

وقال الخطابي: (أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم، فرقة من المسلمين وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم وأنهم لا يكفرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام)[٤].

فعن طارق بن شهاب قال: كنت عند عليّ فسئل عن أهل النهر - أى - الخوارج أهم مشركون؟ قال: من الشرك فروا، قيل فمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل له: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا[٥].

لكن الإجماع الذي ذكره الخطابي غير صحيح، فقد ذهب إلى تكفيرهم جمع من أهل العلم، منهم البخاري، وأبو بكر بن العربي، وتقي الدين السبكي وجماعة[٦].

وخلاصة القول في فتنة الخوارج أنها فتنة عظم البلاء بها، فقد كفروا مرتكب الكبيرة، وتركوا الاحتجاج بالسنة، وفتكوا بالمسلمين، وكفوا عن أهل الذمة، وهذا كله ناشيء من آثار

---

(١) «الإحسان»: (١٥/ ١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري: (٦/ ٦١٨، ح ٣٦١١) في المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم: (٢/ ٧٤٦، ح ١٠٦٦) في الزكاة: باب التحريض على قتل الخوارج.

(٣) «الإحسان»: (١٥/ ١٣٦).

(٤) «فتح الباري»: (١٢/ ٣٠٠).

(٥) «فتح الباري»: (١٢/ ٣٠١).

(٦) «فتح الباري»: (١٢/ ٢٩٩، ٣٠٠).

عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم، ولم يتمسكوا بحبل وثيق من العلم، والحكمة في قتالهم؛ أن فيه حفظ لرأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب للربح، وحفظ رأس المال أولى.

فهذه نماذج من الفتن ذكرها ابن حبان رحمها الله تعالىٰ، وعرفت بها على سبيل الإيجاز والإختصار، وذلك لعظم وقعها على الأمة الإسلامية وفيها دلائل عظيمة من دلائل نبوته ﷺ فقد وقعت هذه الفتن كما أخبر بها النبي ﷺ.

العصمة من الفتن:

وأورد ابن حبان رحمه الله تعالى أحاديث عديدة يستنير بها المسلم عند وقوع الفتن، فهي تبين سبيل الخلاص منها، وعدم الوقوع في شراكها، ومما يعصم من الفتن ـ كما أشار إليه ابن حبان ـ الأمور الآتية:

١- العزلة:

فروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أوشك أن يكون خير مال المسلم غنيمة يقع بها شعف الجبال، ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن»[١] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الأمر بالانفراد بالدين عند وقوع الفتن)[٢].

قال ابن حجر: (والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه، وقد اختلف السلف في العزلة، فقال الجمهور: الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك.

وقال قوم: العزلة أولى لتحقق السلامة بشرط معرفة ما يتعين.

وقال النووي: المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية، فإن أشكل الأمر، فالعزلة أولى، وقال غيره: يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين ومنهم من يترجح وليس الكلام فيه، بل إذا تساويا فيختلف باختلاف الأحوال، فإذا تعارضا اختلف باختلاف الأوقات، وممن يتحتم عليه المخالطة؛ من كانت له قدرة على إزالة المنكر فيجب عليه إما عينا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، وممن يترجح، من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن يستوي من يأمن على نفسه

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٦٩، ح ١٩) في الإيمان: باب من الدين الفرار من الفتن.

(٢) «الإحسان»: (١٣/ ٢٨٥).

ولكنه يتحقيق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالباً من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعم من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾[1])[2].

٢- لزوم العبادة والإكثار منها

واستدل ابن حبان لهذا بما رواه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العبادة في الهرج كالهجرة إليّ**»[3] وترجم للحديث بقوله: (ذكر إعطاء الله جل وعلا المتعبد عند وقوع الفتن ثواب الهجرة إلى رسول الله ﷺ)[4].

قال النووي رحمه الله: (المراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة، فيه؛ أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد)[5].

٣- لزوم خاصة النفس وإصلاح العمل

واستشهد ابن حبان لهذا الأمر بما رواه عن أبي هريرة وذاك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنت يا عبدالله إذا بقيت في حثالة من الناس**» قال: وذاك ما هم يا رسول الله؟ قال: «**ذاك إذا مرجت أماناتهم وعهودهم، وصاروا هكذا**» وشبك بين أصابعه، قال: فيكف بي يا رسول الله؟ قال: «**تعمل ما تعرف، ودع ما تنكر، وتعمل بخاصة نفسك، وتدع عوام الناس**»[6] وترجم للحديث بقوله: (ذكر ما يجب على المرء من لزوم خاصة نفسه وإصلاح عمله عند تغير الأمر ووقوع الفتن)[7]. وترجم له في موضع آخر بقوله: (ذكر الإخبار عمّا يجب على المرء أن يكون عليه في آخر الزمان)[8].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٥.

(٢) «فتح الباري»: (١٣/ ٤٣).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٦٨، ح ٢٩٤٨) في الفتن: باب فضل العبادة في الهرج.

(٤) «الإحسان»: (١٣/ ٢٨٩).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٨/ ٨٨).

(٦) أخرجه أحمد: (٢/ ٢١٢) وابن أبي شيبة: (١٥/ ١٠٢٩) وأبو داود: (٤/ ١٢٤، ح ٤٣٤٣) في الملاحم: باب الأمر والنهي الحاكم، (٤/ ٢٨٢، ٢٨٣) وإسناده صحيح.

(٧) «الإحسان»: (١٣/ ٢٧٩).

(٨) «الإحسان»: (١٣/ ٢٨١).

المطلب الثاني: أشراط الساعة الصغرى

*** تمهيد:**

معنى الشرط:

بالتحريك وهو العلامة، جمعه أشراط، والشرط العلامة.

قال ابن منظور: (والشرط بالتحريك، العلامة والجمع أشراط، وأشراط الساعة أعلامها وهو منه، وفي التنزيل العزيز: ﴿**فقد جاء أشراطها**﴾)(١).

والاشتراط على وزن افتعال: العلامة التي يجعلها الناس بينهم

ثم قال: (وأشراط الشيء أوائله، قال بعضهم: ومنه أشراط الساعة، وذكرها النبي ﷺ والاشتقاقان متقاربان، لأن علامة الشيء أوله، ومشاريط الأشياء: أوائلها كاشراطها)(٢).

معنى الساعة في اللغة:

هي جزء من أجزاء النهار جمعها: ساعاتٌ، وساعٌ، والليل والنهار معاً أربع وعشرون ساعة.

قال الزجاج: (والساعة في الأصل تطلق بمعنيين:

أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً هي مجموع اليوم والليلة.

والثاني: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل)(٣).

معنى الساعة في الاصطلاح الشرعي:

المراد بالساعة في الاصطلاح الشرعي: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسميت بذلك لسرعة الحساب فيها أو لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة.

فاشراط الساعة: هي علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها.

وقيل: هي ما تنكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة.

وقيل: هي أسبابها التي هي دون معظمها وقيامها(٤).

والساعة بمعناها الاصطلاحي تطلق على ثلاثة معان:

---

(١) سورة محمد: الآية ١٨.

(٢) «لسان العرب»: (٧/٣٢٩، ٣٣٠)، «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٢/٤٦٠).

(٣) «لسان العرب»: (٨/١٦٩).

(٤) «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٣/٤٦٠)، «لسان العرب»: (٧/٣٢٩، ٣٣٠)، «القاموس المحيط»: (ص ٩٤٤).



١- **الساعة الصغرى**: وهي موت الإنسان، فمن مات قامت قيامته لدخوله في عالم الآخرة.

٢- **الساعة الوسطى**: وهي موت أهل القرن الواحد، ويؤيد ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: «إن يعش هذا لم يدركه الهرم، قامت عليكم ساعتكم»[١] أي: موتهم وأن المراد ساعة المخاطبين.

٣- **والساعة الكبرى**: وهي بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء.

وإذا أطلقت الساعة في القرآن فالمراد بها: القيامة الكبرى.

اقسام أشراط الساعة:

تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين:

١- أشراط صغرى:

وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد، كقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول في البنيان ونحوها، وقد يظهر بعضها مصاحبا للأشراط الكبرى أو بعدها.

٢- أشراط كبرى:

وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع، كظهور الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وخرج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

وقسم بعض العلماء أشراط الساعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم ظهر وانقضى.

٢- قسم ظهر ولا زال يتتابع ويكثر.

٣- قسم لم يظهر حتى الأن[٢].

فأما القسمان الأولان، فهما من أشراط الساعة الصغرى، وأما القسم الثالث فيشترك فيه الأشراط الكبرى وبعض الأشراط الصغرى.

---

(١) أخرجه البخاري: (١١/٣٦١، ح ٦٥١١) في الرقاق: باب سكرات الموت، ومسلم: (٤/٢٢٦٩، ح ٢٩٥٣) في الفتن: باب قرب الساعة.

(٢) «فتح الباري»: (١٣/٨٣، ٨٤)، «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٦٦).

ولما كان أمر الساعة شديدا وهولها مزيداً وأمرها بعيداً، كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها ولهذا أكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها، وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة، وأرشد أمته وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة.

والإيمان بأشراط الساعة جزء لا يتجزء من الإيمان باليوم الآخر الذي هو من عالم الغيب، فمن أنكر علامة من العلامات التي نطق بها القرآن وصحت بها السنة كفر وذلك لتكذيبه القرآن والسنة.

ومن التكذيب بعلاماتها، تأويلها وصرفها عن حقائقها بتأويلات باطلة، والزعم بأن ظاهرها غير مراد، وإنما هي عبارة عن إشارات ومدلولات لأمور معنوية غير محسوسة.

وقد عقد ابن حبان رحمه الله في كتابه الصحيح باباً، أورد فيه جملة من الأحاديث التي تخبر عما يكون بعده ﷺ من الفتن والحوادث إلى قيام الساعة، وهذه الأحاديث مما صح عنده واحتج به.

أشراط الساعة الصغرى:

تقدم التعريف بأشراط الساعة الصغرى بانها العلامات التي تسبق ظهور الساعة بأزمان متطاولة ويعتادها الناس، وقد يظهر بعضها مصاحبا للأشراط الكبرى أو بعدها.

وقد أورد ابن حبان رحمه الله تعالى العديد من علامات الساعة الصغرى التي ظهرت والتي لم تظهر بعد، ومما ينبغي التنبه له؛ أن ابن حبان يورد من الأشراط ما صح عنده، ولا يلزم منه أن يكون صحيحاً عند غيره، وربما أوردت بعضاً من علامات الساعة الصغرى مما صح عنده ولكن يتم التنبيه عليه في موضعه، ونظراً لكثرة الأشراط الصغرى للساعة التي ذكرها ابن حبان، فإني أورد نماذج منها مما اشتهر بين الناس، وكان له أثره فيهم مع بيان موجز لكلام أهل العلم عن هذا الشرط، كما أن ابن حبان رحمه الله تعالىٰ قد سلك في ذكر أشراط الساعة الصغرى والكبرى منهج أهل السنة والجماعة من الإيمان بها، والتصديق بظاهرها كما ورد، دون تأويل لها وصرف لها عن حقائقها بتأويلات باطلة، وقد ينحىٰ ابن حبان منحنى ضعيفاً في تفسير بعض الآيات بأمور معينة وله سلف فيها ولكن القول الصحيح بخلافه فانبه عليه في موضعه.

١- قبض النبي ﷺ:

من أشراط الساعة موت النبي ﷺ، فقد روى عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**تزعمون أني من آخركم وفاة، وإني من أولكم وفاة وتتبعوني أفناداً**



يضرب بعضكم رقاب بعض»[1] وترجم للحديث بقوله : (ذكر الإخبار بأن أول حادثة في هذه الأمة من الحوادث قبض نبيها ﷺ)[2].

وقد جاء ذكر هذا الشرط صريحاً بكونه من أشراط الساعة في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**اعدد ستا بين يدي الساعة، موتي ...**»[3] الحديث ولقد كان موت النبي ﷺ من أعظم المصائب التي وقعت على المسلمين، فبموته انقطع الوحي وزالت النبوة وظهر الشر بارتداد العرب.

قال القرطبي رحمه الله: (أول أمر دهم الإسلام، موت النبي ﷺ، ثم بعده موت عمر، فبموت النبي ﷺ انقطع الوحي وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه)[4].

وإن كانت أعظم مصيبة حلت بالأمة موت النبي ﷺ إلا أن انتقاله إلى الرفيق الأعلى ﷺ كانت خيراً للأمة، واستدل لذلك بما أخرجه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله إذا أرد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره**»[5] وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن ما وصفنا من أول الحوادث هو من أمارة إرادة الله جل وعلا الخير بهذه الأمة)[6].

٢- ظهور مدعي النبوة:

فمن العلامات التي ظهرت ولا زالت تتابع: خروج الكذابين في إدعاء النبوة، وهم قريب من ثلاثين كذابا، وقد خرج بعضهم في الزمن النبوي وفي عهد الصحابة ولا زالوا يظهرون، وليس التحديد في الأحاديث مراداً به كل من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم كثير لا يحصون، وإنما المراد من قامت له شوكة وكثر أتباعه واشتهر بين الناس، واستدل ابن حبان لهذه الأمارة بما رواه عن جابر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن بين يدي الساعة كذابين، منهم صاحب

---

(١) أخرجه أحمد: (٤/ ١٠٦)، والطبراني في «الكبير»: (١٢/ ١٦٦) وإسناده صحيح.
(٢) «الإحسان»: (١٥/ ٢٢).
(٣) أخرجه البخاري: (٦/ ٢٧٧، ح ٣١٧٦ في الجزية والموادعة: باب ما يحذر من الغدر
(٤) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي: (ص ٦٢٩، ٦٣٠).
(٥) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: (٣/ ٧٦) وإسناده صحيح.
(٦) «الإحسان»: (١٥/ ٢٢).

اليمامة ومنهم صاحب صنعاء العنسي، ومنهم صاحب حمير، ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة» قال: وقال أصحابي: قال: «هم قريب من ثلاثين كذابا»[1].

وقد ظهر ما أخبر به النبي ﷺ، فظهر مسليمة الكذاب وادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ وكاتبه رسول الله ﷺ وسماه مسليمة الكذاب، وقد كثر اتباعه في اليمامة ولكن قطع الله دابره وأتباعه بالصحابة رضي الله عنهم في معركة اليمامة المشهورة.

وظهر الأسود العنسي في اليمن وادعى النبوة، فقتله الصحابة رضي الله عنهم قبل موت النبي ﷺ، وظهرت سجاح وتزوجها مسيلمة الكذاب فلما قتل رجعت إلى الإسلام.

وظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي[2] فادعى النبوة ونزول جبريل عليه، وخرج في خلافة بني العباس جماعة فادعو النبوة.

وظهر في العصر الحديث، ميرزا أحمد القادياني[3] بالهند وادعى النبوة وأنه المسيح المنتظر، وصار له اتباع وانصار.

ولا يزال خروج الكذابين وحداً بعد واحد كما أخبر النبي ﷺ بعددهم حتى يكون آخرهم المسيح الدجال كما في مسند الإمام أحمد عن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وإنه والله لا تقوم الساعة حتي يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الكذاب»[4].

٣ - فتح بيت المقدس

وقد ظهرت هذه الآية في زمن عمر رضي الله عنه حين تم فتحه سنة ست عشرة من الهجرة، واستدل ابن حبان لذلك بما رواه عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: له: **«يا عوف احفظ عني خلالا ستا بين يدي الساعة: إحداهن موتي»**، قال عوف: فوجمت عندها وجمة شديدة، فقال رسول الله ﷺ: **«قل إحدى»**، فقلت إحدى ثم قال: **«فتح بيت المقدس ثم**

---

(١) أخرجه أحمد: (٣/٣٤٥)، والبزار في مسنده: (٣٣٧٥)، وأورده الهيثمي في «المجمع»: (٧/٣٢) وقال: رواه أحمد والبزار وفي إسناده عبدالرحمن من مغراء وثقه جماعه وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح، وفي إسناده أحمد ابن لهيعة وهو لين، وابن حبان: (١٥/٢٥، ح ٦٦٥٠) في التاريخ.

(٢) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، تظاهر في أول أمره بالتشيع ثم ادعى بعد ذلك أن جبريل ينزل عليه قتل سنة ٦٧هـ على يد جند مصعب بن الزبير. انظر «ميزان الاعتدال»: (٤/٨٠)، «البداية والنهاية»: (٨/٢٨٩-٢٩٢).

(٣) هو ميرزا غلام أحمد القادياني ولد سنة ١٨٣٩م ظهر في أقليم بنجاب بالباكستان وادعى النبوة، وأنه المسيح الموعود، هلك سنة ١٩٠٨م، انظر «القاديانية» إحسان إلهي ظهير، «القاديانية» لأبي الحسن الندوي.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: (٥/١٦).



يظهر فيكم داء، ثم استفاضة المال فيكم، حتىٰ يعطى الرجل منكم مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة تكون بينكم حتى لا يبقىٰ بيت مؤمن إلا دخلته، ثم صلح يكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون بكم فيسيرون إليكم في ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا»[1] وترجم الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن فتح المسلمين بيت المقدس بعده»[2].

وحديث عوف رضي الله عنه، قد تضمن آيات أو أمارات أخرى للساعة، فالداء الذي يظهر، قال ابن حجر: يقال: (إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس)[3].

وظهور هذا الطاعون كان في سنة ثمان عشرة للهجرة فمات فيه خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم، حتى قيل إنه بلغ عدد من مات فيه خمسة وعشرون ألفا من المسلمين.

وأما استفاضة المال، حتي يعطى الرجل من المسلمين مئة دينار فيظل ساخطاً، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى تحقق هذه الآية، بسبب ما وقع من الفتوح في زمن الصحابة رضي الله عنهم من فتح بلاد فارس واقتسام كنوزهم، وفتح بلاد الروم واقتسام كنوزهم، وفي عهد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله فاض المال، فكان الرجل يعرض المال للصدقة فلا يجد من يقبله، وسيكثر المال في آخر الزمان حتى لا يقبله أحد وذلك والله أعلم إشارة إلى ما سيقع في زمن المهدي وعيسىٰ عليه السلام من كثرة الأموال وإخراج الأرض لبركاتها وخيراتها، وأما الفتنة التي تكون بين الأمة حتى لا يبقى بيت مؤمن إلا دخلته، فهذا قد وقع - والله أعلم - فيما كان بين الصحابة رضي الله عنهم ابتداء بقتل عثمان رضي الله عنه ثم ما بعده من وقعة الجمل وصفين والحرّة وغيرها.

وأما الصلح بين المسلمين وبين بني الأصفر ثم غدر الروم فهذا لم يقع حتى الآن، قال ابن المنير: (وأما قصة الروم فلم تجتمع إلى الآن ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد، فهي من الأمور التي لم تقع بعد)[4]، وهذا القتال والله أعلم يقع في الشام في آخر الزمان قبل ظهور الدجال، كما دلت عليه الأحاديث.

٤ - استفاضة المال

وقد تقدم ذكرها في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، ومما يدل عليها أيضاً ما رواه

(١) تقدم تخريجه: وانظر «الإحسان»: (١٥/ ٦٦، ح ٦٦٧٥).
(٢) «الإحسان»: (١٥/ ٦٦).
(٣) «فتح الباري»: (٦/ ٢٧٨).
(٤) المصدر السابق: (٦/ ٢٧٨).

حارثة بن وهب الخزاعي أن رسول الله ﷺ قال: «**تصدقوا، فسيأتي عليكم يوم يمر أحدكم بصدقته فلا يجد من يقبلها، يقول: فهلا قبل اليوم، فأما اليوم فلا حاجة لي فيها**»[1] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الأخبار عن فتح الله جل وعلا الأموال على المسلمين في هذه الأمة)[2].

وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه حدث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تكثر فيكم الأموال وتفيض، حتىٰ يُهم رب لمال من يقبل منه صدقته، وحتى يعرضه، ويقول الذي يعرض عليه: لا أرب لي فيه**»[3].

ويبين ابن حبان رحمة الله أن هذا المال الذي يعرض فلا يجد من يقبله، هو الزكاة دون صدقة التطوع، وأيّد ذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال، ويفيض حتي يُخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه**»[4] وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن قوله ﷺ: «صدقته» أراد به الصدقة الفريضة دون التطوع)[5].

ويرى ابن حبان أن استفاضة المال وكثرته تكون في آخر خليفة من خلفاء هذه الأمة واستدل لذلك بما رواه عن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عداً**»[6].

وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى أن فيضان المال وحصول الاستغناء لكل أحد يكون في زمن عيسىٰ عليه السلام، والمهدي المنتظر وهو من خلفاء الأمة ويكون في وقت نزول عيسىٰ عليه السلام[7].

٥ - حسر الفرات عن جبل من ذهب

روى ابن حبان فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة**

---

(١) أخرجه البخاري: (٣/٢٨١، ح ١٤١١) في الزكاة: باب الصدقة قبل الرد، ومسلم: (٢/٧٠٠، ح ١٠١١) في الزكاة: باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

(٢) «الإحسان»: (١٥/٧٠).

(٣) أخرجه البخاري: (٣/٢٨١، ح ١٤١٢) في الزكاة: باب الصدقة قبل الرد ومسلم: (٢/٧٠١، ح ١٠١١) في الزكاة: باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

(٤) أخرجه مسلم (٢/٧٠١، ح ١٠١١) في الزكاة: باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

(٥) «الإحسان»: (١٥/٧٤).

(٦) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٣٤، ح ٢٩١٣) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنىٰ أن يكون مكان الميت من البلاء.

(٧) «فتح الباري»: (١٣/٨٧، ٨٨).



حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتل الناس عليه، فيقتل من كل عشرة تسعة»[1] وفي لفظ آخر: «**يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً**»[2].

وقد ذهب بعض الناس إلى أنه النفط وليس كذلك، فإن البترول ليس بذهب على الحقيقة، ثم إن النفط يستخرج من باطن الأرض بالآلآت المصنوعة، أما هذا الكنز فينحسر عنه الماء ويكون جبلاً ظاهراً للناس[3].

وأوضح ابن حبان أن الزجر عن الأخذ من هذا الكنز نظراً لما ينشأ عنه من الاقتتال عليه. واستدل لذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة قال: فيجيء السارق، فيقول: في هذا قطعت، ويجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي ويدعونه لا يأخذون منه شيئاً**»[4].

٦ - كثرة الهرج وعود جزيرة العرب مروجاً وأنهار

وهاتان الأمارتان استدل عليهما ابن حبان بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يكثر الهرج وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهار**»[5] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن كون العمران وكثرة الأنهار في أراضي العرب)[6].

أما كثرة الهرج - والهرج القتل - كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يكون بين يدي الساعة الهرج**» قالوا: يا رسول الله، وما الهرج؟ قال: «**القتل**» قالوا: أكثر مما نقتل؟ قال: «**إنه ليس من قتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضا**» قال: ومعنا عقولنا؟ قال: «**إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان**»[7]، فقد وقع بعض منه، ومن نظر في تاريخ المسلمين وجد

(١) أخرجه أحمد: (٢/٢٦١)، وابن ماجه: (٢/١٣٤٣، ح ٤٠٤٦) في الفتن: باب أشراط الساعة: وقوله: «فيقتل من كل عشر تسعة» رواية شاذة كما بين ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح: (١٣/٨١) والمحفوظ ما عند مسلم بلفظ: «من كل مئة تسعة وتسعون».

(٢) أخرجه البخاري: (١٣/٧٨، ح ٧١١٩) في الفتن: باب خروج النار، ومسلم: (٤/٢٢١٩، ح ٢٨٩٤) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات من جبل من ذهب.

(٣) «أشراط الساعة»: يوسف الوابل: (ص ٢٠٤، ٢٠٥) ط الخامسة، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٥هـ.

(٤) أخرجه مسلم: (٢/٧٠١، ح ١٠١٣) في الزكاة: باب الترغيب في الصدقة قبل ان لا يوجد من يقبلها.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده: (٢/٣٧٠، ٣٧١) وإسناده صحيح.

(٦) «الإحسان»: (١٥/٩٣).

(٧) أخرجه أحمد: (٤/٣٩١) وابن أبي شيبة: (١٥/١٠٥، ١٠٦)، وابن ماجه: (٢/١٣٠٩، ح ٣٩٥٩) في الفتن: باب التثبت في الفتنة وإسناده صحيح.

عشرات المعارك التي دارت بينهم دون أن تعرف أسباب تلك الفتن، ومما أسهم في كثرة القتل في عصرنا هذا، تلك الأسلحة الفتاكة التي تباد بها المدن والقرى في غضون ساعات قليلة، ومما يشهد لكثرة القتل في آخر الزمان ما تقدم ذكره من حسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتل من أجله تسعة أعشار الساعين في الحصول عليه، وأما عود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، فالمراد بأرض العرب جزيرة العرب كما في الروايات الأخرى.

قال النووي في معنىٰ عود أرض العرب مروجاً وأنهاراً: (معناه والله أعلم أنهم يتركونها «ويعرضون عنها فتبقى مهملة لا تزرع ولا تسقىٰ من مياهها، وذلك لقلة الرجال، وكثرة الحروب، وتراكم الفتن، وقرب الساعة، وقلة الآمال، وعدم الفراغ لذلك والاهتمام به»)[1].

وما ذكر النووي بعيد فإن جزيرة العرب قليلة المياة أصلاً، فإذا تركها أهلها، فكيف تعود مروجاً وأنهاراً؟ وظاهر الحديث يدل على أن جزيرة العرب ستكثر فيها المياه حتى تكون أنهاراً فتزرع بها الزروع والثمار حتى تكون جنانا، ففي حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «**يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مليء جنانا**»[2].

٧ -اتباع سنن الأمم الماضية

فمن الفتن العظيمة التي ابتلي بها المسلمون، اتباع سنن اليهود والنصارى وتقليدهم، فقد وقع كثير من المسلمين في التشبه بالكفار من يهود ونصارى، فتشبهوا بهم في أفعالهم وأقوالهم وأخلاقهم، وقد استدل ابن حبان علي هذه العلامة بما رواه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لتتبعن سنن الذين قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال رسول الله ﷺ: «فمن»[3]؟

وفي رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع**» فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «**ومن الناس إلا أولئك**»[4].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (٧/ ٩٧).

(٢) أخرجه مسلم: (٤/ ١٧٨٥، ح ٧٠٦) في الفضائل: باب في معجزات النبي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري: (٦/ ٤٩٥، ح ٣٤٥٦) في أحاديث الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم: (٤/ ٢٠٠٤، ح ٢٦٦٩) في العلم: باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

(٤) أخرجه البخاري: (١٣/ ٣٠٠، ح ٧٣٢٠) في الاعتصام: باب قول النبي ﷺ: «تتبعن سنن من كان قبلكم».



قال ابن حجر: «وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ، وسيقع بقية ذلك»[1].

وقال النووي: (والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب، التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد؛ الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ)[2].

٨ -تمني الموت من شدة البلاء

وذلك لما يلقى الناس من شدة الفتن والابتلاءات في معاشهم ودنياهم وتبدل رسوم الشريعة ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: «سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه»[3].

وقال الحافظ العراقي[4]: ولا يلزم كونه في كل بلد، ولا كل زمن، ولا في جميع الناس، بل يصدق اتفاقه للبعض في بعض الأقطار في بعض الأزمان، وفي تعليق تمنيه بالمرور إشعار بشدة ما نزل بالناس من فساد الحال حينئذ، إذ المرء قد يتمنى الموت من غير استحضار لهيئته، فإذا شاهد الموتىٰ ورأى القبور نشز بطبعه ونفر بسجيته من تمنيه، فلقوّة الشدة لم يصرفه عنه ما شاهد من وحشة القبور، ولا يناقض هذا النهي عن تمنى الموت، لأن مقتضى هذا الحديث الإخبار عما يكون وليس فيه تعرض لحكم شرعي[5].

وقال ابن حجر: قال ابن بطال: تغبط أهل القبور وتمني الموت عند ظهور الفتن، إنما هو ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر، انتهى، وليس هذا عاماً في حق كل أحد وإنما هو خاص بأهل الخير، أما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه، أو أهله، أو دنياه وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه، ويؤيده ما أخرجه مسلم: **«لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه يقول: يا ليتني مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء»**[6] أي الحامل له على التمني ليس الدين، بل البلاء وكثرة المحن والفتن[7].

---

(١) «فتح الباري»: (١٣/٣٠١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٦/٢١٩، ٢٢٠).

(٣) «فيض القدير» للمناوي: (٦/٤١٨).

(٤) هو زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن العراقي الكردي الشافعي ولد سنة ٧٢٥هـ كان من الحفاظ وله مصنفات كثيرة في الحديث، توفي سنة ٨٠٦هـ انظر «شذرات الذهب»: (٧/٥٥-٥٦)، «البدر الطالع»: (١/٣٥٤).

(٥) «فتح الباري»: (١٣/٧٥، ٧٦).

(٦) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٣١، ح ١٥٧) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتي يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

(٧) «فتح الباري»: (١٣/٧٥).

٩- تقارب الزمان ونقص العلم وإلقاء الشح

وهذه العلامات الثلاث دل عليها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج**» قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «**القتل القتل**»[٢] وترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عما يظهر في الناس من الشح عند وقوع الفتن بهم)[٣].

فأما تقارب الزمان فقد قيل إن المقصود به: قلة البركة في الزمان، قال ابن حجر: قد وجد زماننا هذا، فإننا نجد من سرعة مرّ الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا، وإذا كان هذا في زمن ابن حجر في القرن التاسع، فيكف بزماننا هذا؟!

وقيل إن المراد به؛ ما يكون في زمن المهدي وعيسى عليه السلام، من طيب العيش وتوفر الأمن وظهور العدل وذلك أن الناس يستقصرون أيام الرخاء وتطول عليهم مدة الشدة وإن قصرت »[٤].

وقيل إن المراد تقارب أحوال أهله في قلة الدين، وقيل إن المراد به تقارب أهل الزمان لتوفر وسائل الاتصال الجوية والأرضية[٤].

وقيل إن المراد: بذلك هو قصر الزمان فعلا وسرعته سرعة حقيقية وذلك في آخر الزمان، فإن أيام الدجال تطول حتى يكون اليوم كالسنة وكالشهر وكالجمعة في الطول، كما جاء في الحديث، وكل ذلك محتمل.

وحمل بعضهم تقارب الزمان على أمر حسي ويكون قرب قيام الساعة، وعلى أمر معنوى، وقد ظهر هذا فالناس لا يبلغون من العمل القدر الذي كانوا يعملونه من قبل ويشكون من ذلك ولا يدرون ما العلة فيه.

وأما نقص العلم ـ وفي روايات أخرى رفعه وقبضه ـ فإنه يكون بقبض أهله كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا**

---

(١) أخرجه البخاري: (١٠/٤٦١، ح ٦٠٣٧) في الأدب: باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ومسلم: (٤/٢٠٥٧، ح ٣٦٧٢) في العلم: باب رفع العلم وقبضه.

(٢) «الإحسان»: (١٥/١٠٥).

(٣) «فتح الباري»: (١٣/١٦).

(٤) اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة للشيخ حمود التويجري رحمه الله: (١/٤٩٧).

فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[1] كما أشار إليه ابن حبان بقوله في ترجمته للحديث: (ذكر البيان بأن قوله ﷺ: «**حتىٰ يقبض العلم**» أراد به ذهاب من يحسن علمه ﷺ **إلا أن علمه يرفع قبل قيام الساعة**»[2].

وأوضح ذلك بما رواه عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نظر إلى السماء يوماً فقال: «**هذا أوان يرفع العلم**» فقال له رجل من الأنصار، يقال له: لبيد بن زياد، يا رسول الله يرفع العلم وقد أثبت ووعته القلوب؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة**» ثم ذكر اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله قال: فلقيت شداد بن أوس، فحدثته بحديث عوف بن مالك فقالك صدق عوف، ألا أدلك بأول ذلك؟ يرفع الخشوع حتى لا ترى خاشعاً[3].

قال النووي: (هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه: أن يموت حملته، ويتخذ الناس جهالا يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويُضلون)[4].

وقال ابن بطال: (جميع ما تضمنه الحديث من الأشراط قد رأيناها عياناً، فقد نقص العلم وظهر الجهل، وألقي الشح في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل)[5].

والمراد بالعلم هنا ليس علم الدنيا، فإن هذا يزداد الناس منه يوما بعد يوم، ولكن المراد علم الكتاب والسنة، وهو العلم الموروث عن النبي ﷺ، فإن العلماء ورثة الأنبياء وبذهابهم يرفع العلم ويظهر الجهل وتموت السنن وتنبعث البدع.

وأما القاء الشح أي: ظهوره وكثرته، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: من أشراط الساعة أن يظهر الشح[6]، والشح هو البخل، وقيل الحرص على ما ليس عندك والبخل بما عندك، والمراد به؛ القاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم حتي يبخل العالم بعلمه فيترك

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/٢٠٥٨، ح ٢٦٧٣) في العلم: باب رفع العلم وقبضة وظهور الجهل، والفتن في آخر الزمان، والبخاري: (١/١٩٤،ح ١٠٠) في العلم: باب كيف يطلب العلم.

(٢) «الإحسان»: (١٥/١١٤).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٦/٢٦، ٢٧)، والطبراني في «الكبير»: (١٨، ح ٧٥)، والبزار في «مسنده»: (ح ٢٣٢) وإسناده صحيح.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٦/٢٢٣، ٢٢٤).

(٥) «فتح الباري»: (١٣/١٦).

(٦) «فتح الباري»: (١٣/١٦) وعزاه للطبراني في الأوسط.

التعليم والفتوى، ويبخل الصانع بصنعته حتى يترك تعليم غيره، ويبخل الغني بماله حتي يهلك الفقير،وليس المراد وجود أصل الشح، لأنه لم يزل موجوداً[١].

١٠- تقارب الأسواق وكثرة الكذب:

ويرى ابن حبان أنهما تكونان عند رفع العلم، واستدل لذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك أن لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتظهر الفتن، ويكثر الكذب، ويتقارب الزمان، وتتقارب الأسواق، ويكثر الهرج**» قيل: وما الهرج؟ قال: «**القتل**»[٢] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن تقارب الأسواق وظهور كثرة الكذب عند رفع العلم الذي وصفناه قبل»[٣].

وتقارب الأسواق المشار إليه في الحديث حمله بعضهم على تقاربها بما يكون من سرعة العلم بما يحدث في أسواق العالم من زيادة أو نقص في الأسعار، وما يحصل أيضاً من سرعة السير من سوق إلى سوق ولو تباعدت المسافات في ظل توفر وسائل النقل الحديثة الجوية والبرية، وكذلك تقليد التجار بعضهم بعضا في زيادة الأسعار ونقصانها، ولا مانع كذلك أن يحمل على التقارب الحسي، فنحن نرىٰ اليوم عشرات الأسواق في الحي الواحد[٤].

وأما كثرة الكذب؛ فهو من العلامات التي ظهرت ولا زالت تتابع، من آثاره الظاهرة، الغش في التجارة بكتمان عيوب السلع، والحلف في عدم الربح فيها، والدعاية عنها بما ليس فيها، ومن علامات؛ كثرته تفشي شهادة الزور بين الناس إلا من عصمة الله عز وجل، وكثرة الإشاعات بما تتضمنه من أخبار كاذبة وسرعة تناقلها بين الناس وعدم تمحيصها والتثبت من مصدرها[٥].

١١- ارتفاع الأسافل:

فمن أشراط الساعة ارتفاع أسافل الناس عن خيارهم، فيكون أمر الناس بأيدي سفائهم وأراذلهم ومن لا خير فيهم، واستدل ابن حبان لذلك بما رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

---

(١) المصدر السابق: ١٣/١٧.

(٢) أخرجه أحمد: (٢/٥١٩) وإسناده صحيح واخرج البخاري نحوه: (ح ٧٠٦١).

(٣) «الإحسان»: (١٥/١١٣).

(٤) «اتحاف الجماعة»: (١/٤٩٨، ٤٩٩).

(٥) «أشراط الساعة» يوسف الوابل: (ص ١٩٥).



قال رسول الله ﷺ: «**لا تنقضي الدنيا حتى تكون عند لكع بن لكع**»[1] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن الدنيا يملكها من لا حظ له في الآخرة)[2].

ولعل هذا يفسر بما في حديث عمر بن الخطاب المشهور في إتيان جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وإعلام النبي عليه الصلاة والسلام إياه بأمارات الساعة بقوله: «**وأن ترى العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها**»[3].

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع»[4].

واللكع عند العرب: العبد، ثم استعمل في الحمق والذم، وقيل: الوسخ، وقد يطلق على الصغير، فإن أطلق على الكبير، أريد به الصغير العلم والعقل[5].

١٢- قتال المسلمين العجم والترك

روى ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان قوما من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة**»[6] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن قتال المسلمين العجم من أهل خوز وكرمان)[7].

وروى عن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة**»[8] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن قتال المسلمين أعداء الله الترك)[9].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط»: (ح، ٦٣٢) وقال الهيثمي في «المجمع»: (٧/ ٣٢٥) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير الوليد بن عبدالملك بن سرح وهو ثقة.

(٢) «الإحسان»: (١٥/ ١١٦).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد: (٥/ ٣٨٩)، والترمذي: (٦/ ٣٦٣، ح ٢٢١٠) في الفتن: باب (٣٧).

(٥) «النهاية لابن الأثير»: (٤/ ٣١٨).

(٦) أخرجه البخاري: (٦/ ٦٠٤، ح ٣٥٩٠) في المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام.

(٧) «الإحسان»: (١٥/ ١٤٤).

(٨) أخرجه البخاري: (٦/ ١٠٤، ح ٢٩٢٩) في الجهاد: باب قتال الذين ينتعلون الشعر، ومسلم: (٤/ ٢٢٣٣، ح ٣٩١٢) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.

(٩) «الإحسان»: (١٥/ ١٤٧).

أما الترك فقد قاتلهم المسلمون في عصر الصحابة رضي الله عنهم، وذلك في أول خلافة بني أمية في عهد معاوية رضي الله عنه.

وقد خرج الترك على المسلمين ثلاث مرار كما ذكره القرطبي، وكان خروجهم الأخير: تدمير بغداد، وقتل الخليفة والأمراء والعلماء والعباد، إلى أن قطع الله شرهم في معركة عين جالوت، قال النووي رحمه الله: (قد وجد قتال الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها رسول الله ﷺ صغار الأعين، حمر الوجوه، ذُلْف الأنف، عراض الوجوه، كأنهم وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعر، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات وقتالهم الآن)[1]. فالتتار الذين ظهروا في القرن السابع الهجري وأفسدوا البلاد والعباد؛ هم من الترك الذين وصفهم النبي ﷺ، وقد كانوا في وقت النووي رحمه الله على مشارف الشام للدخول فيه واستحلاله.

وأما العجم من أهل خوز وكرمان فقد قاتلهم المسلمون في عهد الصحابة رضي الله عنهم ودخل كثير منهم في الإسلام، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يملأ الله عز وجل أيديكم من العجم، ثم يكونون أسداً لا يفرون فيقتلون مقاتلتكم ويأكلون فيئكم»[2].

١٣- ظهور الشرك في هذه الأمة

وهو من العلامات التي ظهرت وهي في ازدياد، فقد وقع الشرك في هذه الأمة ولحقت قبائل منها بالمشركين، وعبدوا الأوثان، وبنوا المشاهد على القبور وعبدوها من دون الله بالطواف حولها والنذر لها، وذبح القرابين لأصحابها، وسيزداد هذا الشرك حتى لا يقال في الأرض: الله الله كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ، وقد روى ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**» وكانت صنما تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة[3].

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث، فإن قبيلة دوس وما حولها قد افتتنوا بذي الخلصة عندما عاد الجهل إلى بلادهم فأعادوا سيرتها الأولى وعبدوها من دون الله، حتىٰ أظهر الله

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٨/١٢٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: (٥/١١) وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح، «مجمع الزوائد»: (٧/٣١٠).

(٣) أخرجه البخاري: (١٣/٧٦، ح ٧١١٦) في الفتن: باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، ومسلم: (٤/٢٢٣٠، ح ٢٩٠٦) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة.







الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ودعا إلى التوحيد، فقام الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[1] رحمه الله وبعث جماعة إلى ذي الخلصة فخربوها وهدموا بعض بنائها، ثم عاد أهل دوس إلى عبادتها، فأزيلت بعد ذلك ولله الحمد والمنة.

وقد تتكرر عبادة هذا الصنم في المستقبل، وتكون هذه العلامة مما ظهر ويتكرر خاصة وأن تلك البلاد قد وجد فيها نحو من هذا، من عبادة الأحجار والأشجار كما تواترت الأخبار بذلك.

١٤- انقطاع الحج إلى البيت الحرام

وانقطاع الحج عن البيت تماماً يكون في آخر الزمان، إذ الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقد روى ابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت»[2] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن انقطاع الحج إلى البيت العتيق في آخر الزمان)[3].

وسبب انقطاع الحج عن البيت، هو خراب الكعبة وهدمها علي يد ذي السويقتين من الحبشة، فقد روى ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**»[4] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن الكعبة تخرب في آخر الزمان)[5].

ولهذا أوصى النبي ﷺ بالاستمتاع من البيت بالطواف، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة**»[6].

١٥- ظهور الخسف والمسخ والقذف

وذلك لاستحلال جماعة من الناس المحرمات كالخمر والغناء والزنا، فقد روى ابن حبان عن أبي عامر وأبي مالك الأشعريان أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «**ليكونن في أمتي أقوام يستحلون**

---

(١) هو عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ولد سنة ولي الإمامة بعد أبيه سنة ١١٧٩هـ طلب العلم على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وكان عابداً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، قتل سنة ١٢١٨هـ على يد رجل من العراق. انظر «عنوان المجد في تاريخ نجد»: (١/١٢٥).

(٢) أخرجه الحاكم: (٤/٤٥٣) وأبو يعلىٰ في «مسنده»: (ح ٩٩١) وإسناده صحيح.

(٣) «الإحسان»: (١٥/١٥١).

(٤) أخرجه البخاري: (٣/٤٥٤، ح ١٥٩١) في الحج: باب قول الله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾، ومسلم: (٤/٢٣٣٢، ح ٢٩٠٩) في الفتن: باب لا تقوم الساعة حتي يمر الرجل بقبر الرجل.

(٥) «الإحسان»: (١٥/١٥١).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه»: (ح ٢٥٠٦) والبزار في «مسنده»: (ح ١٠٧٢)، والحاكم في «المستدرك»: (١/٤٤١)، وأورده الهيثمي في «المجمع»: (٣/٢٠٦) وقال رواه البزار والطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات.

الحرير والخمر والمعازف»[1] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن استحلال المسلمين الخمر والمعازف في آخر الزمان)[2].

وعن أبي مالك الأشعري أيضاً أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير**»[3] وقد أورد ابن حبان هذا الحديث للرد علي من نفى كون المسخ في هذه الأمة، فقال في ترجمة الحديث: (ذكر الخبر المدحض قول من نفي كون المسخ في هذه الأمة)[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف**»[5].

وهذه الأمارة من أمارت الساعات الصغرى تكون عند كثرة الخبث والمعاصي على اختلاف أنواعها، وفي مقدمتها ما ذكره النبي ﷺ من الزنى والخمر والغناء.

وفي هذا أعظم زاجر ورادع لمن يقدم على هذه المعاصي بلا حياء ولا خوف من الله عز وجل.

والمسخ قد يكون حقيقا، وقد يكون معنوياً، فأما المسخ الحقيقي فبأن تنقلب صورهم إلى صورة قردة وخنازير، وأما المسخ المعنوي؛ فبأن يمسخ أخلاقهم فلا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيكونون كالقردة والخنازير في ذلك والعياذ بالله تعالى[6].

١٦- المباهاة في المساجد وزخرفتها

فمن أمارت الساعة أن يتباهىٰ الناس بزخرفة المساجد، واستدل ابن حبان لذلك بما رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهىٰ الناس في**

---

(١) اخرجه الطبراني في «الكبير»: (ح ٣٤١٧)، والبيهقي: (٣/٢٧٢) وعلقه البخاري في صحيحه: (ح ٥٥٩٠) في الأشربة: باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه.

(٢) «الإحسان»: (١٥/١٥٤).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٥/٤٣٢)، وأبو داود: (٣/٣٩٢، ح ٣٦٨٨) في الأشربة: باب في الداذي، وابن ماجه (٢/١٣٣٣، ح ٤٠٢٠) في الفتن: باب العقوبات وإسناده ضعيف.

(٤) «الإحسان»: (١٥/١٦٠).

(٥) «الإحسان»: (١٥/١٦٢، ح ٦٧٥٩) وسنده حسن.

(٦) «تفسير ابن كثير»: (١/١٥٣)، «فتح الباري»: (١٠/٥٦) «أشراط الساعة» للوابل: (١٧٦).



المساجد»[1] وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن أمارة آخر الزمان مباهاة الناس بزخرفة المساجد)[2].

وقال البخاري: (قال أنس: «يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً»، فالتباهي بها: العناية بزخرفتها، قال ابن عباس: «لتزخرفتها كما زخرفت اليهود والنصارى»)[3].

وقد نهى عمر بن الخطاب عن زخرفة المساجد لأن ذلك يشغل الناس عن صلاتهم، وقال لمن أمره بإصلاح المسجد النبوي، أكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر، فتفتن الناس)[4].

قال المناوي: (فزخرفة المساجد وتحلية المصاحف منهي عنها، لأن ذلك يشغل القلب ويلهي عن الخشوع والتدبر والحضور مع الله تعالى، والذي عليه الشافعيه أن تزويق المسجد ـ ولو الكعبة ـ بذهب أو فضة: حرام مطلقاً، وبغيرهما مكروه)[5].

١٧- كثرة النساء وانتشار الزنا

ويدل لهاتين العلامتين، ما رواه ابن حبان عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، أنه قال يوما: ألا أحدثكم بحديث لا يحدثكم به أحد بعدي سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «**لا تقوم الساعة أو من شرائط الساعة، أن يرفع العلم ويكثر الجهل، ويشرب الخمر ويظهر الزنى ويقلّ الرجال وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيّم واحد**»[6].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تتسافدوا في الطريق تسافد الحمير**»[7] قلت: إن ذاك لكائن؟ قال: «نعم ليكونن» وقد ترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن ظهور الزنى وكثرة الجهر به في آخر الزمان)[8].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٣/١٣٤)، وأبو داود (١/١٢٣، ح ٤٤٩) في الصلاة: باب ما جاء في بناء المسجد، والنسائي: (٢/٣٢) في المساجد: باب في المباهاة في المساجد، وابن ماجه: (١/٢٤٤، ح ٧٣٩) في المساجد: باب تشيد المساجد وإسناده صحيح.

(٢) «الإحسان»: (١٥/١٦٢).

(٣) «فتح الباري»: (١/٥٣٩).

(٤) المصدر السابق: (١/٥٣٩).

(٥) «فيض القدير»: ١٠/٣٦٧).

(٦) أخرجه البخاري: (١٢/١١٣، ح ٦٨٠٨) في الحدود: باب إثم الزنى، ومسلم: (٤/٢٠٥٦، ح ٢٦٧١) في العلم: باب رفع العلم وقبضه.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة: (١٥/٦٤)، والبزار في «مسنده»: (ح ٣٤٠٨)، وأورده الهيثمي في «المجمع»: ٧٠/٣٢٧)، وقال رواه البزار والطبراني، ورجال البزار رجال الصحيح، وإسناده صحيح.

(٨) «الإحسان»: (١٥/١٧٩).

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: (وكأن هذه الأمور الخمسة خصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد وهي: الدين، لأن رفع العلم يخل به، والعقل لأن شرب الخمر يخل به، والنسب لان الزنا يخل به، والنفس والمال لأن كثرة الفتن تخل بهما)[1].

فأما كثرة النساء وقلة الرجال فقيل: إن السبب في ذلك كثرة الفتن فيكثر القتل في الرجال إذ هم أهل الحروب، وقيل: إن سبب ذلك كثرة الفتوح فتكثر السبايا فيتخذ الرجل عدة مواطوءات قال الحافظ ابن حجر: (فيه نظر، لأنه صرح بالقلة في حديث أبي موسى فقال: «من قلة الرجال وكثرة النساء» والظاهر أنها علاقة محضه لا لسبب آخر، بل يقدر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة النساء من العلامات، مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم)[2].

وما ذهب إليه ابن حجر من كثرة ولادة الإناث في آخر الزمان لا يمنع أن يكون هناك سبب آخر في كثرة النساء من الحروب وظهور الفتن، وأيضاً حوادث وسائل المواصلات التي تودي بحياة كثير من الرجال في هذه الأزمنة.

وأما انتشار الزنى فهو سبب كما تقدم من أسباب المسخ والقذف.

قال النووي في تعليقه على حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه وفيه: «ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة»[3]، قال: «أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون ذلك»[4].

وقال القرطبي في «المفهم» على حديث أنس رضي الله عنه: «في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت خصوصاً في هذه الأزمان»[5].

فهذا في زمان القرطبي، ففي زماننا أكثر، لأنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، فالجهل منتشر بين الناس مما أدى إلى انتشار الفساد في صفوفهم، والله المستعان.

١٨- نفي المدينة لشرارها ثم خرابها في آخر الزمان:

جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بإثبات فضائل المدينة وترغيب السكنى فيها كقوله ﷺ:

---

(١) «فتح الباري»: (١/١٧٩).

(٢) المصدر السابق: (١/١٧٩).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٥٥، ح ٢١٣٧) في الفن: باب ذكر الدجال.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٨/٧٠).

(٥) «فتح البارى»: (١/١٧٩).



«**من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن مات بها**»[١]. ومن علامات الساعة أن تنفي المدينة شرارها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد**»[٢] قال: «**ويأتي على الناس زمان يدعو الرجل قريبة وحميمه إلى الرخاء والمدينة خيراً لهم لو كانوا يعلمون**»[٣] وترجم للحديث بقوله: «ذكر البيان بأن ستكون المدينة خير لأهلها من الانجلاء عنها لو علموه»[٤].

وقد حمل القاضي عياض نفي المدينة لشرارها على زمن النبي ﷺ لأنه لم يصبر على الهجرة والمقام في المدينة إلا من كان ثابت الإيمان أما جهلة الأعراب والمنافقون فلا يصبرون على شدتها ولا يحتسبون الأجر في ذلك.

لكن النووي استبعد ما اختاره القاضي عياض وحمله على زمن الدجال أو أن يكون ذلك في أزمان متفرقة[٥]، وأورد ابن حجر الاحتمالين ـ أي: زمن النبي ﷺ وزمن الدجال، أما ما بين ذلك من الأزمان فلا، وعلل ذلك بخروج كثير من الصحابة رضي الله عنهم إلى الشام والعراق ومصر وغير ذلك[٦].

وبالنسبة لخراب المدينة وانجلاء أهلها عنها، فإن ذلك في آخر الزمان قرب قيام الساعة بدليل قوله ﷺ: «**لتتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب فيغذي على بعض سواري المسجد أو على المنبر**» قالوا: يا رسول الله: فلمن تكون الثمار ذلك الزمان؟ قال: «**للعوافي: الطير والسباع**»[٧] وترجم الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن انجلاء أهل المدينة عنها عند وقوع الفتن)[٨].

قال ابن كثير: (والمقصود أن المدينة تكون باقية عامرة أيام الدجال، ثم تكون كذلك في زمان عيسى ابن مريم رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى تكون وفاته بها ودفنه بها، ثم تخرب

---

(١) أخرجه أحمد: (٤/ ٧٤) والترمذي: (٩/ ٤١١، ح ٣٩١٣) في المناقب: باب فضل المدينة، وابن ماجه: (٢/ ١٠٣٩، ح ٣١١٢) في المناسك: باب فضل المدينة وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم: (٢/ ١٠٠٥، ح ١٣٨١) في الحج: باب المدينة تنفي شرارها.

(٣) أخرجه مسلم: (٢/ ١٠٠٥، ح ١٣٨١) في الحج: باب المدينة تنفي شرارها.

(٤) «الإحسان»: (١٥/ ١٧٩).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم: (٩/ ١٥٤).

(٦) «فتح الباري»: (٤/ ٨٨).

(٧) «الإحسان»: (١٥/ ١٧٦، ١٧٧)، ومالك في «الموطأ»: (٢/ ٨٨٨).

(٨) المصدر السابق: (١٥/ ١٧٥).

بعد ذلك)[١].

وقال الحافظ ابن حجر: (روى عمر بن شبة بإسناد صحيح عن عوف بن مالك قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد. ثم نظر إلينا فقال: **«أما والله ليدعنها أهلها مذللة أربعين عاما للعوافي، أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع»**[٢] ثم قال ابن حجر: وهذا لم يقع قطعاً)[٣].

فدل على أن خروج الناس من المدينة بالكلية يكون في آخر الزمان بعد خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

ويحتمل أن يكون ذلك عند خروج النار التي تحشر الناس، وهي آخر أشراط الساعة وأول العلامات الدالة على قيام الساعة فليس بعدها إلا الساعة.

٢٠ - كثرة الزلازل

عن سلمة بن نفيل السكوني قال: كناجلوسنا عند النبي ﷺ وهو يوحى إليه فقال: **«إني غير لابث فيكم، ولستم لابثين بعدي إلا قليلاً، وستأتوني أفناداً، يفني بعضكم بعضا، وبين يدي الساعة موتان شديد، وبعده سنوات الزلازل»**[٤] وترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: **«ذكر الإخبار عن وجود كثرة الزلال في آخر الزمان»**)[٥].

وقد جاء الإخبار بأنه من أشراط الساعة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ا ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل»**[٦].

قال ابن حجر: (قد وقع في كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثير من الزلازل ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها)[٧].

ومن نظر في أزماننا هذه علم صدق ما أخبر به النبي ﷺ إذ لا يكاد يمر شهر إلا ونسمع عن عدة زلازل في أماكن متفرقة من بقاع الدنيا وأقطارها.

---

(١) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/١٥٨).
(٢) «فتح الباري»: (٤/٩٠).
(٣) «فتح الباري»: (٤/٩٠).
(٤) أخرجه أحمد: (٤/١٠٤)، والطبراني في «الكبير»: (ح ٦٣٥٦) وقال الهيثمي في «المجمع»: (٧/٣٠٦) رجاله ثقات.
(٥) «الإحسان»: (١٥/١٨٠).
(٦) أخرجه البخاري: (١٣/٨١، ٨٢، ح ٧١٢١) في الفتن: باب (٢٥).
(٧) «فتح الباري»: (١٣/٨٧).



٢١ - بعث ريح طيبة لقبض أرواح المؤمنين

وتنطلق هذه الريح من اليمن وهي ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، وقد استدل ابن حبان لهذه العلامة بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تبعث ريح حمراء من قبل اليمن فيكفت الله بها كل نفس تؤمن بالله واليوم الآخر، وما ينكرها الناس من قلة من يموت فيها، مات شيخ في بني فلان، وماتت عجوز في بني فلان، ويسرى على كتاب الله فيرفع إلى السماء فلا يبقىٰ في الأرض من آية وتقيء الأرض أفلاذ كبدها من الذهب والفضة، ولا ينتفع بها بعد ذلك اليوم يمر بها الرجل فيضربها برجله ويقول: في هذه كان يقتتل من كان قبلنا وأصبحت اليوم لا ينتفع بها»[١].

قال أبو هريرة: وإن أول قبائل العرب فناء قريش، والذي نفسي بيده أوشك أن يمُرَّ الرجل على النعل وهي ملقاة في الكناسة فيأخذها بيده ثم يقول: كانت هذه من نعال قريش في الناس»[٢].

وجاء في حديث النواس بن سمعان الطويل في قصة الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج: «إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة»[٣].

وفي حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقىٰ على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه»[٤].

فدلت هذه الأحاديث على أن ظهور هذه الريح يكون بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال وهلاك يأجوج ومأجوج: وهذا يعني أن ظهورها قريب جداً من قيام الساعة.

أما كونها من الشام وفي اللفظ الآخر من اليمن، فإنه يحتمل أن تكون ريحين: شامية، ويمانية، ويحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين ثم تصل الآخر وتنتشر عنده[٥].

فكل ما تقدم من علامات الساعة الصغرى مما أشار إليه ابن حبان وأورده في كتابه الصحيح

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» مختصرا: (١١/٦٢٠٢) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١٠/٢٨) وقال: رواه أحمد وأبو يعلي والبزار ببعضه والطبراني في «الأوسط»، ورجال أحمد وأبي يعلىٰ رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢/٣٣٦) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٥٥، ح ٢١٣٧) في الفتن: باب ذكر الدجال وصفة ما معه.

(٤) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٥٩، ح ٢٩٤٠) في الفتن: باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ..

(٥) «فتح الباري»: (٣/٤٦٢).

وسياقه لها من أوضح الأدلة على إيمانه بكل ما جاء فيها من غير تأويل لها وصرف لها عن ظاهرها، كما هي طريقة أهل السنة والجماعة في الإيمان بما جاء في كتاب الله وصحت به الأحاديث عن النبي ﷺ من الأمور المغيبة.

المطلب الثالث: أشراط الساعة الكبرى

وهي تلك الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع، كظهور الدجال ونزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها.

ولم يظهر نص صريح يبين ترتيب أشراط الساعة الكبرى حسب وقوعها، وذكرها في الأحاديث إنما جاء مجتمعا، فعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ في غرفة ونحن تحتها، إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: «**ماذا تتذاكرون؟**» قلنا: نذكر الساعة، قال: «**فإنها لا تكون حتى يكون بين يديها عشر آيات؛ طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، وعيسى ابن مريم، والدّابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من موضع كذا**» قال: أحسبه قال: «**تقيل معهم حيث قالوا: وتنزل معهم حيث ينزلون**»[1]. وباستقراء الأحاديث الواردة في أشراط الساعة الكبرى يمكن القول - كما ذكر ابن حجر ذلك - أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى عليه السلام، وأن طلوع الشمس من مغربها، هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من مغربها[2].

واشراط الساعة الكبرى التي تواترت بها الأخبار هي:

١- المسيح الدجال.

٢- نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

٣- خروج المهدي.

٤- خروج يأجوج ومأجوج.

٥- الخسوفات الثلاثة.

٦- الدخـــــان.

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٢٥، ح ٢٩٠١) في الفتن: باب في الآمارة تكون قبل الساعة.

(٢) «فتح الباري»: (١١/ ٣٥٣).



٧- طلوع الشمس من مغربها.

٨- الدابـــــة.

٩- النار التي تحشر الناس.

ولكن عند بحثي لاشراط الساعة الكبرى سأذكر ما ذهب إليه ابن حبان في ذكره لها كما ظهر لي في ترجمة للأحاديث التي أوردها في أخبار أشراط الساعة الكبرى.

أولا: خروج المسيح الدجال:

معنى المسيح:

تطلق على الصديق وعلى الضليل الكذاب، فالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: الصديق، والمسيح الدجال: الضليل الكذاب.

وسمى الدجال مسيحاً، لأن إحدى عينه ممسوحة، فقد جاء في الحديث: «إن الدجال ممسوح العين»[١].

معنى الدجال:

الدجال هو: المموّه الكذاب الممخرق، وقد أصبحت علما على المسيح الأعور الكذاب فإذا أطلق لم يتبادر إلى الذهن سواه.

وسمى دجالاً: لتغطيته الحق بالباطل، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم، وقيل: لأنه يغطي الأمر بكثرة جموعه[٢].

صفة الدجال:

الدجال رجل من بني آدم، جاءت السنة ببيان كثير من صفاته، لإيضاح أمره للناس وكشفه لهم وتحذيرهم من شره حتىٰ إذا خرج، لم يخف أمره على المؤمنين فلا يفتنون به وإنما يفتن به الجاهل بأمره.

ومن هذه الصفات أنه رجل، شاب، أحمر، قصير، أفحج[٣]، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة ولا جحراء[٤] كأنها عنبة طافية

---

(١) «التذكرة» للقرطبي: (ص ٦٧٩)، والحديث أخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٤٨، ح ٢٩٣٣) في الفتن: باب ذكر الدجال.

(٢) «لسان العرب»: (١١/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٣) الفحج: تباعد ما بين القدمين، «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٣/ ٤١٥).

(٤) جحراء: بفتح الجيم وسكون الحاء، أي: ليس غائرة منجحرة في نقرتها. «لسان العرب»: (٤/ ١١٨).

وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة ومكتوب بين عينيه (ك. ف. ر) بالحروف المقطعة أو (كافر) بدون تقطيع يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له.

وسأقتصر في ذكر صفاته على الأحاديث التى أوردها ابن حبان في صفته، وهي أدلة صريحة في وجود الدجال وأنه سيخرج في الوقت الذي يأذن الله له بالخروج خلافا لمن كذب به أو تأوله، ومن تلك الأحاديث الدالة على صفته:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال، وإني سأبين لكم شيئاً تعلمون أنه كذلك، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإنه بين عينيه مكتوب كافر يقرؤوه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»[١].

٢- عن أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ: «إن بين عينيه مكتوب: ك ف ر، يقرؤه كل مؤمن من أمتي وكاتب - يعني الدجال -»[٢].

٣- عن أُبّي بن كعب رضي الله عنه ﷺ أنه قال: «الدجال عينه خضراء كزجاجة وتعوذوا بالله من عذاب القبر»[٣].

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الدجال فقال: «أعور، هجان، أزهر كأن رأسه أصلة، أشبه الناس بعبد العزىٰ بن قطن، فإن هلك الهُلّك فإن ربكم ليس بأعور»[٤].

٥- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحج، أجعد، أعور، مطموس العين، ليس بناتئة[٥] ولا جحراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور»[٦].

والكتابة التي بين عيني الدجال، كتابة حقيقية.

قال النووي رحمه الله: (الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٤٨، ح ٢٩٣٣) في الفتن: باب ذكر الدجال وصفة ما معه. وأخرجه البخاري بنحوه: (١٣/ ٩١، ح ٧١٣١) في الفتن: باب ذكر الدجال.

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٤٨، ح ٢٩٣٣) في الفتن: باب ذكر الدجال وصفة ما معه، وأحمد في «المسند»: (٣/٢٠٦).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (٥/١٢٣، ١٢٤) والطيالسي في «مسنده»: (ح ٥٤٤) وأورده الهيثمي في «المجمع» ونسبه إلى أحمد وقال: رجال ثقات.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند»: (١/٢٤٠) والطبراني في «الكبير»: (١١٧١١) وأورده الهيثمي في «المجمع»: (٧/٣٣٧، ٣٣٨) ونسبه إلى أحمد الطبراني وقال: رجال الجميع رجال الصحيح ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف.

(٥) ناتئة: مأخوذة من النتوء، وهو الارتفاع والانتفاخ، اي: ان عينه ليست بارزة. انظر «عون المعبود»: (١١/٤٤٤).

(٦) أخرجه أبو داود: (٤/١١٧، ح ٤٣٢٠) في الملاحم: باب خروج الدجال، وأحمد في «المسند»: (٥/٣٢٤).



كتابة حقيقية جعلها الله أية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، يظهرها الله تعالى لكل مسلم، كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته ولا امتناع في ذلك)[١].

وقال ابن حجر في جوابه على اشكال رؤية بعض الناس لهذه الكتابة دون بعض وقراءة الأمي لها، «وذلك أن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء، فهذا يراه المؤمن بعين بصره وإن كان لا يعرف الكتابة، ولا يراه الكافر، ولو كان يعرف الكتابة، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته ولا يراه الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم، لأن ذلك الزمن تنخرق فيه العادات»[٢].

الأدلة على ظهور الدجال:

تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في خروج الدجال الأعور الكذاب في آخر الزمان، علامة من علامات الساعة الكبرى، وفيما يلي سياق لبعض الأدلة التي أوردها ابن حبان على إثبات خروج المسيح الدجال.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بادروا بالعمل ستا، الدجال، والدخان ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة وخويصّة أحدكم»[٣]. وترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عما يجب على المرء من المبادرة بالأعمال الصالحة قبل خروج المسيح نعوذ بالله منه)[٤].

٢- عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ في غرفة ونحن تحتها إذا أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: «**ماذا تتذاكرون؟**» قلنا: نذكر الساعة، قال: «**فإنها لا تكون حتى يكون بين يديها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، وعيسى ابن مريم، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من موضع كذا؟**» قال: أحسبه قال: «**تقيل معهم حيث قالوا، وتنزل معهم حيث ينزلون**»[٥] وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن هذا العدد المذكور للأشياء المتوقعة قبل

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٨/ ٦٠).

(٢) «فتح الباري»: (١٣/ ١٠٠).

(٣) اخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٦٧، ح ٢٩٤٧) في الفتن: باب في بقية أحاديث الدجال.

(٤) «الإحسان»: (١٥/ ١٩٩).

(٥) تقدم تخريجه.

خروج المسيح ليس بعدد لم يرد به النفي عما وراءه»[١].

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتبع الدجال سبعون ألف من يهود أصبهان عليهم الطيالسة**»[٢].

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال، وإني سأبين لكم شيئاً تعلمون أنه كذلك، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإنه بين عينيه مكتوب كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»[٣] وترجم للحديث بقوله: (ذكر إنذار الأنبياء أممهم الدجال نعوذ بالله من فتنة)[٤].

٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فقام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال، فقال: «**إني أنذركموه، ما من نبي إلا قد أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلموا أنه أعور وأن الله ليس بأعور**»[٥].

والأحاديث في إثبات خروج الدجال وإفساده في الأرض كثيرة جداً، أوصلها بعض العلماء إلى مئة وتسعين حديثاً، وحكى الشوكاني رحمه الله تواترها حيث قال بعد سياقه للأحاديث الواردة في ذكر الدجال: ولنقتصر على هذا المقدار فليس المراد هنا إلا بيان كون أحاديث خروج الدجال متواترة، والتواتر يحصل بالبعض مما سقناه، وقد بقيت أحاديث وآثار عن جماعة من الصحابة تركنا ذكرها[٦].

ابن صياد والدجال:

جاء عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم الجزم بأن الدجال رجل كان في حياة النبي ﷺ يدعىٰ بابن صياد، فمن هو ابن صياد؟ وهل هو الدجال حقاً؟ هذان سؤلان مهمان لمعرفة أمر الدجال الذي هو أعظم فتنة في التاريخ.

---

(١) «الإحسان»: (١٥/٢٠٠).

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٦٦، ح ٢٩٤٤) في الفتن: باب في بقية أحاديث الدجال.

(٣) أخرجه البخاري: (٦/٣٧٠، ح ٣٣٣٧) في أحاديث الأنبياء: باب قول الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾، ومسلم: (٤/٢٢٤٧، ح ٢٩٣٠)، في الفتن: باب ذكر ابن صياد.

(٤) «الإحسان»: (١٥/١٨٣).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) «منهج الإمام الشوكاني في العقيدة»: (ص ٧٦٥).



ابن صياد:

اسمه هو صافي - وقيل عبدالله - بن صياد أو صائد[١].

كان من يهود المدينة، وقيل: من الأنصار، وكان صغيراً عند قدوم النبي ﷺ.

وذكر ابن كثير أنه أسلم، وكان ابنه عمارة من سادات التابعين، روى عنه الإمام مالك وغيره[٢]. وترجم له الذهبي في كتابه: «تجريد أسماء الصحابة» قال: عبدالله بن صياد، أورده ابن شاهين[٣]، وقال هو ابن صائد، كان أبوه يهودياً، فولد أعور مختونا، وهو الذي قيل: إنه الدجال ثم أسلم، فهو تابعي له رؤية[٤].

أحـــوله:

كان ابن صياد دجالاً، وكان يتكهن أحياناً فيصدق ويكذب فانتشر خبره بين الناس، وشاع أنه الدجال، كما سيأتي في امتحان النبي ﷺ له.

امتحان النبي ﷺ له:

لما شاع بين الناس أمر ابن صياد وأنه هو الدجال، أراد النبي ﷺ أن يكشف حقيقة أمره، فكان يذهب إليه مختفياً لئلا يشعر به ابن صياد رجاء أن يسمع منه شيئاً، وكان يوجه إليه بعض الأسئلة التي تكشف عن حقيقته.

فقد أخرج ابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه انطلق مع رسول الله ﷺ في رهط قبل ابن صياد، حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «أتشهد أني رسول الله؟» فقال ابن صياد: أتشهد أني رسول الله، فرفصه رسول الله، وقال: «آمنت بالله وبرسوله» ثم قال له رسول الله: «ماذا ترى»؟ قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، قال له رسول الله ﷺ: «خُلّط عليك الأمر» ثم قال له رسول الله ﷺ: «خبأت لك خبأ» فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال له رسول الله: «أخسأ فلن تعدو قدرك» فقال له عمر بن الخطاب:

---

(١) «فتح الباري»: (٣/ ٢٢٠، ٦/ ١٦٤).

(٢) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/ ١٢٨).

(٣) هو الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين البغدادي الواعظ المفسر، كان من حفاظ الحديث ومن أوعيه العلم، له مصنفات عدة أكثرها في التفسير والتاريخ توفي سنة ٣٨٥هـ. انظر «شذرات الذهب»: (٣/ ١١٧)، «الإعلام»: (٥/ ٤٠) للزركلي.

(٤) «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي: (١/ ٣١٩) دار المعرفة، بيروت.

دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال له رسول الله: «إن أدركته فلن تسلط عليه وإن لم تدركه فلا خير لك في قتله».

قال ابن شهاب: قال سالم: وسمعت ابن عمر يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأُبّي ابن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد، حتى إذا دخل رسول الله النخل **طفق** يتقي بجذوع النخل، وهو يحب أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زمزمة، فرأت أم ابن صياد رسول الله وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد، فقال رسول الله: «لو تركتيه». قال ابن عمر: فقام رسول الله في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال، فقال: «إني أنذركموه ما من نبي إلا وقد أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلّموا أنه أعور وأن الله ليس بأعور»[١].

وقد ترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن الوقت ولد فيه الدجال)[٢].

وهذ الترجمة من ابن حبان تُشعر بأنه يرى أن ابن صياد هو الدجال الأكبر.

وروى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لقي نبي الله ﷺ ابن صائد ومعه أبو بكر وعمر قال: وابن صائد مع الغلمان، فقال له رسول الله ﷺ: «أتشهد أني رسول الله؟» قال: أتشهد إني رسول الله؟ قال نبي الله: «آمنت بالله ورسله» قال: فقال رسول الله ﷺ: «ما ترىٰ؟» قال: أرى عرشاً على الماء، فقال ﷺ: «ترى عرش إبليس على البحر» قال: «انظر ما ترى» قال: أرى صادقين وكاذبين، فقال رسول الله ﷺ: «لُبِسَ على نفسه» فدعاه[٣].

قال ابن كثير رحمه الله: (ان ابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان، وهم يقرطون ـ أي: يقطعون ـ العبارة، ولهذا قال: هو الدخ، يعنى الدخان، فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية، فقال له: «اخسأ فلن تعدو قدرك»[٤].

وفاتــه:

عن جابر رضي الله عنهما قال: «فقدنا ابن صياد يوم الحرة»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري: (٦/٣٧٠، ح ٣٣٧٧) في أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: ﴿ولقد ارسلنا نوحاً إلى قومه﴾، ومسلم (٤/٢٢٤٤، ح ٢٩٣٠) في الفتن: باب ابن صياد.

(٢) «الإحسان»: (١٥/١٨٧).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٤١، ح ٢٩٢٦) في الفتن: باب ذكر ابن صياد.

(٤) «تفسير ابن كثير»: (٧/٢٣٤).

(٥) أخرجه أبو داود: (٤/١٢١، ح ٤٣٣٢) في الملاحم: باب في خبر ابن صائد.



وقد صحح ابن حجر هذه الرواية، وضعف قول من ذهب إلى أنه مات بالمدينة، وأنهم كشفوا عن وجهه وصلوا عليه[١].

هل ابن صياد هو الدجال الأكبر؟

ذكرت فيما قبل، أن ترجمة ابن حبان لحديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم في أحوال ابن صياد وامتحان النبي ﷺ له مشعرة بأنه يذهب إلى القول بأنه الدجال الأكبر.

وقد سُبق ابن حبان إلى هذا الرأي، فعمر رضي الله عنه كان يحلف عند النبي ﷺ أن ابن صياد هو الدجال ولم ينكر عليه النبي ﷺ[٢].

وكان جابر رضي الله عنهما يحلف أيضاً ان ابن صياد هو الدجال، فلما سئل عن ذلك احتج بحلف عمر وعدم إنكار النبي ﷺ عليه[٣].

وذهب ابن عمر رضي الله عنهما إلى أن ابن صياد هو الدجال فكان يقول: «والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد»[٤].

وعن نافع رحمه الله أن ابن عمر رضي الله عنهما رأى ابن صائد في سكة من سكك المدينة فسبَّه ابن عمر ووقع فيه، فانتفخ حتى سد الطريق، فضربه ابن عمر بعصا، فسكن حتى عاد، فانتفخ حتى سدّ الطريق، فضربه ابن عمر بعصا معه حتى كسرها عليه، فقالت له حفصة رضي الله عنها: ما شأنك وشأنه، ما يولعك به، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما يخرج الدجال من غضبه يغضبها»[٥] وقد ترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن السبب الذي يكون خروج المسيح به)[٦].

وممن ذهب إلى أن ابن صياد هو الدجال:

القرطبي، فقد قال: (الصحيح ان ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم، وما يبعد أن يكون

---

(١) «فتح الباري»: (١٣/٣٢٨).

(٢) أخرجه البخاري: (١٣/٣٢٣، ح ٧٣٥٥) في الاعتصام: باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة لا من غير الرسول، مسلم: (٤/٢٢٤٣، ح ٢٩٢٩) في الفتن: باب ذكر ابن صياد.

(٣) أخرجه أبو داود: (٤/١٢١، ح ٤٤٣١) في الملاحم: باب في خبر ابن صياد.

(٤) أخرجه أبو داود: (٤/١٢٠، ح ٤٤٣٠) في الملاحم: باب في خبر ابن صياد.

(٥) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٤٦، ح ٢٩٣٢) في الفتن: باب ذكر ابن صياد.

(٦) «الإحسان»: (ص ٧٠٢).

بالجزيرة في ذلك الوقت، ويكون بين أظهر الصحابة في وقت آخر)[١].

ومال النووي إلى ذلك حيث قال: (قال العلماء: وقصته مشكله، وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره؟ ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة)[٢].

قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره وإنما أوحى إليه بصفات الدجال، وكان من ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه: «ان يكن هو، فلن تستطيع قتله»[٣].

وذهب جماعة من العلماء إلى أن ابن صياد ليس هو الدجال، ويحتجون لذلك بحديث تميم الداري رضي الله عنه، وقد أخرج ابن حبان هذا الحديث فروى عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: نودي بالصلاة جامعة فاجتمع الناس وفزعوا، قالت، فصعد رسول الله ﷺ المنبر، وحمد الله وأثنى عليه وقال: «إني لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن حديث حدثنيه تميم الداري زعم أنه ركب البحر في ثلاثين رجلا من لخم وجُذام، قال: فلعب بنا البحر ـ وربما قال: لعب بنا الموج ـ شهراً، ثم قذف بنا السفينة إلى جزيرة في البحر. قال: فخرجنا إليها، فلقيتنا جارية تجر شعرها، لا ندري مقبلة هي أم مدبرة، قلنا: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة. قلنا: أخبرينا. قالت: عليكم بصاحب الدير، وهو يخبركم ويستخبركم، قال: فدخلنا عليه، فإذا رجل، ذكر من عِظَمه ما شاء الله وهو موثق إلى حبل بالحديد فقلنا: من أنت؟ قال: أخبروني عما أسألكم عنه، قالوا: سلنا، قال: ما فعل حبل بيسان يطعم؟ قلنا: نعم. قال: يوشك أن لا يطعم، ثم قال: أخبروني عن عين زُغَرَ هل بها ماء؟ قلنا: نعم، قال: يوشك أن لا يكون بها ماء، ثم قال أخبروني عن هذا الرجل هل خرج؟ قالوا: نعم قال: إنه صادق فاتبعوه، فقلنا من أنت؟ قال: أنا الدجال» قال كهمس: فذكر ابن بريدة شيئاً لمن أحفظه، إلا أنه قال: «تطوى له الأرض، ويأتي على جميعهن في أربعين صباحاً»[٤].

وقد رواه مسلم بنحوه ما رواه ابن حبان هاهنا وزاد في آخره: «إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة

---

(١) «التذكرة»: (ص ٧٠٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٨/٤٦).

(٣) أخرجه البخاري: (٦/٣٧٠، ح ٣٣٣٧) في أحاديث الأنبياء: باب قول الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾، ومسلم (٤/٢٢٤٠، ح ٢٩٢٤) في الفتن: باب ذكر ابن صياد.

(٤) أخرجه مسلم بنحوه: (٤/٢٢٦١، ح ٢٩٨٢) في الفتن، باب قصة الجساسة وأبو داود: (٤/١١٨، ح ٤٣٢٦) في الملاحم: باب في خبر الجساسة، وانظر «الإحسان»: (١٥/١٩٣-١٩٥).



والمدينة، فهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة ـ أو واحدا ـ منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدوني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله ﷺ ـ وطعن بمخصرته في المنبر ـ: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة ـ يعني: المدينة ـ ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟» فقال الناس: نعم. «فإنه أعجبني حديث تميم أن وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، وأوما بيده إلى المشرق»[1].

فهذا الحديث يدل على أن الدجال الأكبر ليس هو بابن صياد كما ظنه بعض الناس.

قال البيهقي في سياق كلامه على حديث تميم: «فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد، وكان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر ﷺ بخروجهم وقد خرج أكثرهم.

وكأن الذين يجزمون بأن ابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جداً، أو كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شبه محتلم ويجتمع به النبي ﷺ ويسأله، أن يكون في آخرهم شيخاً كبيراً مسجونا في جزيرة من جزائر البحر، موثقاً بالحديد يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا؟ فالأولى أن يُحمل على عدم الاطلاع.

أما عمر، فيحتمل أن يكون ذلك منه قبل أن يسمع قصة تميم، ثم لما سمعها، لم يعد إلى الحلف المذكور.

وأما جابر، فشهد حلفه عند النبي ﷺ، فاستصحب ما كان اطلع عليه من عمر بحضرة النبي ﷺ[2].

لكن اعترض على البيهقي بأن جابراً من رواة حديث تميم، وذكر لجابر موت ابن صياد قال: وإن مات وقيل له: إنه أسلم. قال وإن أسلم، قيل: فإنه دخل المدينة، فجابر رضي الله عنهما مصرّ على أن ابن صياد هو الدجال الأكبر[3].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن أمر ابن صياد قد أشكل على بعض الصحابة، فظنوه الدجال، وتوقف فيه النبي ﷺ حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال وإنما هو من

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٦١، ح ٢٩٤٢) في الفتن: باب قصة الجساسة.

(٢) «فتح الباري»: (١٣/٣٢٦، ٣٢٧).

(٣) أخرجه أبو داود: (٤/١٢٠، ح ٤٣٢٨) في الملاحم: باب في خبر الجساسة

جنس الكهان أصحاب الأحوال الشيطانية ولذلك كان يذهب ليختبره[١].

وقال ابن كثير: (والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعاً لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية وهو فيصل في المقام)[٢].

وقد اجتهد الحافظ ابن حجر في التوفيق بين الأحاديث المختلفة فقال: «أقرب ما يجمع به بين ماتضمنه حديث تميم وكون ابن صياد الدجال بعينه، هو الذي شاهده تميم موثقا، وأن ابن صياد شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة، إلى أن توجه إلى أصبهان، فاستتر مع قرينه إلى أن تجيء المدة التي قدر الله تعالى خروجه فيها، ولشدة التباس الأمر في ذلك سلك البخاري مسلك الترجيح، فاقتصر على حديث جابر عن عمر في ابن صياد، ولم يخرج حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم»[٣].

وقد تعقب ابن حجر في جمعه هذا بين الأحاديث، قال الشيخ حمود التويجري[٤] رحمه الله: (وفي هذا الجمع نظر لا يخفى، فإن ابن صياد قد ولد في المدينة وكان أبوه وأمه من اليهود، وكان في زمن النبي ﷺ وقد قارب الحلم، ثم أسلم بعد ذلك وولد له ابنان من خيار التابعين، ومن كانت هذه حاله، فليس بشيطان تبدى في صورة الدجال وإنما هو آدمي قطعاً.

والأحسن في هذا أن يقال: إن ابن صياد دجال من الدجاجلة، وليس بالدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان كما قرر ذلك الحافظ ابن كثير وغيره من المحققين والله أعلم)[٥].

مكان خروج الدجال:

يخرج الدجال من جهة المشرق، من خراسان، من يهودية أصبهان، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلداً إلا دخله إلا مكة والمدينة، فلا يستطيع دخولهما، لأن الملائكة تحرسهما.

فقد روى ابن حبان رضي الله عنه قال: «يخرج الدجال من هاهنا» وأشار نحو المشرق[٦].

واتبع ابن حبان هذا الحديث بقوله: (قول أبي هريرة: «وأشار نحو المشرق» أراد به

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»: «ص ٧٧).
(٢) «النهاية في الفتن والملاحم: (١/٧٠).
(٣) «فتح الباري»: (١٣/٣٢٨).
(٤) هو العلامة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري النجدي، من العلماء المعاصرين ولد سنة (١٣٣٤هـ)، له مصنفات عدة، توفي سنة (١٤١٣هـ). انظر «أشراط الساعة» للوابل: (ص ١٥٩).
(٥) «إتحاف الجماعة»: (٢/٣٦٤).
(٦) أخرجه البزار بنحوه: (ح ٣٣٨٣) وقال الهيثمي في «المجمع»: (٧/٣٤٨) فيه مجالدبن سعيد وهو ضعيف وقد وثق. وانظر «الإحسان»: (١٥/٢٠٢).





البحرين لأن البحرين مشرق المدينة، وخروج الدجال يكون من جزيرة من جزائرها لا من خرسان، والدليل على صحة هذا، أنه موثق في جزيرة من جزائر البحر على ما أخبر تميم الداري وليس بخراسان بحر ولا جزيرة)[١].

فابن حبان يرجع خروجه من جهة البحرين إذ هي مشرق المدينة كما يقول، لكن ما ذهب إليه ابن حبان مخالف للأحاديث الثابتة في تحديد جهة خروجه، فقد روى الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفا من اليهود»[٣].

قال ابن حجر: (وأما من أين يخرج؟ فمن قبل المشرق جزماً)[٤].

وقال ابن كثير: (فيكون بدء ظهور من أُصبهان من حارة يقال لها، اليهودية »[٥].

فتنة الدجال:

فتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى قيام الساعة وذلك بسبب ما أوجد الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول.

فقد ورد أنه معه جنة وناراً، وجنته نار، وناره جنة، وأنه معه أنهار الماء، وجبال الخبز ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض ويقطع الأرض بسرعة، كسرعة الغيث استدبرته الريح ... إلى غير ذلك من الخوارق.

وكل ذلك جاءت به الأحاديث الصحيحة:

فمنها ما رواه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر، معه جنة ونار، فنارة جنة وجنته نار**»[٦].

---

(١) «الإحسان»: (١٥/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي: (٧/ ١٥، ح ٢٢٣٨) في الفتن: باب ما جاء من أين يخرج الدجال، وابن ماجه: (٢/ ١٣٥٣، ح ٤٠٧٢) في الفتن: باب فتنة الدجال وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٣/ ٢٢٤) وصححه الحافظ ابن حجر كما في الفتح: (١٣/ ٣٢٨).

(٤) «فتح الباري»: (١٣/ ٩١).

(٥) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/ ١٢٨).

(٦) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٤٨، ح ٢٩٣٤) في الفتن: باب ذكر الدجال.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تاجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض، ثم ليطاطيء رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد**»(١).

وجاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في ذكر الدجال أن الصحابة قالوا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم». قالوا: وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث إذا استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم . فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيامر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دراً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر ثم يأتي القوم، فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك»(٢).

وجاء في رواية البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن هذا الرجل الذي يقتله الدجال من خيار الناس، أو خير الناس، يخرج إلى الدجال من مدينة رسول الله ﷺ فيقول الدجال: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ فيقول للدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا فيقتله، ثم يحيه، فقول ـ أي الرجل ـ والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه»(٣). وقد أخرج ابن حبان هذه الرواية وترجم لها بقوله: (ذكر الإخبار عن البعض الآخر من الفتن التي تكون مع الدجال)(٤).

وقد اتبع ابن حبان الحديث أن معمراً وهو أحد رواه الحديث قال: (كانوا يرون أن هذا الذي يقتله الدجال ثم يحييه: الخضر(٥)، وهذا باطل فإن جمهور أهل العلم على أن الخضر ميت، فكيف يذكر ابن حبان مثل هذا ثم لا يتعقبه بشيء؟!

وهذه الخوارق والفتن التي تكون مع الدجال خوارق حقيقة وليست بخيالات ولا تمويهات

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٤٩، ح ٢٩٣٤) في الفتن: باب ذكر الدجال.
(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٥٢، ح ٢٩٣٧) في الفتن: باب ذكر الدجال.
(٣) أخرجه البخاري: (١٣/١٠١، ح ٧١٣٢) في الفتن: باب لا يدخل الدجال المدينة.
(٤) «الإحسان»: (١٥/٢١١).
(٥) «الإحسان»: (١٥/٢١٣).



وممن ذهب إلى أنها ليست بحقيقة ابن حبان والطحاوي وابن حزم والجبائي وغيرهم من المعاصرين كالشيخ رشيد رضا وغيره.

أما ابن حبان فقد احتج في إنكاره لخوارق الدخال بما رواه عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته، فقال: «إنه لن يضرك» قلت: يا نبي الله، يزعمون أن معه الأنهار والطعام قال: «**هو أهون على الله من ذلك**»[1]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الدجال إذا خرج يكون معه المياه والطعام)[2].

وروى عن ربعي بن خراش قال: اجتمع حذيفة وأبو مسعود، فقال حذيفة: «**أنا أعلم بما مع الدجال منه، إن معه نهراً من نار، ونهراً من ماء، فالذي يرون أنه نار: ماء، والذي يرون أنه ماء: نار، فمن أدرك ذلك منكم، فأراد الماء فليشرب من الذي يرى أنه نار فإنه سيجده ماء، قال أبو مسعود: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول**»[3]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن بعض الفتن التي يبتلي الله جل وعلا البشر بكونه مع المسيح)[4].

ثم أورد حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه بلفظ: قلت يا رسول الله، بلغني أن مع الدجال جبال الخبز وأنهار الماء، فقال رسول الله ﷺ: «هو أهون على الله من ذلك» قال المغيرة: فكنت من أكثر الناس سؤالاً عنه. فقال لي رسول الله ﷺ: «ليس بالذي يضرك»[5]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر خبر قد يوهم غير المتبحر في صناعة العلم أنه مضاد لخبر أبي مسعود الذي ذكرناه)[6].

وقال ابن حبان عقب الحديث: (إنكار المصطفى ﷺ على المغيرة بأن مع الدجال أنهار الماء ليس يضاد خبر أبي مسعود والذي ذكرناه، لأنه أهون على الله من أن يكون معه نهر الماء يجري والذي معه يُرى أنه ماء ولا ماء من غير أن يكون بينهما تضاد)[7].

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/ ٨٩، ح ٧١٢٢) في الفتن: باب ذكر الدجال، ومسلم: (٤/ ٢٢٥٧، ح ٢٩٣٩) في الفتن: باب في الدجال «وهو أهون على الله عز وجل».

(٢) «الإحسان»: (١٥/ ١٨٤).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٥٠، ح ٢٩٣٥) في الفتن، وللبخاري نحوه: (١٣/ ٩١، ح ١٧٣٠) في الفتن: باب ذكر الدجال.

(٤) «الإحسان»: (١٥/ ٢٠٩).

(٥) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٥٧، ح ٢٩٣٩) في الفتن: باب في الدجال «وهو أهون على الله عز وجل».

(٦) «الإحسان»: (١٥/ ٢٢١).

(٧) «الإحسان»: (١٥/ ٢١١)

وما ذهب إليه المنكرون لخوارق الدجال ويتأولونها على خلاف ما دلت عليه يمكن الرد عليهم بالآتي:

١- أن الأحاديث الواردة في ذكر خوارق الدجال ثابتة، وصحيحة، لا يجوز ردها ولا تأويلها. أما معنى قول النبي ﷺ: «هو أهون على الله من ذلك» أي: أهون على الله من أن يجعل ما يخلقه على يدي الدجال من الخوارق مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم، بل ليزدادوا إيماناً ويرتاب الذين في قلوبهم مرض، فهو مثل قول الذي يقتله الدجال: «ما كنت أشد بصيرة مني فيك اليوم»[١].

٢- لو سلمنا أن الحديث على ظاهره، فيكون قول النبي ﷺ له ذلك قبل أن ينزل على النبي ﷺ بيان ما معه من الخوارق بدليل قول المغيرة للنبي ﷺ: «يقولون: إن معه ....» ولم يقل النبي ﷺ: إنك قلت فيه كذا وكذا ثم جاء الوحي بعد ذلك ببيان ما يكون مع الدجال من الخوارق والآيات، فلا منافاة بين حديث المغيرة وأحاديث الدجال ..

٣- إن خوارق الدجال حقيقية، وليست تمويهات ولا خيالات، وهذه الخوارق من الأمور التي أقدره الله عليها فتنته وابتلاء للعباد، والدجال لا يمكن أن يشبه حاله بحال الأنبياء، لأنه لم يثبت أنه يدعي النبوة حال ظهور الخوارق على يديه، بل يكون ظهور الخوارق عند ادعائه الربوبية[٢].

٤- أن ما يعطاه الدجال من الخوارق ليس فيه مخالفة لسنن الله الكونية ولو كان كذلك يلزم إبطال معجزات الأنبياء، لأنها مخالفة لسنن الله الكونية، وما يقال في خوارق الأنبياء وأنها ليست مخالفة لسنن الله تعالى يقال في الخوارق التي يعطاها الدجال على سبيل الفتنة والامتحان والابتلاء كما قال تعالى: ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**﴾[٣].

٥- لو سلمنا أن خوارق الدجال مخالفة لسنن الله الكونية فإنا نقول: إن زمن الدجال تنخرق فيه العادات وتحدث فيه أمور عظيمة مؤذنة بخراب العالم وزوال الدنيا وقرب الساعة.

وإذا كان خروجه في زمن فتنة أرادها الله، فلا يقال: إن الله ألطف بعباده أن يفتنهم بخوارقه فهو اللطيف الخبير، ولكن أقتضت حكمته أن يبتلي العباد به وقد أنذرهم وحذرهم منه[٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «فتح الباري»: (١٣/١٠٥).

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

(٤) «أشراط الساعة» للوابل: (ص ٣٢٢).



وفيما يلي سياق لكلام عدة من العلماء في إثبات أن خوارق الدجال حقيقة لا خيال امتحانا من الله وابتلاءاً لعباده.

قال القاضي عياض: هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه، ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدره الله تعالى ومشيئته ويبطل أمره ويقتله عيسى ﷺ ويثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار، خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة ... وغيرهما في أنه صحيح الوجود، ولكن الذي يدعي، مخارق وخيالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقاً، لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات وسلامه عليهم.

وهذا غلط من جميعهم، لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حالة ووجوه دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه.

ولهذه الدلائل وغيره لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة، رغبة في سد الرمق أو تقية أو خوفاً من أذاه لأنه فتنة عظيمة تدهش العقول، وتحيّر الألباب مع سرعة مروره في الأرض، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص فيصدقه من صدقه في هذه الحالة.

ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنة، ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله.

وأما أهل التوفيق فلا يغتررون به ولا يُخدعون لما معه، لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحيه: ما ازددت فيك إلا بصيرة[1].

وقال ابن كثير رحمه الله: إن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء فتمطرهم والأرض فتنبت لهم زرعاً

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (٨/٥٨-٥٩)، «فتح الباري»: (١٣/١٠٥).

تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، وترجع إليه مواشيهم سمانا لبنا ومن لا يستجيب له، ويرد عليه أمره، تصيبهم السنة والجدب والقحط والقلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه يتبعه كنوز كيعاسيب النحل، ويقتل ذلك الشاب ثم يحيه، وهذا كله ليس بمخرقة بل له حقيقة امتحن الله بها عباده في آخر الزمان، فيضل به كثيراً ويهدي به كثيراً، يكفر المرتابون ويزداد الذين آمنوا إيماناً(١).

قال ابن العربي رحمه الله: الذي يظهر على يد الدجال من الآيات، من إنزال المطر والحصب على من يصدقه والجدب على من يكذبه، واتباع كنوز الأرض له وما معه من جنة ونار ومياه تجري، كل ذلك محنة من الله واختبار، ليهلك المرتاب وينجو المتيقن، وذلك كله أمر مخوف، ولهذا قال ﷺ: «**لا فتنة أعظم من فتنة الدجال**»(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: (وفي الدجال مع ذلك دلالة بيّنة لمن عقل على كذبه، لأنه ذو أجزاء مؤلفة، وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينيه، فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم: فأسوا حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أن لم يكن لِيُسوّي خلق غيره ويعدله ويحسنه ولا يدفع النقص عن نفسه، فأقل ما يجب أن يقول: يا من يزعم أنه خالق السماء والأرض، صور نفسك وعد لها وأزل عنها العاهة، فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئاً في نفسه شيئاً فازل ما هو مكتوب بين عينيك)(٣).

هلاك الدجال:

أشار ابن حبان رحمه الله تعالى إلى أن هلاك الدجال سيكون على يد المسيح عيسى ابن مريم فقد روى عن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقتل ابن مريم الدجال بباب لُدّ**»(٤) وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن قاتل الدجال ووصف الموضع الذي يقتله فيه)(٥). فأفاد الخبر أن الدجال سيقتله المسيح عيسى ابن مريم بباب لُدّ، ولُدّ مدينة بالقرب من القدس.

(١) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/١٢١).
(٢) «فتح الباري»: (١٣/١٠٣).
(٣) «فتح الباري»: (١٣/١٠٣).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) «الإحسان»: (١٥/٢٢٤).

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الملحمة الكبرى مع الروم وفيه: «فإذا جاءوا الشام، خرج - يعني الدجال - فبينما هم يعدون للقتال، ويسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم، فإذا رآه عدو الله يذوب كما يذوب الملح، ولو تركوه لذاب حتى يهلك، ولكنه يقتله الله بيده، فيريهم دمه بحربته»[1] وترجم للحديث بقوله: (ذكر ذوبان الدجال عند رؤيته عيسى ابن مريم قبل قتله إياه)[2].

فإذا قتل الدجال بيد عيسى ابن مريم، انهزم أتباعه من اليهود وغيرهم، فيتبعهم المؤمنون ويقاتلونهم حتى يجهزوا عليهم، ويقول الشجر والحجر يا مسلم! يا عبدالله! هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «تقاتلكم اليهود فتظهرون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»[3].

وبقتله، تنتهي فتنته العظيمة، وينجي الله الذين آمنوا من شرّه وشرّ أتباعه ويعيش المسلمون بعدها في عيش رغيد، فتقع الأمنة في الأرض ويكون المسيح عليه السلام إماماً عدلاً وحكماً مقسطاً إلى أن يتوفاه الله عز وجل.

ثانياً: طلوع الشمس من مغربها:

طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى، وهو ثابت بالكتاب العزيز والسنة النبوية الأدلة على وقوع ذلك:

الأدلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**﴾[4] فمن لم يكن إيمانه متحققا إذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفعه تجديد الإيمان، ولم ينفعه فعل بر من جميع الأعمال لأنه فقد الإيمان الذي هو الأساس لما عداه من تلك الأعمال فلا ينفعه إيمانه الحادث حينئذ.

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٢، ح ٢٨٩٧) في الفتن: باب في فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم.

(٢) «الإحسان»: (١٥/٢٢٤).

(٣) أخرجه البخاري: (٦/٦٠٤، ح ٥٣٩٣) في المناقب: باب في علامات النبوة في الإسلام، ومسلم: (٤/٢٢٣٨، ح ٢٩٢١) في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن المراد ببعض الآيات المذكورة في الآية هو طلوع الشمس من مغربها وهو قول أكثر المفسرين.

قال الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: حين تطلع الشمس من مغربها[١].

وقال الشوكاني: فإذا ثبت رفع هذا التفسير النبوي من وجه صحيح لا قادح فيه، فهو واجب التقديم متحتم الأخذ به[٢].

والتفسير النبوي المشار إليه هو ما رواه الشيخان وأخرجه ابن حبان أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**»[٣]، وقد ترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن نفي قبول الإيمان في الابتداء بعد طلوع الشمس من مغربها)[٤].

الأدلة من السنة النبوية:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**»[٥].

٢- تقدم في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في ذكر أشراط الساعة الكبرى، فذكر منها: «**طلوع الشمس من مغربها**»[٦].

٣- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حدثنا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها**»[٧].

---

(١) «تفسير الطبري»: (٨/١٠٣).

(٢) «فتح القدير»: (٢/١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري: (٨/٢٩٧، ح ٤٦٣٥) في التفسير: باب ﴿قل هلم شهدائكم﴾، ومسلم (١/١٣٧، ح ١٥٧) في الإيمان: باب بيان الزمن الذي يقبل فيه الإيمان.

(٤) «الإحسان»: (١٥/٢٥٢).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٦٠، ح ٢٩٤١) في الفتن: باب ذكر الدجال.



والأحاديث في إثبات خروجها معلومة متضافرة.

فإذا طلعت الشمس من مغربها فلا يقبل الإيمان ممن لم يكن مؤمنا قبل ذلك، إذ طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة من آيات الله عز وجل في الكون، يراها كل البشر فتنكشف لهم الحقائق ويشاهدون من الأهوال ما يلوى أعناقهم إلى الإقرار والتصديق، ومثلهم في ذلك مثل من عاين بأس الله تعالى كما قال تعالى: ﴿**فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون**﴾(١).

قال ابن كثير رحمه الله: إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنا قبل ذلك، فإن كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخلطا فأحدث توبة، حينئذ لم تقبل منه توبة(٢).

وهذا ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية كما تقدم، ومن ذلك ما قاله ﷺ: «لا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل»(٣).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٤) فجعل غاية قبول التوبة هو طلوع الشمس من مغربها.

ومما تقدم يتضح إثبات ابن حبان لهذه الآية العظيمة كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ.

ثالثاً: خروج النار وسوقها الناس إلى المحشر:

ومن أشراط الساعة الكبرى هي آخرها ـ خروج النار العظيمة ـ وخروجها من الآيات المؤذنة بقيام الساعة.

---

(١) سورة غافر: الآيتان ٨٤، ٨٥.

(٢) «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣٧١).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (٣/ ١٣٣)، وقال ابن كثير في «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/ ١٧٠) وهذا إسناده جيد قوي.

(٤) أخرجه مسلم: (٢١١٣، ح ٢٧٥٩)، في التوبة: باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة.

الأدلة على خروجها:

١- عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر، فقال: «**ماذا كنتم تتذاكرون؟**» قلنا كنا نتذاكر الساعة، فقال: «**إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، وذكر منها: وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن أو عدن أو اليمن، تطرد الناس إلى المحشر**»[١]، وقد ترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخصال التي يتوقع كونها قبل قيام الساعة)[٢].

٢- عن بشر السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن تخرج نار من حبس تسير سير بطيئة الإبل، تسير بالنهار، وتكمن بالليل، يقال: غدت النار أيها الناس فاغدوا، قالت النار أيها الناس فقيلوا، راحت النار أيها الناس فروحوا، من أدركته أكلته**»[٣]، وترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الأخبار عن وصف سير النار التي تخرج في آخر الزمان)[٤].

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس**»[٥].

كيفية حشرها الناس:

أخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، اثنان على بعير، وثلاثة على بعير وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**»[٦]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف الطرائق التي يكون حشر الناس في ذلك اليوم بها)[٧].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الإحسان»: (١٥/٢٥٧).

(٣) أخرجه أحمد: (٣/٤٤٣) وأبو يعلى في «مسنده»: (ح ٩٣٤)، والحاكم: (٤/٤٤٢، ٤٤٣)، وأورده الهيثمي في «المجمع»: (٨/١٢) وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد الصحيح غير رافع وهو ثقة.

(٤) «الإحسان»: (١٥/٢٥٤).

(٥) أخرجه أحمد: (٢/٦٩) والترمذي: (٦/٣٦٧، ح ٢٢١٨) في الفتن: باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز.

(٦) أخرجه البخاري: (١١/٣٧٧، ح ٦٥٢٢) في الرقاق: باب كيف الحشر، ومسلم: (٤/٢١٩٥، ح ٢٨٦١)، في الجنة وصفة نعيمها: باب فناء الدنيا وبيان المحشر يوم القيامة.

(٧) «الإحسان»: (١٦/٣٣١).



فمن الناس كما في الحديث من يتعاقب الركوب على البعير في رغبة ورهبة، ومنهم من تحشره النار فتحيط بهم وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف أكلته النار كما في حديث أبي بشر المتقدم.

وقد حمل بعض العلماء كيفية الحشر هذه على قيام الناس من القبور كابن حبان كما يظهر من ترجمته للحديث. والحليمي والغزالي وغيرهما ولكن الصحيح أن هذا الحشر قبل المبعث، إذ الناس يبعثون من قبورهم كما قال النبي ﷺ: «**حفاة عراة غرلاً**»[١]، وقال أطال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الرد على أن من زعم أن هذه الكيفية عند قيام الناس من قبورهم[٢].

وهو أيضاً ما رجحه القرطبي وابن كثير وعليه إجماع جمهور العلماء.

قال النووي: قال العلماء: وهذا الحشر في آخر الدنيا قبل القيامة، وقبيل النفخ في الصور بدليل قوله ﷺ: «**تحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل وتصبح**»[٣].

وقال ابن كثير بعد ذكره للأحاديث الواردة في خروج النار مبيناً أن هذا الحشر في الدنيا: فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلة المحشر وهي الأرض الشام ... وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الزمان حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المشترى وغيره، وحيث تهلك المتخلفين منهم النار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يبق موت، ولا ظهر يشترى ولا أكل ولا شرب ولا لبس في العرصات[٤].

وبهذا يتضح ضعف قول ابن حبان من أن صفة الحشر هذه بعد نفخة البعث وأن الصحيح خلاف ذلك وهو أن هذا الحشر يكون في الدنيا عند خروج النار من اليمن وسوقها الناس إلى المحشر.

كما أن ابن حبان أيضاً ذهب إلى أن النار التي تخرج فتضيء لها أعناق الإبل ببصرى هي النار التي تحشر الناس إلى المحشر وهذا غير صحيح فإن النار التي تضيء لها أعناق الإبل ببصرى قد خرجت كما ذكر في القرن السابع الهجري[٥]، ثم هي من علامات الساعة الصغرى، ولم

---

(١) أخرجه البخاري: (١١/ ٣٧٧، ح ٦٥٢٤) في الرقائق: باب الحشر.

(٢) «فتح الباري»: (١١/ ٣٨٠).

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٧/ ١٩٤، ١٩٥).

(٤) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/ ٣٢٠، ٣٢١).

(٥) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٨/ ٢٨)، «البداية والنهاية»: (١٣/ ١٩٠).

تتحقق فيها الصفات التي ذكرت في أحاديث خروج النار التي تخرج من اليمن وتُحشر الناس إلى محشرهم، فهذا التفسير من ابن حبان لخروج النار التي في آخر الزمان وتضيء لها أعناق الإبل ببصرى بأنه من علامات الساعة الكبرى تفسير ضعيف مخالف للأدلة الصحيحة في صفات النار التي بعد طلوع الشمس من مغربها ومخالف أيضاً لما وقع وتواترت به الأخبار.

رابعاً: خروج الدابـــة

ظهور دابة الأرض في آخر الزمان من علامات قرب الساعة، وخروجها ثابت بالكتاب والسنة.

أدلة خروجها:

من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾[(١)].

فهذه الآية الكريمة ورد فيها ذكر خروج الدابة، وأن ذلك يكون عند فساد الناس وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك.

من السنة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوعا الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»[(٢)].

٢- تقدم في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في ذكر أشراط الساعة الكبرى فذكر منها «**الدابة**» وفي رواية: «**دابة الأرض**»[(٣)].

٣- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريباً**»[(٤)].

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم: (١/١٣٧، ح ١٥٧)، في الإيمان: باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٦٠، ح ٢٩٤١) في الفتن: باب ذكر الدجال.





فيجب الإيمان بأن الله تعالى سيخرج للناس في آخر الزمان دابة من الأرض تكلمهم، ويكون تكليمها آية لهم دالة على أنهم يستحقون للوعيد بتكذيبهم آيات الله، فإذا خرجت علم الناس أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة، وقد كانوا قبل ذلك لا يؤمنون بآيات الله ولا بلقاءه.

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى: والآية صريحة بالقول العربي أنها (دابة) ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح، لايحتاج إلى تأويل ... ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها، بخروج هذه الدابة، وأنها تخرج أخر الزمان، ووردت آثار أخرى في صفتها، لم تنسب إلى رسول الله ﷺ المبلغ عن ربه، والمبيّن آيات كتابه، فلا علينا أن ندعها، ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين للإسلام، الذين فشا فيهم المنكر من القول الباطل من الرأي، الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب، ولا يريدون إلا أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم معلموهم وقدوتهم ملحدو أوربا الوثنيون الإباحيون، المتحللون في كل خلق ودين، هؤلاء لا يستطيعون أن يؤمنوا بما نؤمن به، ولا يستطيعون أن ينكروا إنكار صريحاً فيجمجمون ويحارون ويداورون ثم يتأولون فيخرجون بالكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب، يجعلونه أشبه بالرموز بما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنون[١].

مكان خروج الدابة:

اختلف الأقوال في تعين مكان خروج الدابة فمنها:

١- أنها تخرج من مكة المكرمة من أعظم المساجد.

٢- أن لها ثلاث خرجات، فمرة تخرج من بعض البوادي ثم تختفي ثم تخرج من بعض القرى ثم تظهر في المسجد الحرام.

٣- أنها تخرج من الحجر[٢].

وأصح هذه الأقوال، قول من ذهب إلى أن لها ثلاث خرجات، فمرة تخرج في بعض البوادي ثم تختفي ثم تخرج في بعض القرى ثم تظهر في المسجد الحرام، وذلك لما روى الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال: إنها - أي الدابة - تخرج ثلاثة خرجات في بعض البوادي ثم تكمن: ثم

---

(١) تعليق الشيخ أحمد شاكر على «مسند الإمام أحمد»: (١٢/ ٨٢).

(٢) «لوامع الأنوار البهية»: (١/ ١٤٤-١٤٦)، «التذكرة»: (ص ٦٩٧، ٦٩٨).

تخرج في بعض القرى، حتى يذعرون حتى تهريق فيها الأمراء الدماء، : ثم تكمن، قال: فبينما الناس عند أعظم المساجد وأفضلها وأشرفها حتى قلنا المسجد الحرام، وما سماه، إذا ارتفعت الأرض، ويهرب الناس، ويبقى عامة من المسلمين يقولون: إنه لن ينجا من أمر الله شيء، فتخرج فتجلو وجوههم حتى تجعلها وكالكواكب الدرية وتتبع الناس جيران في الرباع، شركاء في الأموال، وأصحاب في الإسلام[1].

وهذا الحديث وإن كان من كلام حذيفة رضي الله عنه، إلا أن له حكم الرفع إلى النبي ﷺ لأنه إخبار عن أمر غيبي لا مجال للرأي فيه.

عمل الدابة:

إذا خرجت هذه الدابة العظيمة فإنها تسم المؤمن والكافر، فأما المؤمن، فإنها تجلو وجهه حتى يشرق ويكون ذلك علاقة على إيمانه، وأما الكافر فإنها تخطمه على أنفه علامة على كفره والعياذ بالله تعالى.

أما تكليمها الناس فهو مما اختلف المفسرون فيه على أقوال:

١- فمنهم من قال إن المراد به: تكلمهم كلاماً، أي تخاطبهم مخاطبة، ويدل له قراءة أبي ابن كعب رضي الله عنه: «تنبئهم».

٢- ومنهم من قال إن المراد به: تجرحهم، ويؤيد ذلك قراءة (تكلمهم) بفتح التاء وسكون الكاف من الكلم وهو الجرح، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس رضي الله عنه، أي: تسمهم وسما وهذا القول يشهد له حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم**»[2].

وروى عن ابن عباس أنه قال: كلا تفعل أي: المخاطبة والوسم.

قال ابن كثير: وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم[3].

---

(١) أخرجه الحاكم: (٤/٤٨٤، ٤٨٥)، وابن جرير في «تفسيره»: (٢/١٤، ١٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (١٠/٦٦، ٦٧) وإسناده صحيح موقوف على حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (٥/٢٦٨)، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٨/٦) رجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبدالرحمن بن عطية وهو ثقة، وصححه الشيخ الألباني كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (١/٣١، ح ٣٢٢).

(٣) «تفسير ابن كثير»: (٦/٢٢٠).



خامساً: ظهور الدخان

من علامات الساعة الكبرى في آخر الزمان ـ ظهور الدخان ـ وقد دل على خروجه الكتاب والسنة.

أدلة الظهور:

من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشىٰ الناس هذا عذاب أليم**﴾[١]، والمعنى: انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يغشىٰ الناس ويعلمهم، وعند ذلك يقال لهم: هذا عذاب أليم تقريعاً وتوبيخاً أو يقول بعضهم لبعض ذلك[٢].

من السنة النبوية:

١ـ جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه في ذكر أشراط الساعة الكبرى: «الدخان»[٣].

٢ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستا: الدجال، والدخان**»[٤].

الأقوال في وقوع آية الدخان:

١ـ ذهب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ومن اتبعه من السلف إلى أن آية الدخان قد وقعت وكان ذلك ما أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ لما لم يستجيبوا له فأصبحوا يرون السماء كهيئة الدخان.

قال ابن مسعود رضي الله عنه، خمس قد مضين: «**اللزام، والروم، والبطشة، والقمر، والدخان**»[٥].

ولما حدث رجل من كندة عن الدخان، وقال: أنه يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع

---

(١) سورة الدخان: الآيتان ١٠، ١١.

(٢) «تفسير ابن كثير»: (٧/٢٣٥، ٢٣٦)، «تفسير القرطبي»: (١٦/١٣٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري: (٨/٥٧١، ح ٤٨٢٠) في التفسير: باب ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، ومسلم: (٤/٢١٥٥، ح ٢٧٩٨) في صفة القيامة والجنة والنار: باب الدخان.

المنافقين وأبصارهم، غضب ابن مسعود رضي الله عنه وقال: (من علم فليقل، من لم يعلم، فليقل: الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله قال لنبيه: ﴿**قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين**﴾[1]. وإن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام، **فدعا عليهم** النبي ﷺ فقال: «**اللهم أعنّي عليهم بسبع سنين كسبع يوسف**»، فأخذتهم سنة حتى **هلكوا** فيها وأكلوا الميتة، والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان»[2].

وقد رجح ابن جرير هذا القول ومال إليه[3].

٢- ذهب ابن عباس رضي الله عنه وبعض الصحابة والتابعين إلى أن آية الدخان لم تقع، وإنما تقع قرب قيام الساعة.

روى ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم عن عبدالله بن أبي مليكة، قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم، فقال: نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت[4].

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا إسناده صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها ... مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾[5] أي: بين واضح يراه كل أحد، على أن ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد.

وهكذا قوله: ﴿**يغشى الناس**﴾ أي يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿**يغشىٰ الناس**﴾[6].

---

(١) سورة ص: الآية ٨٦.

(٢) أخرجه البخاري: (٨/٥١١، ح ٤٧٧٤) في التفسير: باب ﴿يغشى الناس عذاب أليم﴾، ومسلم: (٤/٢١٥٦، ح ٢٧٩٨) في صفة القيامة والجنة والنار: باب الدخان.

(٣) «تفسير الطبري»: (٢٥/١١٤).

(٤) «تفسير الطبري»: (٢٥/١١٣).

(٥) سورة الدخان: الآية ١٠.

(٦) «تفسير ابن كثير»: (٧/٢٣٥).

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد: «إني قد خبأت لك خبئاً». قال: هو الدخ، فقال له: «اخسأ فلن تعدو قدرك»، وخبأ له رسول الله ﷺ: ﴿**فارتقب يوم السماء بدخان مبين**﴾[1].

وفي هذا دليل على أن الدخان من المنتظر المرتقب، فإن ابن صياد كان من يهود المدينة، ولم تقع هذه القصة إلا بعد الهجرة النبوية إلى المدينة.

وتفسيرابن مسعود إنما هو من كلامه، فهو موقوف عليه، والمرفوع مقدم على الموقوف[2].

وذهب بعض أهل العلم إلى الجمع بين هذه الآثار فقال: إنهما دخانان، ظهر أحدهما، وبقي الآخر وهي التي تقع في آخر الزمان، وأما الذي وقع فهو ما أصاب قريشا.

قال القرطبي: قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان، قد مضى أحدهما والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا الزكمة، وأما الكافر فتثقب مسا معه[3].

وقال ابن جرير: وبعد، فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم ويكون مخلا فيما يُستأنف بعد بآخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك، لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن فإنه قد كان ما روى عنه عبدالله بن مسعود. فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله ﷺ صحيح[4].

سادساً: وقوع الخسوفات الثلاث:

من علامات الساعة الكبرى ـ وقوع ثلاثة خسوف ـ عظيمة بالأرض.

معنى الخسوف:

يقال: خسف المكان يخسف خسوفاً إذا ذهب في الأرض وغاب فيها[5]، وفيه قوله تعالى: ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض**﴾[6].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/ ١٧٢).

(٣) «التذكرة»: (ص ٦٥٥).

(٤) «تفسير الطبري»: (٢٥/ ١١٤-١١٥).

(٥) «لسان العرب»: (٩/ ٦٧).

(٦) سورة القصص: الآية ٨١.

وقد جاءت السنة ببيان هذه الخسوفات الثلاث وأماكن وقوعها.

أدلة السنة على ظهور الخسوفات:

عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات ... فذكر منها: وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**»[1].

وهذه الخسوفات الثلاثة لم تقع بعد، كغيرها من الأشراط الكبرى التي لم يظهر منها شيء.

ووقعت خسوفات في أمكان متفرقة وفي أزمان متباعدة ولكنها ليست من أشراط الساعة الكبرى بل من أشراط الساعة الصغرى.

وقال ابن حجر رحمه الله: وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يتحمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد كأن يكون أعظم منه مكاناً أو قدراً»[2].

وعمومات الأحاديث تدل على أن هذه الخسوفات إنما تقع إذا كثر الخبث في الناس وفشت فيهم المعاصي والله أعلم.

وتقدم ترجمة ابن حبان لحديث حذيفة المذكور بأن الخسوفات الثلاثة من العلامات التي تكون بين يدي الساعة، وهذا يدل على إثباته لها كما هو ظاهر الحديث.

سابعاً: خروج يأجوج ومأجوج

ومن علامات الساعة الكبرى التي تقع في آخر الزمان خروج يأجوج ومأجوج كما جاءت بذلك آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي ﷺ الصحيحة الصريحة.

وقبل ذكر الأدلة على خروجهم من الأولى التعرف على أصلهم وما هم؟

أصلهم:

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان وقيل عربيان.

وعلىٰ هذا يكون اشتقاقهما من أجت النار اجيجاً، إذا التهبت، أو من الأُجاج: وهو الماء الشديد الملوحة، المحرق من ملوحته.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «فتح الباري»: (١٣/ ٨٤).



وقيل عن الأج: وهو سرعة العدو، وقيل عن: مأجوج من ماج، إذا اضطرب. وهما على وزن يفعول في (مأجوج)، أو على وزن فاعول فيهما، هذا إذا كان الإسمان عربيين، أما إذا كانا أعجمين، فليس لهما اشتقاق إذا الأعجمية لا تشتق من العربية[1].

وأصل يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء.

وقال بعض العلماء: إنهم من ذرية آدم وحده، وذلك أن آدم احتلم فاختلط منيّه بالتراب فخلق الله من ذلك يأجوج ومأجوج.

ولكن هذا مما لا يعول إذ لا دليل لقائله عن المعصوم ﷺ[2].

قال ابن حجر: ولم نر هذا عند أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار ويرّده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح، ونوح من ذرية حواء قطعاً[3].

ويأجوج ومأجوج من ذرية يافث أبي الترك، ويافث من ولد نوح عليه السلام والدليل على أنهم من ذرية آدم عليه السلام وما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم: فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: اخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» قالوا: وأينا ذلك الواحد؟ قال: «ابشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألف»[4].

وقد سئل الإمام النووي عنهم، وهل هم من ولد حواء؟ فأجاب بأنهم من ولد آدم وحواء عليهما السلام عند أكثر العلماء[5].

وذكر ابن عبدالبر الإجماع على أنهم من ولد يافث من نوح عليه السلام[6].

وقال ابن كثير: هم ذرية آدم بلا خلاف نعلمه[7].

---

(١) «لسان العرب»: (٢/٢٠٦، ٢٠٧)، «فتح الباري»: (١٣/١٠٦).

(٢) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/١٥٢، ١٥٣).

(٣) «فتح الباري»: (١٣/١٠٧).

(٤) أخرجه البخاري: (٦/٣٨٢، ح ٣٣٤٨) في الأنبياء: باب قصة يأجوج ومأجوج.

(٥) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/١١٥).

(٦) المصدر السابق: (٢/١١٥).

(٧) «تفسير ابن كثير»: (٥/١٩١).

صفتهم:

أورد ابن حبان بسنده حديثاً في صفة يأجوج ومأجوج وعدد نسلهم، فروى عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفا من الذرية، وإن من ورائهم أمما ثلاثة منسك وتأويل وتاريس لا يعلم عددهم إلا الله**»[١]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن كثرة خلق الله جل وعلا النسل من أولاد يأجوج ومأجوج)[٢].

وقد ذكر من صنف في الفتن والملاحم صفات كثيرة ليأجوج ومأجوج ولكن لم أعرج عليها لأنها وردت في أحاديث لا تثبت عن النبي ﷺ بل هي ما بين حديث منكر وضعيف بل موضوع، أو من أخبار بني إسرائيل، والصواب في صفتهم ما قاله ابن كثير رحمه الله فقد قال: والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم وقد قال النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»[٣]، وهذا فيصل في هذا الباب وغيره.

الأدلة على خروج يأجوج ومأجوج:

خروج يأجوج ومأجوج ثابت بالكتاب العزيز والسنة النبوية:

أولا: أدلة القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: ﴿**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين**﴾[٤].

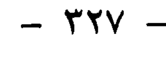
٢- وقال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين: ﴿**ثم اتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا * قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا * قال ما مكنّي فيه ربي خير فاعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما * آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله**

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير»: (١٧/ ٨٨) وأورده الهيثمي في «المجمع»: (٨/ ٦) وقال رواه الطبراني في «الكبير والأوسط» رجاله ثقات، وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: (٥/ ١٩٦) هذا حديث غريب، بل منكر ضعيف.

(٢) «الإحسان»: (١٥/ ٢٤٠).

(٣) «تفسير ابن كثير»: (٥/ ١١١)، «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/ ٢٠١).

(٤) سورة الأنبياء: الآيات ٩٦-٩٧.







ناراً قال آتوني افرغ عليه قطراً * فما اسّطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا * قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا * وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾[1].

فهذه الآيات تدل على أن الله عز وجل قد سخر ذا القرنين لبناء السد العظيم الذي يعجز يأجوج ومأجوج عن نقبه، فإذا أذن الله بخروجهم نقبوه فخرجوا وعاثوا في الأرض فساداً.

ثانيا: أدلة السنة النبوية:

تواترت الأحاديث الدالة على خروج يأجوج ومأجوج وأسوق هنا ما ذكره ابن حبان من الأحاديث الدالة على خروجهم.

١- حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة فذكر منها: «**يأجوج ومأجوج**»[٢].

٢- عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ وهو يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج**» وحلق بيده عشرة، قال: قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»[٣]، وترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن ردم يأجوج ومأجوج قد فتح منه الآن الشيء اليسير)[٤].

٤- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تفتح يأجوج ومأجوج ويخرجون على الناس كما قال الله: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليمر بذلك النهر، فيقول: قد كان هاهنا ماء مرة، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض فد فرغنا فهم، بقي أهل السماء، قال: ثم ينهر أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليهم مخضبة دما للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك يبعث الله دوداً في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى حتى لا يُسمع لهم حس فيقول**

---

(١) سورة الكهف: الآيات ٩٢-٩٩.

(٣) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: (٦/٣٨١، ح ٣٤٦) في الأنبياء: باب قصة يأجوج ومأجوج، ومسلم: (٤/٢٢٠٧، ح ٢٨٨٠) في الفتن: باب اقتراب الفتن.

(٤) «الإحسان»: (١٥/٢٤٦).

المسلمون: ألا رجل يشري لنا نفسه، فينظر ما فعل هؤلاء العدو، فيتجرد رجل منهم لذلك، محتسبا لنفسه على أنه مقتول، فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين ألا أبشروا، فإن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون عن مدائنهم وحصونهم، ويُسرّحون مواشيهم»[١]، وقد ترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف الفتنة التي يبتلي الله عباده بها عند خروج يأجوج ومأجوج)[٢].

وهذه الآية العظيمة مما يقرره ابن حبان في ضوء الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ ويجريها على ظاهرها من غير تأويل لها بصرف لها عن ظاهرها كما هو منهج أهل السنة والجماعة خلافاً لمن تأويلها أو كذب بالأخبار الوارد فيهم.

وقت خروج يأجوج ومأجوج:

بينت الآيات والأحاديث النبوية أن يأجوج ومأجوج محاصرون في السد الذي أخبر الله به في كتابه وورد عن النبي ﷺ أنه قد فتح من هذا السد مقدار يسير جداً، وقد أورد ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال عن يأجوج ومأجوج: «يحفرون في كل يوم حتىٰ يكادوا أن يروا شعاع الشمس، فيقولون: نرجع إليه غداً، فيرجعون وهو أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، قالوا: نرجع إليه غداً إن شاء الله، فيرجعون إليه كهيئة ما تركوه، فيحفرونه، فيخرجون على الناس» فقال رسول الله ﷺ: «فيفر الناس إلى حصونهم»[٣]، وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر الإخبار بأن يأجوج ومأجوج محاصرون إلى وقت يأذن الله جل وعلا بخروجهم)[٤].

وخروجهم سيكون بعد نزول عيسى عليه السلام كما جاء ذلك في حديث النواس بن

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٣/٢٧-٢٨) وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٠٧)، وأبو يعلى في «مسنده»: (ح ١٠٣٠)، وإسناده حسن.

(٢) أخرج أحمد: (٣/٧٧) وابن ماجة: (٢/١٣٦٣، ح ٤٠٧٩) في الفتن: باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج وماجوج وأبو يعلىٰ في «مسنده»: (ح ١١٤٤)، والحاكم في «المستدرك»: (٤/٤٨٩، ٤٩٠) وإسناده حسن.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/٥١٠، ٥١١) وابن ماجة: (٢/١٣٦٤، ح ٤٠٨٠) **في الفتن**: باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج وماجوج، والترمذي: (٨/٣٠٣، ح ٣١٥١) **في التفسير**: باب من سورة الكهف، والحاكم: (٤/٤٨٨).

(٤) «الإحسان»: (١٥/٢٤٢).



سمعان رضي الله عنه وفيه: «**إذا أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدي ينسلون فيمر أولئك على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله**»[1].

ثامناً: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام:

من العلامات التي تكون من أشراط الساعة الكبرى - نزول عيسى ابن مريم عليه السلام - في آخر الزمان كما دلت الآيات القرآنية وتواترت به الأحاديث النبوية.

وقبل التحدث عن نزول وما يجري في زمنه، يحسن بنا أن نذكر ما جاءت به السنة من صفاته.

صفة عيسى عليه السلام:

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلاّت وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، وإنه نازل فاعرفوه فإنه رجل ينزع إلى الحمرة والبياض، كأنه رأسه يقطر وإن لم يصبه بلة، وإنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويفيض المال ويضع الجزية، وإن الله يهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك الله المسيح الضال الأعور الكذاب، ويلقي الله الأمنة حتى يرعىٰ الأسد مع الإبل والنمر مع البقرة والذئاب مع الغنم، ويعلب الصبيان مع الحيّات لا يضر بضهم بعضاً»[2].

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم فأما عيسى، فأحمر جعد عريض الصدر»[3].

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٥٤، ح ٢٩٣٧) في الفتن: باب ذكر الدجال.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/٤٣٧) والآجري في «الشريعة»: (ص ٣٨٠) وأبو داود: (٤/١١٧، ح ٤٣٢٤) في الملاحم: باب خروج الدجال، والحاكم، والمستدرك: (٢/٥٩٥)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه البخاري: (٦/٤٧٧، ح ٣٤٣٨) في أحاديث الأنبياء: باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾.

ويتلخص من هذه الأحاديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام أحمر اللون عريض الصدر جعد الجسم وهو اجتماع اللحم واكتنازه، سبط الشعر.

صفة نزوله عليه الصلاة والسلام:

تحدث ابن حبان رحمه الله تعالى عن صفة نزول عيسى عليه السلام كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، فخروجه يكون بعد خروج الدجال وإفساده في الأرض، وقبل خروج يأجوج ومأجوج، وعندئذ ينزل الله تعالى عيسى عليه السلام من السماء إلى الأرض في بلاد الشام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وعليه مهرودتان واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدجال فينزل وقت إقامة الصلاة، ويصلي خلف أمير تلك الطائفة.

قال ابن كثير: هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب «أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو المحفوظ ... وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة، فيقول له إمام المسلمين: يا روح الله! تقدم، فيقول: تقدم أنت، فإنه أقيمت لك»، وفي رواية: «بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة»[1].

وفيما يلي سياق لبعض الأحاديث التي أوردها ابن حبان وغيره في تقرير ما سبق بيانه من صفة نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

١- جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام قال ﷺ: **«إذا بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ يطلب الدجال - حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح**

(١) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/ ١٤٤، ١٤٥)، والحديث أخرجه مسلم: (١/ ١٤٧، ح ١٥٦) في الإيمان: باب بيان نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ.





وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة»[١].

وقد أورد ابن حبان من هذا الحديث قوله: «أن عيسى ابن مريم يأتي قوماً قد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم بدرجاتهم في الجنة»، وترجم له بقوله: (ذكر الإخبار عما يفعل عيسى ابن مريم بمن نجاة الله من فتنة المسيح)[٢].

٢- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء لتكرمه الله هذه الأمة**»[٣]، وترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن إمام هذه الأمة عند نزول عيسى ابن مريم يكون منهم دون أن يكون عيسى إمامهم في ذلك الزمان)[٤].

٣- جاء في حديث أبي هريرة في ذكر الملحمة الكبرى مع الروم، قال ﷺ: «**فإذا جاءوا الشام خرج - يعني الدجال - فبينما يعدون للقتال، ويسوون الصفوف، إذا أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم فإذا رآه عدو الله يذوب كما يذوب الملح، ولو تركوه لذاب حتى يهلك، ولكنه يقتله الله بيده، فيريهم دمه بحربته**»[٥]، وترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر ذوبان الدجال عند رؤيته عيسى ابن مريم قبل قتله إياه)[٦].

٤- عن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقتل ابن مريم الدجال بباب لُدّ**»[٧]، وقد ترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن قاتل المسيح ووصف الموضع الذي يقتله فيه)[٨].

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٥٣، ح ٢٩٣٧) في الفتن: باب ذكر الدجال.
(٢) «الإحسان»: (١٥/٢٣٦).
(٣) أخرجه مسلم: (١/١٣٧، ح ١٥٦) في الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ.
(٤) «الإحسان»: (١٥/٢٣١).
(٥) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٢، ح ٢٨٩٧) في الفتن: باب فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم.
(٦) «الإحسان»: (١٥/٢٢٤).
(٧) أخرجه أحمد في «المسند»: (٣/٤١٠)، والترمذي: (٧/٢٢٤٥، ح ٢٢٤٥) في الفتن: باب ما جاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال، والطبراني في «الكبير»: (١٩/١٠٨٠) وأخرجه مسلم بنحوه: (٢/٢٢٥٣، ح ٢٩٣٧).
(٨) «الإحسان»: (١٥/٢٢١).

أدلة نزول عيسى عليه السلام:

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ثابت في الكتاب والسنة المتواترة وإجماع سلف الأمة.

أولا: أدلة نزوله من القرآن الكريم:

١- قال الله عز وجل: ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وإنه لعلم للساعة**﴾[١]، فهذه الآيات جاءت في الكلام على عيسى عليه السلام، وجاء في آخرها قوله تعالى: ﴿**وإنه لعلم للساعة**﴾ أي نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة.

ويدل على ذلك القراءة الأخرى: ﴿**وإنه لَعَلَمٌ للساعة**﴾ بفتح العين واللام، أي: علامة وأماره على قيام الساعة، وهذه القراءة مروية عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أئمة التفسير[٢].

وقد روى ابن حبان رحمه الله تعالى عن ابن عباس مرفوعاً ما يفسر هذه الآية وأن المراد بها نزول عيسى بن مريم عليه السلام، عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله: ﴿**وإنه لعلم للساعة**﴾ قال: «نزول عيسى بن مريم من قبل يوم القيامة»[٣]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن نزول عيسى ابن مريم من أعلام الساعة)[٤].

وجاء هذا التفسير موقوفاً على ابن عباس وهو الصحيح كما عند الإمام أحمد وغيره.

وقال الحافظ ابن كثير: الصحيح أنه - أي الضمير - عائد على عيسى، فإن السياق في ذكره[٥].

٢- قوله تعالى: ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً**﴾[٦]، وسياق هذه الآية وما قبلها جاء في معرضا الرد على اليهود في زعمهم قتل المسيح وصلبه وإبطال دعواهم وإثبات رفعه إلى السماء، كما قال تعالى: ﴿**بل رفعه الله إليه**﴾[٧].

---

(١) سورة الزخرف: الآيات ٥٧-٦١.

(٢) «تفسير الطبري»: (٢٥/٩٠-٩٢)، «تفسير القرطبي»: (١٦/١٠٠).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (١/٣١٧-٣١٨)، والطبراني في «الكبير»: (١٢٧٤٠) وأورده الهيثمي في «المجمع»: (٧/١٠٤) ونسبه إلى أحمد والطبراني وقال: فيه عاصم بن بهدلة، وثقة أحمد وهو سيء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) «الإحسان»: (١٥/٢٢٨).

(٥) «تفسير ابن كثير»: (٧/٢٢٢).

(٦) سورة النساء: الآية١٥٩.

(٧) سورة النساء: الآية ١٥٨.



وهذه الآية تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسىٰ عليه السلام آخر الزمان، وذلك عند نزوله وقبل موته كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة.

وقد روى ابن جرير رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها فسرّ هذه الآية بأنها قبل موت عيسى عليه السلام[١].

وصحح ابن كثير رحمه الله الإسناد الذي ساقه ابن جرير إلى ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

وقال ابن جرير بعد ذكره لأقوال العلماء في معنى الآية: وأولى هذه الأقوال بالصحة قول من قال: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى[٣].

وروى بسنده عن الحسن البصري أنه قال: قبل موت عيسى، والله إنه الآن حيُ عند الله ولكن إذا نزله آمنوا به أجمعون[٤].

وقال ابن كثير: ولاشك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلّم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنا شُبه لهم، فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفع إليه، وإنه باق حيٌّ، وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت على ذلك الأحاديث المتواترة[٥].

ثانيا: أدلة السنة النبوية:

الأدلة من السنة على نزول عيسى عليه السلام كثيرة ومتواترة، أورد ابن حبان. جملة منها في تقرير نزوله، وأذكره هنا بعضا منها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[٦].

---

(١) «تفسير الطبري»: (٦/١٨).
(٢) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/١٣١).
(٣) «تفسير الطبري»: (٦/٢١).
(٤) المصدر السابق: (٦/١٨).
(٥) «تفسير ابن كثير»: (٢/٤١٥).
(٦) أخرجه البخاري: (٤/٤١٤، ح ٢٢٢٢) في البيوع: باب قتل الخنزير، ومسلم: (١/١٣٥، ح ١٥٥) في الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ.

وللبخاري رحمه الله: ثم يقول أبي هريرة رضي الله عنه: واقرؤوا إن شئتم: ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن من قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾[1].

وهذا تفسير أبي هريرة رضي الله عنه لهذه الآية بأن المراد بها أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسىٰ عليه السلام قبل موته وذلك عند نزوله آخر الزمان.

٢- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء لتكرمه الله هذه الأمة**»[2].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**كيف أنتم إذا أنزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم**»[3].

ومما ينبغي أن يعلم أن الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام قد تواترت كما ذكره جمع من العلماء، قال ابن كثير رحمه الله: تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسىٰ عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً[4].

وقال: «صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود» تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في نزول عيسىٰ ابن مريم من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة وهذا هو مذهب أهل السنة[5].

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله، (إعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسىٰ عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدّعى فيها أنها أخبار آحاد فإنهم جهال بهذا العلم وليس فيهم من تتبع طرقها، ولو فعل، لوجدها متواترة، كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر.

ومن المؤسف حقاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم لاسيما والأمر دين وعقيدة[6].

---

(١) «فتح الباري»: (٦/ ٤٩٠، ٤٩١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: (٦/ ٤٩١، ح ٣٤٤٩) في أحاديث الأنبياء: باب نزول عيسى ابن مريم عليهم السلام، ومسلم (١/ ١٣٧، ح ١٥٦) في الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ.

(٤) «تفسير ابن كثير»: (٧/ ٢٢٣).

(٥) «عون المعبود» لأبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي: (١١/ ٤٥٧).

(٦) حاشية «شرح العقيدة الطحاوية» للشيخ ناصر الدين الألباني: (ص ٥٦٥).





وخلاصة القول أن أحاديث نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان متواترة وتدل دلالة صريحة على ثبوت نزوله ولا حجة لمن ردّها أو قال: إنها أخبار آحاد لا تقوم بها حجة أو إن نزوله ليس عقيدة من عقائد المسلمين التي يجب عليهم أن يؤمنوا بها، لأنه إذا ثبت الحديث وجب الإيمان به وتصديق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ ولا يجوز لنا رد قوله بحال من الأحوال.

ثالثا: الإجماع:

أجمعت الأمة على نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان، ولم يخالف في ذلك أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافة، وانعقد الإجماع على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء.

قال السفاريني رحمه الله موضحاً انعقاد الإجماع على نزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان: وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الإمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها[١].

رابعا: أقوال الائمة:

١- قال الإمام أحمد رحمه الله: (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، ثم ذكر جملة من عقيدة أهل السنة، ثم قال: الإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه (كافر) والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسىٰ ينزل فيقتله بباب لُدّ)[٢].

٢- وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في سرده لعقيدة أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون شيئاً من ذلك . . . ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسىٰ يقتله)[٣].

٣- وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: (ونؤمن بأشراط الساعة، من خروج الدجال ونزول

(١) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/ ٩٤، ٩٥).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (١/ ١٥٩).

(٣) «مقالات الإسلاميين»: (١/ ٣٤٥).

عيسىٰ ابن مريم عليه السلام من السماء)[1].

٤- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والمسيح ﷺ وعلى سائر النبين لأبد أن ينزل إلى الأرض ... كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، ولهذا كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره)[2].

الحكمة من نزول عيسى عليه السلام:

التمس عدد من العلماء الحكمة من نزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء، ومن هذه الحكم:

١- الرد على اليهود في زعمهم قتل المسيح عليه السلام فبيّن الله كذبهم، بل سينزل ويقتل اليهود وزعيمهم الدجال الأعور الكذاب.

٢- أنه ينزل مكذباً للنصارى فيظهر زيغهم في دعواهم الأباطيل ويهلك الله الملل كلها في زمنه إلا الإسلام فإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، وهذا من أظهر الأدلة على نسخ الإسلام للأديان قبله.

٣- إن نزول عيسىٰ عليه السلام من السماء لدنو أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس مخلوق من التراب أن يموت في غيرها فيوافق نزوله خروج المسيح الكذاب فيقتله عيسىٰ عليه السلام[3].

بِمَ يحكم عيسىٰ عليه السلام إذا نزل؟

أوضح ابن حبان رحمه الله أن عيسى عليه السلام يحكم بالشريعة المحمدية ويكون من اتباع محمد ﷺ فيقاتل على الإسلام ويؤدي شعائره من الصلاة والزكاة والحج، وليس ينزل بشرع جديد لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباق إلى قيام الساعة لا ينسخ، فيكون عيسى عليه السلام حاكماً من حكام هذه الأمة، ومجدداً لأمر الإسلام، إذ لا نبي بعد محمد ﷺ.

وقد أورد ابن حبان رحمه الله تعالى جملة من الأحاديث في تقرير هذا الأمر، ومما أورده:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الأنبياء كلهم إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، إنه ليس بيني وبنيه نبي وإنه نازل، إذا رأيتموه**

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: (٤/٣٢٩).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٤/٣٢٩).

(٣) «أشراط الساعة» للوابل: (ص ٣٥٥-٣٥٧).



فاعرفوه؛ رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصّرين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال وتقع الأمنة في الأرض، حتى ترتع الأسد مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون صلوات الله عليه»[1]، وترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن عيسىٰ ابن مريم إذا نزل يقاتل الناس على الإسلام)[2].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليُهلّن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما**»[3]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن عيسىٰ ابن مريم يحج البيت العتيق بعد قتله الدجال)[4].

قال القرطبي رحمه الله: (ذهب قوم إلى أنه بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان، يأمرهم عن الله تعالى، وهذا (يعني: كونه رسولا بعد محمد) أمر مردود بقوله تعالى: ﴿**وخاتم النبيين**﴾[5]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا نبي بعدي**»[6]، وقوله: «**وأنا العاقب**»[7]، يريد آخر الأنبياء وخاتمهم.

وإذا كان ذلك، فلا يجوز أن يتوهم أن عيسىٰ ينزل نبيا بشريعة متجددة غير شريعة محمد نبينا ﷺ، بل إذا نزل، فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ، كما أخبر ﷺ، حيث قال لعمر: «**لو كان موسىٰ حيّا، ما وسعه إلا اتباعي**»[8]، فينزل وقد عُلّم بأمر الله تعالى له في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم بين الناس والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه ويحكمونه على أنفسهم ... ولأن تعطيل الحكم غير جائز، وأيضاً فإن بقاء الدنيا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الإحسان»: (١٥/ ٣٣٣).

(٣) أخرجه مسلم: (٢/ ٩١٥، ح ١٢٥٢) في الحج: باب إهلال النبي ﷺ.

(٤) «الإحسان»: (١٥/ ٢٣٢).

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه البخاري: (٨/ ٦٤٠، ٦٤١، ح ٤٨٩٦) في التفسير: باب «يأتي من بعدي اسمه أحمد».

(٨) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٣/ ٣٨٧)، وعبدالرزاق في «المصنف»: (١٠/ ٣١٣، ٣١٤) قال ابن حجر: رجاله موثقون، إلا أن في مجالد ضعفاً، فتح الباريء: (١٣/ ٣٣٤).

إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن يقال في الأرض، الله الله[1].

مدة مكثه بعد نزوله ثم وفاته:

أشارت الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام إلى أنه سيبقى سبع سنين وفي بعض الروايات أربعين سنة، وابن حبان قد صحت عنده رواية الأربعين سنة.

أما رواية بقاءه سبع سنين فقد جاءت في رواية مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وفيه: «فيبعث الله عيسى بن مريم ... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين أثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته»[2].

وأخرج أحمد وغيره أيضاً رواية الأربعين سنة: «فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[3].

وكلا هاتين الروايتين صحيحة، وهذا مشكل، إلا أن تحمل رواية السبع سنين على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك مضافاً إلى مكثه في الأرض قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور.

واستبعد السفاريني رحمه الله هذا الجمع فقال: وهذا والله أعلم ليس بشيء كما مرّ من حديث عائشة عند الإمام أحمد وغيره: «فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة»[4].

وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي: كنت أفتيت بأن ابن مريم يمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين، قال: واستمريت على ذلك مدة من الزمن حتى رأيت الإمام الحافظ البيهقي اعتمد أن مكثه في الأرض أربعين سنة معتمداً ما أفاده الإمام أحمد من روايته بلفظ: «ثم يمكث ابن مريم في الأرض بعد قتل الدجال أربعين سنة»[5]، وهذا هو المرجح لأن زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل لما معها من زيادة العلم ولأنه مثبت والمثبت مقدم[6].

---

(١) «التذكرة»: (ص ٦٧٧-٦٧٨).

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٥٨، ح ٢٩٤٠) في الفتن: باب ذكر الدجال.

(٣) أخرج أحمد في المسند: (٢/٤٠٦) وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح: (٦/٤٩٣).

(٤) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٩٨).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٩٩).



تاسعا: ظهور المهدي

من علامات الساعة الكبرى التي تخرج في آخر الزمان ـ خروج رجل من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط، تخرج نباتها وتمطر السماء قطرها ويعطى المال بغير عدد كما ثبت بذلك الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ.

وقد قرر ابن حبان رحمه الله تعالى هذه الآية فأثبت خروج المهدي وأنه من آل البيت ويجري في زمنه من نشر الأمن والعدل ورفع الظلم والجور ما لم يكن من قبل.

اسمه وصفته:

اسم هذا الإمام كاسم النبي ﷺ، فهو محمد بن عبدالله العلوي الحسني من ذرية فاطمة بنت النبي ﷺ ثم من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما.

قال ابن كثير رحمه الله في المهدي: وهو محمد بن عبدالله العلوي الفاطمي الحسني رضي الله عنه[1]. وقد ذكر بعض العلماء أن السر والله أعلم في كون المهدي من ولد الحسن رضي الله عنه، أن الحسن رضي الله عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض، وهذه سنة الله في عباده: أنه من ترك لأجله شيئاً، أعطاه الله (أو أعطى ذريته) أفضل منه، وهذا بخلاف الحسين رضي الله عنه فإنه حرص عليها وقاتل عليها فلم يظفر بها والله أعلم[2].

وقد أشار ابن حبان إلى اسم المهدي بما رواه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يملك الناس رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فيملؤها قسطاً وعدلاً»[3]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف اسم المهدي واسم أبيه ضد قول من عزم إن المهدي عيسى ابن مريم)[4].

أما صفته: هو أقنى الأنف، أجلى الجبهة فهو يشبه خلق النبي واستدل ابن حبان لهاتين

---

(١) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/٢٩).

(٢) «اتحاف الجماعة»: (٢/٣٠٥).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (١/٣٧٧)، وأبو داود: (٤/١٠٦، ح ٤٢٨٢) في المهدي، والترمذي: (٧/٨، ح ٢٢٣١) في الفتن: باب ما جاء في المهدي. والطبراني في «الكبير»: (ح ١٠٢١٨) وإسناده حسن.

(٤) «الإحسان»: (١٥/٢٣٦).

الصفتين بما رواه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل من أمتي يواطيء اسمه اسمي وخلقه خلقي فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن المهدي يشبه خلقه خلق المصطفى ﷺ)[2].

وروى عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أقنىٰ يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً يملكه سبع سنين»[3].

مكان خروجه:

أورد ابن حبان حديثاً يتضمن الإخبار عن خروج المهدي بأنه سيكون من المدينة النبوية، فروى عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من قريش من أهل المدينة إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعثون إليه جيشاً من أهل الشام، فإذا كانوا بالبيداء خسف بهم فإذا بلغ الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصابة أهل العراق فيبايعونه، وينشأ رجل من قريش أخواله من كلب فيبعث إليهم جيشاً فيهزمونهم، ويظهرون عليهم، فيقسم بين الناس فيأهم، ويعمل فيهم بسنة نبيهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض يمكث سبع سنين»[4].

وذهب ابن كثير رحمه الله تعالى إلى أن خروجه من جهة المشرق فقال: والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت، كما دل على ذلك بعض الأحاديث[5].

وقال أيضاً: ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه ويشيدون أركانه وتكون راياتهم سود أيضاً وهو زي عليه الوقار، لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها: العقاب[6].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»: (ح ١٠٢٢٩) وإسناده ضعيف.

(٢) «الإحسان»: (١٥/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (٣/ ١٧)، وأبو يعلى في «مسنده»: (ح ١١٢٨)، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٧/ ٣١٤)، وفيه عدي بن أبي عمارة قال العقيلي في حديثه اضطراب، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند»: (٦/ ٣١٦)، وأبو داود: (٤/ ١٠٧، ح ٤٢٨٦) في المهدي، والطبراني في «الكبير»: (٢٣/ ، ح٩٣١) وعبدالرزاق في «مصنفه»: (٢٠٧٦٩).

(٥) «النهاية في الفتن والملاحم»: (١/ ٢٩-٣٠).

(٦) المصدر السابق: (١/ ٢٩).



الأدلة على ظهوره:

جاءت الأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور المهدي، وهذه الأحاديث منها ما جاء فيه النص على المهدي، ومنها ما جاء فيه ذكر صفته فقط، وسأورد هذه الأحاديث والتي روى ابن حبان جملة منها مما يدل على إثباته لخروجه وإيمانه بذلك، وهذه الأحاديث كافية في إثبات ظهوره في آخر الزمان علامة من علامات الساعة.

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تمتلىء الأرض ظلماً وعدواناً ثم يخرج رجل من أهل بيتي** - أو عترتي - **فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً**»[١]، وترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن خروج المهدي إنما يكون بعد ظهور الظلم والجور في الدنيا وغلبهما على الحق والجد)[٢].

٢- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يملك الناس رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي فيملؤها قسطاً وعدلاً**»[٣]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف اسم المهدي واسم أبيه ضد قول من زعم أن المهدي عيسى ابن مريم)[٤].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يُبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه، فلا تسل عن هلكة العرب، ثم تظهر الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه**»[٥]. وترجم للحديث بقوله: (ذكر الموضع الذي يبايع فيه المهدي)[٦].

٤- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٣/٣٦) والحاكم في «المستدرك»: (٤/٥٥٧)، وصححه، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٧/٣١٤) عن أسانيد أحمد وأبي يعلى: رجالهما ثقات، وإسناد الحديث على شرط الشيخين.

(٢) «الإحسان»: (١٥/٢٣٦).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) «الإحسان»: (١٥/٢٣٦).

(٥) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/٢٣٨)، والحاكم في «المستدرك»: (٤/٤٥٢، ٤٥٣)، وأورده الهيثمي في «المجمع»: (٣/٢٩٨)، وقال رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٦) «الإحسان»: (١٥/٢٣٩).

لملك فيها رجل من أهل بيتي اسمه اسمي»[١].

والأحاديث في خروج المهدي صحيحة متواترة تواتراً معنوياً كما نص على ذلك بعض الأئمة والعلماء، فممن صحح أحاديث خروجه ونص عليها، الحاكم، والذهبي، وأبو نعيم، وابن العربي الملكي، والقرطبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، وغيرهم رحمه الله تعالى، فلا يلتفت لمن ضعف هذه الأحاديث أو كذب بها ممن ليس من فرسان هذا العلم.

وممن نقل تواترها:

١- أبو الحسن الآبري، حيث قال: قد تواترت الأحاديث واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين[٢].

٢- محمد البرزنجي[٣] في كتابه: «الإشاعة لأشراط الساعة» حيث قال: واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر[٤].

وقال أيضاً: قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة عليها السلام بلغت حد التواتر المعنوي فلا معنى لإنكارها[٥].

٣- محمد السفاريني حيث قال: وقد كثرت بخروجه - أي المهدي - الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدّ من معتقداتهم[٦].

٤- وقال الشوكاني: الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول وأما

---

(١) أخرجه أحمد: (١/٣٧٦)، والطبراني في «الكبير»: (١٠٢١٦)، وأبو داود: (٤/١٠٧، ح ٤٢٨٢) في المهدي.

(٢) هو الإمام الحسن محمد بن الحسين السجستاني، كان مجدداً ثبتاً مصنفاً روى عن ابن خزيمة وطبقته توفي سنة ٣٦٣هـ، انظر «تذكرة الحفاظ»: (٣/٩٧٤، ٩٥٥)، «شذرات الذهب»: (٣/٤٦، ٤٧)، وانظر «فتح الباري»: (٦/٤٩٣، ٤٩٤)، «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر»: (ص ١٧١، ١٧٢).

(٣) هو الشيخ محمد بن عبد [رب] الرسول بن عبد [رب] السيد الحسني البرزنجي من فقهاء الشافعية، له علم بالتفسير والأدب، توفي سنة ١١٠٣هـ، انظر «الاعلام للزركلي»: (٦/٢٠٣-٢٠٤).

(٤) «الإشاعة لأشراط الساعة» للبرزنجي: (ص ٨٧).

(٥) المصدر السابق: (ص ١١٢).

(٦) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٨٤).



الآثار عن الصحابة، المصرحة بالمهدي، فهي كثيرة أيضاً، لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك[1].

وقال الشيخ حسن صديق خان: الأحاديث الواردة فيه - أي: المهدي - على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد[2].

وهناك أقوال أخرى لعدة من العلماء تركها خشية الإطالة، إذ المقصود بيان أن عقيدة خروج المهدي في آخر الزمن مما لا شك فيه ولا ريب.

المنكرون لأحاديث المهدي والرد عليهم:

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى حديث أبي هريرة: «**لا تقوم الساعة حتى يملك الناس رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فيملؤها قسطاً وعدلاً**»[3]، وترجم له بقوله: (ذكر الأخبار عن وصف اسم المهدي واسم أبيه ضد قول من زعم أن المهدي عيسى ابن مريم)[4].

وهذه الترجمة من ابن حبان توحي بأن هناك من يتأول أحاديث المهدي على أن المراد بها عيسى عليه السلام، فرد عليهم ابن حبان رحمه الله بهذا الحديث المصرح باسم المهدي بأنه محمد ابن عبدالله، وهذا ينفي تماماً أن يكون عيسى عليه السلام.

ويحتج المنكرون بما رواه ابن ماجة والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدباراً ولا الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا المهدي إلا عيسى ابن مريم»[5].

وهذا الحديث مما تكلم فيه العلماء، وضعفوه، لأن مداره على محمد بن خالد الجندي.

قال الذهبي فيه: قال الأزدي: منكر الحديث، وقال أبو عبدالله الحاكم: مجهول. قلت - أي الذهبي - حديثه: «لا مهدي إلا عيسى ابن مريم» وهو خبر منكر، أخرجه ابن ماجة[6].

---

(١) «الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة» حسن صديق خان: (ص ١١٣، ١١٤).

(٢) «الإذاعة»: (ص ١١٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) «الإحسان»: (١٥/٢٣٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه: (٢/١٣٤٠، ١٣٤١، ح ٤٠٣٩) في الفتن: باب شدة الزمان، والحاكم في «المستدرك»: (٤/٤٤١، ٤٤٢).

(٦) «ميزان الاعتدال»: (٣/٥٣٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الحديث ضعيف، وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه، وليس مما يعتمد عليه.

ورواه ابن ماجة عن يونس عن الشافعي، والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن يقال له محمد بن الوليد الجندي، وهو ممن لا يحتج به، وليس هذا في مسند الشافعي، وقد قيل: إن الشافعي لم يسمعه من الجندي، وإن يونس لم يسمعه من الشافعي[1].

وقال فيه ـ أي في الجندي ـ الحافظ ابن حجر. مجهول[2].

وقال القرطبي: يحتمل أن قوله عليه الصلاة والسلام: «ولا مهدي إلا عيسى» أي: لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى، وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض[3].

وقد كتب الشيخ عبدالمحسن العباد حفظة الله كتابا قيماً سماه: «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي» دحض فيه شبه الطاعنين في الأحاديث التي تثبت المهدي كما رد على أدلتهم التي يتشبثون بها، وهذا الكتاب من أحسن ما كتب في هذا الموضوع حسب علمي كما يظهر ذلك واضحاً جلياً في الأحاديث التي رواها أو في التراجم التي ترجم بها لتلك الأحاديث.

○ ○ ○

(١) «منهاج السنة النبوية»: (٤/٢١١).
(٢) «تقريب التهذيب»: (٢/١٥٧).
(٣) «التذكرة»: (ص ٦١٧).





المبحث الثاني:

البعث والجــزاء

المطلب الأول: عذاب القبر ونعيمه

من أصول الإيمان، الإيمان باليوم الآخر ـ والذي يتضمن أموراً غيبية أخبر الله تعالى بوقوعها في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ كالإيمان بعذاب القبر ونعيمه والبعث بعد الموت والحوض والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك مما لا مجال للعقل في إدراكه ومعرفته إلا عن طريق ما نزلت به الكتب السماوية وأخبرت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أممهم، وعذاب القبر ونعيمه من الأمور الغيبية التي قررها كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ واجباً على الناس الإيمان به على ظاهره وعدم الخوض في كيفيته.

والمراد بعذاب القبر: عذاب البرزخ ونعيمه وما بين الدنيا والآخرة وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة[١].

رأي ابن حبان في عذاب القبر ونعيمه:

أثبت ابن حبان رحمه الله تعالى ما جاءت به الأحاديث المتواترة من الإخبار عن عذاب القبر ونعيمه وأورد في صحيحه جملة منها إقراراً لها على ظاهرها إيماناً بها دون خوض في كيفيتها، ومن تلك الأحاديث التي أوردها في إثبات عذاب القبر ونعيمه ما يأتي:

١- عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع صوتاً حين غربت الشمس فقال: «**هذه أصوات يهود تعذب في قبورها**»[٢]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن المصطفى ﷺ أسمع أصوات الكفرة حيث عذبت في قبورها)[٣].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ النبي ﷺ على قبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان وما**

(١) «الروح» لابن القيم: (ص ١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري: (٣/٢٤١، ح ١٣٧٥) في الجنائز: باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم: (٤/٢٢٠، ح ٢٨٦٩) في الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٣) «الإحسان»: (٧/٣٩٤).

يعذبان في كبير، ثم قال: بلىٰ، أما أحدهما، فكان يسعىٰ بالنميمة، وأما الآخر، فكان لا يستنزه من بوله» ثم أخذ عوداً فكسره باثنين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: «**لعله يخفف عنهما العذاب ما لم ييبسا**»[1]، وترجم له بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن عذاب القبر قد يكون أيضاً من النميمة)[2].

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر**»[3]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر إرادة المصطفى أن يدعو ربه يسمع أمته عذاب القبر)[4].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله جل وعلا: ﴿**فإن له معيشة ضنكا**﴾ قال: «عذاب القبر»[5].

٥-عن أم مبشر رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم، وهو يقول: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» **فقلت: يا رسول الله وللقبر عذاب؟ قال:** «**نعم وإنهم ليعذبون في قبورهم تسمعه البهائم**»[6]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن البهائم تسمع أصوات من عذب في قبره من الناس)[7].

والأحاديث التي أوردها ابن حبان في إثبات عذاب القبر ونعيمه كثيرة جداً أوردت بعضا منها لدلالتها على المراد، وهو إثبات ابن حبان رحمه الله لعذاب القبر ونعيمه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة كما دلت عليه نصوص الكتاب العزيز وتواترت به أحاديث النبي ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال الطحاوي رحمه الله في بيان معتقد أهل السنة في عذاب القبر ونعيمه، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر ونعيمه لمن كان له أهل وسؤال منكر ونكير

---

(١) أخرجه البخاري: (٣/٢٤٢، ح ١٣٧٨) في الجنائز: باب عذاب القبر من الغيبة والبول.

(٢) «الإحسان»: (٧/٤٠١).

(٣) أخرجه مسلم: (١/٢٤٠، ح ٢٩٢) في الإيمان: باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

(٤) «الإحسان»: (٧/٤٠١).

(٥) أخرجه الحاكم: (١/٣٨١)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر»: (٥٧) وإسناده حسن.

(٦) أخرجه أحمد: (٦/٣٦٢)، وابن أبي شيبة: (٣/٣٧٤)، والآجرى في «الشريعة»: (ص ٣٦٣)، وذكره الهيثمي في «المجمع»: (٣/٥٦)، وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٧) «الإحسان»: (٧/٣٩٦).



في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران[1].

وقال شارح الطحاوية معلقاً على قول الطحاوي المتقدم: وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان له أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوته ذلك والإيمان به ولا يتكلم في كيفيته، إذا ليس للعقل وقوف على كيفية، لكونه لا عهد له به في هذا الدار والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكن يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا[2].

وقال في موضع آخر: واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسفه الهواء أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور وما ورد من اجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير[3].

وقال أبوبكر الإسماعيلي رحمه الله في اعتقاد أئمة الحديث: ويقولون إن عذاب القبر حق، يعذب الله من استحقه إن شاء وإن شاء عفا عنه[4].

وقال ابن أبي زمين: وأهل السنة يؤمنون بعذاب القبر أعاذنا الله وإياك من ذلك، قال عز وجل: ﴿ **فإن له معيشة ضنكا** ﴾[5]، وقال: ﴿ **سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم** ﴾[6][7].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ومن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه)[8].

وقال القرطبي: (الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب، والتصديق به لازم حسب ما أخبر به

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٣٩١).

(٢) المصدر الصابق: (ص ٣٩٥-٣٩٦).

(٣) المصدر السابق: (ص ٣٩٥-٣٩٦).

(٤) «اعتقاد أئمة الحديث»: (ص ٦٩).

(٥) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٦) سورة التوبة: الآية ١٠١.

(٧) «أصول السنة»: (ص ١٥٤).

(٨) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١٤٢).

الصادق، وأن الله يحي العبد المكلف في قبره برّد الحياة إليه ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي ﷺ وعلى آناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه السلام غير ما ذكرنا وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرا)[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه بالعديد من نصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية.

فأما الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿**وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾[٢].

وهذه الآية حجة واضحة لأهل السنة في إثبات عذاب القبر، فقد أخبر سبحانه أن آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا، وهذا قبل يوم القيامة، لأنه قال بعد ذلك: ﴿**ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾.

قال القرطبي: الجمهور على هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر[٣].

٢- قوله تعالى: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء**﴾[٤] ففي الحديث الذي يرويه البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾**» وفي رواية أخرى: وزاد: «**﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ نزلت في عذاب القبر**»[٥].

---

(١) «التذكرة»: (١/ ١٦٠).

(٢) سورة غافر: الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٣) «تفسير القرطبي»: (٨/ ٢٠٨).

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(٥) أخرجه البخاري: (٣/ ٢٣١، ٢٣٢، ح ١٣٦٠) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم: (٤/ ٢٢٠١، ح ٢٨٧١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.



وأما السنة:

١- عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة الرسول ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «**نعم، عذاب القبر، فقالت عائشة رضي الله عنها، فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى إلا تعوذ من عذاب القبر**». زاد عنده: «**عذاب القبر حق**»[١].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ النبي ﷺ على قبرين، فقال: «**إنهما لعيذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلىٰ، أما أحدهما فكان يسعىٰ بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، ثم قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[٢].

والأحاديث في إثبات عذاب القبر كثيرة متواترة كما تقدم.

قال ابن رجب رحمه الله: وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر[٣].

وقال الإمام أحمد: عذب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل[٤].

المنكرون لعذاب القبر:

أنكرت الملاحدة ومن تمذهب بمذهب الفلاسفة من الإسلاميين عذاب القبر وقالوا: ليس له حقيقة واحتجوا لذلك بأنهم يفتحون القبور فلا يرون شيئاً مما أخبرت به النصوص.

وأنكره أيضاً الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو وبشر المريسي، وخالفهم جميع أهل السنة وأكثر المعتزلة.

قال أبو الحسن الأشعري: واختلفوا في عذاب القبر فمنهم من نفاه وهم الخوارج والمعتزلة، ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام، ومنهم من زعم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها فأما الاجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور[٥].

---

(١) أخرجه البخاري: (٣/ ٢٣٢، ح ١٣٧٢) في الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/ ١٣).

(٤) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/ ٢٣).

(٥) «مقالات الإسلاميين»: (ص ٤٣٠).

وإنكار هؤلاء لعذاب القبر مبني على أنه لم يثبت بالعقل، والعقل عندهم هو الحاكم الأول الذي لا يجوز الإيمان بشيء إلا عن طريقه، وهم يردون الأحاديث الواردة فيه بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تقبل في باب الاعتقاد وأما الآيات فيؤولونها بما يصرفها عن ظاهرها.

والمنكرون لعذاب القبر محجوجون بنصوص الكتاب والسنة المتواترة والتي تقدم ذكر شيء منها ومما أورده ابن حبان في الرد على المنكرين لعذاب القبر ما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله جل وعلا: ﴿**فإن له معيشة ضنكا**﴾ قال: «**عذاب القبر**»، وترجم له بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من أنكر عذاب القبر)[1].

وقد توسع ابن القيم رحمه الله تعالى في الرد عليهم بما يبطل شبههم ويكشف عوارهم فقال رحمه الله تعالى: (ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه من قبر أو لم يقبر فلو أكلته السباع، أو أحرق حتىٰ صار رماداً ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه العذاب ما يصل إلى المقربين).

ثم أجاب عن شبههم بالأمور الآتية:

١ ـ أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تخبر ما تحيله العقول بل أخبارهم قسمان، أحدهما ما يشهد العقل والنظرة السليمة به، والثاني: فلا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا عنها في تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب والعقاب فلا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا، والحاصل أن الأنبياء لا تأتي بمحالات العقول بل بمحارتها.

٢ـ يجب أن يضم إلى خبر الرسول مراده من غير غلو ولا تقصير ولا يحمل كلامه على ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وعما قصده من الهدى والبيان، بإهمال ذلك حصل ما حصل من الضلال والعدول عن منهج الصواب.

٣ـ جعل الله تعالى الدور ثالثة ـ دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ـ وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها وجعل أحكام البرزخ تقع على الأرواح والأبدان تبع لها، فما يصيب الروح من عذاب يقع على البدن تبعا، فما يقع من عذاب القبر ونعيمه من هذا القبيل.

٤ـ أمر الآخرة وما اتصل بها غيب محجوب عن إدراك العقول في هذه الدار، وذلك من كمال حكمة الله عز وجل ليميز الذين آمنوا بالغيب من غيرهم.

---

(١) «الإحسان»: (٧/٣٨٨).

٥- النار التي في القبر ليست من نار الدنيا فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وإنما هي من نار الآخرة فهي وإن كانت أشد من نار الدنيا، إلا أن شدتها على من هي له وعليه دون من مسها من أهل الدنيا: فأحوال الدنيا لا تقاس على أحوال الآخرة.

٦- يحدث الله عز وجل في هذه الدار ما هو أعجب كمجيء جبريل إلى النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم لا يرونه، والملائكة تقاتل مع المؤمنين الكفار، والمؤمنون لا يرونهم، وغير ذلك مما حجب الله عنه الأبصار فكيف يستنكر من عرف الله وأقر بقدرته، أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه وأسماعهم حكمة منه ورحمة بهم لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها وهم أضعف من أن يثبتوا لمشاهدة عذاب القبر[١].

أسباب عذاب القبر:

أشار ابن حبان رحمه الله تعالى إلى بعض الأسباب التي قد يعاقب صاحبها في قبره فأورد جملة من الأحاديث التي تتضمن بعض تلك الذنوب الموجبة لعذاب القبر ومنها.

١- عن عبدالرحمن بن حسنة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كهيئة الدرقة فوضعها، ثم بال إليها، فقال بعض القوم: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، قال: فسمعه النبي ﷺ فقال: «**ويحك ما علمت ما أصاب صاحب بني إسرائيل؟ كانوا إذا أصابهم شيء من البول قرضوا بالمقارض فنهاهم، فعذب في قبره**»[٢]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن عذاب القبر قد يكون من ترك الاستبراء من البول)[٣].

ويؤكد ما ذكره ابن حبان رحمه الله ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في الرجلين اللذين مرّ النبي ﷺ بقبرهما فسمعهما يعذبان، فذكر أن أحدهما كان لا يستنزه من البول.

وجاء الحديث صريحاً في بيان أن عامة عذاب القبر من البول فروى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا منه**»[٤].

---

(١) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٢٠-٢٣) بإيجاز وكتاب «الروح» لابن القيم: (ص ٨٦-١٠٣) بإيجاز.

(٢) أخرجه أحمد: (٤/١٩٦) وابن أبي شيبة: (٣/٣٧٥، ٣٧٦)، وأبو داود: (١/ ح ٢٢) في الطهارة: باب الاستبراء من البول، والنسائي: (١/٢٦، ٢٨) في الطهارة باب البول إلى السترة يستتر بها، وابن ماجه: (١/١٢٥، ح ٣٤٦) في الطهارة: باب التشديد في البول وإسناده صحيح.

(٣) «الإحسان»: (٧/٣٩٧).

(٤) أخرجه أحمد: (٢/٣٢٦)، وابن أبي شيبة: (١/٤٤)، وابن ماجه: (١/١٢٥، ح ٣٤٨) في الطهارة وسننها: باب التشديد في البول، والدارقطني: (ص ٤٧)، والحاكم: (١/١٨٣) وإسناده صحيح.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فهذا ترك الطهارة الواجبة فيه تنبيه على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض شروطها أشد عذابا[١].

وقد ذكر بعضهم في تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر وهو أن القبر أول منازل الآخرة، وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب والمعاصي التي يعاقب عليها يوم القيامة نوعان: حق الله وحق لعباده وأول ما يقضىٰ من حقوق الله الصلاة ومن حقوق العباد الدماء وأما البرزخ فيقضىٰ فيه في مقدمات هذين الحقين ووسائلهما فمقدمة الصلاة الطهارة من الحدث والخبث ومقدمة الدماء النميمة والوقيعة في الأعراض وهما أيسر أنواع الأذى فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما[٢].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ النبي ﷺ على قبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله**»، **ثم أخذ عوداً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال**: «**لعله يخفف عنهما العذاب ما لم ييبسا**»[٣]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن عذاب القبر قد يكون أيضاً من النميمة)[٤].

وقد جاءت أحاديث أخرى في بيان بعض الذنوب التي يعذب من ارتكبها كالنياحة على الميت والغلول والكذب وهجر القرآن والزنا والربا وغيرها مما صحت به الأخبار عن النبي ﷺ.

أنواع العذاب في القبر:

والعذاب في القبر نوعان كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله حيث قال: والعذاب في القبر نوعان: نوع دائم كما في قوله تعالى: ﴿**النار يعرضون عليها غدوا وعشيا**﴾[٥]، وفي حديث سمرة عند البخاري في رؤيا النبي ﷺ، فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة[٦].

وفي حديث البراء بن عازب في قصة الكافر ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها

---

(١) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/١٨).
(٢) «أهوال القبور» لابن رجب الحنبلي: (ص ١٦٦).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) «الإحسان»: (٧/٣٩٨).
(٥) سورة غافر: الآية ٤٦.
(٦) أخرجه البخاري: (٣/٢٥١، ح ١٣٨٦) في الجنائز: باب (٩٣).



حتى تقوم الساعة، رواه الإمام أحمد في بعض طرقه: ثم يخرق له خرق إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة[١].

النوع الثاني: إلى مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب.

وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم[٢].

والحق عند أهل السنة والجماعة أن عذاب القبر يقع على النفس والبدن

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام، قال: وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث.

أحدهما: قول من يقول إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح وإن البدن لا ينعم ولا يعذب قال: وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين. ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم: الذين يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور، وهؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط، ويقولون: إن الأرواح هي المنعمة والمعذبة في البرزخ، فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معاً، قال: وهذا قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهذا اختيار ابن حزم وابن ميسرة قال: وليس هذا من الأقوال الشاذة بل هو مضاف إلى قول من يقر بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الأبدان والأرواح، ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال على الروح فقط، عليها وعلى البدن بواسطتها، على البدن فقط، وقد يضم إلى ذلك القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ـ ويجعل الشاذ ـ قول منكر عذاب الأبدان مطلق، وقول من ينكر عذاب البرزخ مطلقاً.

---

(١) حديث البراء من عازب رضي الله عنه اخرجه أحمد: (٤/٢٨٧)، والحاكم: (١/٣٧)، والآجرى في «الشريعة»: (ص ٣٦٧، ٣٧٠)، وإسناده صحيح.

(٢) «الروح» لابن القيم: (ص ١٢٣-١٢٤).

فإذا جعل الأقوال الشاذة ثلاثة فالقول الثاني الشاذ قول من يقول إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وإنما الروح هي الحياة، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية كالقاضي أبي بكر الباقلاني وغيره ينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن وهو قول باطل وقد خالفه أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره، بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة.

والفلاسفة الإلهيون يقولون بهذا، لكن ينكرون معاد الأبدان، وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان؛ لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان، وكلا القولين خطأ وضلال، لكن قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الإسلام، وإن كان يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام، بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام.

والقول الثالث: الشاذ، قول من يقول: إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب، بل لا يكون ذلك حتى تقوم القيامة الكبرى كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم، الذين ينكرون عذاب القبر ونعيمه بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن وأن البدن لا ينعم ولا يعذب فجميع هؤلاء الطائفتين: ضلال في أمر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة لأنهم يقرون بالقيامة الكبرى فإذا عرفت هذه الأقوال الثلاثة الباطلة فليعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها - أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأروح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى، وهذا كل متفق عليه عند علماء السنة[1].

فتنة القبر:

وهي سؤال الملكين العبدعن ربه ودينه ونبيه، وقد قررها ابن حبان رحمه الله تعالى واستدل لها بما رواه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: أتيت عائشة حين خسفت الشمس فإذا الناس قيام يصلون، وإذا هي قائمة تصلي، فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها إلى السماء، وقالت: سبحان الله، فقلت: آية؟ فأشارت: أي نعم، قالت: فقمت حتى تجلاني الغشي، فجعلت أصب الماء فوق رأسي، فلما انصرف، حمد الله رسول الله وأثنى عليه ثم قال: «ما من شيء كنت

(١) «الروح» ابن القيم الجوزية: (ص ٧٢-٧٣).

لم أراه إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريباً من فتنة الدجال ـ لا أدري أي ذلك قالت أسماء ـ يؤتى أحدكم، فيقال له: ما علمك بهذا الرجل، فأما المؤمن أو الموقف ـ فلا أدري أي ذلك قالت أسماء ـ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا وأتبعا، فيقال له: نم صالحا قد علمنا إن كنت لمؤمنا، وأما المنافق أو المرتاب ـ لا أدري أي ذلك قالت أسماء ـ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»[١]، وقد ترجم رحمه الله للحديث بما يبين عموم هذه الفتتنة من مسلم أو كافر فقال: (ذكر الإخبار بأن المرء يفتن في قبره مسلماً كان أو كافراً)[٢].

ثم بين رحمه الله تعالى أن الناس يسألون في قبورهم وعقولهم معهم، فروى عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر فتاني القبر، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أترد علينا عقولنا يا رسول الله؟ فقال: «نعم كهيئتكم اليوم»[٣]، قال: فبفيه الحجر، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن الناس يسألون في قبورهم وعقولهم ثابتة معهم لا أنهم يسألون وعقولهم ترغب معهم)[٤].

وما قرره ابن حبان رحمه الله تعالى من فتنة القبر بسؤال الملكين ـ منكر ونكير ـ العبد عن ربه ودينه ونبيه مما صحت به الأحاديث عن النبي ﷺ وبلغت حد التواتر، كما قد استدل عليه بقوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء﴾[٥]، وأخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ نزلت في عذاب القبر زاد مسلم: **«يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾»**[٦]. وفي رواية للبخاري: **«إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن**

---

(١) أخرجه البخاري: (١/٢٨٨، ح ١٨٤) في الوضوء: باب من لم يتوضأ إلا من الغشي المثقل، ومسلم: (٢/٦٢٤، ح ٩٠٥) في الكسوف: باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

(٢) «الإحسان»: (٧/٣٨٣).

(٣) أخرجه أحمد: (٢/١٧٢)، وابن عدي في «الكامل»: (٢/٨٥٥)، وذكره الهيثمي في «المجمع»: (٣/٤٧) وقال: رواه أحمد والطبراني في «الكبير» ورجال احمد رجال الصحيح وإسناده حسن.

(٤) «الإحسان»: (٧/٣٨٤).

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(٦) تقدم تخريجه.

محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾»[١].

والآية والأحاديث كلها دالة على أن المؤمنين والكفار يفتنون في قبورهم كما ذهب إليه ابن حبان وقد خالف في ذلك الحكيم الترمذي[٢]، وابن عبدالبر والسيوطي[٣]، **فذهبوا إلى أن الكفار** لا يفتنون في قبورهم وإنما الفتنة خاصة بالمؤمنين والمنافقين واحتجوا بقوله ﷺ: **«إن هذه الأمة تبتلىٰ في قبورها»**[٤].

ولكن الأحاديث الصحيحة ترد هذا الفهم وتدل على أن هذا ليس خاصاً بالمؤمنين ولا خاصا بهذه الأمة قال ابن القيم رحمه الله: القرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول، بل السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى: ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**﴾[٥]، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أنهما نزلت في عذاب القبر كما تقدم، فإن في الأحاديث الكافر، والفاجر واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعاً، ومنه قوله تعالى: ﴿**كلا إن كتاب الفجار لفي سجين**﴾[٦].

وإلى عموم السؤال في القبر للمؤمنين والكفار ذهب ابن القيم والقرطبي وعبدالحق الإشبيلي[٧] وجماعة من أهل العلم وهو الحق الذي تؤيده نصوص الكتاب والسنة.

الناجون من فتنة القبر:

جاءت جملة من الأحاديث عن النبي ﷺ تبين أن الله عز وجل يؤمن بعض عباده من فتنة القبر وعذابه وقد ذكر ابن حبان بعض أولئك الذين لا يفتنون في قبورهم.

فروى عن فضالة ابن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«كل ميت يختم له على عمله إلا**

---

(١) «فتح الباري»: (٣/٢٣١، ٢٣٢، ح ١٣٦٩).

(٢) هو محمد بن علي بن الحسن ـ الحكيم الترمذي، حدث عن أبيه، وسفيان بن وكيع وغيرهما توفي سنة ٣٢٠هـ. انظر «طبقات الصوفية» للسلمي: (ص ٢١٧)، «سير أعلام النبلاء»: (١٣/٤٣٩).

(٣) هو جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بكر محمد بن سابق الخضيري الأسيوطي الشافعي ولد سنة ٨٤٩هـ. اشتغل بالعلم فقرأ وسمع ولازم الشيوخ، أكثر التصنيف في فنون متعددة توفي سنة ٩١١هـ.

(٤) أخرجه مسلم: (٤/٢١٩٩، ح ٢٨٦٧) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(٦) سورة المطففين: الآية ٧.

(٧) هو أبو محمد عبدالحق بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حسين بن سعيد الأزدي الاشبيلي المالكي ولد سنة ٥١٠هـ، كان فقيها حافظاً عالماً بالحديث وعلله ورجاله كان موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع، توفي سنة ٥٨١هـ، انظر «شذرات الذهب»: (٤/٢٨) «فوات الوفيات»: (١/٥١٨).





الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر»[1].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر انقطاع الأعمال عن الموتى وبقاء عمل المرابط إلى يوم القيامة مع أمنه من عذاب القبر)[2].

وروى عن سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة أنهما بلغهما أن رجلا مات بالبطن فقال أحدهما: ألم يبلغكم أن رسول الله ﷺ قال: «**من قتله بطنه لم يعذب في قبره**»[3] قال الآخر: صدقت، وقال الحوضي: بلى، وترجم ابن حبان بقوله: (ذكر نفي عذاب القبر عمن مات من الإطلاق)[4].

ضغطة القبر:

والمراد بها التقاء جانبي القبر على جسد الميت ثم عود الانفساح له فيه، وقد جاء عن النبي ﷺ ما يدل على وقوعها للميت، فروى ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ»[5]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن ضغطة القبر لا ينجو منها أحد من هذه الأمة نسأل الله حسن السلامة منها)[6].

وهذه الضمة كما قال ابن حبان لا ينجو منها أحد كبيراً كان أم صغيراً، صالحاً أو طالحاً ففي مسند الطبراني الكبير عن، أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن أنس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «لو أفلت أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي»[7].

وقد أشار الحكيم الترمذي إلى سبب هذه الضغطة فقال: سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلا وقد ألمّ بخطيئة ما وإن كان صالحاً، فجعلت هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة[8].

---

(١) أخرجه أبو داود: (٣/٩، ح ٢٥٠٠) في الجهاد: باب في فضل الرباط، وأحمد (٦/٢٠)، والترمذي: (٥/٣٤٤، ح ١٦٢١) في فضائل الجهاد: باب ما جاء في فضل من مات مرابطا، والحاكم: (٢/١٤٤)، والطبراني في «الكبير»: (١٨/ ح، ٨٠٣) وإسناده صحيح.

(٢) «الإحسان»: (١٠/٤٨٤).

(٣) أخرجه أحمد: (٤/٢٦٢)، والطيالسي: (١٢٨٨)، والنسائي: (١/٢٨٩) وإسناده صحيح.

(٤) «الإحسان»: (٧/١٩٥).

(٥) أخرجه أحمد: (٦/٥٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار»: (٢٧٤) وإسناده صحيح.

(٦) «الإحسان»: (٧/٣٧٩).

(٧) أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٤، ح ٣٨٥٨).

(٨) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/١٦).

المطلب الثاني: البعث

رأي ابن حبان في البعث:

قرر ابن حبان رحمه الله تعالى أمر البعث والنشور كما أخبر به النبي ﷺ فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب»[1]، وترجم للحديث ﷺ بقوله: (ذكر الإخبار بأن الناس يبلون في قبورهم إلا عجب الذنب منهم)[2]، وهذه الترجمة منه واضحة في أنه يرى أن البعث للأجساد والأرواح معاً وأن ذرات الإنسان لا تفنىٰ أبداً وإنما تتفرق أجزاؤه في الأرض ويبقىٰ منه جزء لا يفنى ولا يتفرق.

وعجب الذنب هو عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع[3].

واستثنىٰ الأنبياء من هذا الفناء الذي يصيب سائر الناس في قبورهم، واستدل لذلك بما رواه عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ**» قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: «**إن الله جل وعلا حرم على الأرض أن تأكل أجسامنا**»[4].

وأنكر رحمه الله على من زعم أن الإنسان بعد موته يبلىٰ تماماً، وبيّن أن من الإنسان جزءاً لا يفني إذ البعث والنشور يكون من هذا الجزء وهو عجب الذنب فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**في الإنسان عظم لا تأكله الأرض أبدا منه يركب يوم القيامة**»، قالوا: وأي عظيم هو يا رسول الله؟ قال: «**عجب الذنب**»[5]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر

---

(١) أخرجه البخاري: (٨/٥٥١، ح ٤٨١٤) في التفسير: باب ﴿ونفخ في الصور﴾، ومسلم: (٤/٢٢٧١، ح ٢٩٥٥)

(٢) في الفتن: باب ما بين النفختين.

(٣) «الإحسان»: (٧/٤٠٧).

(٤) «فتح الباري»: (٨/٥٥٢).

(٥) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤/٨)، وابن أبي شيبة: (٢/٥١٦)، وأبو داود: (١/٢٧٥، ح ١٠٤٧) في الصلاة: باب تفريع أبواب الجمعة، والنسائي: (٣/٩١) في السهو: باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، وابن ماجه: (١/٣٤٥، ح ١٠٨٥) في الإقامة: باب فضل الجمعة وإسناده صحيح.

(٦) تقدم تخريجه.



المدحض قول من زعم أن الإنسان إذا مات بلي منه كل شيء)[١].

صفة البعث:

أوضح ابن حبان الصفة التي يبعث فيها الميت، فروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها**»[٢]، ووهّم من حمل هذا الحديث على ظاهره فقال عقبة: قوله عليه السلام: «الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها» أراد به عمله كقوله جل وعلا: ﴿**وثيابك فطهر**﴾[٣]، يريد به: وأعمالك فأصلحها، لا أن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها إذ الأخبار الجمة تصرح عن المصطفى ﷺ بأن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا، وأيد تأويل الحديث الذي ذهب إليه بما رواه عن إبراهيم النخعي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وثيابك فطهر**﴾ قال: وعملك فأصلح[٤].

ثم أورد من الأحاديث الأخرى ما يؤيد تفسيره الذي ذهب إليه ـ وهو أن الميت يبعث على عمله الذي مات عليه لا أنه يبعث في كفنه الذي كفن فيه ـ بما رواه عن جابر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»[٥]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدّال على صحة ما ذهبنا إليه أن معنى قوله ﷺ: «**يبعث في ثيابه**» أراد به في عمله)[٦].

وما ذهب إليه ابن حبان من تقرير البعض وأنه يكون للأرواح والأجساد معاً هو ما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين بل هو مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى ولم يكذب به إلا الملاحدة ومشركوا العرب ومن سلك سبيلهم.

والبعث حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة مع كونه من الممكنات التي أخبر الشارع بوقوعها، وكل ما هو كذلك فهو ثابت والإخبار عنه مطابق.

---

(١) «الإحسان»: (٧/ ٤٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود: (٣/ ١٩٠، ح ٣١١٤) في الجنائز: باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت، والحاكم: (١/ ٣٤٠)، والبيهقي: (٣/ ٣٨٤)، وإسناده صحيح.

(٣) سورة المدثر: الآية ٤.

(٤) «الإحسان»: (١٦/ ٣١٠).

(٥) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٢٠٦، ح ٢٨٧٨) في الجنة وصفة نعيمها: باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

(٦) «الإحسان»: (١٦/ ٣١١).

أما الآيات الدالة على إثبات البعث والرد على منكريه فهي كثيرة جدا فمنها:

١- قوله تعالى: ﴿ **وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت بلىٰ وعدا عليه حقا** ﴾[١].

٢- وقوله تعالى: ﴿ **ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون * قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** ﴾[٢].

٣- وقوله تعالى: ﴿ **وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** ﴾[٣].

وأما الأحاديث الدالة على إثبات البعث فمنها:

١- قوله ﷺ: « **يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا** » (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين).

٢- قوله ﷺ: «إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب الخلق يوم القيامة، قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: « **عجب الذنب** »[٤].

والإيمان بالبعث مما قرره السلف في مصنفاتهم وردوا فيها على المخالفين فيه.

قال الطحاوي رحمه الله: ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة[٥].

وقال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية في بيان قول الطحاوي هذا: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه وأقام الدليل عليه، ورد على المنكرين في غالب سور القرآن، وذلك: أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم وهو فطري كلهم يقر بالرب، إلا من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإن منكريه كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء،

---

(١) سورة النحل: الآية ٣٨.

(٢) سورة يس: الآية ٥١.

(٣) سورة يس: الآيات ٧٨-٨١.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٤٠١).







وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر والمقفي، بيّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء قبله، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ وجعلوا هذا حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجهوري.

والقرآن بين معاد النفس عند الموت، ومعاد الأبدان عند القيامة الكبرى في غير موضع وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إن لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخييل - وهذا كذب - فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء، من آدم إلي نوح، إلى إبراهيم وموسى وغيرهم، وقد أخبر الله بها حين أهبط آدم فقال تعالى: ﴿**قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**﴾[1].

وقال: والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء أن الأجسام تنقلب من حال فتستحيل ترابا ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار عظاماً ولحماً ثم أنشاه خلقاً سوياً، كذلك الإعادة يعيده الله بعد أن يبلىٰ كله إلا عجب الذنب[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا[3].

وكلام السلف في تقرير البعث كثير جداً، وإنما اقتصرت على بعضه لوضوح أمر المعاد لجميع العباد إذ لم ينكره إلا من جحد الخالق كالملاحدة أو أقرّ به ولكن كذب باليوم الآخر كمشركي العرب ومن وافقهم.

المطلب الثالث: الحشر والحساب

أولا: الحشر

الحشر: الجمع، والمراد به جمع الله تعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد لفصل القضاء ومجازاة كل عامل بما عمل[4].

قال تعالى: ﴿**قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم**﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٥.

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٤٠٩، ٤١٠).

(٣) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١٤٣).

(٤) «القيامة الكبرى» د. عمر الأشقر: (ص ٥٦).

(٥) سورة الواقعة: الآيتان ٤٩، ٥٠.

وقال تعالى: ﴿**وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا**﴾[1].

فالإيمان بالحشر أصل من أصول الإيمان باليوم الآخر كما دل على ذلك الكتاب العزيز والسنة النبوية وقد قرر ابن حبان رحمه الله تعالى هذا الأصل العظيم في ضوء ما جاءت به آيات الكتاب العزيز وتواترت به الأحاديث الصحيحة، فأثبته على ظاهره من غير تأويل لأخباره أو إنكار لها. وأورد جملة من الأدلة التي تبين كيفية الحشر وصفة الأرض التي يحشر الناس عليها وكيفية حشر الكفار، إلى غير ذلك مما جاءت به الأخبار في صفة الحشر.

صفة الحشر:

أورد رحمه الله تعالى في بيان صفة الحشر ما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿**يحشر الناس حفاة عراة غرلا**﴾[2]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن الوصف الذي به يحشر الناس يوم القيامة)[3].

وترجم له في موضع آخر بقوله: (ذكر البيان بأن الناس يلقون الله عراة مشاة بالخصال التي وصفناها من قبل)[4].

وصفة الحشر في هذا الحديث تكون بعد قيام الناس من قبورهم بحيث يساق الناس إلى الموقف لفصل القضاء ومجازاة كل عامل بعمله، فيحشر الخلق حفاة - أي غير منتعلين - عراة، كما ولدتهم أمهاتهم غرلا - أي - غير مختونين، وقد أشار القرآن الكريم إلى كيفية الحشر هذه في قوله تعالى: ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين**﴾[5]، وفسر النبي ﷺ الآية بذكر كيفية الحشر فقال ﷺ: «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين»[6].

كما أورد رحمه الله بعض الأحاديث التي يبدو ظاهرها مخالفاً لقوله ﷺ: «**إنكم محشرون**

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٨.

(٢) أخرجه البخاري: (١١/٣٧٧، ح ٦٥٢٤) في الرقاق: باب الحشر، ومسلم: (٤/٢١٩٤، ح ٢٨٦٠) في الجنة وصفة نعيمها: باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

(٣) «الإحسان»: (١٦/٣١٣).

(٤) «الإحسان»: (١٦/٣١٤).

(٥) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

(٦) أخرجه البخاري: (٨/٤٣٧، ح ٤٧٤) في التفسير: باب ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾.





إلى الله حفاة عراة غرلاً»، وأجاب عنها بما يزيل التعارض المتوهم.

فروى عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها**»[1]، وأعقبه بقوله: قوله عليه السلام: «**الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها**» أراد به في أعماله كقوله جل وعلا: ﴿**وثيابك فطهر**﴾ يريد به وأعمالك فأصلحها، لا أن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها، إذ الأخبار الجمة تصرح عن المصطفى ﷺ بأن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً[2].

وأيده أيضاً بما رواه عن جابر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»[4]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على صحة ما ذهبنا إليه أن معنى قوله ﷺ: «يبعث في ثيابه»، أراد به في عمله)[5].

وإلى هذا القول ذهب قتادة رحمه الله ورجحه القرطبي ووجه قوله بأن الملابس في الدنيا أموال ولا مال في الآخرة، زالت الأملاك بالموت وبقيت الأموال في الدنيا، وكل نفس يؤمئذ فإنما يقيها المكاره ما وجب لها بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله عليها، فأما الملابس فلا غنى فيها يومئذ إلا ما كان من لباس الجنة[6].

ونقل ابن عبدالبر رحمه الله تعالى عن جمهور العلماء أن حديث أبي سعيد محمول على الشهيد الذي يزمل في ثيابه ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه ولا يغير عليه شيء من حاله، وحملوا فعل أبي سعيد رضي الله عنه ـ وقد كان دعا بثبات جدد لما حضرته الوفاة فلبسها ـ على أنه سمع الحديث في الشهيد فتأوله على العموم[7].

وقال ابن حجر: قال البيهقي: وقع في حديث أبي سعيد يعني الذي أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان أنه لما حضر الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الميت

---

(١) أخرجه أبو داود: (٣/٣٩٠، ح ٣١١٤) في الجنائز: باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت، والحاكم: (١/٣٤٠)، والبيهقي (٣/٣٨٤).

(٢) «الإحسان»: (١٦/٣١٠).

(٣) «الإحسان»: (١٦/٣١٠).

(٤) أخرجه مسلم: (٤/٢٢٠٦، ح ٢٨٧٨) في الجنة وصفة نعيمها: باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

(٥) «الإحسان»: (١٦/٣١١).

(٦) «التذكرة»: (١/٢٦١).

(٧) «المصدر السابق»: (١/٢٦١).

يبعث في ثيابه التي يموت فيها»، ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء، فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم، وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء لأنهم الذين أمر أن يزملوا في ثيابهم ويدفنوا فيها(١).

وخلاصة ما قاله أهل العلم في الجمع بين حديث ابن عباس وحديث أبي سعيد رضي الله عنهما أن منهم من حمله على ظاهره كأبي سعيد الخدري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، ومنهم من حمله على الشهداء بدليل دفنهم في ثيابهم التي قتلوا فيها فلم يغسلوا ولم يكفنوا بل دفنوا على حالهم التي قتلوا عليها وهذا الرأي ذكره ابن عبدالبر عن أكثر العلماء، ومنهم من فسر الثياب الواردة في حديث أبي سعيد بالعمل وإليه ذهب قتادة وإبراهيم النخعي ونصره ابن حبان.

وأورد في بيان صفة حشر الناس يوم القيامة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين راهبين، اثنان علىٰ بعير وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشر على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيثما قالوا، وتبيت معهم حيثما باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا**»(٢)، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف الطرائق التي يكون حشر الناس في ذلك اليوم بها)(٣).

ومقتضى ترجمة ابن حبان للحديث يفيد أن صفة حشر الناس على هذه الهيئة تكون بعد قيام الناس من قبورهم وحشرهم إلى أرض المحشر للحساب والجزاء.

وما ذهب إليه ابن حبان دلت الأحاديث الأخرى على خلافه وبيان أن ما وصف في الحديث إنما هو قبل قيام الساعة والناس أحياء، كما أشار إلي ذلك البغوي رحمه الله تعالى بقوله: هذا الحشر قبل قيام الساعة إنما يكون إلى الشام أحياء، فأما الحشر بعد البعث من القبور على خلاف هذه الصفة من ركوب الإبل والمعاقبة عليها إنما هو كما أخبر أنهم يبعثون حفاة عراة(٤).

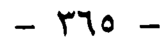
---

(١) «فتح الباري»: (١١/٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري: (١١/٣٧٧، ح ٦٥٢٢) في الرقاق: باب الحشر، ومسلم: (٤/٢١٩٥، ح ٢٨٦١) في الجنة وصفة نعيمها: باب فناء الدنيا وبيان المحشر يوم القيامة.

(٣) «الإحسان»: (١٦/٣٣١).

(٤) «شرح السنة»: (١٥/١٢٥).







وحمل الخطابي رحمه الله تعالى هذا الحشر الوارد في الحديث، على الحشر الذي يكون قبل قيام الساعة عند حشر الناس إلى الشام وهم أحياء، وأما الحشر الذي يكون بعد البعث من القبور فهو على خلاف هذا والصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها[١].

وصوب القاضي عياض ما قاله الخطابي لأن الأوصاف التي ذكرت في حديث أبي هريرة إنما تليق بالدنيا[٢] وقد أطال الحافظ ابن حجر رحمه الله في ذكر الخلاف في حشر الناس على الصفة الواردة في حديث أبي هريرة هل هي قبل قيام الساعة أو بعد قيام الناس من قبورهم وسوقهم إلى أرض المحشر؟

ورجح أن هذا الحشر محمول على أنه قبل قيام الساعة بقوله: وكذا يبعد غاية البعد أن يحتاج من سياق من الموقف إلى الجنة التعاقب على الأبعرة فرجح أن ذلك إنما يكون قبل المبعث[٣].

كيفية حشر الكافر:

أورد ابن حبان رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «**إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه**»[٤]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف ما يحشر الكفار به)[٥].

وقد ذكر القرطبي أن حشر الكافر على وجهه بهذا الوصف يكون عندما يساقون إلى جهنم فإنهم حينئذ يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم لقوله تعالى: ﴿**ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكما وصما، مأواهم جهنم**﴾[٦].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: وقوله: ﴿**عميا**﴾ أي: لا يبصرون، ﴿**وبكما**﴾، يعني: لا ينطقون، ﴿**وصمّا**﴾، لا يسمعون، وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم، كما كانوا في الدنيا بكما وعميا وصما عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما

---

(١) «فتح الباري»: (١١/٣٧٩).

(٢) المصدر السابق: (١١/٣٧٩-٣٨٠).

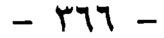
«فتح الباري»: (١١/٣٨٢).

(٣) أخرجه البخاري: (٨/٤٩٢، ح ٤٧٦٠) في التفسير: باب قوله: ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾

(٤) ومسلم: (٤/٢١٦١، ح ٢٨٠٦) في المنافقين: باب حشر الكافر على وجهه.

(٥) «الإحسان»: (١٦/٣١٥).

(٦) سورة الإسراء: الآية ٩٧.



يحتاجون إليه[١].

وذكر البخاري رحمه الله عن قتادة أن قال بعد روايته للحديث: بلى وعزة ربنا[٢].

وقد أشار ابن حبان رحمه الله إلى الحكمة من حشر الكافر على وجهه فقال: والحكمة في حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهه في القيامة إظهاراً لهوانه بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات[٣].

صفة أرض المحشر:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يحشر الناس على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد**»[٤].

أورد ابن حبان هذا الحديث وترجم له بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف الأرض التي يحشر الناس عليها)[٥].

فمن صفة هذه الأرض التي يحشر الله الخلائق إليها أنها بيضاء وبياضها كقرصة النقي أي: الدقيق النقي من الغش والنخال، قاله الخطابي[٦].

وقوله: «ليس فيها علم لأحد» قال الخطابي: يريد أنها مستوية[٧].

وقال القاضي عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدىٰ بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة، وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها[٨].

وقال ابن أبي جمرة[٩]: وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (٥/١٢٠، ١٢١).

(٢) «فتح الباري»: (٨/٤٩٢).

(٣) المصدر السابق: (١١/٣٨٢-٣٨٣).

(٤) أخرجه البخاري: (١١/٣٧٢، ح ٦٥٢١) في الرقاق: باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ومسلم: (٤/٢١٥٠، ح ٢٧٩٠) في صفات المنافقين: باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة.

(٥) «الإحسان»: (١٦/٣١٢).

(٦) «فتح الباري»: (١١/٣٧٥).

(٧) المصدر السابق: (١١/٣٧٥).

(٨) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٧/١٣٤).

(٩) هو أبو محمد عبدالله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المالكي، كان عالماً بالحديث، له عدة مصنفاتها: «جمع النهاية» اختصر به صحيح البخاري توفي بمصر سنة ٦٩٥هـ. انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/=





جداً والحكمة من الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده[١].

ثانيا: الحساب

والمراد به توقيف الله عباده قبل الإنصراف في المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً تفصيلا[٢].

وقد قرر ابن حبان رحمه الله تعالى هذا الأصل العظيم الذي هو من أصول الإيمان باليوم الآخر وذلك في ضوء الأحاديث التي تثبت محاسبة الله تعالى لعباده عما فعلوه من خير أو شر.

ومن جملة الأحاديث التي أوردها في تقرير مبدأ الحساب والجزاء ما يلي:

١- عن صفوان بن محرز المازني قال بينما نحن مع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما نطوف بالبيت، إذ عارضه رجل، قال: يابن عمر، كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر النجوىٰ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدنو المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه، ثم يقرره بذنوبه، فيقول هل تعرف؟ فيقول**: رب أعرف، **حتى إذا بلغ ما شاء الله أن يبلغ، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطي صحيفة حسناته، وأما الكافر والمنافق فينادىٰ على رؤوس الأشهاد: ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾**»[٣]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف محاسبة الله جل وعلا المؤمنين المخبتين من عباده في القيامة[٤].

٢- عن عائشة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نوقش الحساب هلك» فقلت: يا رسول الله، إن الله يقول: **﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا**

= ٣٤٦). «الإعلام»: (٤/٨٩).

(١) «فتح الباري»: (١١/٣٧٥).

(٢) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/١٧٢).

(٣) أخرجه البخاري: (١٠/٥٠١، ح ٦٠٧٠) في الأدب: باب ستر المؤمن على نفسه، ومسلم: (٤/٣١٢٠، ح ١٧٦٨) في التوبة: باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٤) «الإحسان»: (١٦/٣٥٣).

يسيرا﴾ قال: «**ذاك العرض**»[١]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر إثبات الهلاك في القيامة لمن نوقش الحساب نعوذ بالله منه)[٢].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء**»[٣]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الاخبار عن وصف أداء الحقوق إلى أهلها في القيامة حتى البهائم بعضها من بعض)[٤].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يقال للعبد يوم القيامة: ألم أصحح جسمك، وأرويك من الماء البارد**»[٥]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الاخبار عن سؤال الرب جل وعلا عبده في القيامة عن صحة جسمه في الدنيا)[٦].

فهذه الأحاديث التي أوردها ابن حبان رحمه الله صريحة الدلالة في إثبات مبدأ الحساب، ومن ذلك أن الله تعالى يعرض ذنوب العبد عليه كما في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدنى المؤمن فيضع كنفه، ويستره ...**» الحديث.

قال القرطبي في قوله: («**فيضع عليه كنفه**» أي: ستره ولطفه وإكرامه فيخاطب خطاب ملاطفة ويناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة، فقول له: هل تعرف؟ فقول: رب أعرف، فيقول الله ممتنا عليه، ومظهراً فضله لديه، فإني قد سترتها عليك في الدنيا، أي لم أفضحك بها فيها وأنا أغفرها لك اليوم)[٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (يحاسب الله تعالىٰ الخلق ويخلو بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة[٨].

---

(١) أخرجه البخاري: (١١/٤٠٠، ح ٦٥٣٦) في الرقاق: باب من نوقش الحساب عذب، ومسلم: ٤/٢٣٠٤، ح ٢٨٧٦) في جنة وصفة نعيمها: باب إثبات الحساب.

(٢) «الإحسان»: (١٦/٣٧٠).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/١٩٩٧، ح ٢٥٨٢) في البر والصلة: باب تحريم الظلم.

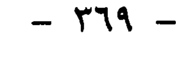
(٤) «الإحسان»: (١٦/٣٦٣).

(٥) أخرجه الترمذي: (٩/٨٣، ح ٣٣٥٥) في تفسير القرآن: باب ومن سورة التكاثر، والحاكم: (٤/١٣٨) وإسناده صحيح.

(٦) «الإحسان»: (١٦/٣٦٤).

(٧) «التذكرة»: (١/٣٢٥).

(٨) «شرح العقيدة الواسطية»: (١٤٦).





أنواع الحساب:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن محاسبة الله تعالى لعباده متفاوته، فمنهم من يكون حسابه عسيراً كالكفار والمنافقين، ومنهم من يدخل في الجنة بغير حساب كالسبعين ألفاً الذين جاء الحديث بهم ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً، وهؤلاء لا يناقشون الحساب، أي لا يدقق معهم وإنما تعرض عليهم ذنوبهم ويقررون عليها ثم يتجاوز لهم عنها.

وقد أورد ابن حبان رحمه الله في محاسبة هذا القسم من الناس حديث عائشة رضي الله عنها قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نوقش الحساب هلك**» فقلت: يا رسول الله: إن الله يقول: ﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً**﴾ قال: «**ذاك العرض**»[١]، وترجم للحديث كما سبق بيانه بقوله: (ذكر إثبات الهلاك في القيامة لمن نوقش الحساب نعوذ بالله منه)[٢].

قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث: معنى «**نوقش الحساب**» استقصي عليه، قال القاضي: وقوله «**عذب**» له معنيان: أحدهما: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ، والثاني: أنه مفض إلى العذاب بالنار، ويؤيده قوله في الرواية الأخرى «**هلك**» مكان «**عذب**» هذا كلام القاضي.

قال النووي: وهذا الثاني هو الصحيح، ومعناه أن التقصير غالب في العباد فمن استقصي عليه ولم يسامح هلك، ودخل النار ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء[٣].

ونقل ابن حجر عن القرطبي في معنى قوله: «إنما ذلك العرض» قال: إن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة[٤].

ومما يتعلق بأنواع الحساب أن الله تعالى يقتص للبهائم بعضها من بعض واستدل ابن حبان لهذا النوع من الحساب بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتؤدن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الإحسان»: (١٦/ ٣٧٠).

(٣) «فتح الباري»: (١١/ ٤٠٢).

(٤) «فتح الباري»: (١١/ ٤٠٢).

الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء»[١]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف أداء الحقوق إلى أهلها في القيامة حتى البهائم بعضها من بعض)[٢].

وهذه الترجمة صريحة في إجراء الحديث على ظاهره وعدم تأويله خلافا لمن تأوله.

وقال النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة. قال الله تعالى: ﴿**وإذا الوحوش حشرت**﴾[٣]، وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من اجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره. قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة[٤].

ونقل الشيخ علي القاري عن بعض العلماء، أنه قال: فإن قيل: الشاة غير مكلفة، فكيف يقتص منها؟ قلنا: أن الله تعالى فعال لما يريد، ولا يسأل عما يفعله، والغرض منه إعلام العباد أن الحقوق لا تضيع بل يقتص حق المظلوم من الظالم، ثم قال القاري: وهو وجه حسن وتوجيه مستحسن إلا أن التعبير عن الحكمة بـ(الغرض) وقع في غير موضعه، وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف، فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف والقوي والضعيف؟[٥].

وخلاصة القول أن حشر البهائم والاقتصاص لبعضها من بعض هو الصواب الذي لا يجوز غيره، وهو ما قرره ابن حبان وذهب إليه كما جاء بذلك الخبر عن المعصوم ﷺ.

ما يسأل عنه العباد:

أورد ابن حبان رحمه الله جملة من الأحاديث النبوية التي تخبر عن أمور يسأل عنها العبد يوم القيامة ومن ذلك:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الإحسان»: (١٦/ ٣٦٣).

(٣) سورة التكوير: الآية ٥.

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٦/ ١٣٦، ١٣٧).

(٥) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٤/ ٦١٢-٦١٣).



١- القصاص في الدماء بين العباد:

فقد روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يقضى يوم القيامة بين الناس في الدماء**»[١]، وترجم له بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف الشيء الذي أول ما يقضىٰ بين الناس فيه يوم القيامة)[٢].

وما قرره ابن حبان رحمه الله في القصاص في أمر الدماء حق، وذلك لعظم أمرها.

قال ابن حجر في شرحه للحديث: وفي الحديث عظم أمر الدم، فإن البداءة إنما تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة وإعلام البنية الإنسانية غاية في ذلك[٣].

٢- السؤال عن النعيم:

ومما يسأل عنه العباد يوم القيامة، ما حباهم الله إياه من الصحة والعافية، فقد روىٰ ابن حبان في بيان محاسبة العباد على ما منحوا من النعيم ما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يقال للعبد يوم القيامة: ألم أصحح جسمك وأرويك من الماء البارد**»[٤]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار من سؤال الرب جل وعلا عبده في القيامة عن صحة جسمه في الدنيا)[٥].

وما قرره ابن حبان رحمه الله جاء مقرراً في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾[٦].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: وقوله: ﴿**ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾، أي: ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك[٧].

ونقل عن ابن عباس أنه فسر الآية بقوله: النعيم: صحة الأبدان والاسماع والأبصار يسأل الله

---

(١) أخرجه البخاري: (١١/٣٩٥، ح ٦٥٣٣) في الرقاق: باب القصاص يوم القيامة، ومسلم (٣/١٣٠٤، ح ١٦٧٨) في القيامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة.

(٢) «الإحسان»: (١٦/٣٣٨).

(٣) «فتح البارى»: (١١/٣٩٧).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) «الإحسان»: (١٦/٣٦٤).

(٦) سورة التكاثر: الآية ٨.

(٧) «تفسير ابن كثير»: (٨/٤٩٤).

العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم[١].

وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا[٢].

وروى أيضاً في محاسبة الله تعالى العباد عن النعيم الذي أصابهم في الدنيا حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليلقين أحدكم ربه يوم القيامة، فيقول له: ألم أسخر لك الخيل والإبل؟ ألم أذرك ترأس وتربع؟ ألم أزوجك فلانة خطبها الخطاب فمنعتهم وزوجتك**»[٣]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن سؤال الرب جل وعلا عبده في القيامة عن تمكينه من الشهوات في الدنيا)[٤].

٣- ظلم الناس:

حرم الله جل وعلا الظلم على نفسه وحرمه على عباده كما صح بذلك الخبر عن النبي ﷺ ومما أورده ابن حبان في تقرير حرمة ظلم الناس ما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه وماله، فليستحله اليوم قبل أن يأخذه به حين لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته فإن لم يكن، أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه**»[٥]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر أخذ المظلوم في القيامة حسنات من ظلمه في الدنيا)[٦].

وأوضح رحمه الله تعالى أن أخذ المظلوم من حسنات من ظلمه ووضع سيئات المظلوم على الظالم ليست من باب حمل وزر الغير، وأيد قوله بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس**»؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع له فقال ﷺ: «**المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، فيأتي وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يعطي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار**»[٧]، وترجم للحديث

---

(١) المصدر السابق: (١٨/ ٤٨٩).
(٢) المصدر السابق: (٨/ ٤٩٧).
(٣) أخرجه أحمد: (٢/ ٤٩٢)، الترمذي: (٧/ ١٤٣، ح ٢٤٣٠) في صفة القيامة: (باب ٦).
(٤) «الإحسان»: (١٦/ ٣٦٧).
(٥) أخرجه البخاري: (٥/ ١٠١، ح ٢٤٤٩) في المظالم: باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته.
(٦) «الإحسان»: (١٦/ ٣٦١).
(٧) أخرجه مسلم: (٤/ ١٩٩٧، ح ٢٥٨١) في البر: باب تحريم الظلم.



بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن أحداً في القيامة لا يحمل وزر أحد)[١].

وما ذهب إليه ابن حبان هو الحق الذي تؤيده النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، وقد وجه ابن حجر التعارض المتوهم بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[٢] فقال: ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ لأنه إنما يعاقب بسبب فعله وظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته، فقوبلت الحسنات بالسيآت على ما اقتضاه عدل الله تعالى في عباده[٣].

وقال القرطبي مجيباً على التعارض المتوهم: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ أي: لا تحمل حاملة ثقل أخرى، إذا لم تتعدَّ فإذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت فإنه تحمل عليها ويؤخذ منها بغير اختيارها[٤].

ومما تقدم يتضح أن ابن حبان رحمه الله يتفق مع أهل السنة والجماعة في الإيمان بما تضمنه اليوم الآخر من مبدأ الحساب والجزاء كما هو صريح كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ.

قال الصابوني رحمه الله في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: ويؤمنون ـ أي أهل السنة والجماعة ـ بالحوض والكوثر وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب، ومحاسبة فريق منهم حسابا يسيراً وإدخالهم الجنة بغير سوء[٥].

وقال ابن أبي زمنين رحمه الله: ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل يحاسب عباده يوم القيامة ويسألهم مشافهة منه إليهم، وقال عز وجل: ﴿**يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم**﴾[٦] وقال: ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**﴾[٧] ... وهل يحاسب العباد إلا الذي خلقهم وتعبدهم وأحصى أعمالهم وحفظها عليهم حتى يسألهم عنها فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو العلي القدير[٨].

---

(١) «الإحسان»: (١٦/ ٣٥٩).

(٢) سورة فاطر: الآية ١٨.

(٣) «فتح الباري»: (٥/ ١٠٢).

(٤) «التذكرة»: (١/ ٣٣٣).

(٥) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (ص ٦١، ٦٢).

(٦) سورة المائدة: الآية ١٠٩.

(٧) سورة النساء: الآية ٤١.

(٨) «أصول السنة»: (ص ١١٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة)[١].

المطلب الرابع: الحوض

المراد به حوض النبي ﷺ، وإثباته مما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ وأجمع أهل الحق على إثباته، وأسعد الناس بالشرب منه من سار على نهج النبي ﷺ واستن بسنته والتزم طريقته.

وقد أقرّ ابن حبان رحمه الله بوجود الحوض، وأورد فيه الأحاديث التي تخبر عن سعته وطبيعة ماءه وعدد أباريقه ومكان وجوده ومن يرده ومن يذاد عنه، وغير ذلك مما أخبر به النبي ﷺ. إيماناً منه بالغيب الذي أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام من غير تأويل لأخباره أو ردّ لها متبعاً في ذلك منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

أدلة إثبات الحوض عند ابن حبان:

أورد رحمه الله تعالى أحاديث عدة تدل على إكرام الله تعالى لنبيه ﷺ بالحوض في يوم القيامة ومن تلك الأحاديث التي أوردها:

١- عن جندب بن سفيان البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض**»[٢].

٢- عن الصنابح رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إلا إني فرطكم على الحوض وإني مكاثر بكم الأمم فلا تقتلن بعدي**»[٣]، وترجم له بقوله: (ذكر الإخبار بأن المصطفى ﷺ يكون فرط أمته على حوضه تفضل الله علينا بالشرب منه)[٤].

٣- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء اليمن وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء**»[٥].

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١٤٦).

(٢) أخرجه البخاري: (١١/٤٦٥، ح ٦٥٨٩) في الرقاق: باب في الحوض، ومسلم (٤/١٧٩٢، ح ٢٢٨٩) في الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد: (٤/٣٤٩)، وابن ماجه: (٢/١٣٠٠، ح ٣٩٤٤) في الفتن: باب لا ترجعوا بعدي كفاراً، وأبو يعلى في «مسنده»: (١٤٥٤)، والطبراني في «الكبير»: (٧٤١٥).

(٤) «الإحسان»: (١٤/٣٥٨).

(٥) أخرجه البخاري: (١١/٤٦٣، ح ٦٥٨٠) في الرقاق: باب في الحوض، ومسلم: (٤/١٨٠٠، ح ٢٣٠٣) في الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ.







والأحاديث في إثبات الحوض مشهورة متواترة، قال الحافظ ابن حجر وهو ممن نص على تواتر أحاديث الحوض: وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين من الصحابة[١].

وقال القرطبي: (أحاديث الحوض متواترة)[٢].

وقال ابن عبدالبر تواتر الآثار عن النبي ﷺ في الحوض، حمل أهل السنة والحق وهم الجماعة على الإيمان به وتصديقه[٣].

وقال القاضي عياض: (وحديثه متواتر رواه خلائق من الصحابة)[٤].

وخلاصة القول: أن أحاديث الحوض بمجموعها متواترة تواتراً معنوياً، وأن مذهب السلف، الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن سار على نهجهم هو إثبات الحوض، والإيمان بالنصوص التي أخبرت عنه كما جاءت على ظاهرها.

قال ابن أبي عاصم رحمه الله بعد إيراده لأحاديث الحوض: (والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ توجب العلم: أن يعلم كنه حقيقته أنها كذلك، وعلى ما وصف به نبينا عليه السلام حوضه، فنحن به مصدقون غير مرتابين ولا جاحدين، ونرغب إلى الذي وفقنا للتصديق به ـ وخذل المنكرين له، والمكذبين به عن الإقرار والتصديق به ليحرمهم لذة شربه ـ أن يوردنا فيسقينا منه شربة نعدم لها ظمأ الأبد بطوله، ونسأل ذلك بتفضله)[٥].

وقال ابن أبي زمنين: (وأهل السنة يؤمنون بأن للنبي محمد ﷺ حوضا أعطاه الله إياه، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا)[٦].

وقال القاضي عياض رحمه الله: (أحاديث الحوض صحيحه، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه)[٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وفي عرصات القيامة، الحوض المورود للنبي

---

(١) «فتح الباري»: (١١/٤٦٧).

(٢) «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» للكتاني: (ص ١٥١، ١٥٣).

(٣) «التمهيد»: (٢/٣٠٩).

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٥/٥٣).

(٥) «السنة» لابن أبي عاصم: (٢/٣٦٠).

(٦) «أصول السنة»: (ص ١٥٨).

(٧) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٥/٥٣).

ﷺ ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، أنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربه لا يظمأ بعدها أبدا)[1].

وقال أبو عبدالله القرطبي في المفهم: مما يجب على المكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين، ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم، وهلم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف.

وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة وأحالوه عن ظاهره وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته ولا حاجة تدعو إلى تأويله، فخرق من صرفه إجماع السلف وفارق مذاهب أئمة الخلف[2].

والمنكرون للحوض هم الخوارج وبعض المعتزلة والأحاديث الواردة ترد عليهم، وكل من خالف في إثباته فهو مبتدع.

صفة الحوض:

أورد ابن حبان رحمه الله جملة من الأحاديث التي تبين صفات حوضه ﷺ من جهة سعته ولون ماءه وعدد أباريقه وطعمه ومن يشرب منه ومن يذاد عنه، وفيما يلي ذكر لما أورده ابن حبان من صفات الحوض.

١- شكله ومساحته:

الحوض مربع الشكل، طوله وعرضه سواء، وكل منهما مسيرة شهر، ويدل لذلك ما رواه ابن حبان عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر زواياه سواء ماؤه أبيض من الثلج وأطيب من المسك أنيته كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ بعده أبدا**»[3]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن ليس بين هذه الأخبار التي

(١) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١٥٢).

(٢) «فتح الباري»: (١١/٤٦٧).

(٣) أخرجه البخاري: (١١/٤٦٣، ح ٦٥٧٩) في الرقاق: باب ذكر الحوض، ومسلم (٤/١٧٩٤، ح ٢٢٩٢) في الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ.





ذكرناها تضاد ولا تهاتر)[1].

والأخبار التي أشار إليها ابن حبان هي ما ورد من اختلاف في الأحاديث في تقدير مسافة الحوض ففي حديث أنس بن مالك أنه ما بين ناحيتي الحوض كما بين صنعاء والمدينة، وفي حديث جابر رضي الله عنهما أنه ما بين أيلة إلى مكة، وفي حديث عتبة بن عبدالسلمي أنه ما بين صنعاء إلى بصرى، وفي حديث آخر لأنس أنه ما بين المدينة وعمان، وكل هذه الروايات أخرجهما ابن حبان، فظن بعض الناس أن هذه الاختلاف في تقدير مسافة الحوض مما يدل على اضطراب الحديث وضعفه.

ولكن أجيب عن هذه الاختلاف والاضطراب بأنه ليس في الرواية وإنما في الاختلاف في التقدير والتحديد، ثم إن هذا الاختلاف لم يقع في حديث واحد حتى يُعّد اضطرابا يوجب رده، وإنما جاء في عدة أحاديث عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم، قال القرطبي ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها فيقول لأهل الشام، ما بين أذرح وجربا، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن، وهكذا، وتارة يقدر بالزمان فيقول مسيرة شهر، والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الزوايا فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها والله أعلم[2].

وممن كشف عن حقيقة هذه الاختلاف ـ ابن حبان رحمه الله ـ فقد أبان أن هذه الأخبار لا تضاد بينها ولا تهاتر فقال: هذه الأخبار ـ الأربع ـ أي أحاديث أنس وجابر وعتبة بن فرقد السلمي رضي الله عنهم أجمعين ـ وغيرها: أيضاً ـ قد توهم من لم يحكم صناعة الحديث أنها متضادة أو بينها تهاتر، لأن في خبر سليمان التيمي: «ما بين صنعاء والمدينة» وفي خبر جابر: «ما بين أيلة إلى مكة» وفي خبر عتبة بن عبدالله: «ما بين صنعاء إلى بصرى» وفي خبر قتادة: «ما بين المدينة وعمّان» وليس بين هذه الأخبار تضاد ولا تهاتر، لأنها أجوبة خرجت على أسئلة ذكر المصطفى ﷺ في كل خبر مما ذكرنا جانباً من جوانب حوضه أن مسيرة كل جانب من حوضه مسيرة شهر، فمن صنعاء إلى المدينة شهر لغير المسرع، ومن أيلة إلى مكة كذلك، ومن صنعاء إلى بصرى

(١) «الإحسان»: (١٤/ ٣٦٤).

(٢) «التذكرة»: (١/ ٣٧٠-٣٧١).

كذلك، ومن المدينة إلى عمّان الشام كذلك[1]، ثم أورد ما يؤكد ذلك ويقرره من تساوي المسافات بين المدن المذكورة، برواية أخرجها وفيها قوله ﷺ: «**زواياه سواء**»[2]، وبهذه الرواية يزول الاشكال ويندفع الاضطراب والاختلاف المتوهم قال القاضي عياض: (الزوايا الأركان، فهو مربع مستوي الأضلاع، لأن تساوي الزوايا يدل على تساوي الأضلاع)[3].

ماء الحوض:

١- لونه:

الماء في حوض النبي ﷺ أبيض من اللبن كما في بعض الرويات وفي بعضها أنه أبيض من الثلج وبأيهما وصف فهو حق، فهو أبيض ناصع البياض سقانا الله منه.

وقد أورد ابن حبان رحمه الله ما يبين هذا الوصف للحوض، فروى عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي سئل عن شرابه ـ أي الحوض ـ فقال: «**أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، ينبعث فيه ميزابان مدادهما الجنة أحدهما در والآخر ذهب**»[4] ففي هذا الحديث وصف الماء بأنه أشد بياضاً من اللبن.

وروى عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر زواياه سواء ماؤه أشد بياضاً من الثلج، وأطيب من المسك، أنيته كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ بعده أبداً**»[5].

٢- طعمه:

ماء الحوض في طعمه ومذاقه أحلى من العسل ويدل ذلك حديث ثوبان رضي الله عنه المتقدم.

وأورد ابن حبان أيضاً في وصف مذاق ماء الحوض عن يزيد بن الأخنس السلمي أنه قال: يا

---

(١) «الإحسان»: (١٤/٣٦٣).

(٢) «الإحسان»: (١٤/٣٦٤).

(٣) «إكمال إكمال المعلم» شرح صحيح مسلم للأبي: (٦/١٠٧).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة: (١١/٤٤٣)، ولمسلم نحوه: (٤/١٧٩٩، ح ٢٣٠١) في الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(٥) أخرجه البخاري: (١١/٣٦٤، ح ٦٥٧٩) في الرقاق: باب ذكر الحوض، ومسلم: (٤/١٧٩٣، ح ٢٢٩٢) في الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ.





رسول الله، ما سعة حوضك؟ قال: «كما بين عدن إلى عمان، وأن فيه مثعبين، من ذهب وفضة»، قال: فما حوضك يا رسول الله؟ قال: **«أشد بياضاً من اللبن وأحلى مذاقه من العسل، وأطيب رائحة من المسك من شرب منه لم يظمأ أبداً ولم يسودّ وجهه أبداً»**[1].

٣- ريحه:

رائحة ماء الحوض أطيب من المسك، ويدل لذلك حديث يزيد الأخنس السلمي المتقدم وحديث ثوبان وحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهم أجمعين.

٤- برودته:

ماء الحوض أبرد من الثلج ويدل لذلك ما رواه ابن حبان عن أبي بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء مسيرة شهر، عرضه كطوله فيها مزرابان ينثعبان من الجنة من ورق وذهب، أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج فيه أباريق عدد نجوم السماء»**[2].

٥- مداده:

يُمدّ الله عز وجل ماء الحوض بنهرين يأتيان من الجنة، ويدل لذلك حديث ثوبان رضي الله عنه وفيه: أن النبي ﷺ سئل عن شرابه فقال: **«أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة»**[3]، وفي لفظ آخر: **«ينبعث فيه ميزابان مدادهما الجنة أحدهما در والآخر من ذهب»**[4].

وفي حديث أبي برزة المتقدم: **«فيها مرزابان ينثعبان من الجنة، من ورق وذهب»**[5].

وبين ابن حبان رحمه الله تعالى أن المثعبين أو الميزابين اللذان يمدان الحوض أحدهما من فضة والآخر من ذهب، وفي لفظ، أحدهما من درّ والآخر من ذهب، ـ لا تضاد بينهما ـ أي في

---

(١) أخرجه أحمد: (٥/٢٥٠، ٢٥١)، وابن أبي عاص في «السنة»: (٧٢٩)، والطبراني في «الكبير»: (٧٦٧٢) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد: (٤/٤٢٤) وأبو داود: (٤/٢٣٨، ح ٤٧٤٩) في السنة: باب في الحوض، وابن أبي عاصم: ـ ٧٢٠)، والحاكم في «المستدرك»: (١/٧٦) وإسناده حسن.

(٣) أخرجه مسلم: (٤/١٧٩٩، ح ٢٣٠١) في الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته وقد تقدم.

(٤) تقدم تخريجه: وانظر «الإحسان»: (١٤/٣٦٧).

(٥) تقدم تخريجه: وانظر «الإحسان»: (١٤/٣٧١).

قوله: «**من فضة**» وفي لفظ «**من در**» لأن أحد المثعبين يكون من ذهب والآخر من فضة قد ركبّ عليه الدر حتى لا يكون بينهما تضاد[1].

٣- آنية الحوض:

يمتليء الحوض من الآنية التي يشرب المؤمنون بها، وهذه الآنية أو الأباريق خلقها الله عز وجل من ذهب إشراقها ولمعانها كالنجوم وعددها أكثر من عدد نجوم السماء ولا مانع عقلي ولا شرعي يمنع من ذلك كما جاءت الأدلة بذلك.

ففي حديث ابن عمرو رضي الله عنهما أن آنيته كنجوم السماء.

وورد في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء أو أكثر**»[2] يعني الحوض، وترجم لهذا الحديث ابن حبان بقوله: (ذكر الإخبار عن وصفة الأواني التي تكون في حوض المصطفى ﷺ)[3].

وفي حديث أنس الآخر به «**وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء**»[4].

٤- عاقبة الشرب من الحوض:

امتن الله عز وجل على من يشرب من حوض النبي ﷺ بأمرين اثنين:

أحدهما: من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا.

الثاني: من شرب منه لم يسوّد وجهه أبدا.

أما عدم الظمأ لمن شرب منه فقد دل عليه حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وفيه: «**من شرب منه لا يظمأ أبداً**»، وأما الأمن من تسويد الوجه فقد دل عليه حديث يزيد بن الأخنس السلمي وفيه: «**من شرب منهم لم يظمأ أبداً ولم يسود وجهه أبداً**»[5] وقد ترجم للحديث ابن حبان بقوله: (ذكر الإخبار بأن من شرب من حوض المصطفى ﷺ أمن تسويد الوجه بعده)[6]. نسأل الله تعالى من فضله العظيم أن نكون ممن يرده.

---

(١) «الإحسان»: (١٤/٣٧١).

(٢) أخرجه مسلم: (١٤/١٨٠، ح٢٣٠٣) في الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٣) الإحسان: (١٤/٣٦٦).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) «الإحسان»: (١٤/٣٦٩).



٥- المذادون عن الحوض:

الذود ذودان كما دلت عليه كثير من الأحاديث في الحوض.

١- ذود عام يشمل جميع الناس من غير أمة محمد ﷺ، ويدل لذلك حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا فرطكم بين أيديكم، فإن لم تجدوني، فأنا على الحوض ما بين أيلة إلى مكة، وسيأتي رجل ونساء بآنية وقرب ثم لا يذوقون منه شيئاً**»[١].

وقد أوضح ابن حبان رحمه الله هذا الحديث فقال: قوله ﷺ: «**وسيأتي رجال ونساء بآنية وقرب ثم لا يذوقون منه شيئاً» أريد به من سائر الأمم الذي قد غفر لهم يجيئون بأواني ليستقوا بها من الحوض فلا يسقون منه، لأن الحوض لهذه الأمة خاص دون سائر الأمم، إذ محال أن يقدر الكافر والمنافق على حمل الأواني والقرب في القيامة لأنهم يساقون إلى النار، نعوذ بالله من ذلك**»[٢].

وقول ابن حبان هذا واضح في أن من كان من غير أمة ﷺ فإنه يذاد عن الحوض إذا كان من أتباع الأنبياء قبله ممن آمن بنبيه الذي بعث فيهم، أما الكافر فإنهم يساقون إلى النار والعياذ بالله تعالى فلا يردون الحوض أبدا.

كما أنه كلام المتقدم يُشعر بأنه يرى أن الحوض خاص بالنبي ﷺ دون سائر الأنبياء ولكن ثبت في أحاديث أخرى أن لكل نبي حوضا، فعن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيّهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة**»[٣].

وما دام أن الحديث قد ثبت فهو حجة لمن ذهب إلى أن لكل نبي حوضا وهو الصحيح.

والحكمة من هذا الذود المذكور كما قال ابن حجر رحمة الله: أنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه على ما تقدم من أن لكل نبي حوضا أو أنهم يتباهون بكثرة من تبعهم، فيكون ذلك من جملة انصافه ﷺ ورعاية لإخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء، ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض، والعلم عند الله تعالى[٤]. أ.هـ

---

(١) أخرجه أحمد: (٣/٣٨٤) والآجرى في «الشريعة»: (٣٥٧)، والبزار في «مسنده»: (٣٤٨١) وإسناده صحيح.

(٢) «الإحسان»: (١٤/٣٦٠، ٣٦١).

(٣) أخرجه الترمذي: (٧/١٥٤، ح ٢٤٤٥) في صفة القيامة: باب ما جاء في صفة الحوض، والطبراني في «الكبير»: (٦٨٨١) وسنده حسن.

(٤) «فتح الباري»: (١١/٤٧٤).

٢- ذود خاص: لأناس من أمة محمد ﷺ ويشهد لذلك ما أخرجه ابن حبان عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه» فقيل يا رسول **الله**، وتعرفنا؟ قال: «نعم تردون على غراً محجلين من آثار الوضوء ليس لأحد غيركم»(١).

ويشهد له أيضاً ما أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أني قد رأيت إخواننا» قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: «بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطهم على الحوض» قالوا: يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: «**أرأيت لو كان لرجل خيل غُرٌّ محجلة في خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم، ألا هلم ألا هلم، فيقال: إنهم بدّلوا بعدك، فأقول فسحقاً، فسحقاً، فسحقاً**»(٢).

وقد اختلف العلماء في تحديد المذادين عن الحوض من أمة محمد ﷺ على ثلاثة أقوال:

أحدهما: قيل إنهم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ ممن أسلموا في حياته ولم يخالط الإيمان قلوبهم فقد كان أكثر الذين أسلموا بعد فتح مكة يسلمون عن طريق وفودهم دون أن يفهموا الإسلام على حقيقته، كبني حنيفة وبني أسد وتميم وغيرهم.

قال الفربري(٣) رحمه الله تعالى: ذكر عن أبي عبدالله ـ يعني البخاري ـ عن قبيصة قال: هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه(٤).

وعلق ابن حجر على قول قبيصة المتقدم فقال: أي أنه حمل قوله: «من أصحابي» باعتبار ما كان قبل الردة لا أنهم ماتوا على ذلك، ولاشك أن من ارتد سلب اسم الصحبة، لأنها نسبة شريفة إسلامية فلا يستحقها من ارتد بعد أن اتصف بها(٥).

---

(١) أخرجه مسلم: (١/٢١٨، ح ٢٤٨) في الطهارة: باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.
(٢) أخرجه مسلم: (١/٢١٨، ح ٢٤٩) في الطهارة: باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.
(٣) هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري راوي «الجامع الصحيح» عن البخاري، كان ثقة ورعاً توفي سنة ٣٢٠هـ وقد أشرف على التسعين انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٥/١٠)، «وفيات الأعيان»: (٤/٢٩).
(٤) «فتح الباري»: (٦/٤٩٠).
(٥) المصدر السابق: (٦/٤٩٠).







وقال القاضي عياض فيما نقله النووي عند تعليقه على رواية: (« أصحابي، أصحابي »: هذا دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم: « سحقا، سحقا »، ولا يقول ذلك في مذنبي الأمة، بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم)[١].

وقال السفاريني رحمه الله: (لا ريب أن كثيراً من الأعراب، ومن بني حنفية، ومن بني تميم، ممن كان قد أسلم ووفد على النبي ﷺ قد ارتد لما توفي النبي ﷺ، فقاتلهم الصديق الأعظم، وأمر خالد بن الوليد فانكأ فيهم، فقتل من قتل، ومنهم من حرق، ومنهم من رجع إلى الإسلام فالحديث ـ أي حديث الحوض ـ من أعلام النبوة، وبالله التوفيق)[٢].

ويظهر والله أعلم أن من ارتد بعد وفاة النبي ﷺ ممن يدخل دخولاً أولياً في الذين يذادون عن حوضه ﷺ.

الثاني: وقيل: إن المراد بهم المنافقون:

لأنهم يحشرون مع المؤمنين يوم القيامة، وعليهم سيما الغرة والتحجيل لتسترهم بالإيمان في دار الدنيا ولأثر وضوئهم مع المؤمنين فيناديهم الرسول ﷺ للسيما التي عليهم ويظنهم مؤمنون حقا، فيقال: ليس هؤلاء ممن وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك: أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

فالمنافقون الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ كانوا يظهرون الإسلام، ولم يكن يعلمهم كلهم بدليل قوله تعالى: ﴿ **ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم** ﴾[٣].

الثالث: وقيل إن المراد بهم أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام.

قال ابن عبدالبر فيما حكاه عن النووي: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين، من الخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق المعلنون بالكبائر ـ قال ـ: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم[٤].

---

(١) « شرح النووي على صحيح مسلم »: (١٥/ ٦٤).
(٢) « شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد » للسفاريني: (١/ ٥٤١).
(٣) سورة التوبة: الآية ١٠١.
(٤) « شرح النووي على صحيح مسلم »: (٣/ ١٣٧).

وقال القرطبي رحمه الله: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر والمستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع.

ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد وعلى هذا التقرير يكون نور الوضوء يعرفون به ثم يقال لهم: سحقا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سحقاً سحقاً، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

وقد يقال: من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر إنه وإن ورد الحوض وشرب منه، فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش والله أعلم[1].

الحوض والكوثر:

اختلف العلماء فيهما، هل هما شيء واحد أو هما شيئان مختلفان؟

أما ابن حبان رحمه الله تعالى فقد ذهب إلى أن الكوثر غير الحوض بقرينه سياقه لأحاديث الكوثر في غير موضع سياقه لأحاديث الحوض، ثم إن في أحاديث الكوثر التصريح بأنه في الجنة، ومن تلك الأحاديث التي أوردها ابن حبان أن الكوثر غير الحوض ما يلي:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قرأ: **﴿إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر﴾**[2] ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **«الكوثر نهر في الجنة يجري على وجه الأرض حافتاه قباب الدر»** قال ﷺ: **«فضربت بيدي فإذا طينه مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ»**[3].

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«دخلت الجنة، فإذا بنهر**

---

(١) «التذكرة»: (١/٣٧٤).

(٢) سورة الكوثر: الآيات ١-٣.

(٣) أخرجه أحمد: (٣/١٥٢) وإسناده صحيح.



حافتاه من اللؤلؤ فضربت بيدى مجرى الماء فإذا مسك أذفر، فقلت يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا الكوثر أعطاكه الله، وأعطاك ربك»[١]، وترجم له بقوله: (ذكر وصف المصطفى ﷺ الكوثر الذي خصه الله جل وعلا بإعطائه إياه في الجنة)[٢].

فالحديث صريح في أن نهر الكوثر في الجنة، أما الحوض فإنه في عرصات القيامة.

قال القرطبي في وصف مكان الحوض: (ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة على مسامتة هذه الأقطار أو في المواضع التي تكون بدلا من هذه المواضع في هذه الأرض، وهي أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تطهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء)[٣].

ومما يستدل به عن أن الكوثر غير الحوض أن الحوض يُمد ماؤه من الجنة كما ورد بذلك حديث ثوبان رضي الله عنه وفيه قول النبي ﷺ لما سئل عن شرابه فقال: «**أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل ينبعث فيه ميزابان مداهما الجنة أحدهما در والأخر ذهب**»[٤]، وقد ترجم ابن حبان لهذا الحديث بقول: (ذكر البيان بأن الكراع الذي تقدم ذكرنا له حيث ينصب إلى الحوض يمد ماؤه من الجنة)[٥].

وفي حديث أبي برزة رضي الله عنه، قوله ﷺ في وصف الحوض: «**فيها مزرابان ينثعبان من الجنة من ورق وذهب ..**»[٦] الحديث. فهذا الحديث يفيد أن ماء الحوض يأتي من نهر الكوثر الذي في الجنة بواسطة ميزابان أحدهما من ورق والآخر من ذهب، وبهذا يتضح أن الكوثر والحوض شيئان مختلفان، أحدهما غير الآخر، والاتفاق في صفات الماء بينهما لا يجعلهما شيئاً واحداً بل لأن الحوض يُمد من الكوثر فاتفقا في بعض تلك الصفات.

وممن ذهب إلى أن الكوثر هو الحوض عطاء رحمة الله، كما ذكر ذلك عنه ابن جرير[٧]، وهو محجوج بالأحاديث المصرحة بالتفريق بينهما.

---

(١) أخرجه أحمد: (٣/١٠٣) وابن أبي شيبة: (١١/٤٣٧) وهنا د بن السري في «الزهد»: (١٣٤) وأبو نعيم في «صفة الجنة»: (٣٢٧) وإسناده صحيح.

(٢) «الإحسان»: (١٤/٣٩٠).

(٣) «التذكرة»: (١/٣٧١).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) «الإحسان»: (١٤/٣٦٧).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) «تفسير الطبري»: (٣٠/٣٢٣).

المطلب الخامس: الشفاعة

تعريف الشفاعة:

أولا: في اللغة:

قال ابن الأثير في النهاية، قد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، يقال: شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع، والمشفِّع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع: الذي تقبل شفاعته[١].

فالشفاعة هي طلب الخير للغير

قال في اللسان: والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره.

وشفع إليه: في معنى طلب إليه.

والشافع: الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب[٢].

ثانيا: في الاصطلاح:

عرفها السفاريني بقوله: الشفاعة لغة: الوسيلة والطلب، وعرفا سؤال الخير للغير كذا عرفها بعضهم والحق أنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر، فكأن الشافع ضم إلى سؤال المشفوع له، ومن شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع، والمشفع الذي يقبل الشفاعة والمشفَّع الذي تقبل شفاعته[٣].

وعرفها الشيخ ابن عثيمين بقوله: والشفاعة: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة[٤].

وشفاعة النبي ﷺ مما تواترت به الأخبار وصحت به الآثار وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة من الخوارج والمعتزلة.

آراء ابن حبان في الشفاعة:

من الشفاعات التي تواترت بها الأحاديث النبوية وأجمع عليها أهل السنة والجماعة ـ شفاعة النبي ﷺ في إخراج أهل الكبائر ممن دخل النار من أمة محمد ﷺ.

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٩/ ٤٨٥).

(٢) لسان العرب: (٨/ ١٨٤).

(٣) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/ ٢٠٤).

(٤) «شرح العقيدة الواسطية»: (٢/ ٥٨٣).



وقد أثبت ابن حبان رحمه الله هذه الشفاعة وقررها ورد على المخالفين فيها من الخوارج والمعتزلة في ضوء الأحاديث التي تقرر هذه الشفاعة، ومن هذه الأحاديث:

١- ما روى عن جابر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»**[1]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن الشفاعة هي الدعوة التي أخرجها ﷺ لأمته في العقبىٰ)[2].

٢- وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لكل نبي دعوة يدعو بها وإني أخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»**[3].

وأوضح رحمه الله أن هذه الدعوة التي أخرها هي شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من هذه الأمة ممن أكثر الإقدام على الكبائر في الدنيا، واستدل لذلك بما رواه عن جابر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**[4]، وترجم له في موضع آخر بقوله: (ذكر إثبات الشفاعة في القيامة إنما تكون لأهل الكبائر من هذه الأمة)[5]، وترجم له في موضع آخر بقوله: (ذكر إثبات الشفاعة في القيامة لمن يكثر الكبائر في الدنيا)[6].

كما أنه رحمه الله لم يقتصر على بيان القول الصحيح في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة فحسب، بل إنه أنكر على من أوّل الأحاديث الواردة في الشفاعة بأن المراد بها استغفاره ﷺ لأمته في الدنيا، فخطأ هذا القول وبين أن هذه الشفاعة تكون في الآخرة واستدل لذلك بما رواه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»**[7]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من أبطل شفاعة المصطفى ﷺ لأمته في القيامة زعم أن الشفاعة هو استغفاره لأمته في الدنيا)[8].

(١) أخرجه مسلم: (١/١٩٠، ح ٢٠١) في الإيمان: باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته.

(٢) «الإحسان»: (١٤/٣٧٣).

(٣) أخرجه البخاري: (١١/٩٦، ح ٦٣٠٤) في الدعوات: باب لكل نبي دعوة، ومسلم: (١/١٨٩، ح ١٩٨) في الإيمان: باب اختباء النبي ﷺ دعوته شفاعة لأمته.

(٤) أخرجه الترمذي: (٧/١٥١، ٢٤٣٨) في صفة القيامة: باب ما جاء في الشفاعة، وابن ماجه: (٢/١٤٤١، ح ٤٣١٠) في الزهد: باب ذكر الشفاعة، والحاكم: (١/٦٩) والآجري في «الشريعة»: (ص ٣٣٨) وإسناده صحيح.

(٥) «الإحسان»: (١٤/٣٨٦).

(٦) «الإحسان»: (١٤/٣٨٧).

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) «الإحسان»: (١٤/٣٨٨).

الشفاعة المنفية عند ابن حبان:

مما قرره ابن حبان في إثبات الشفاعة أنها لا تنال من أشرك بالله، وهذا يعني أنه يثبت الشفاعة لأهل التوحيد وإن ارتكبوا من الذنوب ما ارتكبوا سوى الشرك بالله تعالى.

واستدل لهذا الأمر بما رواه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: بعث إلى الأحمر والأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، ونصرت بالرعب، فيرعب العدو من مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجدا، وقيل لي: سل تعطه، واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي في القيامة، وهي نائلة - إن شاء الله - لمن لم يشرك بالله شيئاً»[1]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن قوله ﷺ: «شفاعتي لأمتي» أراد به من لم يشرك بالله منهم دون من أشرك)[2].

واستدل أيضاً بما أخرجه عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: عرّس بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة: فافترش كل رجل منا ذراع راحلته فانتبهت في بعض الليل فإذا ناقة رسول الله ﷺ ليس قدامها أحد، فانطلقت أطلب رسول الله ﷺ، فإذا معاذ بن جبل وعبدالله بن قيس قائمان، قال: قلت: أين رسول الله؟ قالا: ما ندري، غير أنا سمعنا صوتا بأعلى الوادي، فإذا مثل هدير الرحىٰ، فلم نلبث إلا يسيراً حتى أتانا رسول الله ﷺ فقال: «إنه أتاني الليلة آت من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة؟ وإني اخترت الشفاعة» فقلنا: يا رسول الله ننشدك الله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك، قال: «فإنكم من أهل شفاعتي» قال: فأقبلنا إلى الناس فإذا هم فزعوا وفقدوا نبيهم ﷺ، قال النبي ﷺ: «إنه أتاني الليلة آت فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، وإني اخترت الشفاعة» فقالوا: يا رسول الله: ننشدك الله لما جعلتنا من أهل شفاعتك. فقال رسول الله ﷺ: «إني أشهد من حضر أن شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً من أمتي»[3].

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن ابن حبان رحمه الله يسلك منهج أهل السنة والجماعة

---

(١) أخرجه أحمد: (٥/١٤٨)، والحاكم: (٢/٤٢٤)، وأورده الهيثمي في «المجمع»: (٨/٢٥٩) ونسبه إلى أحمد وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) «الإحسان»: (١٤/٣٧٥).

(٣) أخرجه أحمد: (٦/٢٨)، والترمذي: (٧/١٥٣، ح ٢٤٤٣) في صفة القيامة، والطبراني في «الكبير»: (١٨/١٣٤)، والحاكم: (١/٦٧) وإسناده صحيح.



في إثبات الشفاعة لعصاه الموحدين وإخراجهم من النار، ويتفق معهم في تقرير ذلك.

قال الطحاوي رحمه الله: (والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار)(١).

وقال ابن أبي العز رحمه الله في شرح قول الطحاوي هذا: النوع الثامن: شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا في ذلك جهلا منهم بصحة الأحاديث وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته(٢).

وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً، وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرات.

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول لله لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر.

وقال ابن قدامة رحمه الله: ويعتقد أهل السنة ويؤمنون أن النبي ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم شفاعة عامة، ويشفع في المذنبين من أمته فيخرجهم من النار بعدما احترقوا(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات ... إلى أن قال: وأما الشفاعة الثالثة، فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها(٥).

أدلة أهل السنة والجماعة على إثبات الشفاعة لأهل الكبائر:

استدل أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه من إثبات الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة بنصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية.

أما الكتاب:

١- قوله تعالى: **﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله**

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٢٠٢).

(٢) المصدر السابق: (ص ٢٠٦).

(٣) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (ص ٥٨).

(٤) «الاقتصاد في الاعتقاد» لابن قدامة: (ص ١٦٤).

(٥) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١٥٠-١٥١).

لمن يشاء ويرضى ﴾[١].

٢- قوله تعالى: ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ﴾[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾[٣].

أما السنة:

فإن الأحاديث التي أوردها ابن حبان رحمه الله في تقريره هذه الشفاعة، هي الأحاديث التي يوردها أهل السنة والجماعة في مصنفاتهم في العقيدة التي يقررون فيها هذه الشفاعة.

وخلاصة القول إذا أن ابن حبان رحمه الله يتفق مع أهل السنة والجماعة في إثبات هذه الشفاعة ويسلك سبيلهم في تقريرها مستنداً في ذلك إلى ما تواترت به الأخبار وصحت به الآثار واتفق عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

المطلب السادس: الصراط

تعريفه في اللغة: الطريق الواضح.

تعريفه في الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون، فهو قنطرة بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم[٤].

وقد أورد ابن حبان رحمه الله تعالى الدالة إثبات الصراط، وترجم لها بما يفيد إثباته له وإيمانه به، ومن تلك الأحاديث التي أوردها:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ليمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف الناس يميناً وشمالاً، وبجنبتيه ملائكة يقولون: اللهم سلم سلم، فمن الناس من يمرّ مثل الريح، ومنهم من يمرّ مثل الفرس المجُرى ومنهم من يسعى سعيا، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم من يزحف زحفاً ...»[٥] الحديث.

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت قول الله جل وعلا: ﴿ يوم

---

(١) سورة النجم: الآية ١٦.

(٢) سورة طه: الآية ١٠٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٤) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/١٨٩).

(٥) أخرجه أحمد: (٣/٢٦)، وأبو يعلى في «مسنده»: (١٢٥٣) وإسناده صحيح.





تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾ أين يكون الناس يومئذ؟ قال: «**على الصراط**»[١].

فهذان الحديثان اللذان رواهما ابن حبان وغيره دليل صريح على إثبات الصراط ووجوب الإيمان به كما هو مذهب أهل الحق ـ أهل السنة والجماعة ـ من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال شارح الطحاوية رحمه الله في بيان معتقد أهل السنة والجماعة في الصراط: (ونؤمن بالصراط وهو جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط كما قالت عائشة رضي الله عنها)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية: (والصراط منصوب على جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمركالريح، ومنهم من يمر كالفرس، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدوا عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف خطفا، ويلقى في نار جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مرّ على الصراط دخل الجنة فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص بعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة)[٣].

وابن ابن أبي زمنين رحمه الله: (وأهل السنة يؤمنون بالصراط وأن الناس يمرون عليه يوم القيامة على قدر أعمالهم)[٤].

وقال السفاريني رحمه الله: (اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كون جسرا ممدوداً على متن جهنم، أحدّ من السيف وأدق من الشعر، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبدالجبار المعتزلي، وكثير من أتباعه زعما منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة وطريق النار).

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ٢١٥٠، ح ٢٧٩١) في صفة القيامة والجنة والنار: باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة.

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٤١٤).

(٣) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١٥٣-١٥٥).

(٤) «أصول السنة»: (ص ١٦٨).

ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها، وهذا كله باطل وخرافات لوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء والوقوف فيه، وقد أجاب ﷺ عن سؤال الحشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك[1].

وقال ابن رجب رحمه الله في وصف مرور الناس على الصراط: (واقتسام المؤمنين الأنوار على حسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة وكذلك مشيهم على الصراط في السرعة والبطء، وذلك أن الإيمان والعمل الصالح في الدنيا هو الصراط المستقيم في الدنيا الذي أمر الله العباد بسلوكه والاستقامة عليه وأمرهم بسؤال الهداية إليه فمن استقام سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا ظاهراً وباطناً استقام مشيه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم، ومن لم يستقم سيره علىٰ هذا الصراط المستقيم في الدنيا بل انحرف عنه إما إلى فتنة الشبهات أو إلى فتنة الشهوات كان اختطاف الكلاليب له على صراط جهنم بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له عن هذا الصراط المستقيم كما في حديث أبي هريرة أنها تخطف الناس بأعمالهم)[2].

وخلاصة القول أن ابن حبان رحمه الله يثبت الصراط كما وردت به الأحاديث الصحيحة غير متأول له موافقاً بذلك أهل السنة والجماعة كما تقدم.

المطلب السابع: صفة الجنة

وجود الجنة والنار:

مما قرره ابن حبان في صحيحه وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان كما نطقت بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقد أورد جملة الأحاديث التي تدل على ذلك ومنها على سبيل المثال:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الجنة، قال: يا جبريل، اذهب وانظر إليها، فذهب فنظر، فقال: يارب، وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فحفها بالمكاره، ثم قال: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فقال: يارب لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، فلما خلق الله النار، قال: يا جبريل، اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها، فقال: يارب،**

---

(١) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/١٩٣).

(٢) «التخويف من النار»: (ص ٢٤٠).



وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال: يارب، وعزتك لقد خشيت أن لا يبقىٰ أحد إلا دخلها»(١).

٢- عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فذكر حديث الإسراء وفيه: **«ثم انطلق بي حتى أتىٰ سدرة المنتهىٰ، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»**(٢).

٣- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»(٣).

٤- عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نظرت إلى الجنة فإذا أكثر أهلها المساكين، ونظرت في النار فإذا أكثر أهلها النساء وإذا أهل الجد محبوسون، وإذا الكفار قد أمر بهم إلى النار»(٤).

وقال عقب هذا الحديث: اطلاعه ﷺ إلى الجنة والنار معا كان بجسمه ونظره العيان تفضلا من الله جل وعلا عليه وفرقا فرق به بينه وبين سائر الأنبياء(٥).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يارب، أكل بعضي بعضا، فنفسّني، فجعل لها في كل عام نفسين في الشتاء والصيف، فشدة البرد الذي تجدون من زمهريرها، وشدة الحر الذي تجدون من حر جهنم»(٦).

والأحاديث في إثبات وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان كثيرة جداً، وما قرره ابن حبان رحمه الله تعالى في هذه المسألة هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة.

---

(١) اخرجه أحمد: (٢/٣٣٢)، وأبو داود: (٤/٢٣٦، ح ٤٧٤٤) في السنة: باب في خلق الجنة والنار، والترمذي: (٧/٢٣٧، ح ٢٥٦٣) في صفة الجنة، والنسائي: (٧/٣، ٤) في الإيمان: باب الحلف بعزة الله تعالى وإسناده حسن ولمسلم ونحوه.

(٢) أخرجه مسلم: (١/١٤٨، ح ١٦٣) في الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(٣) أخرجه البخاري: (١١/٤١٥، ح ٦٥٤٦) في الرقاق: باب صفة الجنة والنار، ومسلم: (٤/٢٠٩٦، ح ٢٧٣٧) في الذكر والدعاء والتوبة: باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء.

(٤) أخرجه البخاري: (١١/٤١٥، ح ٦٥٤٧) في الرقاق: باب صفة الجنة والنار، ومسلم: (٤/٢٠٩٦، ح ٢٧٣٦) في الذكر والدعاء والتوبة: باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء.

(٥) «الإحسان»: (١٦/٤٩٤).

(٦) أخرجه البخاري: (٢/١٨، ح ٥٣٧) في مواقيت الصلاة: باب الإبراد بالظهر في شدة الحر، ومسلم: (١/٤٣١، ح ٦١٧) في المساجد: باب استحباب الابراد بالظهر في شدة الحر.

١- قال الطحاوي رحمه الله تعالى: (والجنة والنار مخلوقتان لا تنفيان أبداً ولا تبيدان فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ منه)[١].

٢- وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله تعالى: (ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما باقيتان لا تفنيان أبدا، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدا، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها لا يخرجون أبدا)[٢].

٣- وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك - أي أن الجنة والنار مجودتان - وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم. فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فانكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت: بل الله ينشئها يوم المعاد، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها، ... فحجروا على الرب تبارك وتعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا وضللوا وبدعوا من خالفهم، والتزاموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء)[٣].

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم: أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها.

٤- وقال ابن أبي زمنين رحمه الله: (ومن قول أهل السنة أن الجنة والنار قد خلقتا، ثم ساق الآيات والأحاديث الدالة على ذلك)[١].

٥- وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى في كتابه «مقالات الإسلاميين»: (جملة ما

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٤٢٠).

(٢) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (ص ٦٤).

(٣) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/ ٢٣٠-٢٣١).

(٤) «أصول السنة»: (ص ١٣٤).



عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء عن الله تعالى وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون شيئاً من ذلك ... ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان)[١].

٦- وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: (والجنة والنار موجودتان الآن، فالجنة معدة للمتقين والنار معدة للكافرين كما نطق بذلك القرآن العظيم وتواترت بذلك الأخبار عن رسول رب العالمين، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة والمتمسكين بالعروة الوثقى وهي السنة إلى قيام الساعة خلافاً لمن زعم أن الجنة والنار لم تخلقا بعد، وإنما تخلقان يوم القيامة، وهذا القول صدر ممن لم يطلع على الأحاديث المتفق على إخراجهما في الصحيحين وغيرهما من كتب الإسلام المعتمدة المشهورة بالأسانيد الصحيحة والحسنة مما لا يمكن دفعه ولا رده لتواتره واشتهاره)[٢].

وكلام السلف وتقريرهم لإثبات وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان ولا تفنيان كثير جداً لا يحويه هذا المقام فإنه مما لا نزاع فيه بين أهل السنة قاطبة وإجماعهم منعقد عليه.

صفة الجنة عن ابن حبان:

من الإيمان باليوم الآخر - الإيمان بالجنة - الدار التي أعدها الله تعالي لأوليائه الذين سلكوا الصراط المستقيم فصدقوا رسله ونصروا دينه وعملوا بطاعته.

وقد وصف الله الدار التي أعداها لأوليائه بما يبهر العقول ويأخذ بمجامع القلوب، فهي كما قال الله تعالى: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾[٣] ووصفها النبي ﷺ فقال: «**فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[٤].

الجنة: الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين.

وأصل اشتقاق اللفظة من الستر والتغطية، ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتاره عن العيون، والمجن لستره ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، والجان الحيّة الصغيرة الدقيقة[٥].

---

(١) «مقالات الإسلاميين»: (ص ٤٧٥).

(٢) «النهاية في الفتن والملاحم»: (٢/٣٩٣، ٣٩٤).

(٣) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٤) أخرجه البخاري: (٦/٣١٨، ح ٣٢٤٤) في بدء الخلق: باب ما جاء في صفة الجنة، ومسلم: (٤/٢٨٢٤) في الجنة وصفة نعيمها.

(٥) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٢٢٥).

وقد أورد ابن حبان رحمه الله كثيراً من الأحاديث التي تتضمن صفة الجنة وما أعد الله تعالى لأهلها فيها، من نعيم مقيم وقرة عين لا تنقطع.

وأعرض فما يلي نماذج مما أورده ابن حبان في صفة الجنة مع بيان موجز لما قاله العلماء في هذه الصفات.

١- درجات الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله ما سألوه الفردوس فهو أوسط الجنة، وهو أعلى الجنة، وفوقه العرش، ومنه تفجر أنهار الجنة»[١]، وقد ترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف درجات الجنات التي أعدها الله جل وعلا لمن أطاعه في حياته)[٢].

فالجنة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، قال الله تعالى: ﴿**ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى**﴾[٣].

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذه المسألة فقال: والجنة درجات متفاضلة، تفاضلا عظيماً، وأولياء الله المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

قال الله تعالى: ﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**﴾[٤].

فبين الله سبحانه وتعالى أن يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه، وأن عطاءه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر، ثم قال تعالى: ﴿**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**﴾.

(١) أخرجه البخاري: (٦/١١، ح ٢٧٩) في الجهاد: باب درجات المجاهدين.
(٢) «الإحسان»: (١٦/٤٠٢).
(٣) سورة طه: الآية ٧٥.
(٤) سورة الإسراء: الآيات ١٨-٢١.







فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا، وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا(١).

وقد بين ابن حبان رحمه الله أن من كان أكثر عملاً في الدنيا فهو أرفع درجة في الجنة، فروى عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة يتراءون الغرفة من غرف الجنة كما ترون الكوكب الدري الغارب في الأفق الشرقي أو الغربي**»(٢)، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن من كان أكثر عملاً في الدنيا كانت غرفته في الجنة أعلى)(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر ـ أو الغائر ـ في الأفق من المشرق أو المغرب**» قالوا: يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)(٤).

وقال القرطبي رحمه الله: (اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال فبعضها أعلى من بعض وأرفع.

وقوله: «**والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**» ولم يذكر عملاً ولا شيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين، ذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعالي الغرفات وأرفع الدرجات وهذا محال.

وقد قال الله تعالى: ﴿**أولئك يجزون الغرفة بما صبروا**﴾، والصبر، بذل النفس والثبات له وقوفاً بين يديه بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين(٥).

وأهل الدرجات العاليات في نعيم أرقى ممن دونهم كما قال تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه**

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (١١/ ١١٨).

(٢) أخرجه أحمد: (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في «الكبير»: (١٨/ ٨٠٨) وإسناده حسن، والبخاري في «صحيحه»: (ح ٦٥٥٥) نحوه.

(٣) «الإحسان»: (١٦/ ٤٠٣، ٤٠٤).

(٤) أخرجه البخاري: (٦/ ٣٢٠، ح ٣٢٥٦) في الرقاق: باب صفة الجنة والنار، ومسلم: (٤/ ٢١٧٧، ح ٢٨٣١) في الجنة وصفة نعيمها: باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف.

(٥) «التذكرة» للقرطبي: (ص ٤٦٤).

جنتان﴾[1] وهاتان الجنتان لمن خافه واتقاه، ثم قال تعالى: **﴿ومن دونهما جنتان﴾**[2]، ومن تأمل صفات هذه الجنان التي أعدها الله لعباده علم أن الجنان بعضها أفضل من بعض ونعيم أهلها أكمل ممن كان دونهما.

٢- خلود أهل الجنة:

أورد ابن حبان رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة خلود ولا موت فيه، ويا أهل النار خلود ولا موت فيه**»[3]، وترجم الحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن أهل الجنة يخلدون فيها إذ الموت غير موجود في الجنة)[4] فالجنة خالدة لا تفنى ولا تبيد وأهلها خالدون فيها كما قال تعالى: **﴿لا يذقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم﴾**[5] قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: هذا الاستثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع، ومعناه أنهم لا يذقون فيها الموت أبدا[6].

وقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من يدخل الجنة، ينعم ولا يبأس ولا تبلىٰ ثيابه ولا يفنى شبابه»[7].

فأهل الجنة لا يموتون فيها لكمال حياتهم وكمالهم في ازدياد من قوة الشباب ونضرة الوجوه وحسن الهيئة وطيب العيش جعلنا الله منهم.

٣- طعام أهل الجنة وشرابهم:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن من نعيم الجنة الذي أعده الله لأوليائه في دار كرامته الأكل والشرب مما يشتهون، واستدل لذلك بما رواه عن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد**

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٤٦.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٦٢.

(٣) أخرجه البخاري: (١١/٤٠٦، ح ٦٥٤٥) في الرقاق: باب يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب.

(٤) «الإحسان»: (١٦/٤٨٥).

(٥) سورة الدخان: الآية ٥٦.

(٦) «تفسير ابن كثير»: (٧/٢٤٦).

(٧) أخرجه مسلم: (٤/٢١٨١، ح ٢٨٣٦) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب في صفات الجنة وأهلها.

والتسبيح كما يلهمون النفس، طعامهم له جشاء وريحهم المسك»[1]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن أهل الجنة لا يكون لهم حالة نقص وتقذر إذ هي دار رفعة وعلاء)[2]، ومذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعما دائماً لا آخر له ولا انقطاع أبدا وان تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا إلا التسمية وأصل الهيئة وإلا فإنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون، وقد دلت دلائل القرآن والسنة على ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أما أهل الجنة فيأكلون ويشربون وينكحون متنعمين بذلك بإجماع المسلمين كما نطق بذلك الكتاب والسنة وإنما ينكر ذلك من ينكره من اليهود والنصارى)[3].

٤- أكمل نعيم أهل الجنة:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن أكمل نعيم أهل الجنة ما يتفضل به المولى جل وعلا في إحلال رضوانه عليهم فلا يسخط عليهم بعده أبدا وأعظم ذلك النعيم النظر إلى وجه الله تعالى الكريم، وهو المزيد الذي أخبر الله تعالى عنه في كتابه بقوله تعالى: ﴿**ولدينا مزيد**﴾[4].

واستدل لذلك بما رواه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يارب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده أبدا»[5]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف رضا الله جل وعلا الذي يتفضل به على أهل الجنة)[6].

---

(١) أخرجه مسلم: (٤/ ٢١٨١، ح ٢٨٣٥) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب في صفات الجنة وأهلها.

(٢) «الإحسان»: (١٦/ ٤٦٢).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٤/ ٣١٦).

(٤) سورة ق: الآية ٣٥.

(٥) أخرجه البخاري: (١٣/ ٤٨٧، ح ٧٥١٨) في التوحيد: باب كلام الرب مع أهل الجنة، ومسلم: (٤/ ٢١٧٦، ح ٢٨٢٩) في الجنة وصفة نعيمها: باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

(٦) «الإحسان»: (١٦/ ٤٧٠).

أما رؤية الله جل وعلا، فقد روى عن صهيب رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾[1]، قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يحب أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه**»[2]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن رؤية المؤمنين ربهم في المعاد من الزيادة التي وعد الله جل وعلا عباده على الحسنى التي يعطيهم إياها)[3].

فرؤية الله جلا وعلا أعظم النعيم الذي يُكرم الله به عباده في دار كرامته.

قال ابن الأثير رحمه الله: (رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة بلغنا الله منها ما نرجو)[4].

ورؤية الله رؤية حقيقية وهذا ما قرره ابن حبان في سياقه للأحاديث الدالة على ذلك.

وقد شنع رحمه الله على تأول هذه الرؤية على أن المراد بها رؤية القلب دون البصر وبين بطلانه بالنصوص الصريحة.

وما قرره ابن حبان رحمه الله في هذه المسألة هو الحق الذي يراه أهل السنة والجماعة.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾[5]، وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه وكل ما جاء في ذلك الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عزوجل ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه[6].

وقد تقدم تقرير ابن حبان لمسألة الرؤية والرد على المخالفين في الباب الأول بما يغني عن التوسع فيه في هذا المبحث.

---

(١) سورة يونس: الآية ٢٦.

(٢) أخرجه مسلم: (١/١٦٣، ح ١٨١) في الإيمان: باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

(٣) «الإحسان»: (١٦/٤٧١).

(٤) «جامع الأصول»: (١٠/٥٥٧).

(٥) سورة القيامة: الآية ٢٣.

(٦) «شرح العقيدة الطحاوية»: (س ١٥٣).





٥- أنهار الجنة وأشجارها:

أورد ابن حبان رحمه الله من الأحاديث النبوية ما قرر به وجود الأنهار والأشجار التي أعدها الله تعالى لأوليائه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي أنهار وأشجار حقيقة خلافا لمن تأولها أما أنهار الجنة فإنها متنوعة فمنها أنهار الماء ومنها أنهار العسل ومنها أنهار الخمر ومنها أنهار اللبن، واستدل على حقيقة ذلك بما روى عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل، وبحر الخمر، وبحر اللبن ثم ينشق منها بعد الأنهار**»[١]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف أنهار الجنة التي أعدها الله جل وعلا للمطيعين من أوليائه)[٢].

وقد وصف الله تبارك وتعالىٰ هذه الأنهار في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿**مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى**﴾[٣] الآية.

قال ابن كثير رحمه الله لهذه الآية: ﴿**فيها أنهار من ماء غير آسن**﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني غير متغير.

﴿**وأنهار من لبن لم يتغير طعمه**﴾، أي: بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة.

﴿**وأنهار من خمر لذة للشاربين**﴾ أي: ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل ﴿**لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون**﴾.

﴿**وأنهار من عسل مصفى**﴾ أي: وهو في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح[٤].

وأما أشجار الجنة فإنها كثيرة طيبة متنوعة خلقت على هيئة عظيمة لا تخطر على القلب البشري دائمة الإثمار والظلال مذللة لأهل الجنة كما قال تعالى: ﴿**وذللت قطوفها تذليلا**﴾[٥].

ومما أورد ابن حبان في أوصاف أشجار الجنة ما يلي:

---

(١) أخرجه الترمذي: (٧/٢٤٥، ح ٢٥٧٤) في صفة الجنة: باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، وأحمد (٥/٥)، والدارمي: (٢/٣٣٧) وإسناده حسن.

(٢) «الإحسان»: (١٦/٩٤٢٤).

(٣) سورة محمد: الآية ١٥.

(٤) «تفسير ابن كثير»: (٧/٢٩٥).

(٥) سورة الإنسان: الآية ١٤.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب»**[١]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن الوصف الذي به خلق الله أصول أشجار الجنة)[٢].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام»**[٣] قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وظل ممدود﴾[٤]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن الوصف الذي به خلق الله أصول أشجار الجنة)[٥].

وأوضح بعد ذلك أن هذه الشجرة هي شجرة طوبى واستدل لذلك بما رواه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال له رجل: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: **«شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»**[٦]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن اسم هذه الشجرة التي تقدم نعتنا لها)[٧].

٣- عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ حدثهم قال: **«رفعت لي سدرة المنتهىٰ فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذن الفيلة، وإذا أربعة أنهر: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات»**[٨]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف سدرة المنتهىٰ التي هي ظلال أهل الجنة)[٩].

وجملة القول أن ابن حبان رحمه الله يتفق مع أهل السنة الجماعة في إثبات ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة من أوصاف الجنة وأن ذلك على الحقيقة وليست أمثالا، ونعيم الجنة دائم

---

(١) أخرجه الترمذي: (٧/ ٢١٠، ح ٢٥٢٧) في صفة الجنة باب ما جاء في صفة الجنة، وابن أبي داود في «البعث» (ح ٦٦)، وإسناده حسن.

(٢) «الإحسان»: (١٦/ ٤٢٥).

(٣) أخرجه البخاري: (٨/ ٦٢٧، ح ٤٨٨١) في تفسير سورة الواقعة، ومسلم: (٢٨٢٦) في الجنة وصفة نعيمها: باب «وإن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها».

(٤) سورة الواقعة: الآية ٣٠.

(٥) «الإحسان»: (١٦/ ٤٢٦).

(٦) أخرجه أحمد: (٣/ ٧١)، وأبو يعلىٰ في «مسنده»: (١٣٧٤)، وإسناده ضعيف.

(٧) «الإحسان»: (١٦/ ٤٢٩).

(٨) أخرجه البخاري: (٦/ ٣٠٣، ح ٣٢٠٧) في بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، ومسلم: (١/ ١٥٠، ح ١٦٤) في الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ.

(٩) «الإحسان»: (١٦/ ٤٣١).



لا يزول ولا يحول، لا يفنىٰ ولا يبيد قال تعالى: ﴿**أكلها دائم وظلها**﴾[1].

قال شارح الطحاوية رحمه الله تعالى: فأما أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد فهذا مما يعلم بالضرورة أن رسول الله ﷺ أخبر به)[2].

المطلب الثامن: صفة النار

من الإيمان باليوم الآخر ـ الإيمان بالنار ـ القرار الذي جعله الله تعالى مستقراً للكافرين بالله تعالى والجاحدين لآياته والمكذبين لرسله.

وجاء كتاب الله عز وجل يصف دار البوار بما يُقطع القلوب ويخيفها ليستقيم العباد على طاعة الله عز وجل ويتقوه بصالح الأعمال، فمن استقام على طاعة الله عز وجل فقد فاز فوزاً عظيماً كما قال تعالى: ﴿**فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**﴾[3]، ومن اتبع هواه وأعرض عن طاعة الله فقد خسر خسراناً مبيناً نعوذ بالله من عذابه وأليم عقابه.

وجاءت السنة النبوية مؤكدة لما جاء في الكتاب العزيز في وصف دار البوار بما لا يطيقه العباد، عن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» قالوا: وما رأيت يا رسول الله قال: «**رأيت الجنة والنار**»[4].

وقد أورد ابن حبان رحمه الله الأحاديث الكثيرة في وصف النار وما أعد لأهلها فيها، مبيناً أن ما تضمنته الأخبار النبوية حقيقة واقعة وليست خيالات ولا تمويهات كما يزعمه الزنادقة والملاحدة ممن لا يؤمن بجنة ولا نار.

وأذكر فيما يلي نماذج من الأحاديث النبوية التي أوردها ابن حبان في صفة النار مع بيان موجز لما قاله أهل العلم في تلك الأحاديث:

١ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ناركم هذه التي توقدون منها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم**»[5]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف النار التي

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٥.

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٤٢٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٤) أخرجه مسلم: (١/٣٢٠، ح ٤٢٦) في الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما.

(٥) أخرجه البخاري: (٦/٣٣٠، ح ٣٢٦٥) في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ومسلم: (٤/١٨٤، ح ٢٨٤٣) في صفة الجنة: باب في شدة حر نار جهنم.

أعدت لمن عصى الله وتمرد عليه في الدنيا)[١].

وقد بين النبي ﷺ أنها من شدة حرها والعياذ بالله تعالى أكل بعضها بعضا فاستأذنت ربها في أن تتنفس فأذن لها بنفسين، نفس في الصيف ونفس في الشتاء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يارب، أكل بعضي بعضا، فنفسني، فجعل لها في كل عام نفسين في الشتاء والصيف، فشدة البرد الذي تجدون من زمهريرها، وشدة البرد الذي تجدون من حر جهنم**»[٢].

قال القرطبي: (ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم) يعني: أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها ابن آدم لكانت جزءا من أجزاء جهنم المذكور بيانه: إنه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار ناراً لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم، الذي هو من سبعين جزءا أشد من حر نار الدنيا كما بينه في آخر الحديث).

١- بعد قعرها:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن حجراً يقذف به في جهنم هوى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها**»[٣]، وترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف القعر الذي يكون لجهنم نعوذ بالله من سكرتها)[٤].

وجاء نحو من هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ يوماً فسمع وجبة فقال النبي ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً، فالآن انتهى إلي قعرها**»[٥].

الوجبة: الهدة وهي صوت وقع الشيء الثقيل.

٢- طعامها وشرابها:

قال الله تعالى في وصف طعام أهل النار وشرابهم: ﴿**إن شجرت الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون**﴾[٦].

---

(١) «الإحسان»: (١٦/٥٠٣).

(٢) أخرجه البخاري: (٣/١٨، ح ٥٣٧) في مواقيت الصلاة: باب لا براد بالظهر في شدة الحر، ومسلم: (١/٤٣١، ح ٦١٧) في المساجد :باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر.

(٣) أخرجه البزار: (٣٤٩٤)، وهناد بن السري في «الزهد»: (٢٥١) وسنده ضعيف، لكن له شواهد يصح بها.

(٤) «الإحسان»: (١٦/٥٠٩).

(٥) أخرجه مسلم: (٤/٢١٨٤، ح ٢٨٤٤) في الجنة: باب في شدة حر نار جهنم.

(٦) سورة الدخان: الآيات ٤٣-٤٥.



وقال تعالى: ﴿ **فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقا** ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ **وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه** ﴾[3].

وقد أورد ابن حبان رحمه الله حديثاً تضمن الإخبار عن طعام أهل النار وشرابهم، فروى عن عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ **فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض لأفسدت على أهل الأرض معيشتهم، فكيف بمن ليس له طعام غيره**»[4]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف الزقوم الذي جعله الله شراب من حاد عنه في دار هوانه)[5].

٣- أهون أهلها عذاباً:

يتفاوت أهل النار في العذاب بحسب تفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار كما قال تعالى: ﴿ **ولكل درجات مما علموا** ﴾[6]، قال ابن عباس رضي الله عنهما، وفق أعمالهم، فليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد في الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك[7].

وقال تعالى: ﴿ **الذين كفروا زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾[8].

وكذلك يتفاوت عذاب عصاة الموحدين في النار بحسب أعمالهم، فليس عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أهل الصغائر، وقد يخفف عن بعضهم العذاب بحسنات أخر له أو بما شاء الله من الأسباب.

وقد بين ابن حبان أهون أهل النار عذابا ممن هو خالد فيها فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل النار عذاباً الذي يجعل له نعلان من نار يغلي منهما

---

(١) سورة الحاقة: الآيتان ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة عمّ: الآيتان ٢٤-٢٥.

(٣) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٤) أخرجه أحمد: (١/٣٠، ٣١)، وابن ماجة: (٢/١٤٤٦، ح ٤٣٢٥) في الزهد: باب صفة النار والترمذي: (٧/٢٥٥، ح ٣٥٨٨) في صفة جهنم: باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، والحاكم: (٢/٢٩٤) وإسناده صحيح.

(٥) «الإحسان»: (١٦/٥١١).

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٣٢.

(٧) «التخويف من النار» لابن رجب الحنبلي: (ص ١٨١-١٨٢).

(٨) سورة النحل: الآية ٨٨.

دماغه»[1]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف العقوبة التي يعاقب بها أدنى أهل النار عذاباً)[2].

وجاء من روايات أخرى بيان المراد به، فروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منعل بنعلين يغلي منهما دماغه»[3].

وروى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفعاتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار تبلغ كعبيه حتى يغلي منهما دماغه»[4].

وإنما خفف العذاب عن أبي طالب لما كان منه من نصرة النبي ﷺ والذب عنه والوقوف معه فخص، من بين الكفار المخلدين في النار بتخفيف العذاب عنه بشفاعة النبي ﷺ وجعلت هذه الشفاعة من خصائص النبي ﷺ لا يشركه فيها غيره.

٤- عظم خلق أهلها:

من عظم ما أعدّ الله للكافرين من العذاب، أن تعظم أجسامه في النار ليكون أنكى لهم في العذاب، وقد أورد ابن حبان بعض الأحاديث التي تدل على ذلك، ومنها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «غلظ الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار وضرسه مثل أحد»[5]، وترجم للحديث قوله: (ذكر وصف غلظ الكافر في النار نعوذ بالله منها)[6].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث»[7]، وترجم له بقوله: (ذكر الإخبار عما يجعل الله غلظ جلود

---

(١) أخرجه أحمد: (٢/٤٣٢)، والدارمي: (٢/٣٤٠)، والحاكم: (٤/٥) وسنده حسن.
(٢) «الإحسان»: (١٦/٥١٣).
(٣) أخرجه مسلم: (٤/١٩٦، ح ٣١٢) في الإيمان: باب أهون أهل النار عذاباً.
(٤) أخرجه البخاري: (١١/٤١٧، ح ٦٥٦١) في الرقاق: باب صفة الجنة والنار، ومسلم: (٤/١٩٥، ح ٢١٠) في الإيمان: باب شفاعة النبي ﷺ لابي طالب والتخفيف عنه بسببه.
(٥) أخرجه ابن ابي عاصم في «السنة»: (٦١٠)، والترمذي: (٧/١٤٩، ح ٢٥٨٠) في صفة جهنم: باب ما جاء في عظم أهل النار، والحاكم في المستدرك: (٤/٥٩٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: (ص ٣٤٢)، وإسناده صحيح.
(٦) «الإحسان»: (١٦/٥٣١).
(٧) أخرجه مسلم: (٤/٢١٨٩، ح ٢٨٥١) في الجنة وصفة نعيمها: باب النار يدخلها الجبارون.



الكافر في النار به)[1].

قال ابن كثير معلقاً على ما أورده من أحاديث في وصف عظم أهل النار: ليكون ذلك أنكىٰ لعذابهم، وأعظم في تعبهم ولهيبهم كما قال شديد العقاب: (ليذوقوا العذاب)[2].

وقد فسر ابن حبان قوله ﷺ: «بذراع الجبار» فقال: الجبار ملك باليمن يقال له: الجبار[3].

وقال البيهقي في تفسير: «ذراع الجبار»: أراد بذلك التهويل يعني بلفظ الجبار .. قال: ويحمل أن يكون جباراً من الجبابرة إشارة إلى عِظَم الذراع[4].

وقال الشيخ أبو بكر بن إسحاق شيخ الحاكم: (معنى قوله «بذراع الجبار» أي: جبار من جبابرة الآدميين ممن كان في القرون الأولى ممن كان أعظم خلقاً وأطول أعضاءاً وذراعاً من الناس)[5].

وهذه الأقوال في تفسير: «بذراع الجبار» لا دليل على شيء منها، والأولى إمرار الحديث كما جاء وترك الأقوال وترك التكلف في بيان معنى ذراع الجبار والله أعلم بمراد رسوله ﷺ.

ومما يجب على المكلف ترك الحوض في مثل هذه الإخبار والتصديق والإقرار بها والابتعاد عن تأويلها، قال النووي رحمه الله تعالى في معنى قوله ﷺ: «**ضرس الكافر مثل أحد** ..» الحديث. مسيرة ثلاث: هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لأخبار الصادق به ﷺ[6].

٥- أكثر أهلها:

أهل النار الذين هم أهلها على الحقيقة هم الذين يخلدون فيها، ولهم أعدت كما قال تعالى: ﴿**أعدت للكافرين**﴾[7].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فلا**

---

(١) «الإحسان: (١٦/٥٣٢).
(٢) «النهاية في الفتن والملاحم»: (٢/١٣٩).
(٣) «الإحسان»: (١٦/٥٣٢).
(٤) «الأسماء والصفات للبيهقي»: (٣٤٢).
(٥) «المستدرك» للحاكم: (٤/٣٤٢).
(٦) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٧/١٨٦).
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٤.

يموتون فيها ولا يحيون»[1]، وهؤلاء أهلها الخالدون فيها هم أكثر ممن يدخلها من عصاة الموحدين الذين يخرجون فيها بعد أن يهذبوا وينقوا، ويدل على ذلك ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم: فيقول لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار من ذريتك قال: يارب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون** ..»[2] الحديث. فهذا الحديث وغيره يدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار، وتدل على أن اتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم.

فأما عصاة الموحدين فاكثر من يدخل النار منهم النساء، كما روى ابن حبان عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ النساء بالصدقة وحثهن عليها فقال: «**تصدقن، فإنكن أكثر أهل النار**» فقالت امرأة منهن: بم ذلك يا رسول الله؟ قال: «**لأنكن تكثرن اللعن وتسوفن الخير وتكفرن العشير**»[3]، وترجم له بقوله: (ذكر الإخبار عن وصف بعض الناس الذين يكونون أكثر أهل النار في العقبىٰ)[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[5].

قال القرطبي: (إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرها إلى الأخرىٰ فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها ولميلهن إلى الدنيا والتزين لها، ومع ذلك هي أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الآخرة لما فيهن من الهوى والميل لهن، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن صارفات عنها لغيرهن سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين، عسيرات الإجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى وأعمالها من المتقين)[6].

ومن أكثر من يدخلها الجبارون والمتكبرون فقد روى ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه،

---

(١) أخرجه مسلم: (١/١٧٢، ح ١٨٥) في الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٣١٠٩)، وأورده الهيثمي في «المجمع»: (٤/٣١٤) ونسبه للطبراني وضعفه بيزيد ابن رافع وأصل الحديث في صحيح البخاري: (ح ١٤٦٢)، ومسلم: (٨٠) دون قوله: «وتسوفن الخير».

(٤) «الإحسان»: (١٦/٥٢٠).

(٥) أخرجه مسلم: (٤/٢٠٩٦، ح ٢٧٣٧) في الذكر والدعاء والتوبة: باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء.

(٦) «التذكرة»: (١/٣٦٩).



عن النبي ﷺ قال: «اختصمت الجنة والنار، فقالت النار: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: يدخلني ضعفاء الناس وأسقاطهم، فقال الله للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»[1]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن أكثر أهل النار ـ يكون ـ المتكبرون والجبارون)[2].

٦- خلود أهلها فيها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، أتي بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**»[3]، وترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن غير المسلمين إذا دخلوا النار يرفع الموت عنهم ويثبت لهم الخلود فيها)[4].

ثم أوضح رحمه الله بأن قول المنادي: «يا أهل النار لا موت» إنما يكون بعد خروج الموحدين منها، واستدل على ذلك بما رواه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لأعلم آخر أهل الجنة خروجاً من النار، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله له: اذهب فأدخل الجنة، فيأتيها، فيخيّل إليه أنها ملأى فيقول: يارب قد وجدتها ملأى، فيقول له: اذهب فارجع فادخل الجنة، فيأتيها فيُخيّل إليه أنها ملأى، فيرجع إليه، فيقول: يارب قد وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فأدخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي، أو تضحك بي وأنت الملك**» قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه[5].

قال إبراهيم: وكان يقال: إن ذلك الرجل أدنى أهل الجنة منزلة.

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/٤٣٤، ح ٧٤٤٩) في التوحيد: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾، ومسلم: (٤/٢١٨٦، ح ٢٨٤٦) في الجنة: باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٢) «الإحسان»: (١٦/٥١٩).

(٣) أخرجه البخاري: (١١/٤١٥، ح ٦٥٤٨) في الرقاق: باب صفة الجنة والنار، ومسلم: (٤/١٨٩، ح ٢٨٥٠) في الجنة وصفة نعيمها: باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٤) «الإحسان»: (١٦/٥١٥).

(٥) أخرجه البخاري: (١١/٤١٨، ح ٦٥٨١) في الرقاق: باب صفة الجنة والنار، ومسلم: (١/١٧٣، ح ١٨٦) في الإيمان: باب آخر أهل النار خروجاً.

وخلود أهل النار في النار والعياذ بالله تعالى خلوداً مؤبداً مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة فقد أجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، واستدلوا على ذلك من الكتاب والسنة.

فأما الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿**إنا المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضىٰ عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون**﴾[3].

وأما الأحاديث:

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون ولا يحييون، ولكن أناساً تصيبهم الشفاعة بذنوبهم فيميتهم حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة**»[4].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يُدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم، فيقول يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه**»[5].

قال القرطبي رحمه الله: (هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها لا إلى غاية ولا أمد مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة ... فمن قال إنهم يخرجون منها وإن النار تبقىٰ خالية بجملتها خاوية على عروشها وإنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول)[6].

---

(١) سورة الزخرف: الآيتان ٧٤، ٧٥.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٦.

(٣) سورة النمل: الآية ٨٥.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) «التذكرة»: (ص ٤٣٦).



وأما بالنسبة لذبح الموت ومعاينة أهل الجنة والنار لذلك فهو حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما اخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً، وقال: الموت عرض، والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح، وهذا لا يصح فإن الله سبحانه ينشيء من الموت صورة كبش يذبح كما ينشيء من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب، والله تعالي ينشيء من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً، فالاقسام الأربعة، ممكنة مقدورة للرب تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه(١).

قال الترمذي رحمه الله عقب إيراده لحديث الإتيان بالموت في صورة كبش وذبحه بين الجنة، والنار ما نصه: وقد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة مثل هذا ما يذكر فيه أمر الرؤية: أن الناس يرون ربهم وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء، والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة، مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ووكيع، وغيرهم: أنهم رووا هذه الأشياء، وقالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أصحاب الحديث: أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر، ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه(٢).

○ ○ ○

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح».

(٢) سنن الترمذي: «٧/ ٢٣٦».



آراء ابن حبان في الأسماء والأحكام

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: آراؤه في الإيمان والإسلام

الفصل الثاني: آراؤه في الإمامة والصحابة رضي الله عنهم



الفصل الأول:

أراؤه في الإيمان والإسلام

ويحتوي على ثمانية مباحث:

المبحث الأول : مسمى الإيمان والإسلام.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

المبحث الرابع: الاستثناء في الإيمان.

المبحث الخامس: الكبيرة وحكم مرتكبها.

المبحث السادس: الكفر والشرك.

المبحث السابع : النفاق.

المبحث الثامن : البدعة وحكم مرتكبها



المبحث الأول:
مسمى الإيمان بالإسلام

اختلف الناس في مسمىٰ الإيمان والإسلام، هل هما مترادفان؟ أم لكل منهما معنى غير الآخر؟ وقبل ذكر رأي ابن حبان رحمه الله في هذه المسألة، يحسن ذكر سبب كثرة الخلاف والنزاع في هذه المسألة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (والمقصود ذكر أصل جامع تبنىٰ عليه معرفة النصوص ورد ما تنازع فيه الناس إلى الكتاب والسنة، فإن الناس كثر نزاعهم في مواضع في مسمىٰ الإيمان والإسلام لكثرة ذكرهما، وكثرة كلام الناس فيهما، والإسم كلما كثر التكلم فيه، فتكلم به مطلقاً ومقيداً بقيد، ومقيداً بقيد آخر في موضع آخر، كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه، ثم كلما كثر سماعه، كثر من يشتبه عليه ذلك، ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارده ولا يسمع بعضه، ويكن ما سمعه مقيداً بقيد أوجبه اختصاصه بمعنىٰ فيظن معناه في سائر موارده كذلك، فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة، وعلم مأخذ الشبه، أعطى كل ذي حقه حقه)[1].

رأي ابن حبان في مسمىٰ الإيمان والإسلام:

يرىٰ ابن حبان رحمه الله تعالى أن الإيمان والإسلام مترادفان، فهما اسمان لمعنىٰ واحد، فلا فرق بينهما عندئذ، وما ذهب إليه ابن حبان هو مذهب جماعة من السلف كالإمام البخاري رحمه الله ومحمد بن نصر المروزي وابن منده وابن عبدالبر وابن حزم وغيرهم.

وقد أيد ابن حبان ما ذهب إليه من أن الإسلام والإيمان مترادفان بالعديد من الأحاديث النبوية ومنها:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا جاء إليه فقال له: ألا تغزو؟ فقال عبدالله بن عمر: إني سمعت رسول الله يقول: **«بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة،**

(١) «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٤٠-٣٤١) ط ٢، ١٣٩٢هـ المكتب الإسلامي.





وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت»[1]، وترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد)[2].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوما بارزاً للناس، إذا أتاه رجل يمشي، فقال: يا محمد، ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر**» قال: يا رسول الله، فما الإسلام؟ قال: «**لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» قال: يا محمد، ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قال: يا محمد، فمتى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراطها**»، إذا ولدت الأمة ربتها ورأيت العراة الحفاه رؤوس الناس، في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿**إن الله عنده علم الساعة ...**﴾ الآية ثم انصرف الرجل، فالتمسوه فلم يجدوه، فقال: «**ذاك جبريل جاء ليعلم الناس دينهم**»[3]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن الإيمان والإسلام، اسمان بمعنى واحد)[4].

٣- عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعي هذه أن لا آتيك، فما الذي بعثك به؟ قال: «الإسلام» قال: وما الإسلام؟ قال: «**أن تسلم قلبك لله وأن توجه وجهك لله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، أخوان نصيران لا يقبل الله من عبد توبة أشرك بعد إسلامه**»[5]، وقد ترجم رحمه الله لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن الإسلام والإيمان اسمان بمعنىً واحد يشتمل ذلك المعنى على الأقوال والأفعال معاً)[6].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم يأكل في معيً واحد**

---

(١) أخرجه البخاري: (١/٤٩، ح ٨) في الإيمان: باب دعاؤكم إيمانكم، ومسلم: (١/٤٥، ح ١٦) في الإيمان: باب بيان أركان الإسلام.

(٢) «الإحسان»: (١/٣٧٤).

(٣) أخرجه البخاري: (١/١١٤، ح ٥٠) في الإيمان: باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، ومسلم: (١/٣٩، ح ٩) في الإيمان: باب الإيمان والإسلام والإحسان.

(٤) «الإحسان»: (١/٣٧٥).

(٥) أخرجه أحمد (٥/٥)، والنسائي: (٥/٤) في الزكاة: باب وجوب الزكاة، وابن حبان في صحيحه: (١/٣٧٦، ح ١٦٠) في الإيمان: باب فرض الإيمان.

(٦) «الإحسان»: (١/٣٧٦).

والكافر يأكل في سبعة أمعاء»[1]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن الإيمان اسمان بمعنى واحد)[2].

فهذه عدة أحاديث أوردها ابن حبان واستدل بها على أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد لا فرق بينهما فالإسلام هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام.

ولم يقتصر ابن حبان على تقرير رأيه في عدم الفرق بين الإيمان والإسلام بالأدلة السابقة فحسب، بل إنه بين أن الأدلة التي يستدل بها المخالفون أنهم قد توهموا في الاستدلال بها، وأن استدلالهم بها لا وجه له كما يقول.

فقد أخرج عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أعطى رجالا، ولم يعط رجلا منهم شيئاً، فقلت: يا رسول الله، أعطيت فلانا وفلانا، ولم تعط فلانا شيئاً وهو مؤمن، فقال رسول الله ﷺ: «أومسلم؟» قالها ثلاثا، قال الزهري: نرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل[3]. وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر خبر أوهم عالماً من الناس أن الإسلام والإيمان بينهما فرقان)[4].

مذهب السلف في مسمى الإيمان والإسلام:

اختلف السلف رحمهم الله في هذه المسألة على قولين:

القول الأول:

أن الإيمان والإسلام مترادفان وأنها اسمان لمسمىً واحد، وقد قال بهذا القول كما تقدم بيانه الإمام البخاري ومحمد بن نصر المروزي وابن حبان وابن منده وابن عبدالبر وذهب إليه أيضاً المزني والبغوي وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري: (٩/ ٥٣٦، ح ٥٣٩٧) في الأطعمة: باب المؤمن يأكل في معىً واحد.

(٢) «الإحسان»: (١/ ٣٧٨).

(٣) أخرجه البخاري: (١/ ٧٩، ح ٢٧) في الإيمان: باب إذ لم يكن الإسلام على الحقيقة، ومسلم: (١/ ١٣٢، ح ١٥٠) في الإيمان: باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه.

(٤) «الإحسان»: (١/ ٣٨٠).

(٥) سورة الذاريات: الآيتان ٣٥، ٣٦.



٢- قوله ﷺ لوفد عبدالقيس بعد أن أمرهم بالإيمان وحده: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»[١].

٣- الأدلة التي سبق استدلال ابن حبان بها:

وقد اعترض شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذا القول ورد على حجج القائلين به، فقال رحمه الله في معرض رده على ما استدل به محمد بن نصر المروزي[٢]، ومبيناً أنه لا حجة له بهذه الآيات، فهي لا تدل على مقصوده قال: (والآيات التي احتج بها محمد بن نصر تدل على وجود الإسلام وأنه دين الله يحبه ويرضاه وأنه ليس له دين غيره، وهذا كله حق، ولكن ليس في هذا ما يدل على أنه هو الإيمان، بل ولا يدل على أنه بمجرد الإسلام يكون الرجل من أهل الجنة كما ذكره)[٣].

وقد احتج محمد بن نصر المروزي على رأيه بقوله تعالى في قصة الأعراب: ﴿**... بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين**﴾[٤] قال: فدل ذلك على أن الإسلام هو الإيمان.

ويناقش شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الحجة فيقول: (فيقال: بل يدل على نقيض ذلك لأن القوم لم يقولوا أسلمنا، بل قالوا: آمنا، والله أمرهم أن يقولوا أسلمنا ثم ذكر تسميتهم بالإسلام فقال: ﴿**بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين**﴾ في قولكم آمنا ولو كان الإسلام هو الإيمان لم يحتج أن يقول: ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ فإنهم صادقون في قولهم أسلمنا مع أنهم لم يقولوا ولكن الله قال: ﴿**يمن عليكم أن ...**﴾ أي يمنون عليك ما فعلوه من الإسلام)[٥].

أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾ فقد أجاب عليه شارح الطحاوية بقوله: وأما الاحتجاج بهذه الآية على ترادف

---

(١) أخرجه البخاري: (١/١٢٩، ح ٥٣) في الإيمان: أداء الخمس من الإيمان، ومسلم: (١/٤٦، ح ١٧) في الإيمان: باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين.

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن نصر المروزي الحافظ، شيخ الإسلام، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة، صاحب التصانيف الكثيرة، كان رأسا في الفقه والحديث والعبادة، ولد سنة ٢٠٢هـ، وتوفي سنة ٢٩٤هـ انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٤/٣٣-٤٠)، «تاريخ بغداد»: (٣/٣١٥-٣١٨).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٧/٣٦٨).

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٤.

(٥) «مجموع الفتاوى»: (٧/٣٧٦).

الإيمان والإسلام فلا حجة فيه، لأن البيت المخرج كانوا متصفين بالإسلام والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما)[1].

وأما استدلالهم بحديث وفد عبد القيس والأحاديث الأخرى التي فيها ذكر الإسلام دون الإيمان أو الإيمان دون الإسلام، فيرد عليهم بأن أحد الإسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر، وقد يفسر أحدهما عند إفراده بما يفسر به الآخر عند اقترانهما.

القول الثاني:

أن بين الإسلام والإيمان تلازما مع افتراق اسميهما، وأن حالة افتراق الإسلام عن الإيمان غير حالة افتراقهما، فإنهما إذا اجتمعا افترقا فيكون الإيمان هو الأعمال الباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ويكون الإسلام الأعمال الظاهرة كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان.

وإذا افترقا اجتمعا، فإذا ذكر أحدهما دخل فيه الآخر، فإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام فيصبح الإيمان هو مجموع ما تقدم من أعمال باطنة وظاهرة، وكذا إذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان فيصبح الإسلام هو مجموع ما تقدم أيضاً.

يقول ابن رجب رحمه الله: (إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ وإن قرن بين الإسمين كان بينهما فرق)[2].

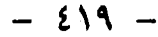
واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر أنه قول عامة أهل السنة وأيده بقوله: (وإذا قيل إن الإسلام والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح والبدن، فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح، وليس أحدهما الآخر، فالإيمان كالروح فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن والإسلام كالبدن، ولا يكون البدن حياً إلا مع الروح، بمعنىٰ أنهما متلازمان لا أن مسمىٰ أحدهما هو مسمىٰ الآخر، وإسلام المنافقين كبدن الميت جسد بلا روح فما من بدن حي إلا وفيه روح ولكن الأرواح متنوعة)[3].

كما أيد هذا القول ابن حجر العسقلاني رحمه الله بقوله: (والذي يظهر من مجموع الأدلة

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٣٣٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي: (ص ٢٥)، دار الفكر، بيروت.

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٧/٣٦٧).







لكل منهما حقيقة شرعية كما أن لكل منهما حقيقة لغوية لكن كل منهما مستلزم للآخر، بمعنىٰ التكميل له فكما أن العامل لا يكون مسلماً إلا إذا اعتقد فكذلك المعتقد لا يكون مؤمنا كاملاً إلا إذا عمل)[1].

وقال ابن الصلاح[2]: وحققنا أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، قال: وهذا التحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم[3].

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾[4] فنفي عنهم الإيمان وأثبت لهم الإسلام فدل على الفرق.

٢- حديث سعد بن أبي وقاص حين أعطىٰ النبي ﷺ رجلا وترك رجلا هو أعجبهم إلى سعد فقال سعد: يا رسول الله مالك عن فلان؟ إني لأراه مؤمنا فقال: «**أومسلماً** ..» الحديث[5].

٣- حديث عمر رضي الله عنه في قصة، مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان ففرق النبي ﷺ بينهما[6].

والذي يظهر لي والله أعلم أن ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر أنه عامة قول أهل السنة من أن مسمى الإسلام غير مسمى الإيمان فإذا جمع بينهما فيفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ويفسر الإيمان بالأعمال الباطنة، هو القول الراجح.

فلفظ الإسلام والإيمان يقال فيهما: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، وبهذا التفصيل يزول

---

(١) «فتح الباري»: (١/١١٥).

(٢) هو الإمام الحافظ تقي الدين أبو عمرو عثمان بن صلاح الدين عبدالرحمن بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي صاحب علوم الحديث ولد سنة (٥٧٧هـ) وتوفي سنة (٦٤٣هـ) من كبار الأئمة. انظر «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي: (٨/٣٢٦)، «سير أعلام النبلاء»: (٢٣/١٢٠).

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي: (١/١٤٧-١٤٨)، «مجموع الفتاوى»: (٧/٣٦٢).

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٤.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

الإشكال ويحصل الجمع بين الأدلة، وقد ذكر هذا التفصيل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: (قد فرق النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام - بين مسمى الإسلام ومسمىٰ الإيمان ومسمىٰ الإحسان.

فلما ذكر الإيمان مع الإسلام جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج، وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وإذا ذكر اسم الإيمان مجرداً دخل في الإسلام والأعمال الصالحة)[1].

وقال أيضاً: (إن التحقيق هو ما بينه النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام والإيمان، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ، وأما إذا أفرد اسم الإيمان، فإنه يتضمن الإسلام وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمنا بلا نزاع وهذا هو الواجب)[2].

○ ○ ○

(١) «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٢٤٦).

(٢) «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٣١٦).





المبحث الثاني:
زيادة الإيمان ونقصانه

من المسائل التي كثر فيها النزاع بين الفرق الإسلامية ـ مسألة زيادة الإيمان ونقصانه ـ وكل قد أيدّ رأيه بما يراه حجة له من نصوص الكتاب والسنة، ومما تعرض له ابن حبان في كتبه، هذه المسألة وقررها بما يوافق المنهج الحق كما رد على المخالفين بالأحاديث النبوية التي تدحض رأيهم وتبين فساده.

رأي ابن حبان في زيادة الإيمان ونقصانه:

ذهب ابن حبان رحمه الله إلى أن الإيمان يزيد وينقص كما وردت بذلك نصوص الكتاب والسنة واستدل لما ذهب إليه بالعديد من الأحاديث النبوية المصرحة بذلك ومنها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**»[١] وعقب على هذا الحديث بقوله: (وأما قوله ﷺ: «**والحياء شعبة من الإيمان**» فهو لفظة أطلقت على شيء بكتابة سببه، وذلك أن الحياء جبلة في الإنسان، فمن الناس من يكثر فيه، ومنهم من يقل ذلك فيه، وهذا دليل صحيح على زيادة الإيمان ونقصانه، لأن الناس ليسوا كلهم على مرتبة واحدة من الحياء، فلما استحال استواؤهم على مرتبة واحدة فيه، صح أن من وجد فيه أكثر كان إيمانه أزيد، ومن وجد فيه منه أقل كان إيمانه أنقص، والحياء في نفسه، هو الشيء الحائل بين المرء وبين ما يباعده من ربه من المحظورات، فكأنه ﷺ جعل ترك المحظورات شعبة من الإيمان بإطلاق اسم الحياء عليه على ما ذكرناه)[٢].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «**كلا، إني رأيته في النار في بردة غلّها أو عباءة**»،

(١) أخرجه البخاري: (١/٥١، ح ٩) في الإيمان: باب أمور الإيمان، ومسلم: (١/٦٣، ح ٣٥) في الإيمان: بيان عدد شعب الإيمان.

(٢) «الإحسان»: (١/٣٨٩).

ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن الخطاب، اذهب فناد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**» قال: فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[1].

وأعقب هذا الحديث بقوله رحمه الله: (في هذا الخبر دليل على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وفيه دليل على أن المؤمن ينفى عنه اسم الإيمان بالمعصية إذا ارتكبها لا الإيمان كله، كما أن الطاعة يطلق على من أتى بها اسم الإيمان لا الإيمان كله)[2].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو اثنتان وسبعون بابا، أرفعه لا إله إلا الله، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[3]. وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص)[4].

٤- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: أخرجوا من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها جميعاً فيلقون في نهر الجنة فينبتون كما تنبت الحبة من جانب السيل، ألم تروها صفراء ملتوية**»[5]. وترجم رحمه الله لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن إيمان المسلمين واحد من غير أن يكون فيه زيادة أو نقصان)[6].

٥- عن طارق بن شهاب رضي الله عنه قال: (قال يهودي لعمر رضي الله عنه: لو علمنا معشر يهود متى نزلت هذه الآية لاتخذناه عيداً: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ الآية، ولو نعلم اليوم الذي نزلت فيه لاتخذناه عيدا، فقال عمر رضي الله عنه: قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه والليلة التي أنزلت يوم الجمعة، ونحن مع رسول الله ﷺ بعرفات)[7]. وترجم لهذا الأثر بقوله:

---

(١) أخرجه مسلم: (١/١٠٧، ح ١١٤) في الإيمان: باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وابن حبان في صحيحه: (١١/١٩٦، ح ٤٨٥٧) في السير: باب الغلول.

(٢) «الإحسان»: (١١/١٩٧).

(٣) أخرجه مسلم: (١/٦٣، ح ٣٥) في الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وابن حبان في صحيحه: (١/٢٨٤، ح ١٦٦) في الإيمان: باب فرض الإيمان.

(٤) «الإحسان»: (١/٤٠٧).

(٥) أخرجه البخاري: (١/٧٢، ح ٢٢) في الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلم: (١/١٧٢، ح ١٨٤) في الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

(٦) «الإحسان»: (١/٤٠٨).

(٧) أخرجه البخاري: (١/١٠٥، ح ٤٥) في الإيمان: باب زيادة الإيمان ونقصانه، ومسلم: (٤/٢٣١٢، ح ٣٠١٧) في التفسير.



(ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الإيمان لم يزل على حالة واحدة من غير أن يدخله نقص أو كمال)[1].

ومن هذه الأدلة التي أوردها ابن حبان في بيان زيادة الإيمان ونقصانه، يتبين أنه رحمه الله يقرر زيادة الإيمان ونقصانه، ويبطل قول من يزعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص كما هو قول المرجئة فيكون بذلك قد سلك منهج السلف الصالح في القول بزيادة الإيمان ونقصانه كما جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)[2].

وقال ابن بطال[3]: (مذهب جماعة من أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)[4].

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: (ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)[5].

وقال ابن أبي زمنين رحمه الله: (ومن قول أهل السنة: أن الإيمان درجات ومنازل يتم وينقص ولولا ذلك استوى الناس فيه ولم يكن للسابق فضل على المسبوق)[6].

الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه:

أولا: من الكتاب العزيز:

١- قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته

---

(١) «الإحسان»: (١/٤١٣).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٧/٥٠٥).

(٣) هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال القرطبي ويعرف بابن اللجام، كان من أهل المعرفة والعلم عني بالحديث العناية التامة، توفي سنة (٤٩٩هـ)، انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٨/٤٧)، «شذرات الذهب»: (٣/٢٨٣).

(٤) «عمدة القارى شرح صحيح البخاري» بدر الدين العيني: (١/١٠٧-١٠٨) الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ شركة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(٥) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (ص ٦٤).

(٦) «أصول السنة»: (ص ٢١١).

زادتهم إيماناً ﴾[1].

٢- قوله تعالى: ﴿ **فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون** ﴾[2].

٣- قوله تعالى: ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا** ﴾[3].

٤- قوله تعالى: ﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** ﴾[4].

٥- قوله تعالى: ﴿ **وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً** ﴾[5].

ثانيا: من السنة النبوية:

١- قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاه شهادة أن لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق»[6]، وهذا الحديث يدل على أن الإيمان أعلى وأدنى، ومن ثم فهو يدل على زيادة الإيمان ونقصانه.

٢- قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[7] ففي الحديث دلالة على أن الإيمان يقوى في القلب فيزيد ويضعف فينقص.

٣- قوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا**»[8]، وهذا يدل على أن حسن الخلق إيمان، وأن عدمه نقصان وأن المؤمنين متفاوتون في إيمانهم فبعضهم أكمل إيماناً من بعض.

والأدلة من السنة كثيرة ذكرت طرفاً منها للدلالة على المقصود.

ثالثا: آثار السلف:

١- قال أبو هريرة وأبو الدرداء وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين: (الإيمان يزيد وينقص)[9].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

(٤) سورة الفتح: الآية ٤.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٢٢.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه مسلم: (١/٦٩، ح ٤٩) في الإيمان: باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٨) أخرجه أبو داود: (٥/٦٠، ح ٤٦٨٢) في السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والترمذي: (٣/٤٦٦، ح ١١٦٢) في الرضاع: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، وابن حبان في صحيحه: (٢/٢٢٧، ح ٤٧٩) في البر والإحسان: باب حسن الخلق، وأحمد في مسنده: (٢/٢٥٠).

(٩) رواه الآجرى في «الشريعة»: (ص ١١١) وعبدالله بن الإمام أحمد في «السنة»: (١/٣١٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى»: (٢/٨٤٥).



٢- وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأصحابه: (هلموا نزداد إيماناً فيذكرون الله)[١].

٣- وكان من دعاء ابن مسعود رضي الله عنه: (اللهم زدني إيماناً ويقيناً وفقهاً)[٢].

٤- وعن عمر بن خبيب رضي الله عنه قال: (الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا ربنا خشيناه فذلك زيادته وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه)[٣].

رابعاً: الإجماع:

فأهل السنة متفقون على أن الإيمان يزيد وينقص، حكى اتفاقهم على ذلك الإمام البغوي رحمه الله[٤].

كما نقل الإجماع على ذلك الإمام ابن عبدالبر رحمه الله حيث قال: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنيه، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات عندهم كلها إيمان)[٥].

وقال ابن أبي حاتم[٦]: (سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً، فكان مذهبهم: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص)[٧].

خامساً: من العقل:

فإنه إذا لم تتفاوت حقيقة الإيمان بالزيادة والنقص لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين في المعاصي والفجور مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة، واللازم وهو المساواة باطل فكذلك الملزوم

---

(١) رواه الآجرى في «الشرعية»: (ص ١١٢) وابن بطة في «الإبانة الكبرى»: (٢/٨٤٦-٨٤٧).

(٢) رواه الآجرى في «الشريعة»: (ص ١١٢)، وابن بطة في «الإبانة»: (٢/٨٤٦).

(٣) «الإيمان» لابن أبي شيبة: (ص ٢٠) وعبدالله بن الإمام أحمد في «السنة»: (١/٣١٥).

(٤) «شرح السنة» للبغوي: (١/٣٨-٣٩).

(٥) «التمهيد» لابن عبدالبر: (٩/٢٣٨).

(٦) هو عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التميمي الحنظلي، الإمام الثبت كان بحراً في العلوم والمعرفة بالرجال، وكان عابداً زاهداً من كبار الصالحين، توفي سنة (٣٢٧هـ) انظر «طبقات المفسرين»: (١/٢٨٥)، «تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٣/٨٢٩).

(٧) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (١/١٧٦).

الذي هو عدم التفاوت بالزيادة والنقص.

وبالنسبة للنقص فكل ما يقبل الزيادة يقبل النقص فيتم الدليل.

ومن خلال هذه الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وإجماع أئمتها، يتبين أن مسألة زيادة الإيمان ونقصانه مما لا يختلف فيه اثنان إلا من تنكب عن الصراط وعارض الحق الواضح المبين بالتأويلات الفاسدة وصرف النصوص عن ظواهرها.

وقبل أن أعرض رد ابن حبان على المخالفين من المرجئة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، أوضح أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص في جميع عناصره.

فالإيمان عند أهل السنة والجماعة يتألف من قول القلب وعمله وقول اللسان وعمله، وأعمال الجوارح وزيادة الإيمان لا تقتصر على العمل الظاهر فحسب، بل التفاضل يشمل تصديق القلب وعمله فدرجة التصديق القلبي تتفاوت من إنسان لآخر ودرجة اليقين في قلب المرء نفسه تختلف من وقت لآخر كذلك.

فأما عمل القلب من المحبة والخشية والرجاء والتوكل، فما أكثر ما يتفاوت الناس فيه، وما أكثر تختلف حال القلب الواحد من حين لآخر حسب الوضع الإيماني ومدى القرب من الله عز وجل.

وأما التفاوت في الأعمال الظاهرة، فلا يظن أن يقع فيها جدال لجلاء ذلك ووضوحه، وما تفاوت الناس في الأعمال الظاهرة إلا إنعكاساً مباشراً لتفاوت الإيمان في القلوب.

والعمل الظاهر ليس مقطوع الصلة بالعمل القلبي بل هما وجهان لحقيقة واحدة، وقد عرض شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لهذا الأمر - وهو شمول الزيادة والنقص لجميع عناصر الإيمان - من عدة وجوه يمكن إجمالها فيما يلي:

الوجه الأول:

أن الإيمان المأمور به الناس يتفاوت من حيث الوجوب إجمالاً وتفصيلاً، فيزيد الإيمان المأمور به أحدهم من حيث التفصيل عن ذلك المأمور به على وجه الإجمال.

فمثلاً قبل نزول الشرائع، كان الشخص مأموراً بالإيمان بالله والرسول ظاهراً وباطناً على وجه الإجمال، ولكن بعد اكتمال الشرائع أصبح الشخص هنا مأمور بإيمان أكمل من حيث التفصيل من الإيمان الذي كان الرجل مأموراً هناك على وجه الإجمال.



الوجه الثاني:

أن الإيمان المأمور به الناس يتفاوت من جهة ما وقع منهم إجمالاً وتفصيلاً، فمن طلب علم ما جاء به الرسول ﷺ تفصيلاً فآمن به وعمل به فإيمانه أكمل ممن عرف ما وجب عليه والتزمه وأقرّ به لكنه لم يعمل بذلك كله، وإن كان معترفاً بذنبه خائفاً من عقوبته على ترك العمل، وهذا الأخير إيمانه أكمل ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول، ولا عمل بذلك فكلما علم القلب ما أخبر به الرسول فصدقه، وما أمر به فالتزمه، كان ذلك زيادة في إيمانه على من لم يحصل له ذلك، وإن كان معه التزام عام وإقرار عام.

الوجه الثالث:

أن نفس العلم والتصديق يتفاضل ويتفاوت ويكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك، وذلك شأن سائر صفات الحي من القدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام فكما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد، مثل رؤية الناس للهلال يتفاضل ويتفاوت وإن اشترك الجميع فيها، فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض، فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك.

الوجه الرابع:

أن التصديق المستلزم لعمل القلب، أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به.

فالعلم بالمحبوب مثلاً يستلزم طلبه، والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه، فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم، ويكون ذلك لانشغال القلب عن تصور المخبر به، وإن كان مصدقا به، فإذا ما عاينه حصل في قلبه من تصور المخبر به ما لم يكن عند سماع الخبر فيكون التصديق هنا أكمل من التصديق الأول.

الوجه الخامس:

أن أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله ورجائه ونحو ذلك كلها من الإيمان، وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلا عظيماً.

الوجه السادس:

أن الأعمال الظاهرة هي أيضاً من الإيمان،والناس يتفاضلون فيها وتزيد وتنقص.

الوجه السابع:

أن التفاضل يحصل في هذه الأمور من جهة الأسباب المقتضية لها، فالشيء كلما قويت أسبابه وتعددت، وانقطعت موانعه كان أوجب لكماله وقوته وتمامه، فكلما زادت أدلة التصديق والمحبة وقويت، وكلما ظهر فساد الشبهات وبطلان الحجج المعارضة، كلما ازداد اليقين والمحبة في قلب المؤمن.

الوجه الثامن:

أن التفاضل في هذه الأمور يحصل من جهة دوام ذلك وثباته وذكره، كما يحصل النقص من جهة الغفلة عنه والإعراض، فالعلم والتصديق والحب والتعظيم وغير ذلك مما في القلب هي صفات وأعراض وأحوال تحصل بحصول أسبابها وتدوم بدوامها، والعلم وإن كان في القلب، فالغفلة تنافي تحققه، والعالم بالشيء في حال غفلة عنه دون العالم بالشيء في ذكره له[1].

الرد على المخالفين:

تقدم فيما سبق أن ابن حبان ردّ على القائلين بعدم زيادة الإيمان ونقصانه ـ وهم المرجئة ـ بالأحاديث التي ذكرتها هناك، وهي صريحة في قبول الإيمان للزيادة وللنقص، وقد تولى الرد عليهم وناقشهم شارح الطحاوية رحمه الله حيث قال: (والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدا فذكرها، ثم قال: وكيف يقال في هذه الآية ـ أي قوله تعالى ـ: ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾[2] ـ والتي قبلها ـ أي قوله تعالى: ﴿**هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم**﴾[3] ـ أن الزياة باعتبار زيادة المؤمن به؟ فهل في قول الناس ﴿**قد جمعوا لكم فاخشوهم**﴾ زيادة مشروع؟ وهل في إنزال السكينة في قلوب المؤمنين زيادة مشروع؟ وإنما أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين مرجعهم من الحديبية ليزدادو طمأنينة ويقينا، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من**

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٧/٢٣٢-٢٣٧) بتصرف.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

(٣) سورة الفتح: الآية ٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٧.

يقول أيكم زادته هذه إيمانا، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾[1]، وأما ما رواه الفقيه أبو الليث السمرقندي في تفسيره عند هذه الآية، فقال: حدثنا محمد بن الفضل أبوالقاسم الساباذي، قال: حدثنا فارس بن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضل العابد، قال: حدثنا يحيى بن عيسىٰ، قال: حدثنا أبو مطيع عن حماد بن سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: «**لا، الإيمان مكمل في القلب، زيادته كفر ونقصانه شك**»[2]، فقد سئل عنه شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير رحمه الله عن هذا الحديث فأجاب: بأن الإسناد من أبي الليث إلى أبي مطيع مجهولون، لا يعرفون في شيء من كتب التواريخ المشهورة.

وأما أبو مطيع فهو: الحكم بن عبدالله بن مسلمة البلخي، ضعفه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وعمر بن علي الفلاس، والبخاري وأبو داود والنسائي وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم محمد بن حبان البستي والعقيلي وابن عدي والدارقطني وغيرهم ... وأما أبو المهزِّم، الراوي عن أبي هريرة فقد تصحف على الكاتب، واسمه: يزيد بن سفيان، فقد ضعفه أيضاً غير واحد وتركه شعبه بن الحجاج، وقال النسائي: متروك، وقد اتهمه شعبة بالوضع حيث قال: لو أعطوه فلسين لحدثهم سبعين حديثا.

وقد وصف النبي ﷺ النساء بنقصان العقل والدين، وقال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[3]. والمراد نفي الكمال، ونظائره كثيرة، وحديث شعب الإيمان وحديث الشفاعة، وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، فكيف يقال بعد هذا: إن إيمان أهل السموات والأرض سواء؟ وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان؟ وكلام الصحابة رضي الله في هذا المعنى كثيرا أيضاً، منه قول أبي الدرداء رضي الله عنه: (من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، و من فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص) وكان عمر

"كثير"

---

(١) سورة التوبة: الآيتان ١٢٤، ١٢٥.

(٢) أورده ابن الجوزي في «الموضوعات»: (١/ ١٣٠، ١٣١)، وابن عراق في «تنزية الشريعة»: (١/ ١٤٩)، والذهبي في «الميزان»: (٣/ ٤٢)، وابن حبان في «المجروحين»: (١/ ٢٥٠) في ترجمة أبي مطيع البلخي.

(٣) أخرجه البخاري: (١/ ٥٨، ح ١٥) في الإيمان: باب حب الرسول من الإيمان، ومسلم: (١/ ٦٧، ح ٤٤) في الإيمان: باب وجوب محبة رسول الله ﷺ.



رضي الله عنه يقول لأصحابه: (هلموا نزداد إيماناً فيذكرون الله عز وجل)، ثم ذكر بقية الآثار التي تقدم ذكرها في أدلة السلف على زيادة الإيمان ونقصانه ـ إلى أن قال: **وفي هذا القدر كفاية**.

ثم رد على زعمهم أن عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة فلا يكون العمل داخلا في مسمىٰ الإيمان فقال: فلاشك أن الإيمان تارة يذكر مطلقاً عن العمل وعن الإسلام، وتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام، فالمطلق مستلزم للأعمال، قال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾[١] الآية. وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[٢] الحديث. «**من غشنا فليس منا**»[٣]، وما أبعد قول من قال: إن معنى قوله: «فليس منا» ـ أي: فليس مثلنا ـ فليت شعري: فمن لم يغش يكون مثل النبي ﷺ وأصحابه؟

وأما إذا عطف عليه العمل الصالح. فاعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب أعلاها: أن يكونا متباينين وليس أحدهما هو الآخر ولا جزءاً منه ولا بينهما تلازم كقوله تعالى: ﴿**خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور**﴾[٤] وهذا هو الغالب، ويليه: أن يكون بينهما تلازم كقوله تعالى: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾[٥].

الثالث: عطف بعض الشيء عليه، ﴿**حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ**﴾[٦].

في مثل هذا وجهان: أحدهما: أن يكون داخلا في الأول، فيكون مذكوراً مرتين، والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلاً فيه هنا، وإن كان داخلا فيه منفرداً كما قيل مثل ذلك في لفظ ﴿**الفقراء والمساكين**﴾ ونحوهما.

وتتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.

الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله تعالى: ﴿**غافر الذنب وقابل**

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢.

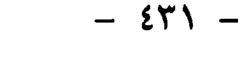
(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم: (١/ ٩٩، ح ١٠١) في الإيمان: باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا».

(٤) سورة الأنعام: الآية ١.

(٥) سورة المائدة: الآية ٩٢.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.







التوب﴾[1] فإذا كان العطف في الكلام يكون على هذه الوجوه نظرنا في كلام الشارع: كيف ورد فيه الإيمان؟ فوجدناه إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى والدين ودين الإسلام.

وكذلك أجاب جماعة من السلف بهذا الجواب، ثم ذكر حديث وفد عبد القيس المتقدم فقال بعده: ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب لما قد أخبر في مواضع أنه لابد من إيمان القلب، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال، ولم يذكر التصديق للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيده مع الجحود[2].

وبهذا يتضح بطلان ما ذهب إليه المرجئة ومن وافقهم من عدم قبول الإيمان للزيادة أو النقصان وصحة ما ذهب إليه السلف من زيادة الإيمان بالطاعة ونقصه بالمعصية كما هو ظاهر في ضوء ما وردت به نصوص الكتاب والسنة.

ο ο ο

(١) سورة غافر: الآية ٣.

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٢٢٨-٢٣١)، «مجموع الفتاوى»: (٧/ ١٧٢-٢٠٢) بتصرف.

المبحث الثالث:

دخول الأعمال في مسمى الإيمان

اختلفت فرق الأمة في حقيقة الإيمان ودخول الأعمال فيه على أقوال عدة يمكن إجمالها فيما يلي: المعرفة

١- الإيمان: مجرد بالقلب وهذا قول الجهمية.

٢- الإيمان: إقرار اللسان وهذا قول الكرامية[١].

٣- الإيمان: اعتقاد القلب وقول اللسان وهذا قول مرجئة الفقهاء.

٤- الإيمان: إعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح وهذا قول أهل السنة والجماعة، وبه قالت المعتزلة والخوارج، إلا أن هناك فرقا بين قول أهل السنة وقول المعتزلة والخوارج، وهو أن المعتزلة والخوارج يرون أن الإيمان كل لا يتجزأ، إذا زال جزء منه زال باقيه، أما أهل السنة فيرون أن الإيمان جائز أن يذهب بعضه ـ ما لم يكن الذاهب ينافي أصل الإيمان ـ وجائز أن يبقى بعضه.

وبالنظر في الأقوال الثلاثة الأولى يتضح أنها جميعاً قد أخرجت العمل عن الإيمان.

رأي ابن حبان في دخول الأعمال في مسمى الإيمان:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن الإيمان: إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان كما صرح بذلك بقوله: (وعبادة الله جل وعلا إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان)[٢].

فالإيمان عنده إذا يتكون من: اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح.

وميل ابن حبان إلى هذا الرأي ونصرته له إنما كان باستناده إلى النصوص الصحيحة الصريحة

---

(١) الكرامية: اتباع محمد بن كرام، ابو عبدالله السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، من بدعهم المشهورة قولهم بأن الله جسم، وأنه محل للحوادث، وقولهم إن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان، وانكروا أن تكون معرفة القلب أو عمل الجوارح من الإيمان، وزعموا أن المنافقين مؤمنون على الحقيقة مستحقون للعذاب في الآخرة. انظر «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/١٠٨-١١٤)، «الفرق بين الفرق» للبغدادي: (١٣٠، ١٣٣).

(٢) «الإحسان»: (١/٤٤٢).



التي تدل على أن العمل من الإيمان، وفيما يلي سياق لبعض الأدلة التي أوردها ابن حبان للدلالة على أن العمل من الإيمان:

١- عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعي هذه ألا آتيك، فما الذي بعثك به؟ قال: «**الإسلام**» قال: وما الإسلام؟ قال: «**أن تسلم قلبك لله وأن توجه وجهك لله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، أخوان نصيران لا يقبل الله من عبد توبة أشرك بعد إسلامه**»[1]، وترجم رحمه الله لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن الإسلام والإيمان اسمان لمعنى واحد يشتمل ذلك المعنى على الأقوال والأفعال معا)[2].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة، فأرفعها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[3]، وقد ترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن الإيمان أجزاء وشعب لها أعلى وأدنى)[4].

وأتبع هذا الحديث بقوله: (أشار النبي ﷺ في هذا الخبر إلى الشيء الذي هو فرض على المخاطبين في جميع الأحوال، فجعله أعلى الإيمان، ثم أشار إلى الشيء الذي هو نفل للمخاطبين في كل الأوقات، فجعله أدنى الإيمان، فدل ذلك على أن كل شيء فرض على المخاطبين في كل الأحوال، وكل شيء فرض على بعض المخاطبين في بعض الأحوال، وكل شيء هو نفل للمخاطبين في كل الأحوال، كله من الإيمان)[5].

وكلام ابن حبان هذا صريح في أن الإيمان اعتقاد بالقلب وذلك باعتقاد إفراد الله وحده بالعبادة دون سواه وقول كلمة التوحيد باللسان والنطق بها وإماطة الأذى عن الطريق، وهذا من عمل الجوارح.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الإحسان»: (١/٣٧٦).

(٣) أخرجه مسلم: (١/٦٣، ح ٣٥) في الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان وافضلها وأدناها، وابن حبان: (١/٢٨٤، ح ١٦٦) في الإيمان: باب فرض الإيمان.

(٤) «الإحسان»: (١/٣٨٤).

(٥) «الإحسان»: (١/٢٨٥).

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»[١]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن الإيمان بكل ما أتى به النبي ﷺ من الإيمان مع العمل به)[٢]، ثم أتبع هذا الحديث بقوله: (تفرد به شعبة، وفي هذا الخبر بيان واضح بأن الإيمان أجزاء وشعب تتباين أحوال المخاطبين فيها، لأنه ﷺ ذكر في هذا الخبر «**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**» فهذا هو الإشارة إلى الشعبة التي هي فرض على المخاطبين في جميع الأحوال، ثم قال: «**ويقيموا الصلاة**» فذكر الشيء الذي هو فرض على المخاطبين في بعض الأحوال، ثم قال: «**ويؤتوا الزكاة**» فذكر الشيء الذي هو فرض على المخاطبين في بعض الأحوال، فدل ذلك على أن كل شيء من الطاعات التي تشبه الأشياء الثلاثة التي ذكرها في هذا الخبر من الإيمان)[٣].

٤- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما حق الله على العباد؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به**» قال: «**فما حقهم على الله إذا فعلوا ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**يغفر لهم ولا يعذبهم**»[٤]، وقد ترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن الجنة، إنما تجب لمن أتى بما وصفنا من شعب الإيمان، وقرن ذلك بسائر العبادات التي هي أعمال الأبدان، لا أن من أتى بالإقرار دون العمل تجب الجنة له في كل حال)[٥].

ثم بين ما تضمنه هذا الحديث في معاني فقال: (في هذا الخبر بيان واضح بأن الأخبار التي ذكرناها قبل كلها مختصرة غير متقصاة، وأن بعض شعب الإيمان إذا أتى المرء به لا توجب له الجنة في دائم الأوقات، ألا تراه ﷺ جعل حق الله على العباد، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً؟ وعبادة الله جل وعلا إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان ثم المسلمون لما سألوه ﷺ

(١) أخرجه البخاري: (١/٧٥، ح ٢٥) في الإيمان: باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة﴾، ومسلم: (١/٥٣، ح ٢٢) في الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٢) «الإحسان»: (١/٤٠١).

(٣) «الإحسان»: (١/٤٠٢).

(٤) أخرجه البخاري: (٦/٥٨، ح ٢٨٥٦) في الجهاد: باب اسم الفرس والحمار، ومسلم: (١/٥٩، ح ٣٠) في الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٥) «الإحسان»: (١/٤٤٠).



عن حقهم على الله، فقالوا: فما حقهم على الله إذا فعلوا ذلك؟ ولم يقولوا: فما حقهم على الله إذا قالوا ذلك؟ ولا أنكر عليهم ﷺ هذه اللفظة، ففيما قلنا أبين البيان بأن الجنة لا تجب لمن أتى ببعض شعب الإيمان في كل الأحوال بل يستعمل كل خبر في عموم ما ورد خطابه على حسب الحال فيه على ما ذكرناه قبل)[(١)].

وهذا الإيضاح للحديث من ابن حبان تضمن الرد على من قصر الإيمان على قول اللسان وحده دون اقترانه بالعمل وهذا مذهب الكرامية.

ولم يقتصر ابن حبان رحمه الله على تقرير المذهب الحق في هذه المسألة فحسب، بل ذهب إلى توهيم المخالفين فيما استدلوا به من أدلة لنصرة قولهم في إخراج العمل عن مسمى الإيمان فرد على الكرامية الذين يرون أن الإيمان هو الإقرار باللسان وحده فأورد عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**» فقلت: وإن زنىٰ وإن سرق؟ فقال: «**وإن زنىٰ وإن سرق**»[(٢)]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر خبر ثان أوهم من لم يحكم صناعة الحديث أن الإيمان بكماله هو الإقرار باللسان دون أن يقرنه الأعمال بالأعضاء)[(٣)].

كما ردّ أيضاً على الجهمية القائلين بأن الإيمان هو المعرفة بالقلب، وذلك بما رواه عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وحّد الله وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[(٤)]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر خبر أوهم عالما من الناس أن الإيمان هو الإقرار بالله وحده دون أن تكون الطاعات من شعبة)[(٥)].

وأعقب الحديث بما يزيل اللبس في فهم حقيقة الإيمان وأن العمل جزء فيه بما رواه عن أبي جمرة قال: كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس، فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجر، فقال: إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «من الوفد، أو من القوم؟» قالوا: ربيعة،

---

(١) «الإحسان»: (١/٤٤٢).

(٢) أخرجه البخاري: (٦/٣٠٥، ح ٣٣٢٢) في بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، ومسلم: (١/٩٤، ح ٩٤) في الإيمان: باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

(٣) «الإحسان»: (١/٣٩٢).

(٤) أخرجه مسلم: (١/٥٣، ح ٢٣) في الإيمان: باب بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٥) «الإحسان»: (١/٣٩٥).

قال: «**مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى**» قالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شقة بعيدة، إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، قال: «**فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده، وقال هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم، ونهاهم عن الدباء والحنتم والمزفت**»، قال شعبة: وربما قال: والنقير، وربما قال: والمقير، وقال: «**احفظوه وأخبروه من وراءكم**»[1].

وترجم للحديث بما يبين قوله ﷺ: «**وحد الله وكفر بما يعبد من دونه**» وذلك بقوله: (ذكر وصف قوله ﷺ: «**وحّد الله وكفر بما يعبد من دونه**»[2]، وهذه الترجمة منه تبين أن الإقرار بالله وحده يستلزم أداء ما أمر الله به من الطاعات واجتناب ما نهى الله عنه من المحرمات.

ومما سبق نقله عن ابن حبان في مسألة الأعمال في مسمىٰ الإيمان واستدلاله بالأحاديث المتقدمة وردّه على المخالفين في ذلك، يتضح أنه قد سلك منهج أهل السنة والجماعة ووافقهم على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل الجوارح والأركان كما نطقت بذلك نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام بعدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح)[3].

وقال ابن أبي زمنين في أصول السنة: (ومن قول أهل السنة أن الإيمان إخلاص لله والقلوب وشهادة بالألسنة وعمل بالجوارح، على نية حسنة وإصابة السنة، ... والإيمان بالله هو باللسان والقلب وتصديق ذلك العمل، فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه)[4].

وقال ابن رجب رحمه الله: (أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثا سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي والزهري ويحيى بن أبي كثير وغيرهم، وقال الثوري، هو رأي محدث

(١) تقدم تخريجه.
(٢) «الإحسان»: (١/٣٩٦).
(٣) «العقيدة الواسطية»: (ص ١٦٢).
(٤) «أصول السنة»: (ص ٢٠٧).



أدركنا الناس على غيره وقال الأوزعي: كان من مضىٰ من السلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أهل الأمصار: أما بعد فإن للإيمان فرائض وشرائع من استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان)[١].

وقال الآجرى رحمه الله: (فالأعمال رحمكم الله تعالى بالجوارح:تصديق للإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمل جوارحه مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وأشباه ... لهذه ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنا ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه العمل تكذيباً منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرنا تصديقاً منه لإيمانه)[٢].

فالسلف رحمهم الله يرون أن الإيمان والعمل قرينان لا ينفع أحدهما بدون الآخر كما قال الزهري رحمه الله: (كنا نقول الإسلام بالإقرار والإيمان بالعمل، والإيمان قول وعمل قرينان لا ينفع أحدهما إلا بالآخر، وما من أحد إلا يوزن قوله وعمله، فإن كان عمله أوزن من قوله صعد إلى الله وإن كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد إلى الله)[٣].

أدلة السلف على دخول الأعمال في مسمى' الإيمان:

من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿ **قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون** ﴾[٤].

٢- قوله تعالى: ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾[٥].

٣- قوله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾[٦] فسمى الله عز وجل الصلاة إيمانا إذ الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح ولهذا سماها الله إيماناً.وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد ذكره لهذه الآية: فأي شاهد يلتمس على أن الصلاة ليست من

---

(١) «جامع العلوم والحكم»: (ص ٢٤).

(٢) »الشريعة» للآجرى: (ص ١١٥).

(٣) «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٢٥٠).

(٤) سورة المؤمنون: الآيات ١-٤.

(٥) سورة الأنفال: الآيتان ٢، ٣.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

الإيمان بعد هذه الآية[1].

والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها نصوص واضحة على أن الإيمان تصديق وقول وعمل.

ومن السنة النبوية:

١- قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة فأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[2].

قال ابن منده في بيان هذا الحديث: (والشهادة فعله بالقلب واللسان لا اختلاف بين المسلمين في ذلك والحياء في القلب، وإماطة الأذى عن الطريق فعل سائر الجوارح)[3].

٢- قوله ﷺ: «**الحياء من الإيمان**»[4].

٣- قوله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**»[5].

ووجه الدلالة في هذا الحديث: أن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا كما سبق بيانه وحيث أن الإسلام ذكر وحده في هذا الحديث فدل على أن المراد به الإيمان، وقد جعل الإسلام الذي هو الإيمان في هذا الحديث مجموع الأعمال الخمسة فدل على أن الأعمال من الإيمان.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا يمكن حصرها، وقد تقدم ذكر طرف منها في استدلال ابن حبان على أن العمل من الإيمان، وكلها دالة على أن الإيمان اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل الجوارح.

آثار السلف:

١- قال الإمام مالك رحمه الله: (الإيمان قول وعمل)[6].

---

(١) «الإيمان» لأبي عبيد (ص ٥٦) ط ٢، ١٤٠٥هـ، دار الأرقم، الكويت.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «الإيمان» لابن منده: (١/ ٣٣٢) ط ٢، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (٤/ ٨٤٨)، «السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد: (١/ ٣١٧).





٢- وقال الشافعي رحمه الله: (الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص)[١].

٣- وقال الإمام أحمد رحمه الله: (السنة أن تقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)[٢].

٤- وقال البخاري رحمه الله: (كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قول وعمل ولم أكتب عمن قال: الإيمان قول)[٣].

٥- ذكر أبو عبيدالقاسم بن سلام: (أكثر من مئة وعشرون عالماً كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل)[٤].

والمقصود أن السلف تعددت عباراتهم وكلها دالة على أن العمل داخل في مسمىٰ الإيمان.

الإجماع:

نقل الإجماع على ذلك الشافعي[٥] والبغوي[٦] وابن حزم[٧] وابن عبدالبر وغيرهم[٨].

قال البغوي رحمه الله: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء أهل السنة على أن الأعمال من الإيمان)[٩].

الرد على المخالفين:

تقدم فيما سبق بيان أن فرق الأمة اختلفت فيما بينها في حقيقة الإيمان ودخول الأعمال فيه على أقوال عدة اجملت في الآتي:

١- قول الجهمية أن الإيمان مجرد المعرفة.

٢- قول الكرامية أن الإيمان إقرار باللسان.

٣- قول المرجئة من الفقهاء أن الإيمان اعتقاد القلب وقول اللسان.

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة: (٢/٨٢٦)، «فتح الباري»: (١/٦١-٦٢).
(٢) «السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد: (١/٣٠٧).
(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (٥/٨٨٩).
(٤) «الإبانة الكبرى» لابن بطة: (٢/٨١٤-٨٢٦).
(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (٥/٨٨٦-٨٨٧).
(٦) «شرح السنة» للبغوي: (١/٣٨-٣٩).
(٧) «الدرة فيما يجب اعتقاده» لابن حزم: (ص ٣٣١) ط ١، ١٤٠٨هـ، مكتبة التراث، مكة.
(٨) «التمهيد» لابن عبدالبر: (٩/٢٣٨).
(٩) «شرح السنة» للبغوي: (١/٣٨).

٤- قول أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل الجوارح، وهذا هو المذهب الحق الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة وأجمعت عليه سلف الأمة، أما الأقوال السابقة فكلها مخالفة لما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة وهم يستدلون ببعض الآيات والأحاديث التي تدل على مقصودهم من غير فهم لمعناها، ويصرفون النظر عن بقية النصوص التي تناقض وتبطل آراءهم، أو يتأولونها تأويلات باطلة لا تقبل شرعاً ولا عقلاً.

والآراء المخالفة لأهل السنة والجماعة في مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان يمكن أن تُعد كلها من الإرجاء وبناء عليه يمكن حصر المرجئة في ثلاث أصناف كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأصناف المرجئة الثلاثة هي:

١- الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي.

٢- من يقول: هو مجرد القول باللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

٣- من يقول: هو تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل العبادة والفقه من المرجئة كأبي حنيفة وأصحابه[1].

فأما قول المرجئة من الجهمية من أن الإيمان هو مجرد المعرفة فقط فهو باطل فإن من لازمه أن يكون فرعون مؤمنًا فإنه قد عرف صدق موسى وهارون ولم يؤمن بهما كما قال تعالى: ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا**﴾[2].

وأبو طالب يلزم كذلك أن يكون مؤمنا فإنه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فهو قد اعترف بقلبه بصدق ما جاء به النبي ﷺ ولكن لم ينطق بالشهادتين فهل يعد مؤمناً؟ ويلزم كذلك أن يكون إبليس مؤمنا كامل الإيمان فإنه لم يجهل ربه بل هو عارف به كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿**قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون**﴾[3].

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٧/١٩٥) بتصرف.

(٢) سورة النمل: الآية ١٤.

(٣) سورة الحجر: الآية ٣٦.



والكفر عند جهم هو الجهل بالرب، ولا أحد أجهل منه بربه فإنه جعله الوجود المطلق وسلب عنه جميع الصفات[1]، وهذا القول يبين شيخ الإسلام ابن تيمية فساده فيقول: (وهذا القول مع أنه أفسد قول قيل في الإيمان فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام المرجئة وقد كفر السلف - كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وغيرهم - من يقول بهذا القول، وقالوا: إبليس كافر بنص القرآن وإنما كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم، لا لكونه كذب خبرا، وكذلك فرعون وقومه ...)[2].

ويناقش أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله هذه الفرقة فيقول: (... ليست من أهل العلم ولا الدين فقالوا: الإيمان معرفة بالقلوب بالله وحده، وإن لم يكن هناك قول ولا عمل وهذا منسلخ عندنا من قول أهل الملل الحنفية لمعارضته لكلام الله ورسوله ﷺ بالرد والتكذيب ألا تسمع قوله: ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل**﴾[3] الآية.

فجعل القول فرضا حتما كما جعل معرفته فرضا، ولم يرض بأن يقول: اعرفوني بقلوبكم ثم أوجب مع الإقرار الإيمان بالكتب والرسل كإيجاب الإيمان، ولم يجعل لأحد إيماناً إلا بتصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به، فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ..**﴾[4] الآية. وقال: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...**﴾[5] الآية، وقال: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ..**﴾[6] يعني - النبي ﷺ، فلم يجعل الله معرفتهم به إذ تركوا الشهادة له بألسنتهم إيماناً ثم سئل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «.. **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**»[7].

وزعمت هذه الفرقة أن الله رضى عنهم بالمعرفة، ولو كان أمر الله ودينه على ما يقول هؤلاء ما عرف الإسلام من الجاهلية، ولا فرقت الملل بعضها عن بعض، إذ كان يرضى منهم بالدعوى على قلوبهم غير إظهار الإقرار بما جاءت به النبوة، والبراءة مما سواها، وخلع الأنداد والآلهة

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٣١٥).
(٢) «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ١٥٧).
(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٤) سورة النساء: الآية ١٣٦.
(٥) سورة النساء: الآية ٦٥.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٤٦.
(٧) تقدم تخريجه.

بالألسنة بعد القلوب، ولو كان هذا يكون مؤمنا ثم شهد رجل بلسانه أن الله ثاني اثنين كما يقول المجوس والزنادقة أو ثالث ثلاثة كقول النصارى وصلى للصليب وعبد النيران بعد أن يكون قلبه على المعرفة بالله لكان يلزم قائل هذه المقالة أن يجعله مؤمناً مستكملاً الإيمان كإيمان الملائكة والنبيين، فهل يلفظ بهذا أحد يعرف الله، أو مؤمن له بكتاب أو رسول؟

وهذا عندنا كفر لن يبلغه إبليس فمن دونه من الكفار قط[1].

فمن هذا يتضح لنا بطلان رأي هذه الفرقة وأنه مخالف لنصوص الشرع وأدلة العقل الصحيح وأن الإيمان الصحيح هو ما نطقت به الآيات والأحاديث من أنه قول وعمل واعتقاد.

وأما قول الكرامية وهو أن الإيمان إقرار باللسان دون التصديق بالقلب وأن الأعمال غير داخلة في مسماه، والمضمر للكفر عندهم إذا أقر بلسانه فهو من أهل الجنة كما أن من أضمر الإيمان وأظهر الكفر بلسانه فهو كافر من أهل النار، فالعبرة عندهم على كل حال بالإقرار وحده دون غيره.

ويلزم من قولهم هذا أن يكون المنافقون من أهل الإيمان بل كاملي الإيمان وذلك لإقرارهم بلسانهم مع إضمارهم البغض لدين الله، وهذا باطل قطعاً.

ويكفي في إبطال قولهم وفساده قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين**﴾[3].

فنفي الإيمان عمن يتولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول وقال تعالى: ﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾[4]، فنص الله تعالى في هذه الآية على من آمن بلسانه ولم يعتقد الإيمان في قلبه فإنه كافر.

فمن هذه الآيات الكريمات يتضح أن الإيمان باللسان وحده لا يكفي بل لابد معه من إيمان القلب وعمل الجوارح.

---

(١) «الإيمان» لأبي عبيد: (ص ٧٩-٨٠).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤١.

(٣) سورة النور: الاية ٤٧.

(٤) سورة المنافقين: الاية ١.





ويناقش الإمام الآجرى رحمه الله هؤلاء فيما احتجوا به فيقول: (فإن احتج محتج بالأحاديث التي رويت «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**»[1]، قيل له: هذه كانت قبل نزول الفرائض، وهذا قول علماء المسلمين ممن نعتهم الله عز وجل بالعلم، وكانوا أئمة يقتدى بهم)[2].

وقال أيضاً: (من قال الإيمان قول دون العمل يقال له: رددت القرآن والسنة، وما عليه جميع العلماء، وخرجت عن قول المسلمين وكفرت بالله العظيم. فإن قال بماذا؟ قيل له: إن الله عز وجل أمر المؤمنين بعد أن صدقوا في إيمانهم أمرهم بالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وفرائض كثيرة يطول ذكرها مع شدة خوفهم على التفريط فيها النار والعقوبة الشديدة)[3].

ولهذا فإن الكرامية مخالفون للكتاب والسنة في قصر الإيمان على الإقرار باللسان دون تصديق القلب وعمل الجوارح، وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام في هؤلاء: (والذي يزعم أنه - الإيمان - بالقول خاصة يجعله مؤمنا حقاً وإن لم يكن هناك عمل فهو معاند لكتاب الله والسنة)[4].

وأما من قال: إن الإيمان هو اعتقاد القلب وقول اللسان وهم مرجئة الفقهاء فيرد عليهم بالأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة الدالة أن الأعمال من الإيمان والتي سبق بيانها في ذكر أدلة السلف على أن الأعمال من الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان، وقالوا: إن الإيمان يتماثل الناس فيه، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ، بل لا يتساوي الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم بل يتفاضلون من وجوه كثيرة.

وأيضاً فإخراجهم القول يشعر أنهم أخرجوا أعمال القلوب أيضاً، وهذا باطل قطعاً فإن من صدق الرسول وأبغضه وعاداه بقلبه وبدنه فهو كافر قطعاً بالضرورة، وإن أدخلوا أعمال القلوب في الإيمان أخطأوا أيضاً، لامتناع قيام الإيمان بالقلب من غير حركة بدن)[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الشريعة» للآجرى: (ص ١٣٧).

(٣) «الشريعة» للآجرى: (ص ٦٣٨).

(٤) «الإيمان» لأبي عبيد: (ص ٦٥).

(٥) «مجموع الفتاوى»: (٧/٥٥٥-٥٥٦).

وخلاصة القول أن هذه الآراء بعضها أفسد من بعض وكلها مخالفة لرأي السلف رحمهم الله كما تقدم بيانه ولذا فإن هناك بعض المناقشات والإلزامات التي تشملهم جميعاً أذكرها هاهنا إتماماً للفائدة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مناقشاً الطوائف: (إذا قلتم هو التصديق بالقلب وباللسان أو بهما: فهل هو التصديق المجمل؟ أو لابد فيه من التفصيل؟ فلو صدق أن محمداً رسول الله ولم يعرف صفات الحق هل يكون مؤمنا أم لا؟ فإن جعلوه مؤمناً، قيل: فإذا بلغه ذلك فكذب به لم يكن مؤمناً باتفاق المسلمين فصار بعض الإيمان أكمل من بعض.

وإن قالوا: لا يكون مؤمنا لزمهم أن لا يكون أحد مؤمناً حتى يعرف تفصيل كل ما أخبر به الرسول، ومعلوم أن أكثر الأمة لا يعرفون ذلك)[1].

وقال أبو ثور مجيباً على سؤال رجل من خراسان، مناقشاً في هذا الجواب مذهب المخالف للسلف في الإيمان ومبيناً المذهب الحق: ... أما الطائفة التي زعمت أن العمل ليس من الإيمان فيقال لهم:

ما أراد الله من العباد إذ قال لهم: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة؟ الإقرار بذلك أو الإقرار والعمل؟ فإن قلت: إن الله أراد الإقرار، ولم يرد العمل فقد كفرت عند أهل العلم ومن قال: إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة؟

فإن قلت: أراد منهم الإقرار والعمل، قيل: فإذا كان أراد منهم الأمرين جميعاً لِمَ زعمتم أن يكون مؤمنا بأحدهما دون الآخر، وقد أرادهما جميعاً؟

أرأيتم لو أن رجلاً قال: أعمل جميع ما أمر الله به ولا أقر به أيكون مؤمناً؟ فإن قالوا: لا، قيل فإن قال: أقر بجميع أمر الله ولا أعمل منه شيئاً أيكون مؤمناً؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: ما الفرق، وقد زعمتم أن الله عز وجل أراد الأمرين جميعاً؟ فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمنا إذا ترك الآخر، جاز أن يكون بالآخر إذا عمل ولم يقر لا فرق بين ذلك[2].

فهذا الرأي يلزم به المخالف لمذهب السلف، فإما أن يقول بالأمرين جميعاً وهذا مذهب

(١) «مجموع الفتاوى»: (١٥٢/٧).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (٣-٤/٨٤٩-٨٥١).



السلف، وإما أن يقول إنه بالأمرين غير مؤمن وهذا باطل، وإما أن يقول: إنه مؤمن بأحدهما دون الآخر وهذا خلاف ما عليه السلف.

شعب الإيمان عند ابن حبان:

تقدم فيما سبق أن ابن حبان رحمه الله يرى أن الإيمان إقرار باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان، وهذا هو الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة السلف من بعدهم.

ومما جاءت به السنة أن الإيمان شعب لها أعلى وأدنى - وكلها من الإيمان كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة، فأرفعها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[1].

فهذا الحديث يدل على أن الإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول لله علماً والتصديق به عقدا، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطنا وظاهراً وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان.

وقد اختلف العلماء كثيراً في حصر هذه الأجزاء والشعب وتعيينها وأدلى كل عالم بدلوه في محاولة الوصول إلى معرفة أجزاء الإيمان وشعبه، وكان من بين أولئك العلماء أبو حاتم ابن حبان رحمه الله، فقد أخرج في صحيحه حديث أبي هريرة المتقدم وقال بعده: (وقد تتبعت معنى الخبر مدة، وذلك أن مذهبنا أن النبي ﷺ لم يتكلم قط إلا بفائدة ولا من سننه شيء لا يعلم معناه، فجعلت أعد الطاعات من الإيمان فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئاً كثيراً، فرجعت إلى السنن، فعددت كل طاعة عدها رسول الله ﷺ من الإيمان، فإذا هي تنقص من البضع والسبعين، فرجعت إلى ما بين الدفتين من كلام ربنا، وتلوته آية آية بالتدبر، وعددت كل طاعة عدها الله جل وعلا من الإيمان، فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين فضممت الكتاب إلى السنن، وأسقطت المعاد منها، فإذا كل شيء عده الله جل وعلا من الإيمان في كتابه، وكل طاعة جعلها رسول الله من الإيمان في سنة تسع وسبعين شعبة لا يزيد عليها ولا ينقص منها شيء، فعلمت أن مراد النبي ﷺ كان في

(سننه)

---

(١) تقدم تخريجه.

الخبر أن الإيمان بضع وسبعون شعبة في الكتاب والسنة، فذكرت هذه المسألة بكمالها بذكر شعبه في كتاب «وصف الإيمان وشعبة» بما أرجو أن فيها الغنية للمتأمل إذا تأملها. فاغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب)[1].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لصحيح البخاري ـ فائدة ـ : قال القاضي عياض: تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد وفي الحكم يكون ذلك هو المراد صعوبة، ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان.

ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه، وقد لخصت مما أورده ما أذكره، وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن، فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة. الإيمان بالله ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خير وشره، والإيمان باليوم الآخر ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث والنشور، والحساب، والميزان والصراط، والجنة والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه، واتباع سنته، والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان تشتمل على سبع خصال: التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء، والذكر ويدخل فيه الاستغفار، واجتناب الكفر.

وأعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة منها ما يختص بالأعيان، وهي خمس عشرة خصلة: التطهير حسا وحكما، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورات، والصلاة فرضاً ونفلاً، والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود، ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف والصيام فرضا ونفلا، والحج والعمرة كذلك، والطواف والإعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات ومنها ما يتعلق بالأتباع وهي ست خصال: التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين،

---

(١) «الإحسان»: (١/٣٨٧-٣٨٨).



وفيه اجتناب العقوق وتربية الأولاد وصلة الرحم، وطاعة السادة أو الرفق بالعبد، ومنها ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد، ومنه المرابطة وأداء الأمانة ومنه أداء الخمس، والفرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله، وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام، فهذه تسع وستون[1]، خصلة ويمكن عدّها تسعا وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر وممن حاول جمعها وتتبعها البيهقي رحمه الله وذلك في كتابه الجامع لشعب الإيمان وتتبعها أيضاً قبله الحليمي وغيرهم من العلماء كأبي يعلي الحنبلي وغيره.

إلا أن أفضل الطرق وأقربها طريقة ابن حبان كما أقر بذلك ابن حجر رحمه الله وخلاصة القول أن ابن حبان رحمه الله تعالى يوافق أهل السنة والجماعة في أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

○ ○ ○

(١) «فتح الباري»: (١/٥٢-٥٣).

المبحث الرابع:
الاستثناء في الإيمان

الاستثناء في الإيمان هو قول المرء: أنا مؤمن إن شاء الله.

والناس في هذه المسألة على أقوال ثلاثة:

القول الأول: تحريم الاستثناء، وهذا قول المرجئة والجهمية ومن وافقهم، ومأخذ هذا القول: أن الإيمان شيء واحد يعلمه الإنسان من نفسه، وهو التصديق الذي في القلب، فإذا استثنى فيه كان دليلاً على شكه، ولذلك كانوا يسمون الذين يستثنون في الإيمان «شكاكة»[1].

القول الثاني: وجوب الاستثناء في الإيمان، وأصحاب هذا القول لهم مأخذان:

المأخذ الأول: أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، والإنسان إنما يكون مؤمنا وكافراً بحسب الموافاة وهذا شيء مستقبل غير معلوم، فلا يجوز الجزم به، وهذا مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية[2]، وغيرهم ممن يريد أن ينصر أهل السنة في قولهم: أنا مؤمن إن شاء الله، ويريد مع ذلك أن يجعل الإيمان لا يتفاضل، والإنسان لايشك في الموجود منه وإنما يشك في المستقبل وبهذا قال: كثير من المتكلمين ومن اتباع المذاهب من الحنبلية والشافعية والمالكية، وغيرهم. وهذا المأخذ لم يعلل به أحد من السلف وإنما كانوا يعللون بالمأخذ الثاني وهو.

المأخذ الثاني: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع المأمورات وترك جميع المحظورات، وهذا لا يجزم به الإنسان من نفسه، ولو جزم به لكان قد زكى نفسه وشهد لها بأنه من المتقين الأبرار وكان ينبغي على هذا أن يشهد لنفسه بأنه من أهل الجنة وهذا ممتنع.

القول الثالث: جواز الاستثناء باعتبار وتركه باعتبار، وهذا مذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين كابن مسعود رضي الله عنه وأصحابه، وهو مذهب الثوري وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء البصرة وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة أهل

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٧/ ٤٢٩).

(٢) الكلابيّة: فرق تنسب إلى أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كُلاب القطان (ت بعد سنة ٢٤٠هـ) له آراء كلامية من أبرزها نفي صفات الله المتعلقة بمشيئته وإرادته تعالى، والقول بان الإيمان هو التصديق. انظر «أصول الدين» للبغدادي: (ص ٨٩) وما بعدها، «الفصل» لابن حزم: (٤/ ٢٠٨).



السنة وهذا متواتر عنهم[1].

وقد سلك أهل السنة والجماعة مسلكاً وسطاً فيه هذه المسألة فلم يقولوا بالوجوب ولم يقولوا بالتحريم بل توسطوا في الأمر فأجازوه باعتبار ومنعوه باعتبار كما تقدم.

رأي ابن حبان في الاستثناء في الإيمان:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن الاستثناء على ضربين، فضرب منه يطلق، مباح له ذلك، وضرب آخر إذا استثنىٰ فيه الإنسان كفر، أي أنه يرى أن من الاستثناء ما هو جائز، ومنه ما هو محرم بل إنه كفر وقد استدل رحمه الله تعالى على جواز الاستثناء بأدلة منها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أني قد رأيت إخواننا**» قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: «**بل أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطكم على الحوض**» قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: «**أرأيت لو كانت لرجل خيل غير محجلة في خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله**»؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**فإنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم: ألا هلم، فيقال إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: فسحقاً، فسحقاً، فسحقاً**»[2].

وقال رحمه الله عقب إيراده لهذا الحديث: (الاستثناء في المستقبل من الأشياء يستحيل في الشيء الماضي، وإنما يجوز الاستثناء في المستقبل من الأشياء.

وحال الإنسان في الاستثناء على ضربين إذا استثنىٰ في إيمانه، فضرب منه يطلق مباح له ذلك وضرب آخر إذا استثنىٰ فيه الإنسان كفر.

وأما الضرب الذي لا يجوز ذلك فهو أن يقال للرجل. أنت مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار، والبعث والميزان، وما يشبه هذه الحالة؟ فالواجب عليه أن يقول: أنا مؤمن بالله حقاً، ومؤمن بهذه الأشياء حقاً فهو ما استثنىٰ، فمتىٰ ما استثنىٰ في هذا كفر.

والضرب الثاني: إذا سئل الرجل: إنك من المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٧/٤٣٩).

(٢) أخرجه مسلم: (١/٢١٨، ح ٢٤٩) في الطهارة: باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، وابن حبان في صحيحه: (٣/٣٢١، ح ١٠٤٦) في الطهارة: باب فضل الوضوء.

فيها خاشعون وعن اللغو معرضون؟ فيقول: أرجو أن أكون منهم إن شاء الله أو يقال له: أنت من أهل الجنة؟ فيستثني أن يكون منهم.

والفائدة في الخبر حيث قال النبي ﷺ: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» أنه ﷺ دخل بقيع الغرقد في ناس من أصحابه فيهم مؤمنون ومنافقون، فقال: «**إنا إن شاء الله بكم لاحقون**» واستثنى المنافقين أنهم - إن شاء الله - يسلمون فيلحقون بكم، على أن اللغة تسوغ إباحة الاستثناء في الشيء المستقبل، وإن لم يشك في كونه لقوله عز وجل: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين**﴾[1][2].

ومن قول ابن حبان المتقدم آنفاً يتضح أنه يرى جواز الاستثناء في الإيمان في حال دون حال وذلك على النحو التالي:

١- ما في القلوب من الإيمان من الإقرار بما جاء به النبي ﷺ من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار، والبعث والميزان ونحو ذلك، فهذا يجزم به بقول أنا مؤمن من غير استثناء والاستثناء في مثل هذا لا يجوز بل يراه كفرا.

٢- الاستثناء في الإيمان المطلق المتضمن فعل جميع المأمورات وترك المحظورات، فهذا يجوز الاستثناء فيه.

وهذا التفصيل من ابن حبان في هذه المسألة هو ما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

يقول الآجرى رحمه الله موضحاً رأي السلف في هذه المسألة: (من صفة أهل الحق ممن ذكرنا - من أهل العلم الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشك - نعوذ بالله من الشك في الإيمان، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟ وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وأشباه هذا. والناطق بهذا والمصدق به في قلبه مؤمن، وإنما الاستثناء في الإيمان؛ لا يدري أهو ممن يستوجب ما نعت الله عز وجل به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟

هذا طريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، عندهم أن الاستثناء في الأعمال

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٧.

(٢) «الإحسان»: (٣/٣٢٢-٣٢٣).





لا يكون في القول والتصديق بالقلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون، به يتوارثون، وبه يتناكحون، وبه تجري أحكام ملة الإسلام، ولكن الاستثناء منهم على حسب ما بيناه لك وبينه العلماء من قبلنا)[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبينا رأي سلف هذه الأمة: (وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه والثوري وابن عيينه وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء البصرة، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة فكانوا يستثنون في الإيمان وهذا متواتر عنهم لكن ليس في هؤلاء من قال: أنا استثني لأجل الموافاة، وأن الإيمان اسم لما يوافي به العبد ربه، بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى، فإن ذلك مما لا يعلمونه، وهو تزكية لأنفسهم بلا علم)[٢].

وأذكر هنا أيضاً ما يقرر هذه المسألة من أقوال الأئمة كالثوري والأوزاعي والإمام أحمد وغيرهم رحمهم الله تعالى.

قال سفيان الثوري رحمه الله: (الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث ولا ندري كيف هم عند الله عز وجل؟ ونرجو أن نكون كذلك)[٣].

وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى: (من قال: أنا مؤمن فحسن، ومن قال: أنا مؤمن إن شاء الله فحسن لقول الله عز وجل: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين**﴾ وقد علم أنهم داخلون)[٤].

وعن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه قال: (قال رجل لعلقمة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو إن شاء الله)[٥].

وقال الإمام أحمد: (سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما أدركنا من أصحابنا ولا بلغني إلا على الاستثناء)[٦].

---

(١) «الشريعة»: (ص ١٢٩).
(٢) «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٣٧٤).
(٣) «الشريعة»: (ص ١٣٠).
(٤) «الإيمان» لابي عبيد: (ص ٦٨).
(٥) «السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد: (١ / ٣٤٠)، «الشريعة»: (ص ١٣٢).
(٦) «السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد: (١ / ٣١٠)، «الشريعة»: (ص ١٣٠).

وروى عنه أن كان يقول: (إذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله فليس هو بشاك، قيل له: إن شاء الله أليس هو شك؟ فقال: معاذ الله. أليس قد قال الله عز وجل: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله**﴾ وفي علمه أنهم يدخلونه، وصاحب القبر إذا قيل له: وعليه تبعث إن شاء الله، فأي شك هاهنا؟ وقال النبي ﷺ: «.. **وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[1].

فهذه النقول عن الأئمة الأعلام من السلف رحمه الله تعالى تبين جواز الاستثناء في الإيمان إذا لم يكن للشك في الإيمان ولكن خوف تزكية النفس.

وقول السلف بجواز الاستثناء في الإيمان مبني على عدة اعتبارات أساسية.

الاعتبار الأول: أن الإيمان قول وعلم يزيد وينقص وأن الإيمان المطلق صفة لا تطلق إلا على من فعل المأمورات وترك المحرمات كلها أو زاد على ذلك، فمن جزم لنفسه بالإيمان هنا فكأنما جزم لنفسه بكمال الإيمان وضمن لنفسه دخول الجنة ابتداء، وهذا من التألي على الله عز وجل، ومن التزكية للنفس بغير علم وقد نهىٰ الله عن ذلك فقال تعالى: ﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقىٰ**﴾[2]، ولهذا عاتب ابن مسعود رضي الله عنه رجلا قال: أنا مؤمن فقال له رضي الله عنه: أفأنت من أهل الجنة؟ فقال: أرجو، فقال ابن مسعود: أفلا وكلت في الأولى كما وكلت الأخرىٰ[3].

الاعتبار الثاني: أن الاستثناء جائز حتى في الأمور التي لاشك فيها، بل فيما يعلم وجوده يقيناً، وقد جاءت السنة بالاستثناء في ذلك لما فيه من الحكمة وتعليق الأمر كله بمشيئة الله تعالى.

الاعتبار الثالث: أن العاقبة والموافاة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، والإيمان النافع هو الذي يموت المرء عليه، فالاستثناء هنا معناه عدم العلم بالخاتمة.

ومما يجدر التنبية عليه أن السلف قد كرهوا سؤال الرجل لغيره: أمؤمن أنت؟ ذلك أن هذا بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم: إن الإيمان هو التصديق وأن الاستثناء يحرم وكان الإمام أحمد رحمه الله وغيره من السلف يكرهون هذا السؤال، ويكرهون الجواب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإن الرجل يعلم من نفسه أنه ليس بكافر، بل يجد قلبه مصدقاً بما

(١) «الشريعة»: (ص ١٣٠).
(٢) سورة النجم: الآية ٣٢.
(٣) «الشريعة»: (ص ١٣١).



جاء به الرسول ﷺ، فيقول: أنا مؤمن فيثبت أن الإيمان هو التصديق، لأنك تجزم بأنك مؤمن، ولا تجزم بأنك فعلت كل ما أمرت به، فلما علم السلف مقصودهم ـ أي مقصود المرجئة ـ صاروا يكرهون الجواب، أو يفصلون في الجواب، وهذا لأن لفظ الإيمان فيه إطلاق وتقييد فكانوا يجيبون بالإيمان المقيد الذي لا يستلزم أنه شاهد فيه لنفسه بالكمال ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال أنا مؤمن بلا استثناء إذا أراد ذلك لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل، لهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء يتقدمه)[1].

الاستثناء في الماضي:

أشار ابن حبان رحمه الله إلى أن الاستثناء إنما يجوز في المستقبل من الأشياء، أما الاستثناء في الشي الماضي فهذا مما يستحيل، وهذا حق وقد عد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا النوع من الاستثناء بدعة مخالفة للدين والعقل.

قال رحمه الله: (أما الاستثناء في ماض معلوم فهذه بدعة بخلاف العقل والدين)[2].

وقال أيضاً: (وأما الاستثناء في الماضي المعلوم المتيقن مثل قوله: هذه شجرة إن شاء الله، أو هذا إنسان إن شاء الله أو السماء فوقنا إن شاء الله أو لا إله إلا الله إن شاء الله أو محمد رسول الله إن شاء الله، والامتناع من أن يقول محمد رسول الله قطعاً وأن يقول هذه شجرة قطعا، فهذه بدعة مخالفة للعقل والدين)[3].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن ابن حبان رحمه الله تعالى قد سلك منهج السلف في جواز الاستثناء بالإعتبارات المتقدمة كما أن رحمه الله أيضاً قد وافقهم في المنع من الاستثناء في الماضي وعدّ ذلك مستحيلا لما فيه من مخالفة العقل والدين.

○ ○ ○

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٧/٤٤٨-٤٤٩).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٨/٤٢٧).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٨/٤٢١).

المبحث الخامس:

الكبيرة وحكم مرتكبها

دلت نصوص الكتاب والسنة على التفريق بين الكبائر والصغائر، قال تعالى: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً**﴾[1].

قال القرطبي رحمه الله: (لما نهى الله عن آثام هي كبائر، وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر ودل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر، وعلى هذا جماعة من أهل التأويل من الفقهاء وأن اللمسة والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعاً)[2].

تعريف الكبيرة:

للعلماء في تعريف الكبيرة أقوال كثيرة، ولكن اختلافهم في تعريفها لا يرجع إلى التباين والتضاد بل أقوالهم متقاربة، كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله.

وقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بأنها: (كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار)[3] وهذا التعريف الذي اختاره شيخ الإسلام هو ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن والضحاك كما ذكر ذلك عنهم ابن جرير الطبري رحمه الله[4].

وقد رجح شيخ الإسلام هذا التعريف على غيره من التعريفات بعدة مرجحات فقال: (وإنما قلنا إن هذا الضابط أولى من سائر الضوابط المذكورة لوجوه:

أحدها: أنه المأثور عن السلف بخلاف الضوابط الأخرى فإنها لا تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة.

الثاني: أن الله تعالى وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيآت واستحقاق الوعد الكريم، وكل من وعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان جنة فإنه خارج عن هذا الوعد.

---

(١) سورة النساء: الآية ٣١.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٥/ ١٥٨).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٦٥٠).



الثالث: أن الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله ﷺ في الذنوب.

رابعاً: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الصغائر والكبائر بخلاف غيره[١].

عدد الكبائر:

كما اختلف العلماء في تعريف الكبيرة فقد اختلفوا في عدد الكبائر على أقوال:

فقيل ثلاث، وقيل أربع، وقيل سبع، وقيل تسع، وقيل عشر، وقيل أربع عشرة، وقيل خمس عشرة، وقيل سبعة عشرة، وقيل إلى السبعين أقرب منها إلى السبع وقيل إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع، وقيل غير ذلك من الأقوال[٢].

والأقرب والله أعلم أنها غير محصورة بعدد معين، وما ذكر منها في بعض الأحاديث فليس المراد به حصرها أو عدها، بل يذكر من أنواعها ما يناسب الحال ويقتضيه المقام.

حكم مرتكب الكبيرة:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن مرتكب الكبيرة سوى الشرك ـ ما لم يستحلها ـ لا يكفر بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو هو مؤمن ناقص الإيمان، وإن مات وهو مصر عليها فهو في الآخرة تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة حيث لا يخلد في النار إلا الكفار.

وقد أورد النصوص الكثيرة التي قرر بها رأيه ذلك ومنها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع المسلمون إليها أبصارهم وهو حين ينتهبها مؤمن**»[٣]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكرخبر ثان يصرح باطلاق لفظة مرادها نفي الإسم عن الشيء للنقص عن الكمال، لا الحكم على ظاهره)[٤]، وهذا تصريح من رحمة الله بأن مرتكب تلك الذنوب مؤمن

---

(١) «تفسير الطبري»: (٨/٢٤٦-٢٤٧).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١١/٦٥٤-٦٥٥).

(٣) أخرجه البخاري: (٥/١١٩، ح ٢٤٧٥) في المظالم: باب النهبى بغير إذن صاحبها، ومسلم: (١/٧٦، ح ٥٧) في الإيمان: باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

(٤) «الإحسان»: (١/٤١٤).

لكن ليس إيمانه كاملا، كما أنه لا يسلب مطلق الإسم بحيث ينفىٰ عنه الإسم بالكلية كما هو شأن الخوارج والمعتزلة.

٢- عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف، أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»[(١)]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن العرب في لغتها تضيف الأسم إلى الشيء للقرب من التمام وتنفي الإسم عن الشيء للنقص عن الكمال)[(٢)].

٣- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»[(٣)]، وقد ترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن الله جل وعلا بتفضله لا يدخل النار من كان في قلبه أدنى شعبة من شعب الإيمان على سبيل الخلود)[(٤)].

وفي هذه الترجمة بيان واضح أنه يرى أن أهل الكبائر من المؤمنين لا يخلدون في النار كما هو شأن الكفار والعياذ بالله تعالى.

وقد أعقب هذا الخبر في موضع آخر بقوله: (في هذا الخبر معنيان اثنان:

أحدهما: وهو الذي نوعنا له النوع «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر**» أراد به جنة عالية يدخلها غير المتكبرين.

وقوله: «**ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**» أراد به ناراً سافلة يدخلها غير المسلمين.

والمعنى الثاني: لا يدخل الجنة أصلا من كان في قلبه مثال حبة خردل من كبر، أراد بالكبر

---

(١) أخرجه البخاري: (٢/٣٣٣، ح ٨٤٦) في الأذان: باب يستقبل الناس الإمام إذا سلم، ومسلم: (١/٨٣، ح٧١) في الإيمان: باب كفر من قال مطرنا بنوء كذا.

(٢) «الإحسان»: (١/٤١٧-٤١٨).

(٣) أخرجه مسلم: (١/٩٣، ح ٩١) في الإيمان: باب تحريم الكبر وبيانه، وابن حبان في صحيحه: (١/٤٦٠، ح ٢٢٤) في الإيمان: باب فرض الإيمان.

(٤) «الإحسان»: (١/٤٦٠).







الشرك، إذ المشرك لا يدخل جنة من الجنان أصلا.

وقوله: «**لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**» أراد به على سبيل الخلود حتى يصح المعنيان معا[١].

٤- عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تبارك وتعالى: (يا ابن آدم لو لقيتني بمثل الأرض خطايا لا تشرك بي شيئاً لقيتك بملء الأرض مغفرة)**»[٢]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن الله قد يغفر بتفضله لمن لم يشرك به شيئاً جميع الذنوب التي كانت بينه وبينه)[٣].

٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول الله جل وعلا: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه، قال: فيخرجون منها حمماً بعد ما امتحشوا فيلقون في نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل**»، قال رسول الله ﷺ: «**ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية**»[٤]، وترجم ابن حبان لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن قوله ﷺ: «**إلا حجبتاه عن النار**» أراد به: إلا أن يرتكب شيئاً يستوجب من أجله دخول النار ولم يتفضل المولى جل وعلا عليه بعفوه)[٥]، وهذا يعني أنه يرى أن من دخل النار من أهل الكبائر فهم تحت مشيئة الله في الآخرة إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم فضلاً منه وإحساناً.

٦- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فبشرني أن من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وإن زنى وإن سرق»[٦]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عن إيجاب الجنة لمن حلت المنية به وهو لا يجعل مع الله نداً)[٧]، وأعقب الحديث بقوله: (قوله ﷺ: «**من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**» يريد به: إلا أن يرتكب شيئاً أوعدته عليه دخول النار.

---

(١) «الإحسان»: (١٢/ ٩٩٤).

(٢) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٠٦٨، ح ٢٦٨٧) في الذكر والدعاء: باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى.

(٣) «الإحسان»: (١/ ٤٦٢).

(٤) أخرجه مسلم: (١/ ١٧٢، ح ١٨٤) في الإيمان: باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

(٥) «الإحسان»: (١/ ٤٥٦).

(٦) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم: (٨١٢١)، وابن حبان في صحيحه: (١/ ٤٤٦، ح ٢١٣) في الإيمان: باب فرض الإيمان.

(٧) «الإحسان»: (١/ ٤٤٦).

وله معنى آخر: وهو أن من لم يشرك بالله شيئاً ومات، دخل الجنة لا محالة وإن عذب قبل دخوله إياها مدة معلومة[١].

وابن حبان بتفسيره للحديث وبيانه له يرى أن مآل أهل الكبائر من الموحدين إلى الجنة وإن عذبوا قبل ذلك إن لم يتجاوز الله عنهم.

٧- فرق ابن حبان رحمه الله بين العفو والغفران فقال: (الفرق بين العفو والغفران: أن العفو قد يكون من الرب جل وعلا لمن استوجب النار من عباده قبل تعذيبه إياهم نعوذ بالله منه، وقد يكون ذلك بعد تعذيبه إياهم الشيء اليسير ثم يتفضل عليهم جل وعلا إما من حيث يريد أن يتفضل وإما بشفاعة شافع.

والغفران: هو الرضا نفسه، ولا يكون الغفران منه جل وعلا لمن استوجب النيران بفضله إلا وهو يتفضل عليهم بأن لا يدخلهم إياها بحيلة)[٢].

فالمرتكب للذنب والمستحق للعقوبة في الآخرة كما يقول ابن حبان هنا إما أن يعفو الله عنه ابتداء فلا يعذب، وإما أن يعذب مدة معينة ثم يعفو الله عنه إما بفضله تعالى أو بشفاعة من يأذن الله تعالى له بالشفاعة فيه.

٨- عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٣]، وترجم له بقوله: (ذكر البيان بأن الشفاعة في القيامة إنما تكون لأهل الكبائر من هذه الأمة)[٤].

وترجم له في موضع آخر بقوله: (ذكر إثبات الشفاعة في القيامة لمن يكثر الكبائر في الدنيا)[٥]، وهذه ترجمة صريحة منه في عدم خلود أهل الكبائر من أهل التوحيد في النار وخروجهم منها بشفاعة النبي ﷺ إن لم يعفو الله عنهم قبل ذلك.

وخلاصة ما تقدم من أدلة ابن حبان التي أوردتها أنه يرىٰ أن صاحب الكبيرة في الدنيا مؤمن

---

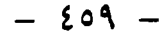
(١) «الإحسان»: (١/٤٤٦).

(٢) «الإحسان»: (٤/٥٦٢-٥٦٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد: (٣/٢١٣)، وأبو داود: (٤/٢٣٦، ح ٤٧٣٩) في السنة: باب في الشفاعة، والترمذي: (٧/١٥١، ح ٢٤٣٧) في صفة القيامة: باب ما جاء في الشفاعة، وابن حبان: (١٤/٣٨٦، ح ٦٤٦٧) في التاريخ: باب الحوض والشفاعة.

(٤) «الإحسان»: (١٤/٣٨٦).

(٥) «الإحسان»: (١٤/٣٨٧).







بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان، وأما في الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

وما ذهب إليه ابن حبان رحمه الله تعالى هو ما يعتقده أهل السنة والجماعة ويدينون الله به كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

قال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: (ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة ـ صغائر كانت أو كبائر، فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة ... وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل اعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار)[١].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام موضحاً رأي السلف: (وأن الذي عندنا في هذا الباب كله أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً ولا توجب كفرا، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته واخلاصه الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم في مواضع من كتابه)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان)[٣].

وقال أيضاً: (ومذهب أهل السنة والجماعة أن فساق الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة، وليسوا كاملين في الدين والإيمان بل لهم حسنات وسيآت يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب)[٤].

وقال الطحاوي رحمه الله: (وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[٥] وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته)[٦].

---

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (ص ٧١).

(٢) «الإيمان» لابن عبيد: (ص ٨٩).

(٣) «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ١٨٦).

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٧/ ٦٧٩).

(٥) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٦) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٣٦٠).

وقد استدل أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه بالعديد من الأدلة من الكتاب والسنة والآثار عن سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين.

أولا: الأدلة من القرآن:

١- قوله تعالى: ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾[١].

٢- قوله تعالى: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[٢]، وهذه بلا ريب فيمن مات من غير توبة لأنه عز وجل خصص وقيد المغفرة بما دون الشرك، أما مع التوبة فحتى الشرك يغفره الله.

قال ابن جرير رحمه الله: (وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركاً بالله)[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ﴾[٤] الآية.

وقد أورد الإمام البخاري هذه الآية مستدلا بها على أن المؤمن لا يكفر إذا ارتكب معصية ولا يسلب عنه اسم الإيمان، لأن الله سماهم مؤمنين مع اقتتالهم[٥].

ثانيا: الأدلة من السنة:

وقد تقدم ذكر طرف منها فيما استدل به ابن حبان على أن أهل الكبائر في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان وفي الآخرة تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ما لم يكن ذنبه شركاً أو ذنباً استحله، ومما استدل به أهل السنة والجماعة من الأحاديث:

١- قوله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» فقلت يا رسول الله: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»[٦].

---

(١) سورة الزمر: الآية ٥٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٣) «تفسير الطبري»: (٨/٤٥٠).

(٤) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٥) «فتح الباري»: (١/٨٤).

(٦) أخرجه البخاري: (١/٨٤، ح ٣١) في الإيمان: باب ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾، ومسلم: (٤/٢٢١٣، ح ٢٨٨٨) في الفتن: باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما.



سماهما

قال ابن حجر رحمه الله: (سماها مسلمين مع التوعد لهما بالنار)[١]، وهما مؤمنين بناء على القول الصحيح في مسمى الإيمان والإسلام أنهما إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا كما تقدم بيانه فيما سبق في مسمىٰ الإيمان والإسلام.

٢- قوله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه رضي الله عنهم: **«بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفىٰ منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»**[٢].

فقد بين النبي ﷺ أن من ارتكب من تلك الكبائر شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن لم يعاقب بها في الدنيا فستره الله فيها فهو في الآخرة تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، وهذا ينفي ما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة من تخليد أهل الكبائر من أهل التوحيد في النار.

ثالثاً: آثار السلف:

١- عن أبي سفيان قلت لجابر رضي الله عنه: (كنتم تقولون لأهل القبلة: إنكم كفار؟ قال: لا)[٣].

٢- وعن ابن عباس وابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما: (إنهم كانوا يرجون لأهل الكبائر)[٤].

٣- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صلى على قتلىٰ معاوية[٥].

٤- عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أنه سئل عن أصحاب الجمل فقال: (مؤمنون وليسوا بكفار)[٦].

٥- وقال الإمام أحمد رحمه الله في ذكر أصول السنة: (ومن لقيه مصراً غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له)[٧]، وكذا

---

(١) «فتح الباري»: (١/٨٥).

(٢) أخرجه البخاري: (١/٦٤، ح ١٨) في الإيمان، ومسلم.

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»: (٣/١٠٥٨).

(٤) المصدر السابق: (٣/١٠٥٩).

(٥) المصدر السابق: (٣/١٠٥٩).

(٦) المصدر السابق: (٣/١٠٦٠).

(٧) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (١/١٦٢).

قال ابن المديني رحمه الله[1].

٧- وقال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: (باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها إلا بارتكاب الشرك)[2].

٨- وقال ابن عبدالبر: (فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه فإن عذبه فبجرمه، وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة، وإن تاب قبل الموت وقبل حضوره ومعاينته، وندم واعتقد أن لا يعود واستغفر كان كمن لم يذنب، وبهذا كله الآثار الصحاح عن السلف قد جاءت وعليه جماعة علماء المسلمين)[3].

فهذا ما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام، وكل أقوالهم دالة على أن صاحب الكبيرة سوى الشرك، وإذا لم يستحلها، فإنه تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، هذا في الآخرة، أما في الدنيا فإنهم لا يكفرونه بل يرون أن مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

رأي ابن حبان في نصوص الوعيد:

المراد بنصوص الوعيد:

هي ما ورد من الآيات والأحاديث التي فيها وعيد للعصاة من غضب أو لعنة أو دخول نار في الآخرة وقد تقدم أنه يرى أن صاحب الكبيرة في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وأما في الأخرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه.

وقد بين رحمه الله تعالى المنهج الصحيح في حمل نصوص الوعيد خلافاً لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة والمرجئة الذين أخرجوها عن مدلولها الصحيح.

فقال رحمه الله تعالى عند قوله ﷺ: **«إن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له فسقته فغفر لها»**[4].

---

(١) «المصدر السابق»: (١/١٦٩).

(٢) «فتح الباري»: (١/٨٤).

(٣) «التمهيد»: (٤/٦٩).

(٤) أخرجه البخاري: (٦/٥١١، ح ٣٤٦٧) في أحاديث الأنبياء: باب ٥٤، ومسلم: (٤/١٧٦١، ح ٢٢٤٥) في السلام: باب فضل ساقي البهائم المحترمه وإطعامها.



(ألفاظ الوعيد في الكتاب والسنن كلها مقرونة بشرط: وهو إلا أن يتفضل الله جل وعلا على مرتكب تلك الخصال بالعفو وغفران تلك الخصال دون العقوبة عليها.

وكل ما في الكتاب والسنن من الوعد، مقرونة بشرط، وهو إلا أن يرتكب عاملها ما يستوجب بالعقوبة على ذلك الفعل حتى يعاقب، إن لم يتفضل الله عليه بالعفو ثم يعطىٰ ذلك الثواب الذي وعد به من أجل ذلك الفعل)(١).

وما ذهب إليه ابن حبان في هذه المسألة هو الحق، وهو الموافق لما عليه أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأحاديث الوعيد يذكر فيها السبب، وقد يتخلف موجبه لموانع تدفع ذلك، إما بتوبة مقبولة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بشفاعة مطاع وإما بفضل الله ورحمته ومغفرته)(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد، ولا يجوز عليه اخلاف الوعد والفرق بينهما أن الوعيد حقه، فإخلافه عفو وهبة وإسقاط ذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه والوعد حق عليه أوجبه على نفسه والله لا يخلف الميعاد)(٣).

ومما يستدرك على ابن حبان رحمها لله ـ ولعله اجتهد في ذلك ـ أنه قد فسر بعض ألفاظ الوعيد، كما فعل ذلك في تفسيره لقول النبي ﷺ: « ليس منا » الوارد في بعض الأحاديث، حيث قال: « ليس منا » في هذه الأخبار يريد به ليس مثلنا في استعمال هذا الفعل لأنا لا نفعله، فمن فعل ذلك فليس منا(٤).

وما فسره به خلاف ما عليه السلف كما قال ابن حجر رحمه الله في « الفتح »: والأولى عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله ليكون أبلغ في الزجر، وكان سفيان بن عيينة ينكر على من يصرفه عن ظاهره فيقول: معناه ليس على طريقنا، ويرى أن الإمساك عن تأويله أولى لما ذكرنا(٥).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الإمام أحمد رحمه الله أنكر على من فسر قوله

---

(١) «الإحسان»: (٢/١٣٨).
(٢) «مجموع الفتاوى»: (٢٤/٣٧٥).
(٣) «مدارج السالكين»: (١/١٩٦).
(٤) «الإحسان»: (١/٣٢٨).
(٥) «فتح الباري»: (١٣/٢٤).

ﷺ «ليس منا» بـليس مثلنا أو ليس من خيارنا، وقال هذا تفسير المرجئة، وقالوا: لو لم يفعل هذه الكبيرة كان يكون مثل النبي ﷺ[1].

ولعل ابن حبان رحمه الله قد اجتهد في تفسير هذه اللفظة، ولكن لم يصب الحق فيها، كما أنه لم يرد ما أراد المرجئة من تفسير هذه اللفظة لما تقدم من ذمه للأرجاء وإنكاره على أهله.

○ ○ ○

(١) «مجموع الفتاوى»: (٧/٥٢٥).





المبحث السادس:
الكفــر والشــرك

أولا: الكفر
تعريف الكفر لغة واصطلاحا:
أولا: تعريفه لغة:

أصل الكفر تغطية الشيء، وسمى الفلاح كافرا لتغطيته الحب، وسمي الليل كافرا لتغطيته كل شيء.

قال تعالى: ﴿ **كمثل غيث أعجب الكفار نباته** ﴾[1].

والكفر جحود النعمة وهو نقيض الشكر، وكفّره بالتشديد، نسبه إلى الكفر أو قال له كفرت بالله، وأكفره إكفاراً: حكم بكفره[2].

ثانيا: تعريفه اصطلاحا:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الكفر، وأسوق هنا جملة التعريفات التي عرف بها الكفر قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الكفر: عدم الإيمان باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم)[3].

وقال أيضاً: (الكفر عدم الإيمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة)[4].

وقال ابن حزم: (وهو في الدين ـ أي الكفر ـ صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه أو بهما معاً أو

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٢) «لسان العرب»: (٥/١٤٤-١٤٥)، «المفردات» للراغب الأصفهاني: (ص ٦٥٣-٦٥٥).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٢٠/٨٦).

(٤) المصدر السابق: (١٢/٣٣٥).

عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان)[1].

وقال الإيجي[2]: (الكفر عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه به ضرورة)[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: (الكفر: جحد ما علم أن الرسول جاء به سواء كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ بعد معرفته بأنه جاء به، فهو كافر في دق الدين وجله)[4].

فمن خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن الكفر الذي لا يجامع الإيمان هو اعتقادات وأقوال وأفعال حكم الشارع بأنها تناقض الإيمان.

رأي ابن حبان في الكفر:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن الكفر قسمان:

١- كفر أكبر مخرج من الملة.

٢- كفر أصغر غير مخرج من الملة.

ويرى أن الكفر أجزاء وشعب كما أن الإيمان كذلك.

وقد استدل ابن حبان لرأيه هذا بما رواه عن جرير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استنصت الناس في حجة الوداع ثم قال: «**لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض**»[5].

وأعقب الحديث بقوله: (قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً**» لم يرد به الكفر الذي يخرج عن الملة، ولكن معنى هذا الخبر، أن الشيء إذا كان له أجزاء يطلق اسم الكل على بعض تلك الأجزاء، فكما أن الإسلام له شعب، ويطلق اسم الإسلام على مرتكب شعبة منها لا بالكلية، كذلك يطلق اسم الكفر على تارك شعبة من شعب الإسلام، لا الكفر كله، وللإسلام والكفر

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٣/ ٢٥٢).

(٢) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار، ـ عضد الدين الايجي الشيرازي تتملذ على زين الدين السهنكي أحد تلامذة البيضاوي، كان عالماً بالعلوم العقلية والمعاني والبيان والنحو والفقه توفي سنة (٧٥٦هـ). انظر «الدرر الكامنة» للسبكي: (١٠/ ٤٦-٤٨).

(٣) «المواقف في علم الكلام» للايجي: (ص ٣٨٨) عالم الكتب، بيروت.

(٤) «مختصر الصواعق المرسلة»: (٢/ ٤٢١).

(٥) أخرجه البخاري: (١٣/ ٢٦، ح ٧٠٧٧) في الفتن: باب «ولا ترجعوا بعدي كفاراً»، ومسلم: (١/ ٨١، ح ٦٦) في الإيمان: باب معنى قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً».



مقدمتان لا تقبل أجزاء الإسلام إلا ممن أتى بمقدمة الكفر وهو الإقرار والمعرفة والإنكار والجحد)[١].

ومن هذا النقل عن ابن حبان رحمه الله يتضح ما سبق ذكره من أنه يرى أن الكفر ليس شعبة واحدة بل شعب وأجزاء متعددة، وأن الكفر المخرج عن الملة إنما هو التكذيب والجحود فيما يظهر لي من كلامه.

وقرر هذه المسألة ـ مسألة أن الكفر لا يكون إلا بالتكذيب والجحد فيما يظهر لي ـ عند قوله ﷺ: «**بكروا بالصلاة فإنه من ترك الصلاة فقد كفر**»[٢]، فقال عقبه: (أطلق المصطفى ﷺ، اسم الكفر على تارك الصلاة، إذ ترك الصلاة أول بداية الكفر، لأن المرء إذا ترك الصلاة واعتاده، ارتقى منه إلى ترك غيرها من الفرائض، وإذا اعتاد ترك الفرائض، أداه ذلك إلى الجحد، فأطلق ﷺ اسم النهاية التي هي آخر شعب الكفر على البداية التي هي أول شعبها وهي ترك الصلاة)[٣].

وقال أيضاً بعد إخراجه لقوله ﷺ: («المراء في القرآن كفر»[٤]، إذا مارى في القرآن أداه ذلك ـ إن لم يعصمه الله ـ إلى أن يرتاب في الآي المتشابه منه، وإذا ارتاب في بعضه، أداه ذلك إلى الجحد، فأطلق ﷺ اسم الكفر الذي هو الجحد على بداية سببه الذي هو المراء)[٥].

أما كون الكفر شعب وأجزاء فهذا حق كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وتمام هذا أن الإنسان قد يكون فيه شعبة من شعب الإيمان وشعبة من شعب النفاق، وقد يكون مسلماً وفيه كفر دون الكفر، الذي ينقل عن الإسلام بالكلية، كما قال ابن عباس وغيره: كفر دون كفر، وهذا قول عامة السلف وهو الذي نص عليه أحمد وغيره)[٦].

فكما أن الطاعات من شعب الإيمان، فكذلك المعاصي من شعب الكفر، وقد أطلق النبي

---

(١) «الإحسان»: (١٣/٢٦٩).

(٢) أخرجه البخاري: (٢/٣١، ح ٢٦٩) في المواقيت: باب من ترك العصر.

(٣) «الإحسان»: (٤/٣٢٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٢/٥٠٣)، وأبو داود: (٤/١٩٩، ح ٤٦٠٣) في السنة: باب النهي عن الجدال في القرآن، والحاكم في «المستدرك»: (٢/٢٢٣) وسنده حسن.

(٥) «الإحسان»: (٤/٣٢٦).

(٦) «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٢٩٨).

ﷺ اسم الكفر على عدد من الذنوب كقوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتال كفر**»[1]، وقوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[2].

وقوله ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب، والنياحة على الميت**»[3]، إلى غير ذلك من الأحاديث التي اطلق اسم الكفر على بعض الذنوب والتي يستنبط منها أن الكفر شعب وأجزاء.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان)[4].

ولهذا تقرر عند السلف أن المرء يمكن أن يجتمع فيه كفر غير ناقل عن الملة وإيمان وهذا أصل عظيم من أصول أهل السنة.

وأما حصر الكفر المخرج عن الملّة في الإنكار والجحد، فهذا مما خالف فيه ابن حبان ـ كما يظهر ـ أهل السنة والجماعة، وهذا القول الذي ذهب إليه ابن حبان هو قول المرجئة، وذلك أن الإيمان عندهم هو مجرد المعرفة والتصديق، فحصروا الكفر في الجهل والتكذيب ونحوه من الجحود والإنكار والعناد.

قال أبو المعين النسفي[5]: (الكفر هو التكذيب والجحود وهما يكونان في القلب)[6].

---

(١) أخرجه البخاري: (١/١١٠، ح ٤٨) في الإيمان: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ومسلم: (١/٨١، ح ٦٤) في الإيمان: باب قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم: (١/٨٢، ح ٦٧) في الإيمان: باب اطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، وأحمد في «المسند»: (٢/٣٧٧).

(٤) «كتاب الصلاة»: لابن قيم الجوزية: (ص ٥٣) ط ١، ١٤٠٠هـ المكتب الإسلامي، بيروت.

(٥) هو ميمون بن محمد بن معتمد أبو المعين النسفي المكحولي توفي سنة (٥٠٨هـ) من أشهر كتبه «التمهيد»، «تبصرة الأدلة في العقائد». انظر «الجواهر المضية» للقرشي: (٣/٥٢٧)، «تاج التراجم في طبقات الحنفية» لابن قطلوبغا: (ص ٧٨).

(٦) «التمهيد في أصول الدين» لأبي المعين النسفي: (ص ١٠٠)، دار الثقافة، القاهرة، ١٤٠٧هـ.



وقال الباقلاني: (الكفر: ضد الإيمان، وهو الجهل بالله عز وجل والتكذيب به الساتر لقلب الإنسان عن العلم به)[1].

نقد رأي ابن حبان في مفهوم الكفر:

تقدم في المبحث الأول أن ابن حبان يرى أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، وهذا هو ما يراه أهل السنة والجماعة، إلا أنه رحمه الله قد وافق المرجئة ـ فيما يظهر ـ في مفهوم الكفر وقصره على الإنكار والجحد، فالكفر الذي ينقل عن الملة في رأي المرجئة ومن وافقهم لا يكون إلا بالإنكار والجحد.

وقد أنكر أهل السنة والجماعة على المرجئة في قصرهم الكفر الناقل عن الملة في الإنكار والجحد وهذه بعض النقول عنهم في ردّ ذلك وإبطاله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الكفر عدم الإيمان [بالله] ورسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة)[2].

وقال أيضاً: (ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة، فتكذيب الرسول كفر وبغضه وسبه وعداوته، مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة العلم إلا الجهم ومن وافقه كالصالحي والأشعري وغيرهم)[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: (وهذان القسمان ـ كفر الجحود والعناد وكفر الإعراض ـ أكثر المتكلمين ينكرونها، ولا يثبتون من الكفر إلا الأول «كفر التكذيب أو الجهل» ويجعلون الثاني والثاني «كفر الجحود والإعراض» كفراً لدلالته على الأول لا لأنه في ذاته فليس الكفر إلا مجرد الجهل، ومن تأمل القرآن والسنة وسير الأنبياء في أممهم ودعوتهم لهم وما جرى لهم معهم، جزم بخطأ أهل الكلام فيما قالوه وعلم أن عامة كفر الأمم عن تيقن وعلم ومعرفة بصدق أنبيائهم)[4].

وقال ابن حزم رحمه الله في تقرير عدم انحصار الكفر في التكذيب: (قد قال الله تعالى:

---

(١) «التمهيد» للباقلاني، المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٧م.

(٢) «مجموع الفتاوى»: (١٢/٣٣٥) وانظر: (٣/٣١٥).

(٣) «منهاج السنة النبوية»: (٥/٢٥١).

(٤) «كتاب الصلاة» لابن القيم: (ص ٥٥).

﴿**إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدىٰ الشيطان سول لهم وأملىٰ لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم**﴾[1]، فجعلهم مرتدين كفاراً بعد علمهم بالحق وبعد أن تبين لهم الهدىٰ، بقولهم للكفار ما قالوا فقط، وأخبرنا تعالى أنه يعرف إسرارهم، ولم يقل تعالى أن جحدوا، بل قد صح أن في سرهم التصديق لأن الهدىٰ قد تبين لهم، ومن تبين له شيء، فلا يمكن البتة أن يجحده بقلبه أصلاً)[2].

وقال الحميدي[3] رحمه الله: (وأخبرت أن قوماً يقولون: إن من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت أو يصلي مسند ظهره، مستدبر القبلة حتي يموت، فهو مؤمن، ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك في إيمانه إذا كان يقر بالفروض، واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر بالله الصراح وخلاف كتاب وسنة رسوله لله وفعل المسلمين، قال الله عز وجل: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة**﴾[4])[5].

فهذه النقول المتقدمة عن جماعة من أهل العلم تبين بطلان ما ذهب إليه المرجئة من قصر الكفر المخرج عن الملة على الإنكار والجحد.

وقد ألزم المرجئة بإلزامات اضطربوا في الإجابة عنها وذلك لفساد قولهم وبعده عن الصواب ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من إلزام الإمام أحمد لهم بلوازم لا محيد عنها قال رحمه الله: (قال أحمد ... فيلزمه أن يقول: إذا أقرّ، ثم شد الزنار في وسطه وصلى للصليب وأتى الكنائس والبيع وعمل الكبائر كلها إلا أنه في ذلك مقر بالله، فيلزمه أن يكون عنده مؤمنا وهذه الأشياء من أشنع ما يلزمهم، قلت: هذا الذي ذكره الإمام أحمد من أحسن ما احتج الناس

(١) سورة محمد: الآيات ٢٥-٢٨.

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٣/٢٦٢).

(٣) هو عبدالله بن الزبير بن عيسى بن حميد، الإمام الحافظ الفقيه، صاحب «المسند» توفي بمكة سنة ٢١٩هـ انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٠/٦١٦)، و «طبقات الشافعية»: (٢/١٤٠).

(٤) سورة البينة: الآية ٥.

(٥) «السنة» للخلال: (٣/٥٨٦-٥٨٧).



به عليهم جمع في ذلك جملاً يقول غيره بعضها، وهذا الإلزام لا محيد لهم عنه، ولهذا لما عرف متكلميهم مثل جهم ومن وافقه أنه لازم التزموه وقالوا: لو فعل ما فعل من الأفعال الظاهرة لم يكن بذلك كافرا في الباطن، لكن يكون دليلا على الكفر في أحكام الدنيا)[1].

ومما قرره أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، فكذلك الكفر، فالكفر قول القلب (التكذيب) كما أنه أيضاً عمل القلب - كالبغض - وهو أيضاً قول اللسان وعمل الجوارح وكل هذه تنقل عن الملة.

وبالنظر في كتب الفقه نجد أن الفقهاء قد عقدوا باباً يتعلق بأحكام المرتد، ومن ذلك ما قاله البهوتي[2] في « كشاف القناع »: (المرتد: لغة الراجع، وشرعاً: الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً أو اعتقاداً أو شكاً أو فعلاً)[3].

وقال الشربيني[4] في « مغني المحتاج »: (الردة هي قطع الإسلام بنية، وقول أو فعل سواء قاله استهزاء أو عناداً أو اعتقاداً)[5].

وأختم هذا المبحث بما نقض به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قول المرجئة في مفهوم الكفر الناقل عن الملة، فدحض قولهم وأبطل شبههم:

قال رحمه الله: (... فهؤلاء القائلون بقول جهم والصالحي قد صرحوا بأن سب الله ورسوله والتكلم بالتثليث، وكل كلمة من كلام الكفر ليس هو كفر في الباطن، ولكنه دليل في الظاهر على الكفر، ويجوز مع هذا أن يكون هذا الساب الشاتم في الباطن عارفاً بالله موحداً له مؤمنا به، فإذا أقيمت عليهم حجة بنص أو إجماع أن هذا كافر باطناً وظاهراً. قالوا: هذا يقتضي أن ذلك مستلزم للتكذيب الباطن وأن الإيمان يستلزم عدم ذلك ...).

---

(١) « الإيمان » لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٣٨٤).

(٢) هو منصور بن يونس بن صلاح البهوتي، شيخ الحنابلة بمصر، له مؤلفات عديدة في الفقه، توفي بمصر سنة ١٠٥١هـ. انظر « معجم المؤلفين »: (١٣/ ٢٢).

(٣) « المغني » لابن قدامة: (٨/ ١٢٣) مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، و « غاية المنتهى »: (٣/ ٣٣٥)، ط ٢، ١٤٠١هـ المؤسسة السعدية، الرياض.

(٤) هو محمد بن أحمد الشربيني الشافعي، فقيه، مفسر، متكلم، نحوي له مصنفات كثيرة، توفي سنة (٩٧٧هـ) انظر « شذرات الذهب »: (٨/ ٣٨٤)، و « معجم المؤلفين »: (٨/ ٢٦٩).

(٥) « مغني المحتاج » للشربيني: (٤/ ١٣٣)، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٧٤هـ.

ثم رد على ذلك من وجوه فقال: . . .

أما الأول: فإنا نعلم أن من سب الله ورسوله طوعاً بغير كره، بل من تكلم بكلمات الكفر طائعاً غير مكره، ومن استهزاء بالله وآياته ورسوله، فهو كافر باطناً وظاهراً، وأن من قال: إن مثل هذا قد يكون في الباطن مؤمناً بالله وإنما هو كافر في الظاهر، فإنه قال قولاً معلوم الفساد بالضرورة من الدين، وقد ذكر الله كلمات الكفار في القرآن وحكم بكفرهم واستحقاقهم الوعيد بها، ولو كانت أقوالهم الكفرية بمنزلة شهادة الشهود عليهم أو بمنزلة الإقرار الذي يغلط فيه المقر لم يجعلهم الله من أهل الوعيد بالشهادة التي قد تكون صدقاً، وقد تكون كذباً، بل كان ينبغي أن لا يعذبهم إلا بشرط صدق الشهادة وهذا كقوله تعالى: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**﴾[1]، ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم**﴾[2]، وأمثال ذلك.

وأما الثاني: فالقلب إذا كان معتقداً صدق الرسول، وأنه رسول الله، وكان محبا لرسول الله ﷺ معظماً له، امتنع مع هذا أن يلعنه ويسبه فلا يتصور ذلك منه إلا مع نوع من الإستخفاف وبحرمته، فعلم بذلك أن مجرد اعتقاد أنه صادق لا يكون إيماناً إلا مع محبته وتعظيمه بالقلب . . . يبين ذلك قوله: ﴿**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة**﴾[3]. . . وبيّن تعالى أن الوعيد استحقوه بهذا، ومعلوم أن باب التصديق والتكذيب والعلم والجهل ليس هو من باب الحب والبغض، وهؤلاء يقولون: إنما استحقوا الوعيد لزوال التصديق والإيمان من قلوبهم، وإن كان ذلك قد يكون سببه حب الدنيا على الآخرة والله سبحانه وتعالى جعل استحباب الدنيا على الآخرة هو الأصل الموجب للخسران واستحباب الدنيا على الآخرة قد يكون مع العلم والتصديق بأن الكفر يضمر في الآخرة وبأنه ما له في الآخرة من خلاق، وأيضاً فإنه سبحانه استثنى المكره من الكفار، ولو كان الكفر لا يكون إلا بتكذيب القلب وجهله لم يستثن منه المكره، لأن الإكراه على ذلك ممتنع، فعلم أن التكلم بالكفر كفر لا في حال الإكراه.

ثالثاً: مما يكن أن يرد عليهم به أن يقال: قولكم إن ساب الرسول ﷺ يكفر إذا كان

(١) سورة المائدة: الاية ٧٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٣) سورة النحل: الآيتان ١٠٦، ١٠٧.



مستحلا وإن لم يكن مستحلا فسق، يلزم منه أن لا أثر للسب في التكفير وجوداً وعدماً، وإنما المؤثر هو الاعتقاد، فإن اعتقد حل السب كفر، سواء اقترن به وجود السب أو لم يقترن .. وهذا خلاف ما أجمع عليه العلماء[١].

رابعاً : أنه إذا كان المكفر هو اعتقاد الحل فليس في السب ما يدل على أن الساب مستحل، فيجب أن لا يكفر لاسيما إذا قال : أنا اعتقد أن هذا حرام وإنما أقول غيظاً وسفهاً أو أو عبثاً ولعباً كما قال المنافقون : ﴿**إنما كنا نخوض ونلعب**﴾[٢] وكما إذا قذفت هذا وكذبت عليه لعباً وعبثاً. فإن قيل: لا يكونون كفاراً فهو خلاف نص القرآن، وإن قيل: يكونون كفاراً فهو تكفير غير موجب، إذا لم يجعل نفس السبب مكفراً.

ولعل من أعظم أسباب اضطرابهم وتناقضهم إخراج كثير منهم أعمال القلوب من مسمىٰ الإيمان ولذلك ظنوا أن سب الرسول (رسول) الله لا ينافي اعتقاد صدقه فيجوز اجتماع ذلك مع الإيمان، ولكن لو ادخلوا الأعمال في مسمىٰ الإيمان لعلموا أنه يستحيل أن يسب المرء من أحبه وخضع واستسلم، لأن المحبة والاستسلام والانقياد إكرام وإعزاز، والسب والشتم إهانة وإذلال فلا يجتمعان)[٣].

وبهذا يتضح مخالفة ابن حبان رحمه الله فيما يظهر لأهل السنة والجماعة في مفهوم الكفر الناقل عن الملة وحصره إياه في الإنكار والجحد كما هو قول المرجئة، وإن كان رحمه الله يخالفهم وينكر عليهم في مسألة دخول الأعمال في مسمىٰ الإيمان، لكنه وافقهم في مفهوم الكفر، والكفر عند أهل السنة والجماعة منه ما هو اعتقادي ومنه من هو عملي.

فأما الكفر الاعتقادي فهو أقسام خمسة يمكن إجمالها فيما يلي :

١- كفر التكذيب.

٢- كفر الاباء والاستكبار.

٣- كفر الإعراض.

٤- كفر الشك أو الظن.

٥- كفر النفاق.

---

(١) «الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول» لشيخ الإسلام ابن تيمية : (ص ٥١٨) ط عالم الكتب، بيروت.

(٢) سورة التوبة : الآية ٦٥.

(٣) «الصارم المسلول»: (ص ٥٢٣).

وهذه الأقسام كلها ناقلة عن الملة.

وأما الكفر العملي فهو قسمان:

١- كفر أصغر لا يخرج من الملة كالحلف بغير الله والطعن في الأنساب والنياحة وغير ذلك.

٢- كفر أكبر يخرج من الملة وينافي أصل الإيمان كالاستهزاء بالمصحف وسب النبي ﷺ وهذا القسم لا تقر به المرجئة وكذلك الأقسام قبله إلا كفر التكذيب أو الإنكار والجحد، وقد تبين فيما تقدم بيان فساده وبطلانه.

ثانياً: الشرك:

تعريف الشرك لغة واصطلاحاً:

أولا: تعريفه لغة:

مادة الشرك تعني في اللغة الخلط والضم والشركة والشركة سواء مخالطة الشريكين[١].

وقال الراغب الأصفهاني[٢]: (هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً عيناً كان ذلك الشيء أو معنى كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية، واجتماع الشركاء في شيء لا يقتضي تساوي انصبائهم منه ولا يمنع زيادة قسط على آخر، ولهذا تقول فلان شريك لغيره في دار أو أرض أو غير ذلك، ولو لم يكن له من هذه الأشياء إلا عشرها أو أقل منه)[٣].

ثانيا: تعريفه شرعًا (اصلاحا) واصطلاحاً

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وأصل الشرك أن تعدل بالله مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور فمن عبد غيره، وتوكل عليه فهو مشرك به)[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: (فالشرك تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية)[٥].

---

(١) «لسان العرب»: (١٠/٤٤٨) مادة/ شرك.

(٢) هو الحسن بن محمد بن المفضل الأصفهاني، أبو القاسم الملقب بالراغب العلامة الماهر المحقق، صاحب التصانيف، كان من أذكياء العالم، توفي سنة (٥٠٢هـ). انظر «السير»: (١٨/١٢٠، ١٢١)، «بغية الدعاة» للسيوطي: (٢/٢٩٧).

(٣) «المفردات» للراغب الأصفهاني: (ص٢٥٩).

(٤) «الاستقامة»: (١/٣٤٤).

(٥) «الجواب الكافي» لابن القيم: (ص ٢٠١).



وعرفه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله بعبارة موجزة فقال: (إن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص وصرفه لغيره شرك وكفر، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء)[1].

رأي ابن حبان في الشرك:

١- الشرك والظلم:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن الشرك أعظم الظلم، واستدل لذلك بما رواه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ قال أصحاب النبي ﷺ: أينا لم يظلم نفسه؟ قال: فنزلت: ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾[2]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر إطلاق اسم الظلم على الشرك بالله جل وعلا)[3].

وما أشار إليه ابن حبان رحمه الله هو ما قررته آيات الكتاب العزيز والسنة النبوية.

قال تعالى في بيان وصية لقمان لابنه: ﴿**يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾[4].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾ أي: هو أعظم الظلم[5].

وقال الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي[6] رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: (ووجه كونه ظلماً عظيماً، أنه لا أفظع ولا أبشع ممن سوىٰ المخلوق من تراب بمالك الرقاب.

وسوىٰ الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله، وسوّى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوّى من لا يستطيع أن ينعم بمثقال ذرة من النعيم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه ولا يصرف السوء

---

(١) «القول السديد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبدالرحمن السعدي: (ص ٤٨) ط ١، ١٤١٢هـ، دار الوطن، الرياض.

(٢) أخرجه البخاري: (١/ ٨٧، ح ٣٢) في الإيمان: باب ظلم دون ظلم، ومسلم: (١/ ١١٤، ح ٩٢٤) في الإيمان: باب صدق الإيمان وإخلاصه.

(٣) «الإحسان»: (١/ ٤٨٧).

(٤) سورة لقمان: الآية ١٣.

(٥) «تفسير ابن كثير»: (٦/ ٣٣٨).

(٦) هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي التميمي ولد بعنيزة سنة (١٣٠٧هـ) له مؤلفات نافعة في التفسير والعقيدة توفي سنة (١٣٧٦هـ) انظر مقدمة تفسيره «يتسير المنان»: (ص ٥) بقلم أحد تلاميذه.

إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!!

وهل أعظم ظلماً ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة فجعلها في أحسن المراتب، جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئاً، فظلم نفسه ظلماً كبير[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[2].

فهذه الذنوب الكبيرة، هي أعظم الذنوب على الإطلاق وأعظمها الشرك بالله ولذلك ابتدأ النبي ﷺ به، ويوضح ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» قال قلت له: إن ذلك لعظيم، قال قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**» قال قلت: ثم أي قال: «**ثم أن تزاني حليلة جارك**»[3].

وفي حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**»؟ (ثلاثاً)، «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور**» (أو قول الزور) وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[4].

والأحاديث في بيان خطر الشرك وقبحه وسوء مآله أكثر من أن يحاط بها في مثل هذا المقام وحسبنا ما ذكر هنا من الأحاديث الصحيحة الصريحة في النهي عنه وبيان خطره.

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في كتابه «تيسير العزيز الحميد» رحمه الله: (وإنما كان كذلك - أي الشرك - لأنه أقبح وأظلم الظلم إذ مضمونه تنقيص رب العالمين وصرف خالص حقه لغيره وعدل غيره به كما قال تعالى: ﴿**ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**﴾[5]، ولأنه

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للشيخ ابن سعدي: (٦/١٥-١٥٦) ط دار الإفتاء، الرياض.

(٢) أخرجه البخاري: (١/١٣٢، ح ٥٧٦٤) في الطب: باب الشرك والسحر من الموبقات، ومسلم: (١/٩٢، ح ٨٩) في الإيمان: باب بيان الكبائر وأكبرها.

(٣) أخرجه البخاري: (٨/١٦٣، ح ٤٤٧٧) في التفسير: باب قول الله ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾، ومسلم: (١/٩٢، ح ٨٦) في الإيمان: باب كون الشرك أقبح الذنوب.

(٤) أخرجه البخاري: (١٠/٤٠٥، ح ٥٩٧٦) في الأدب: باب عقوق الوالدين من الكبائر، ومسلم: (١/٩١، ح ٨٧) في الإيمان: باب بيان الكبائر وأكبرها.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١.







مناقض للمقصود بالخلق والأمر مناف له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته والذل له، والانقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك)[١].

٢- الشرك الأكبر:

يفسر ابن حبان رحمه الله تعالى الكبر الوارد في بعض الأحاديث على أنه الشرك ويحمله عليه فمن ذلك ما أورده عند روايته الحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»[٢]، وأتبع الحديث بقوله: (في هذا الخبر معنيان اثنان:

أحدهما: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر» أراد به جنة عالية يدخلها غير المتكبرين.

وقوله: «**ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**» أراد به ناراً سافلة يدخلها غير المسلمين.

والمعنى الثاني: لا يدخل الجنة أصلا من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر، أراد بالكبر: الشرك إذ المشرك لا يدخل جنة من الجنان أصلا)[٣].

وهذان المعنيان اللذان أشار إليهما ابن حبان في تفسير الكبر حق، فالمشرك مستكبر عن عبادة الله عز وجل، والكبر ينافي حقيقة العبودية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تقرير أن الكبر طريق الشرك: (وكل من استكبر عن عبادة الله لابد أن يعبد غيره ... فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عن ذلك فلابد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب ... وإذا كان عبداً لغير الله يكون مشركاً وكل مستكبر فهو مشرك، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكباراً عن عبادة الله وكان مشركا)[٤].

وقال أيضاً: (بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل أعظم استكباراً عن عبادة الله كان

---

(١) «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: (ص ١١٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «الإحسان»: (١٢/٤٩٤).

(٤) «مجموع الفتاوى»: (١٠/١٩٩) وما بعدها.

أعظم إشراكا بالله، لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره وحاجته إلى المراد المحبوب)[1].

٣- الشرك محبط للعمل

قرر ابن حبان رحمه الله تعالى ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة من بطلان عمل المشرك لفقدانه أساس القبول وهو الإخلاص، وكل عمل - ولو كان من مسلم وقارنه الشرك - فهو غير مقبول وقد أورد رحمه الله جملة من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في تقرير هذا الأصل العظيم.

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا خير الشركاء من عمل عملا، فأشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك به**»[2].

وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن من لم يخلص عمله لمعبوده في الدنيا لم يثب عليه في العقبىٰ)[3].

وروى أيضاً عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة رضي الله عنهم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، ناد مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك**»[4].

وترجم للحديث بقوله: (ذكر نفي و جود الثواب عن الأعمال في العقبىٰ لمن أشرك بالله في عمله)[5].

وما قرره ابن حبان قد أوضحه الكتاب العزيز أوضح بيان وحذر المؤمنين منه، وأخبر أنه من صفات المنافقين.

قال تعالى: ﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾[6] فقد بين الله تعالى في هذه الآية أن الشرك محبط لجميع الأعمال، وأخبر أن هذا

---

(١) المصدر السابق: (١٠/ ١٩٨).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢/ ٣٠١)، ومسلم: (٢٢٨٩، ح ٢٩٨٥) في الزهد والرقائق: باب من أشرك في عمله غير الله بلفظ (أنا أغنى الشركاء).

(٣) «الإحسان»: (٢/ ١٢٠).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند»: (٣/ ٤٦٦)، والترمذي: (٨/ ٣٠٣، ح ٣١٥٢) في التفسير: باب ومن سورة الكهف، وابن ماجه: (٢/ ١٤٠٦، ح ٤٢٠٣) في الزهد: باب الرياء والسمعة وسنده حسن.

(٥) «الإحسان»: (٢/ ١٣٠).

(٦) سورة الزمر: الآية ٦٥.







ثابت في نبوة كل بني قبل النبي ﷺ.

وقال تعالى لما عد كثيراً من أنبيائه ورسله قال عنهم: ﴿**ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو شركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون**﴾[1].

قال ابن رجب رحمه الله: (واعلم أن العمل لغير الله أقسام فتارة يكون رياء محضا، فلا يراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دينوي، كحال المنافقين في صلاتهم كما قال تعالى: ﴿**وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس**﴾[2]، وكذلك وصف الله الكفار بالرياء في قوله: ﴿**ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس**﴾[3]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك المسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه)[4].

وخلاصة القول أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجه الله تعالى وكان على وفق ما شرع الله تعالى على لسان رسوله ﷺ، ومتى فقد العمل أحد هذين الشرطين لم يقبل، والشرك يتنافى مع التوحيد الذي هو أساس دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وابن حبان رحمه الله تعالى يوافق السلف في بيان خطر الشرك وأنه ضد التوحيد، والله لا يقبل مع الشرك عمل، بل عمل المشرك حابط، والمشرك قد حرم الله عليه الجنة، فلا يدخل جنة من الجنان إذ الله عز وجل قد حرم الجنة على المشركين كما قال تعالى: ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار**﴾[5].

وقد أشار ابن حبان إلى هذا فقال: والمشرك لا يدخل جنة من الجنان أصلا لا عالية ولا سافلة ولا ما بينهما[6].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٨.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٢.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٤٧.

(٤) «تيسير العزيز الحميد»: (ص ٥٢٨).

(٥) سورة المائدة: الآية ٧٢.

(٦) «الإحسان»: (٧/٤٥٢).

المبحث السابع:

النفـــاق

معنى النفاق:

أولا: تعريفه لغة:

اختلف علماء اللغة في أصل النفاق، فقيل: إن ذلك نسبة إلى النفق، وهو السرب في الأرض، لأن المنافق يستر كفره ويغيّبه، فتشبه بالذي يدخل النفق يستتر فيه. وقيل: سُمى به من نافقاء اليربوع، فإن اليربوع له حجر يقال له: النافقاء، وآخر يقال له القاصعاء، فإذا طلب من القاصعاء قصع فخرج من النافقاء، كذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه.

وقيل: نسبة إلى نافقاء اليربوع أيضاً لكن من وجه آخر، وهو إظهاره غير ما يضمر وذلك أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض ترك قشره رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج، فإذا رابه ريب دفع ذلك برأسه فخرج، فظاهر جحره تراب كالأرض وباطنه حفر، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر[١].

ولعل النسبة إلى نافقاء اليربوع أرجح من النسبة إلىٰ النفق، لأن النفق ليس فيه إظهار شيء وإبطان شيء آخر، كما هو الحال في النفاق، وكونه مأخوذاً من النافقاء باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يبطن أقرب من كونه مأخوذاً منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه، لأن الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النافقاء والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء آخر، إضافة إلى أن المنافق لم يدخل في الإسلام دخولاً حقيقياً حتى يخرج منه[٢].

أولا: تعريفه اصطلاحا:

لم تختلف تعريفات العلماء للنفاق في الاصطلاح الشرعي كثيراً عن بعضها البعض، فكلها تدور حول معنى واحد وهو إظهار الإيمان وستر الكفر، وفيما يلي سياق لما ذكره العلماء في

---

(١) «لسان العرب»: (١/٣٥٨-٣٥٩)، «النهاية في غريب الحديث»: (٥/٩٨)، «القاموس المحيط»: (ص ١١٩٦)، «المفردات»: (ص ٥٠٢).

(٢) «المنافقون في القرآن الكريم» د. عبدالعزيز الحميدي: (ص ١٣) دار المجتمع، جدة، ط ١، ١٤٠٩هـ.



تعريف النفاق:

فقد عرفه ابن القيم رحمه الله فقال: (المنافقون هم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله)[1].

وعرفه ابن العربي بقوله: (النفاق هو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والإعتقاد)[2].

وقال ابن كثير رحمه الله: (النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر)[3].

وقد عُرف النفاق فيما بعد باسم الزندقة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ «الزنديق» وشاعت في لسان الفقهاء، وتكلم الناس في الزنديق: هل تقبل توبته؟ ... والمقصود هنا: أن «الزنديق» في عرف هؤلاء الفقهاء هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره)[4].

رأي ابن حبان في النفاق:

يرى ابن حبان رحمه الله أن النفاق أجزاء وشعب كما هو الحال في الإيمان وفي الكفر، ويمكن أن يوجد في الإنسان إيمان ونفاق، وقد أوضح ابن حبان هذا الرأي الذي ذهب إليه عند روايته لحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منها، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر»**[5].

وقد ترجم للحديث بما يقرر أن النفاق شعب مختلفة، وأنه قد يجتمع في المكلف إيمان ونفاق، فقال: (ذكر إطلاق اسم النفاق على من أتى بجزء من أجزائه)[6].

وما ذكره ابن حبان من أن النفاق شعب وأجزاء حق، وهو ما عليه سلف الأمة من الصحابة

---

(١) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن القيم: (ص ٣٧٤)، الطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

(٢) «عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي» ابن العربي المالكي: (١٠/٩٧-٩٨) دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) «تفسير ابن كثير»: (١/٤٧).

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٧/٤٧١).

(٥) أخرجه البخاري: (١/٨٩، ح ٣٤) في الإيمان: باب علامة النفاق، ومسلم: (١/٧٨، ح ٥٨) في الإيمان: باب بيان خصال المنافق.

(٦) «الإحسان»: (١/٤٨٨).

والتابعين فقد بين علماء السلف أن النفاق ليس شعبة واحدة فقط بل النفاق عندهم متفاوت فمنه النفاق الأكبر الذي يخرج عن الملة، ومنه النفاق الأصغر الذي لا يخرج عن الملة.

وقسمه آخرون إلى نفاق اعتقادي يخرج عن الإسلام، ونفاق عملي لا يُخرج عنه.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أن هذا التفاوت في النفاق فقال: (فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار كنفاق عبدالله بن أبي وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول ... فهذا ضرب النفاق الأكبر، وأما النفاق الأصغر: فهو النفاق في الأعمال ونحوها)[1].

وقال أيضاً: (والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق، ولهذا كثيرا ما يقال: كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر ونفاق أصغر. كما يقال: الشرك شركان: أصغر وأكبر)[2].

ومما قرره ابن حبان ـ كما سبق بيانه ـ أن الإنسان قد تجتمع فيه شعب من الإيمان وشعب من النفاق وأيّد ذلك بما رواه عن أبي هريرة وحبيب عن الحسن رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»[3]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن خطاب هذا الخبر ورد لغير المسلمين)[4]، فهو من خلال هذه الترجمة يبطل قول من زعم أنه لا يمكن وجود خصال النفاق في بعض المسلمين.

وهذا القول الذي أنكره ابن حبان، ذكره ابن رجب رحمه الله وعزاه إلى بعض المرجئة، حيث قال: (وهذا الحديث قد حملة طائفة من يميل إلى الإرجاء على المنافقين الذين كانوا في عهد النبي ﷺ فإنهم حدثوا النبي ﷺ فكذبوه وأءتمنهم على سره فخالفوه ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه)[5].

وقد ذكر النووي رحمه الله تعالى أن هذا الحديث مما أشكل على بعض العلماء من حيث أن هذه الخصال قد توجد في المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره، ولكنه أجاب على هذا

(١) «مجموع الفتاوى»: (٢٨/٤٣٤-٤٣٥).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٧/٤٢٥).

(٣) أخرجه البخاري: (١/٨٩، ح ٣٣) في الإيمان: باب علامة المنافق، ومسلم: (١/٧٨، ح ٧٩) في الإيمان: باب بيان خصال المنافق.

(٤) «الإحسان»: (١/٤٩٠).

(٥) جامع العلوم والحكم ـ الحديث الثامن والأربعون (جـ٢ صـ٤٨٠) ط الرسالة ١٤١٢ هـ.

الإشكال المتوهم فقال: (وليس فيه أشكال، بل معناه صحيح والذي قاله المحققون إن معناه أن هذه خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم)[1].

وأجيب عن هذا الإشكال أيضاً بأن المراد به نفاق العمل[2]، وهذا صحيح فإن النفاق قسمان: نفاق اعتقادي ونفاق عملي، وهذا الخصال المذكورة في الحديث من النفاق العلمي.

وقال الخطابي رحمه الله في بيان المراد بالنفاق في الحديث السابق: (هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال فتفضي به إلى النفاق، لا إن من بدرت منه هذه الخصال، وفعل شيئاً من ذلك من غير اعتياد أنه منافق)[3].

وما قرره ابن حبان من أن الإنسان قد تجتمع فيه شعب الإيمان وشعب من النفاق هو ما عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وتمام هذا أن الإنسان قد يكون فيه شعبة من شعب الإيمان وشعبة من شعب النفاق، وقد يكون مسلماً وفيه كفر دون الكفر الذي ينقل عن الإسلام بالكلية كما قال الصحابة: ابن عباس وغيره: كفر دون كفر، وهذا قول عامة السلف وهو الذي نص عليه أحمد وغيره)[4].

فالإنسان قد يجتمع في قلبه إيمان ونفاق، ويؤيد هذا ما قاله حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: (القلوب أربعة: قلب أجرد كأنما فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل شجرة يسقيها ماء طيب، ومثل النفاق فيه كمثل قرحة يمدّها قيح ودم فأيما غلب عليه غلبه)[5].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مقرراً ما قاله حذيفة: (وهذا الذي قاله حذيفة يدل عليه قوله تعالى: ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان﴾[6]، فقد كان قبل ذلك فيهم نفاق

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (٢/٤٦).
(٢) «فتح الباري»: (١/٩٠).
(٣) المصدر السابق: (١/٩٠).
(٤) «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٢٩٨).
(٥) «السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد: (١/٣٧٧-٣٧٨)، وابن أبي شيبة في «الإيمان»: (ص ١٧).
(٦) سورة آل عمران: الآية ١٦٧.

مغلوب فلما كان يوم أحد غلب نفاقهم فصاروا إلى الكفر أقرب)[1].

فالمقصود أن من فيه إيمان ونفاق يسمىٰ مسلماً إذ ليس هو دون المنافق المحض، وإذا كان نفاقه أغلب لم يستحق اسم الإيمان، بل اسم المنافق أحق به، فإن ما فيه بياض وسواد وسواده أكثر هو باسم الأسود أحق منه باسم الأبيض كما قال تعالى في الآية السابقة: ﴿ .. **هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان** ﴾[2].

وأما إذا كان إيمانه أغلب ومعه نفاق يستحق به الوعيد لم يكن من المؤمنين الموعودين بالجنة، والمخالفون في هذه المسألة قد عرض لهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأبطل شبهتهم بما يشفي ويكفي.

قال رحمه الله: (وطوائف أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة كراميهم وغير كراميهم يقولون: إنه لا يجتمع في العبد إيمان ونفاق، ومنهم من يدعي الإجماع على ذلك وقد ذكر أبو الحسن في كتبه الإجماع على ذلك.

ثم بيّن حجتهم فقال: (... بل الخوارج والمعتزلة طردوا هذا الأصل الفاسد وقالوا: لا يجتمع في الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ومعصية يستحق بها العقاب، ولا يكون الشخص محموداً من وجه مذموماً من وجه، ولا محبوباً مدعواً له من وجه مسخوطاً ملعوناً من وجه، ولا يتصور أن الشخص الواحد يدخل الجنة والنار جميعاً - عندهم - بل من دخل إحداهما لا يدخل الأخرى - عندهم - ولهذا أنكروا خروج أحد من النار أو الشفاعة في أحد من أهل النار، وحكي عن غالية المرجئة أنهم وافقوهم على هذا الأصل، لكن هؤلاء قالوا: إن أهل الكبائر يدخلون الجنة ولا يدخلون النار مقابلة لأولئك)[3].

ولاشك أن هذا الرأي باطل لمخالفته الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وقال أيضاً: (وأن أهل السنة والجماعة - الصحابة - والتابعون لهم بإحسان وسائر طوائف المسلمين من أهل الحديث والفقهاء وأهل الكلام من مرجئة الفقهاء والكرامة والكلابية والأشعرية والشيعة مرجئهم وغير مرجئهم فيقولون: إن الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة

---

(١) « الإيمان » لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٢٥٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٧.

(٣) « الإيمان » لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٣٠١).



كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة، وهذا الشخص الذي له سيئات عذب بها، وله حسنات دخل بها الجنة وله معصية وطاعة باتفاق أهل الطوائف ولم يتنازعوا في حكمه لكن تنازعوا في اسمه، فقالت المرجئة: جهميتهم وغير جهميتهم هو مؤمن كامل الإيمان، وأهل السنة والجماعة على أنه ناقص الإيمان، ولولا ذلك لما عذب كما أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين، وهل يطلق عليه اسم مؤمن؟ هذا فيه القولان والصحيح التفصيل.

فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة قيل هو مؤمن، وكذا إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين.

وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه، ولهذا قال من قال: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان)[1].

ويقول ابن حزم مناقشاً الطوائف التي أنكرت اجتماع الإيمان والكفر والطاعة والمعصية في الشخص الواحد، وأنهم لا يتصورون ذلك: (وهذا الذي أنكروه ولا نكرة فيه بل هو أمر موجود مشاهد، فمن أحسن من وجه، وأساء من وجه آخر كمن صلى ثم زنا فهو محسن محمود ولي الله فيما أحسن فيه من صلاة، وهو سيء مذموم عدو لله فيما أساء فيه من الزنا - قال - عز وجل -: ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ...**﴾[2] فبالضرورة ندري أن العمل الذي شهد الله عز وجل أنه سيء فإن عامله فيه مذموم سيء عاص لله تعالى)[3].

فاجتماع الإيمان والنفاق والإيمان والكفر والطاعة والمعصية والإحسان والإساءة في الشخص الواحد أمر ممكن وسهل تصوره، ولكن من أنكر ذلك إنما هو لغرض ومقصد سيء، وذلك لكي يتفق مع رأيهم في مرتكب الكبيرة سواء منهم من قال: إن المذنب كافر أو فاسق في الدنيا، ومخلد في النار في الآخرة إذا لم يتب، ولذا قالوا: إنه من المحال أن يكون الإنسان محموداً مذموماً محسناً مسيئاً.

---

(١) المصدر السابق: (ص ٣٠١).

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٢.

(٣) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٣/٢٣٢).

المبحث الثامن:

البدعة وحكم مرتكبها

تعريف البدعة لغة واصطلاحاً

أولا: تعريفها في اللغة:

البدعة في اللغة: اسم هيئة من الإبتداع، وهو: الشيء المخترع لاعلى مثال سابق[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿**قل ما كنت بدعا من الرسل**﴾[2]، أي: ما كنت أول من أرسل قد أرسل قبلي رسل كثير.

وقد ذهب بعض العلماء إلي أن لمادة (بدع) معنىً ثانياً.

قال ابن فارس: (الباء والدال والعين) اصلان لشيئين:

أحدهما: ابتداء الشيء وضعه لا عن مثال سابق مثال والله بديع السموات والأرض.

الثاني: الانقطاع والكلال ـ كقولهم: أبدعت الراحلة إذا كلت وعطبت[3].

وهذا المعنى الثاني الذي ذكره علماء اللغة للبدعة داخل في معناها الأول كما أشار إلى ذلك ابن الأثير رحمه الله حيث قال: يقال: أبدعت الناقة إذا انقطعت عن السير بكلال أو ظلع كأنه جعل انقطاعها عما كانت عليه من عادة السير إبداعاً، أي: إنشاء أمر خارج عما اعتيد منها[4].

فتبين بهذا أن المعنى الثاني للبدعة لم يخرج عن المعنى الأول لكلمة «بدع» وأنها إنما تطلق على الشيء المخترع المحدث الذي لم يكن من قبل.

ثانيا: تعريفها في الاصطلاح:

اختلفت عبارات العلماء سلفاً وخلفاً في تعريف البدعة الشرعية تبعاً لاختلاف تصورهم

---

(١) «لسان العرب»: (٩/٣٥١، ٣٥٢).

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٩.

(٣) «معجم مقاييس اللغة»: (١/٢٠٩، ٢١٠).

(٤) «النهاية في غريب الحديث»: (١/١٠٧).



لماهية البدعة المنهي عنها، ومن التعريفات الكلية الجامعة، ما ذكره الشاطبي رحمه الله في كتاب الإعتصام حيث عرفها بقوله: (طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)[1].

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: (البدعة في الدين: هي ما لم يشرعه الله ورسوله وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية: فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولوا الأمر في بعض ذلك وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي ﷺ أو لم يكن)[2].

وعرفها ابن رجب بقوله: (والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كانت بدعة لغة)[3].

وعرفها النووي بقوله: (والبدعة: هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ)[4].

وعرفها السيوطي بقوله: (البدعة: عبارة عن فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان)[5].

وهناك تعريفات أخرى للبدعة لا تختلف في مضمونها عما ذكرته عن هؤلاء العلماء وإنما تركتها خشية الإطالة في المبحث.

رأي ابن حبان في البدعة:

سبق في ابتداء المبحث تعريف جماعة من أهل العلم للبدعة، وتبين أنها طريقة في الدين مخترعة وهي خلاف ما شرعه الله تعالى ورسوله ﷺ.

ولم يختلف رأي ابن حبان - كغيره من المحدثين - في وجوب الإعتصام بالسنة والتحاكم إليها قولاً وفعلاً، والتحذير من البدع والإنكار على أهلها.

وقد ابتدأ رحمه الله كتابه الصحيح بعد الابتداء بحمد الله تعالى بعقد باب في بيان

---

(١) «الاعتصام» للشاطبي: (١/ ٣٧).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٤/ ١٠٧، ١٠٨).

(٣) «جامع العلوم والحكم»: (ص ٢٦٥).

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (٦/ ١٥٤، ١٥٥).

(٥) «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» لجلال الدين السيوطي: (ص ٨١) ط ١، ١٤١٠هـ دار ابن القيم، الدمام.

الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نفلا وأمراً وزجراً، وأورد فيه الأحاديث التي توجب ذلك وتحذر من تركه وسلوك طرق الباطل من البدع والأهواء المضلة.

وقرر هذا الأمر في خطبة كتابه الصحيح فقال: (وإن من لزوم سنته تمام السلامة وجماع الكرامة لا تطفأ سرجها ولا تدحض حججها من لزمها عصم، ومن خالفها ندم، إذ هي الحصن الحصين والركن الركين الذي بان فضله ومتن حبله، من تمسك به ساد، ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل، والمغبوطون بين الأنام في العاجل)[1].

وقد تناول رحمه الله تعالى مسألة الاعتصام بالسنة وقررها ووأوضحها من خلال الأمور الآتية:

١- بيان الفرقة الناجية وهي التي تواظب على السنن وتلتزمها قولا وفعلا واعتقاداً، وأيد ذلك بما رواه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشياً مجدعاً، فإنه من يعش منكم، فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها، وعضوا عليها النواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[2].

وترجم للحديث بقوله: (ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ)[3]. وأعقب الحديث بقوله: (في قوله ﷺ: **«فعليكم بسنتي»** عند ذكره الاختلاف الذي يكون في أمته بيان واضح أن من واظب عن السنن، قال بها، ولم يعرج على غيرها من الأراء من الفرق الناجية في القيامة جعلنا الله منهم بمنّة)[4].

فابن حبان يرى أن الفرقة الناجية هي التي تلتزم بالسنة ولا تحيد عنها بحال من الأحوال، إذ

---

(١) «الإحسان» (١٠٢/١).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (١٢٦/٤)، وأبو داود: (٢٠٠/٤، ح ٤٦٠٧) في السنة: باب في لزوم السنة، والترمذي: (٤٣٨/٧، ح ٢٨١٥) باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، وابن ماجه: (١٥/١، ح ٤٢) في المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين.

(٣) «الإحسان»: (١٧٨/١).

(٤) «الإحسان»: (١٨٠/١).



الالتزام بالسنة قطب رحى الدين وحبله المتين وحصنه الحصين وعروته الوثقى، والتمسك بها سبيل النجاة في الدنيا والآخرة كما قال الإمام مالك رحمه الله: السنة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك[١].

٢- على المرء أن يلزم سنة المصطفى ﷺ ويحفظ نفسه من البدع وإن زينها أهلها واستدل له بما رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا فقال: «**هذه سبيل الله**» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم تلا: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيما**﴾ إلى آخر الآية[٢].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم سنن المصطفى ﷺ وحفظ نفسه عن كل من يأباها من أهل البدع وإن حسنوا ذلك في عينه وزينوه)[٣].

٣- على المرء أن يتحرى فعل السنن وترك البدع المخالفة لها واستدل لذلك بما رواه عن جابر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه نذير جيش يقول صبحكم ومسّاكم، ويقول: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» ـ يفرق بين السبابة والوسطىٰ ـ ويقول: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد وإن شر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[٤].

وترجم للحديث بقوله: (ذكر الإخبار عما يجب على المرء من تحرى استعمال السنن في أفعاله ومجانبة كل بدعة تباينها وتضادها)[٥].

٤- من قدم أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ وآثر مرضاتها على رضى من سواهما كان في الجنة، وأورد في تقرير هذا، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أعرابياً سأل النبي ﷺ ـ وكانوا هم أجدر أن يسألوه من أصحابه ـ فيقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «**وما أعددت لها؟**» قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله. قال: «**فإنك مع من أحببت**» قال أنس: فما

---

(١) «الصوارم والأسنة في الذب عن السنة» محمد بن أبي مدين: (ص ١٧٢)، ط ١، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (١/ ٤٣٥)، والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٣١٨) وصححه، والدارمي في «سننه»: (١/ ٧٨) وسنده حسن.
(٣) «الإحسان»: (١/ ١٨٠).
(٤) أخرجه مسلم: (٢/ ٥٩٢، ح ٨٦٧) في الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة.
(٥) «الإحسان»: (١/ ١٨٦).

رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام أشد من فرحهم بقوله[1].

وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن من أحب الله جل وعلا وصفيه ﷺ، بإيثار أمرهما وابتغاء مرضاتهما على رضىً من سواهما يكون في الجنة مع المصطفى ﷺ)[2].

٥- مرجع الأمور إلى الكتاب والسنة، وأيد ذلك بما رواه عن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ**»[3].

وترجم للحديث بقوله: (ذكر البيان بأن كل من أحدث في دين الله حكماً ليس مرجعه إلى الكتاب والسنة فهو مردود غير مقبول)[4].

٦- الاعتراض على السنن وعدم الانقياد لها، من علامة أهل البدع، واستدل لهذا بما رواه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث عليّ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهب في أدم، فقسمها رسول الله ﷺ بين زيد الخيل والأقرع بن حابس وعيينه بن حصن، وعلقمة بن علاثة، فقال أناس من المهاجرين والأنصار: نحن أحق بهذا فبلغ ذلك النبي ﷺ، فشق عليه، وقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر من السماء صباحاً ومساءًا؟» فقام إليه ناتيء العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الوجه كث اللحية، محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله، اتق الله، فقال النبي ﷺ: «أو لست بأحق أهل الأرض أن اتقي الله» ثم أدبر، فقام إليه خالد سيف الله، فقال: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: «**لا لعله يصلي**» قال: إنه رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال: «**إني لم أومر أن أشق قلوب الناس ولا أشق بطونهم**» فنظر إليه ﷺ وهو مقفي فقال: «**إنه سيخرج من ضئضيء هذا قوم يتلون كتاب الله لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية**». قال عمارة: فحسبت أنه قال: «**لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل ثمود**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري: (١٠/٥٥٣، ح ٦١٦٧) في الأدب: باب ما جاء في قول الرجل: ويلك، ومسلم: (٤/٢٠٣٢، ح ٢٦٣٩) في البر والصلة والآداب: باب المرء مع من أحب.

(٢) «الإحسان»: (١/١٨٢)

(٣) أخرجه البخاري: (٥/٣٠١، ح ٢٦٩٧) في الصلح: باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالصلح مردود، ومسلم: (٣/١٣٤٣، ح ١٧١٨) في الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

(٤) «الإحسان»: (١/٢٠٩).

(٥) أخرجه البخاري: (٨/٦٧، ح ٤٣٥١) في المغازي: باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ومسلم: (٢/٧٤١، ح ١٠٦٤) في الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاتهم.



و ترجم ابن حبان للحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن من اعترض على السنن بالتأويلات المضمحلة ولم ينقد لقبولها كان من أهل البدع)(١).

فهذه أمور عظيمة قرر ابن حبان على ضوئها وجوب الإعتصام بالسنة والذب عنها وأنها طريق النجاة الذي لا يسلك سواه، ومن حاد عنه كان من أهل البدع المعرضين عن السنن المعاندين لها ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وما تناوله ابن حبان في هذه المسألة وقرره فيها هو ما يراه أهل السنة والجماعة قاطبة كما جاءت بذلك نصوص الكتاب السنة وتضافرت به النقول عن سلف الأمة وأئمتها.

قال الإمام أحمد رحمه الله: (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة ... والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس ولا تضرب بها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هي الاتباع وترك الهوى)(٢).

النصوص الدالة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة:

أولا: من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم**﴾(٣) الآية.

قال ابن كثير رحمه الله: (وقوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ قيل بحبل الله: أي بعهد الله كما قال في الآية بعدها: ﴿**ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس**﴾(٤) أي بعهد وذمة، وقيل ﴿**بحبل الله**﴾ يعني القرآن، ولا تعارض بين قول من قال: حبل الله هو عهد الله وبين من قال: إنه القرآن، فالكل حبل الله والعهد الذي أخذه الله على المسلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنة، فالقولان مؤداهما واحد بحمد الله)(٥).

---

(١) «الإحسان»: (١/٢٠٥).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (١/١٥٦).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٢.

(٥) «تفسير ابن كثير»: (٢/٧٣).

وقال القرطبي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: (فأوجب علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين والسلامة من الاختلاف)[١].

٢- قوله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾[٢].

قال الشاطبي رحمه الله تعالى: (فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السنة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع، وليس المراد سبل المعاصي لأن المعاصي من حيث هي معاص لم يضعها أحد طريقاً تسلك دائماً على مضاهاة التشريع وإنما هذا الوصف خاص بالبدع المحدثات)[٣].

وقال مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿**ولا تتبعوا السبل**﴾ قال: البدع والشبهات[٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها تقرر هذا المبدأ أعظم تقرير وتوجب الثبات عليه وعدم التزحزح عنه.

ثانيا: الأحاديث النبوية:

تقدم ذكر جملة من الأحاديث النبوية التي تحث على لزوم السنن والذب عنها وترك البدع والحذر منها، وذلك بما أورده ابن حبان منها، وهذه الأحاديث التي أوردها ابن حبان هي الأحاديث التي يوردها أهل السنة والجماعة في مصنفاتهم لبيان لزوم السنن وترك البدع ويحتجون بها على المخالفين للسنن المعرضين عنها.

ثالثا: آثار السلف:

اشتملت مصنفات أهل السنة والجماعة على الكثير من الآثار (من) عن الصحابة والتابعين في وجوب لزوم السنن والثبات عليها والحذر من البدع والأهواء وإن دقت، وما ذلك إلا لعلم السلف

(١) «تفسير القرطبي»: (٢/١٠٥، ١٠٦).
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.
(٣) «الاعتصام»: (١/٥٧).
(٤) المصدر السابق: (١/٥٨).



بعظم شأن الثبات على السنة وخطورة سلوك سبل البدع، ومما جاء عنهم:

١- قال ابن مسعود رضي الله عنه: (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة)[١].

٢- قال أبي بن كعب رضي الله عنهم: (عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبدا، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة)[٢].

٣- وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)[٣].

٤- وقال أبو العالية لبعض أصحابه: (تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه لا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإن الصراط المستقيم الإسلام ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يميناً وشمالاً وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء)[٤].

٥- وقال الزهري رحمه الله: (كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة)[٥].

٦- وقال الأوزاعي رحمه الله: (اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم)[٦].

٧- وقال سفيان الثوري رحمه الله: (كان الفقهاء يقولون: لا يستقيم قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة)[٧].

٨- وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: (سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى فأصلاه جهنم وسآت مصيرا)[٨].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١/١٠٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: (٣/١٩)، واللالكائي «في شرح أصول اعتقاد أهل السنة»: (١/٥٥، ٨٨).

(٢) أخرجه اللالكائي «في شرح أصول اعتقاد أهل السنة»: (١/٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: (١/٢٥٢-٢٥٣).

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»: (١/٣٣٩).

(٤) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»: (١/٣٣٨)، والمروزي في «السنة»: (ص ٨).

(٥) «سنن الدارمي»: (١/٤٥).

(٦) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»: (١/١٥٤)، الآجرى في «الشريعة»: (ص ٥٨).

(٧) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى»: (١/٣٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٧/٣٢)

(٨) «الاعتصام»: (١/٧٨).

٩- قال الفضيل بن عياض: (اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين)[١].

وقد أورد ابن حبان رحمه الله عدداً من الرواة وأثنىٰ عليهم لصلابتهم في السنة وذبهم عنها وقمعهم لأهل البدع والشدة عليهم، وممن أثنى عليهم لذلك:

١- عبدالله بن عون بن أرطبان، قال عنه: (وكان عبدالله من سادات أهل زمانه عبادة وفضلاً وورعاً ونسكاً وصلابة في السنة وشدة على أهل البدع)[٢].

٢- عبدالله بن إدريس بن يزيد الزعافري قال عنه: (كان صلباً في السنة)[٣].

٣- يونس بن عبيد بن دينار قال عنه: (وكان يونس رحمه الله من سادات أهل زمانه علماً وفضلاً وحفظاً واتقاناً وسنة وبغضاً لأهل البدع)[٤].

٤- إبراهيم بن خالد الكلبي قال عنه: (كان من أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً وديانة وخيراً، ممن صنف الكتب وفرع على السنن وذب عن حريمها وقمع مخالفيها)[٥].

٥- سليمان بن الأشعث أبو داود، قال عنه: (وكان أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً واتقاناً ممن جمع وصنف وذب عن السنن وقمع من خالفها)[٦].

فهذه الأسماء التي أوردها ابن حبان في كتابه «الثقات» وأثنىٰ عليها من أظهر الدلائل على محبته لأهل السنة المتمسكين بها الذابين عنها المبغضين لأهل البدع المنكرين لها.

رأي ابن حبان في رواية المبتدع:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن من يحتج بخبره وتقبل روايته، من توفرت فيه خمسة أشياء:

١- العدالة في الدين بالستر الجميل.

(١) المصدر السابق: (١/٨٣).
(٢) «الثقات»: (٧/٣).
(٣) «الثقات»: (٧/٥٩).
(٤) «الثقات»: (٧/٦٤٧).
(٥) «الثقات»: (٨/٧٤).
(٦) «الثقات»: (٨/٢٨٢).

٢- الصدق في الحديث بالشهرة فيه.

٣- العقل بما يحدث من الحديث.

٤- العلم بما يحيل من معاني ما يروي.

٥- المتعري خبره عن التدليس[١].

فمتى ما اجتمعت هذه الخصال في راوٍ ما، احتج بحدثيه، ومن تعرى عن خصلة منها لم يحتج بحديثه ثم أوضح مراده من هذه الشروط إلى أن قال: «وأما المنتحلون المذاهب من الرواة مثل الإرجاء والترفض وما أشبهما، فإنا نحتج بأخبارهم إذا كانوا ثقات على الشرط الذي وصفناه، ونكل مذاهبم وما تقلدوه فيما بينهم وبين خالقهم إلى الله جل وعلا، إلا أن يكونوا دعاة إلى ما انتحلوا، فإن الداعي إلى مذهبه والذاب عنه حتىٰ يصير إماماً فيه وإن كان ثقة ثم روينا عنه جعلنا للاتباع لمذهبه طريقاً، وسوغنا للمتعلم الاعتماد عليه وعلى قوله، فالاحتياط ترك رواية الأئمة الدعاة منهم، والاحتجاج بالرواة الثقات منهم على حسب ما وصفنا.

ولو عمدنا إلى ترك حديث الأعمش وأبي إسحاق وعبدالملك بن عمير واضرابهم لما انتحلوا وإلى قتادة وسعيد بن أبي عروبة وابن أبي ذئب وأسنانهم لما تقلدوا، وإلى عمر بن ذر وإبراهيم التيمي ومسعر بن كدام، وأقرانهم لما اختاروا، فتركنا حديثهم لمذاهبهم، لكان ذلك ذريعة إلى ترك السنن كلها حتى لا يحصل في أيدينا من السنن إلا الشيء اليسير وإذا استعملنا ما وصفنا أعنا على دحض السنن وطمسها، بل الاحتياط في قبول رواياتهم الأصل الذي وصفناه دون رفض ما رووه جملة)[٢].

وقال أيضاً عند تعداده للضعفاء الذين لا تقبل أخبارهم: (النوع التاسع عشر): ومنهم المبتدع إذا كان داعية يدعو الناس إلى بدعته حتى صار إماما يقتدى به في بدعته ويرجع إليه في ضلالته كغيلان وعمرو بن عبيد وجابر الجعفي وذويهم، ثم ساق بسنده إلى ابن سيرين قال: كانوا لا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة فسألوا عن الرجل، فإن كان من أهل السنة أخذوا حديثه، وإن كان من أهل البدعة فلا يؤخذ حديثه[٣]،. وساق بسنده إلى أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل: انكتب عن المرجيء والقدري وغيرهما من أهل الأهواء؟ قال: نعم، إذا لم يكن يدعو إليه

---

(١) «الإحسان»: (١/١٥١).

(٢) «الإحسان»: (١/١٦٠).

(٣) «المجروحين»: (١/٨٢).

ويكثر الكلام فيه، فإما إذا كان داعياً فلا[١].

وذكر ابن الصلاح رحمه الله تعالىٰ أن ابن حبان نقل الإجماع على عدم قبول رواية الداعية إلى بدعته، فروى عنه أنه قال: (الداعية إلى البدع لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبة لا أعلم بينهم فيه خلافاً)[٢].

وخلاصة رأي ابن حبان إذا جواز قبول رواية المبتدع إذا لم يكن داعية إلى بدعته، فأما إن كان داعية فلا تقبل.

ويعلل ابن حبان رأيه هذا بأنه إذا لم تقبل رواية المبتدع غير الداعية لأدى ذلك إلى ترك السنن كلها حتى لا يحصل في أيدينا من السنن إلا القليل ومن ثم نعين على دحض السنن وطمسها، فالإحتياط إذا قبول رواياتهم وعدم رفضها.

أما من كان داعية إلى بدعته فإن في قبول روايته إعانة على نشر مذهبه واعتماد طلبة العلم على رواياته.

وما ذهب إليه ابن حبان من التفصيل في حكم قبول رواية المبتدع هو رأي جمهور العلماء كما صرح بذلك ابن الصلاح والنووي وغيرهما.

قال ابن الصلاح رحمه الله: (اختلفوا في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر ببدعته: فمنهم من رد روايته لأنه فاسق ببدعته، وكما استوى في الكفر المتأول وغير المتأول، يستوي في الفسق المتأول وغير المتأول، ومنهم من قبل رواية المبتدع إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرة مذهبه أو لأهل مذهبه سواء كان داعية إلى بدعته أو لم يكن، وعزا بعضهم هذا إلى الشافعي لقوله: (أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة لأنه يرون الشهادة بالزور لموافقيهم).

وقال قوم: تقبل روايته إذا لم يكن داعية ولا تقبل إذا كان داعية إلى بدعته، وهذا مذهب الكثير أو الأكثر من العلماء، وحكى بعض أصحاب الشافعي رضي الله عنه خلافا بين أصحابه في قبول رواية المبتدع إذا لم يدع إلى بدعته، وقال: أما إذا كان داعية فلا خلاف بينهم في عدم قبول روايته)[٣].

---

(١) المصدر السابق: (١/٨٢).

(٢) مقدمة ابن الصلاح في «علوم الحديث» لابي عمرو بن الصلاح: (ص ٥٤، ٥٥) دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ.

(٣) المصدر السابق: (ص ٥٤).





وقال النووي بعد أن نقل الأقوال في حكم قبول رواية المبتدع: (وهذا هو الأظهر الأعدل - أي التفريق بين من كان داعية إلى بدعته ومن لم يكن داعية - وقول الكثير أو الأكثر)[1].

وتقدم ذكر ابن حبان الإجماع على عدم جواز الاحتجاج بالداعية، إلا أن ابن حجر رحمه الله استغرب هذه الدعوى من ابن حبان فقال: وأغرب ابن حبان فادعى الإتفاق على قبول غير الداعية من غير تفصيل)[2].

والصحيح أن الإجماع لا يثبت فإن من السلف من أجاز رواية المبتدع مطلقاً داعية أو غير داعية وإلى هذا القول ذهب الشافعي رحمه الله كما ذكر عنه الخطيب البغدادي قوله: وتقبل شهادة أهل الاهواء إلا الخطابية من الرافضة، لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم.[3]

وحكاه الخطيب عن ابن أبي ليلى[4] وسفيان الثوري وأبي يوسف ويحيى بن سعيد القطان وعلى بن المديني.

وإليه ذهب العز بن عبدالسلام[5]، فقد قال: ومدار قبول الشهادة والرواية على الثقة بالصدق وذلك متحقق في أهل الأهواء تحققه في أهل السنة والأصح أنهم لا يكفرون ببدعتهم[6].

وإلى قبول رواية غير الداعية ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فقد روى ابن حبان كما تقدم بسنده إلى الإمام أحمد أنه سئل: (أيكتب عن المرجيء والقدري وغيرهما من أهل الأهواء؟ قال: نعم إذا لم يكن يدعو إليه ويكثر الكلام فيه، فأما إذا كان داعية فلا)[7].

وروى الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي داود قال: (قلت لأحمد بن حنبل «يكتب عن القدري؟» قال: إذا لم يكن داعياً)[8].

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١/ ٦٠).

(٢) «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» لابن حجر العسقلاني: (ص ١٣٦) ط ١، ١٤١٣هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.

(٣) «الكافية»: (ص ١٢٠).

(٤) هو محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي القاضي مات سنة ١٤٨هـ. انظر «تقريب التهذيب»: (ص ٤٩٣).

(٥) هو عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي الدمشقي الشافعي الملقب بعز الدين، ولد سنة (٥٧٧هـ)، كان علماً من الأعلام شجاعاً في الحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، توفي سنة (٦٦٠هـ)، انظر «فوات الوفيات»: (١/ ٥٢٥)، «شذرات الذهب»: (٥/ ٢٣٥).

(٦) «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» للعز بن عبدالسلام: (٢/ ٣١)، المكتبة التجارية بمصر، طبع مطبعة الاستقامة.

(٧) «المجروحين»: (١/ ٨٢).

(٨) «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي: (ص ١٢٨)، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا كان الإمام أحمد وأكثر من بعده من الأئمة كمالك وغيره لا يقبلون رواية الداعي إلى بدعته ولا يجالسونه بخلاف الساكت)[1].

وحجة أصحاب هذا القول في قبول خبر غير الداعية من أهل البدع ما ذكره الخطيب البغدادي رحمه الله فقد قال بعد ذكره الخلاف في حكم شهادة أهل البدع: (والذي يعتمد عليه في تجويز الاحتجاج بأخبارهم: ما اشتهر من قبول الصحابة أخبار الخوارج وشهادتهم ومن جرى مجراهم من الفساق بالتأويل، وثم استمرار عمل التابعين والخالفين بعدهم على ذلك، لما رأوا من تحرهم الصدق وتعظيمهم الكذب، وحفظهم أنفسهم عن المحظورات من الافعال وإنكارهم على أهل الريب والطرائق المذمومة، ورواياتهم الأحاديث التي تخالف آراءهم ويتعلق بها مخالفوهم في الاحتجاج عليهم، فاحتجوا برواية عمران بن حطان وهو من الخوارج، وعمروبن دينار وكان ممن يذهب إلى القدر والتشيع، وكان عكرمة إباضيا وابن أبي نجيح وكان معتزليا .. إلى أن قال بعد أن ذكر بعضا ممن احتج بهم من المنسوبين إلى البدع ... واحتجوا بأخبارهم فصار ذلك كالاجماع منهم، وهو من أكبر الحجج في هذا الباب، وبه يقوى الظن في مقاربة الصواب)[2].

واحتج لقبول رواية أهل البدع بما يترتب على ترك الرواية عنهم من ضياع لكثير من الآثار التي ينفردون بروايتها، فأجيزت رواياتهم درءاً لهذه المفسدة.

يقول الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب بعد أن نقل أقوال الأئمة في توثيقه مع أنه شيعي: (فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع، وحد الثقة العدالة والإتقان، فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة: وجوابه أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحريف، فهذا كثير من التابعين وتابيعهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بيّنة)[3].

وكلام الذهبي هذا يؤكد ما قاله ابن حبان من أن ترك الرواية عن المبتدع غير الداعي يعين على طمس السنن وتحضها فالاحتياط قبول رواياتهم.

وأما ردُّ رواية المبتدع الداعية فله مأخذان عند من قال بهذا القول من الأئمة:

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٢٤/ ١٧٥).

(٢) «الكفاية في علم الرواية»: (ص ١٢٥).

(٣) «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي: (١/ ٥، ٦)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.



أحدهما: خشية أن تحمله الدعوة إلى بدعته إلى وضع ما يحسنها وتحريف الروايات نصرة لها وقد نص على ذلك الخطيب البغدادي: فقد قال بعد أن نقل بعض الروايات عن السلف في رد رواية المبتدع: (إنما منعوا أن يكتب عن الدعاة خوفاً من أن تحملهم الدعوة إلى البدعة والترغيب فيها على وضع ما يحسنها كما حكينا في الباب الذي قبل هذا عن الخارجي التائب قوله: كنا إذا هوينا أمراً صيّرنا حديثاً)[1].

وقال ابن حجر: (وقيل يقبل من لم يكن داعية إلى بدعته لأن تزيين بدعته قد يحمله على تحريف الروايات وتسويتها على ما يقتضيه مذهبه)[2].

ثانيها: أن في ترك روايتهم عقوبة لهم وزجراً لهم عن البدع وتنفيراً للناس منهم ومن بدعتهم وبهذا يتحقق واجب النهي عن المنكر.

وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: (ولهذا يقبلون شهادة أهل الأهواء ويصلون خلفهم، ومن ردها - كمالك وأحمد - فليس ذلك مستلزماً لإثمهما، لكن المقصود إنكار المنكر وهجر من أظهر البدعة فإذا هجر ولم يصل خلفه - لم تقبل شهادته كان ذلك منعاً له من إظهار البدعة، ولهذا فرق أحمد بين الداعية للبدعة المظهر لها وغيره)[3].

وبهذا يتضح موافقة ابن حبان رحمه الله لجمهور أهل العلم في هذه المسألة.

وقد سلك ابن حبان هذا المنهج عملياً في توثيق الرواة من أهل البدع الذين توفرت فيهم الشروط التي ذكرها فيمن تقبل روايته ولم يكونوا دعاة لبدعتهم، وفيما يلي ذكر لبعض أولئك الذين روى عنهم وقبل رواياتهم:

١- عبدالله بن أبي لبيد مولى لآل الأخنس بن شريق، من أهل المدينة كنيته أبو المغيرة وثقة ابن حبان مع أنه كان يرى القدر[4].

٢- ثور بن يزيد الكلاعي، كنيته أبو خالد، من أهل الشام، وثقه ابن حبان مع أنه كان قدريا[5].

---

(١) «الكافية»: (ص ١٢٨).

(٢) «نزهة النظر في شرح نخبة الفكر»: (ص ١٣٧).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (١٣/ ١٢٥)، (١٠/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(٤) «الثقات»: (٥/ ٤٦).

(٥) «الثقات»: (٦/ ١٢٩).

٣- داود بن الحصين مولى عبدالله بن عمرو بن عثمان، من أهل المدينة، كان يذهب مذهب الشراة، وثقه ابن حبان وقال: كل من ترك حديثه على الإطلاق وهم، لأنه لم يكن بداعية إلى مذهبه، والدعاة يجب مجانبة رواياتهم على الأحوال، فمن انتحل نحلة بدعة ولم يدع إليها وكان متقنا كان جائز الشهادة محتجاً بروايته، فإن وجب ترك حديثه وجب ترك حديث عكرمة لأنه كان يذهب مذهب الشراة مثله[1].

٤- عبدالملك بن أعين أخو حمران بن أعين، من أهل المدينة، وثقه ابن حبان مع أنه كان شيعياً[2].

٥- أبو معاوية الضرير، محمد بن خازم السعدي التميمي مولي لهم من أهل الكوفة وثقة ابن حبان مع أنه كان مرجئاً[3].

٦- خلف بن أيوب البخلي أبو سعيد، ذكره ابن حبان في الثقات وقال فيه: كان مرجئاً غاليا فيه استحب مجانبة حديثه لتعصبه في الأرجاء وبغضه من ينتحل السنن وقمعه إياهم جهده[4].

٧- النضر بن محمد المروزي وثقه ابن حبان مع أنه كان مرجئا[5].

فهذه سبعة نماذج من عشرات الرواة من أهل البدع، قبل ابن حبان أخبارهم واحتج بها لتوفر ما شرطه فيهم ولم يكونوا دعاة إلى بدعتهم.

أما من جرحهم ابن حبان وضعفهم ولم يحتج بأخبارهم لما كانوا عليه من البدع والدعوة إليها كما قرره وفيما يلي ذكر لبعضهم فمن أوردهم في كتبه:

١- تليد بن سليمان المحاربي كنيته أبو إدريس، من أهل الكوفة، ضعفه ابن حبان، وقال: كان رافضيا يشتم أصحاب محمد ﷺ وروى في فضائل أهل البيت عجائب[6].

٢- ثعلبة بن يزيد الحماني من أهل الكوفة ضعفه ابن حبان، وقال عنه: كان غاليا في التشيع

---

(١) «الثقات»: (٦/ ٢٨٤).
(٢) «الثقات»: (٧/ ٩٤).
(٣) «الثقات»: (٧/ ٤٤١).
(٤) «الثقات»: (٨/ ٢٢٨).
(٥) «الثقات»: (٧/ ٥٣٥).
(٦) المجروحين: (١/ ٢٠٤).



لا يحتج بأخباره التي يتفرد بها عن علي[١].

٣- سلم بن سالم البلخي قال عنه ابن حبان: منكر الحديث يقلب الأخبار قلبا وكان مرجئا شديد الإرجاء داعية إليها[٢].

٤- صالح بن محمد الترمذي، قال عنه ابن حبان: كان رجل سوء مرجئاً جهمياً داعية إلى البدع وكان سيفا على أهل الحديث ويؤدب من يقول: الإيمان قول وعمل، ثم قال عنه: لا تحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه[٣].

٥- غيلان بن أبي غيلان مولى لآل عثمان بن عفان كان داعية إلى القدر قال عنه ابن حبان: لا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به لدعيته التي كان يدعو إليها وقتل عليها[٤].

٦- عبدالعزيز بن أبي روّاد: ضعفه ابن حبان وذكر أنه كان مرجئاً شديد الصلابة في الإرجاء كثير البغض لمن انتحل السنن[٥].

٧- سليمان بن عمرو أبو داود النخعي الشامي، كان يضع الحديث وضعاً وكان قدرياً لا تحل كتابة حديثه إلا على جهة الإختبار ولا ذكره إلا من طريق الإعتبار[٦].

○ ○ ○

(١) «المجروحين»: (١/٢٠٧).

(٢) «المجروحين»: (١/٣٣٤).

(٣) «المجروحين»: (١/٣٧٠).

(٤) «المجروحين»: (٢/٢٠٠).

(٥) «المجروحين»: (٢/١٣٦).

(٦) «المجروحين»: (١/٣٣٣).

الفصل الثاني:

أراؤه في الإمامة والصحابة رضي الله عنهم

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول : الإمامـــة، وتتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإمامة في قريش.

الطلب الثاني: بيعة الأئمة.

المطلب الثالث: طاعة الأئمة.

المطلب الرابع: الخروج عن الإمام.

المبحث الثاني: الصحابة رضي الله عنهم، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضلهم.

المطلب الثاني: عدالتهم.

المطلب الثالث: النهي عن سبهم.

المبحث الأول:

الإمــامــة

الإمامة في اللغة:

مصدر من الفعل أمّ، تقول: «أمهم، وأم لهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس وغيره»[١].

وقال ابن منظور: «الإمام كل من أئتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين والجمع: أئمة، إمام كل شيء قيّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وأممت القوم في الصلاة إمامة، وائتم به اقتدى به»[٢].

وقال الجوهري في «الصحاح»: (الأم بالفتح: القصد يقال: أمه وأممه وتأممه: إذا اقصده)[٣].

ويلاحظ من هذه اللغوية للإمامة أنها تدور حول معنى التقدم والإقتداء

الإمامة في الاصطلاح:

عرف العلماء الإمامة في الاصطلاح بتعريفات مختلفة في ألفاظها، متحدة في معناها، وفيما يلي سياق لبعض ما عرفت به الإمامة عند عدة من العلماء:

١- عرفها الماوردي[٤] بقوله: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)[٥].

٢- وعرفها الجويني بقوله: (الإمامة رياسة تامة وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا)[٦].

---

(١) «القاموس المحيط» للفيروز آبادي: (ص ١٣٩١)، ط الثانية، ١٤٠٧هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) «لسان العرب» لابن منظور: (١٢/٢٦).

(٣) «تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري: (٥/١٨٦٥)، ط الثانية، ٣٩٩هـ دار العلم للملايين، بيروت.

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي، صاحب «التصانيف» ولد سنة ٣٦٤هـ وتوفى سنة ٤٥٠هـ وله ست وثمانون سنة، له مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والأدب. انظر: «سير أعلام النبلاء»: (١٨/٦٤)، «تاريخ بغداد»: (١٢/١٠٢، ١٠٣).

(٥) «الأحكام السلطانية» للماوردي: (ص ٥) ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦) «غياث الأمم في التياث الظلم» للجويني: (ص ١٥) ط الأولى، ١٤٠٠هـ، دار الدعوة، الإسكندرية.



٣- وعرفها النسفي[١] في عقائده بقوله: (نيابة عن الرسول عليه السلام في إمامة الدين، بحيث يجب على كافة الأمم الإتباع)[٢].

٤- أما ابن خلدون[٣] فقد عرفها بقوله: (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة، خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)[٤].

وجوب الإمامة:

اتفق السواد الأعظم من المسلمين على وجوب نصب الإمام، ولم يشذ عن هذا الاجماع إلا النجدات[٥] من الخوارج، والأصم[٦]، والفوطي[٧] من المعتزلة.

وفي هذا يقول ابن حزم: (اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة والخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ ـ حاشا النجدات ـ من الخوارج، فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم)[٨].

وقال القرطبي: (ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة ـ أي في وجوب الإمامة ـ إلا ما روى عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم. وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه)[٩].

---

(١) هو عمر بن محمد بن إسماعيل الحنفي النسفي السمرقندي، ولد في سنة ٤٦١هـ بنسف، وتوفي بسمرقند سنة ٥٣٧هـ أكثر من التصنيف، حتى قيل إن مصنفاته بلغت مائة، انظر «سير أعلام النبلاء»: (٢/١٢٦، ١٢٧)، «معجم الأدباء»: (١٦/٧٠).

(٢) «العقائد النسفية»: (ص ١٧٩).

(٣) هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر الاشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي المعروف بابن خلدون ولد في سنة ٣٧٢ بتونس، وتوفي سنة ٨٠٨هـ من أشهر مصنفاته «المقدمة»، والتي حوت كثير من العلوم. انظر «البدر الطالع»: (١/٣٣٧).

(٤) المقدمة لابن خلدون: (ص ١٩٠) ط الرابعة، ١٣٩٨هـ، دار الباز، مكة.

(٥) أتباع نجدة بن عامر الحروي منهم العاذرية عذروا بالجهالات في الفروع وخالفوا الأزارقة في غير التكفير، وخالفوا بقية الخوارج فقالوا بجواز التقية «مقالات الإسلاميين»: (ص ١٦٢-١٦٣)، «الفرق بين الفرق»: (ص ٦٩).

(٦) أبو بكر بن عبدالرحمن بن كيسان الأصم من كبار المعتزلة من الطبقة السادسة «طبقات المعتزلة»: (ص ٦٥).

(٧) هو هشام بن عمر الفوطي شيباني من أهل البصرة من الطبقة السادسة، وإليه تنسب فرقة الهشامية من المعتزلة «طبقات المعتزلة»: (ص ٦٩)، «الفرق بين الفرق»: (ص ٩٦).

(٨) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٤/٨٧).

(٩) «الجامع لأحكام القرآن»: (١/٢٦٤).



• المطلب الأول: الإمامة في قريش

لما كان القصد من الإمامة، إقامة أمر الله عز وجل في الأرض على الوجه الذي شرع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا هو الهدف الأساسي للإمامة في الإسلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[١].

وقال كذلك: (المقصود والواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم)[٢].

فإن أئمة الإسلام قد وضعوا صفات وشروطاً لمن يتولى هذه المهمة العظيمة التي ألقيت على عاتق من يتولاها.

وهذه الشروط التي اشترطها العلماء فمن يراد تولية رئاسة الدولة الإسلامية يجب مراعاتها في الحال التي تكون صفة الاختيار متوافرة للأمة فيها، فيجب عليها في هذه الحال أن لا تولي أمورها إلا من تحققت فيه هذه الشروط[٣].

أما إذا انعدمت حال الإختيار، والجئت الأمة إلى حال لا اختيار لها فيه ـ كتغلب ونحوه وتولى الأمر من لم يستكمل شروط الإمامة ـ ففي هذه الحال لا تشترط جميع تلك الشروط لما يترتب على ذلك من فتن عظيمة لا تطيقها الأمة من هدم كيانها وتمزيق شملها.

وتتمثل ذلك الشروط التي وضعها علماء الإسلام لمن يتولى الإمامة العظمى في الأمور الآتية:

١ـ الإسلام ٢ـالبلوغ ٣ـ العقل ٤ـ الحرية ٥ـ الذكورية ٦ـ الكفاءة النفسية ٧ـ الكفائة الجسمية ٨ـ القرشية ٩ـ العلم ١٠ـ العدالة ١١ـ عدم الحرص عليها[٤].

ولكن هذه الشروط ليست بالاتفاق، بل منها ما هو مجمع عليه كالإسلام والبلوغ والعقل والذكورية ومنها ما هو مختلف فيه كالحرية والقرشية والعدالة والعلم وغير ذلك.

ومن الشروط التي جاءت بها النصوص الشرعية فيمن يتولى الإمامة العظمى ـ أن يكون الإمام

---

(١) «الحسبة» لشيخ الإسلام ابن تيمية: ص ١٣، ط الأولى، ١٤٠٣هـ، مكتبة الأرقم، الكويت.

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٢٦٢).

(٣) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبدالله الدميجي ص ٢٢٣، ط الثانية، ١٤٠٩هـ، دار طيبة، الرياض.

(٤) انظر تفاصيل هذه الشروط «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى الفرا (ص ١٩-٢٣)، و «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص ٦-٧)، و «تفسير القرطبي»: (١/ ٢٧٠).

قرشياً كما صحت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ، إلا أن هذا الشرط قد اختلف العلماء في تطبيقه والعمل به، فمنهم من اشترطه في الإمام الأعظم نظراً لورود الحديث الصحيح به، ومنهم من لم يشترطه لوجود ما يخالفه من النصوص الأخرى.

رأي ابن حبان في اشتراط القرشية:

تناول ابن حبان رحمه الله هذا الشرط وقرره مستنداً في ذلك إلى ما جاءت به الأحاديث الصحيحة. فهو يرى أنه لابد أن يكون الإمام الأعظم من قريش، واستدل لرأيه ذلك بما رواه في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان**»[(١)] وترجم لهذا الحديث بقوله: «**ذكر الإخبار بأن الذي يلي أمر الناس إلى أن تقوم الساعة يكون من قريش لا من غيرها**»، وترجم له كذلك في موضع آخر بقوله: «**ذكر البيان بأن ولاية أمر المسلمين يكون في قريش إلى قيام الساعة**»[(٢)].

وما ذهب إليه ابن حبان هو ما انعقد عليه الإجماع من الصحابة والتابعين وأطبق عليه جماهير علماء المسلمين وبه قال الأئمة الأربعة.

قال الإمام أحمد في رواية الاصطخري: (الخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان، وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة)[(٣)].

وقال الإمام مالك: (ولا يكون ـ أي الإمام ـ إلا قرشياً، وغيره لا حكم له إلا أن يدعو إلى الإمام القرشي)[(٤)].

ونص الشافعي رحمه الله تعالى على هذا في بعض كتبه[(٥)].

ولم يخالف في اشتراط القرشية في الإمامة العظمى إلا النزر اليسير من الخوارج وبعض المعتزلة وبعض الأشاعرة وقد استدل المثبتون بعدة أدلة صريحة صحيحة من السنة والإجماع.

الأدلة من السنة:

١- ما خرجه البخاري في صحيحه عن معاوية رضي الله عنه: حيث قال البخاري: «باب

---

(١) أخرجه البخاري: (٦/٥٣٣، ح ٥٣٠١) في المناقب: باب مناقب قريش، ومسلم: (٣/٤٥٣، ح ١٨٢٠) في الإمارة: باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

(٢) «الإحسان»: (١٤/١٦٢).

(٣) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلي: (١/٢٦)

(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي: (٤/١٧٢١).

(٥) «الأم» للإمام الشافعي: (١/١٤٣).



الأمراء من قريش» حديثاً أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية ـ وهم عنده في وفد من قريش ـ أن عبدالله بن عمرو يحدث أن سيكون ملك من قحطان، فغضب فقام، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ، وأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين**»[١].

٢- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان**»[٢] قال ابن حجر رحمه الله: وليس المراد حقيقة العدد وإنما المراد به انتفاء أن يكون الأمر في غير قريش[٣].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم»[٤].

٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه فقال: «الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقاً ولكم عليهم حقاً مثل ذلك، ما إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفوا وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٥].

وقال ابن حزم: (وهذه رواية «الأئمة من قريش» جاءت مجيء التواتر رواها أنس بن مالك وعبدالله بن عمر بن الخطاب ومعاوية، وروى جابر بن عبدالله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها)[٦].

ثانيا: الإجماع

أما الإجماع: فقد حكاه غير واحد من العلماء، منهم: النووي حيث قال في شرحه لحديث:

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/ ١١٤، ح ٧١٣٩) في الأحكام: باب الأمراء في قريش.

(٢) أخرجه البخاري: (١٣/ ١١٤، ح ٧١٤٠) في الأحكام: باب الإمراد من قريش، ومسلم: (٣/ ١٤٥٢، ح ١٨٢٠) في الإمارة: باب الخلافة في قريش.

(٣) «فتح الباري»: (١٣/ ١١٧).

(٤) أخرجه البخاري: (٦/ ٥٢٦، ح ٣٤٩٥) في المناقب : باب (١)، ومسلم: (٣/ ١٥١، ح ١٨١٨) في الإمارة: باب الناس تبع لقريش والخلافة من قريش.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٣/ ٨٩).

(٦) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٤/ ٨٩).

« الناس تبع لقريش ... » إلخ الحديث: (هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الاجماع في زمن الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة)[١].

ومنهم القاضي عياض، فقد نقل عنه النووي قوله: (اشتراط كونه: أي الإمام ـ قرشياً هو مذهب العلماء كافة قال: واحتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد. قال القاضي: وقد عدها العلماء من مسائل الاجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار »[٢].

وممن حكى الإجماع أيضاً الماوردي[٣] والايجي في المواقف[٤] وابن خلدون في المقدمة[٥] والغزالي في فضائح الباطنية[٦]، وغيرهم.

ومما تقدم ذكره من أدلة السنة النبوية وإجماع الصحابة رضي الله عنهم يظهر موافقة ابن حبان رحمه الله لأهل السنة والجماعة في اشتراط القرشية فمن يتولى منصب الإمامة العظمىٰ.

الحكمة في اشتراط القرشية:

تعددت آراء العلماء في محاولة معرفة اختصاص قريش وحدها بالإمامة دون غيرها من الناس وحكمة ذلك، والمسلم وإن لم يكن مطالباً بمعرفة حكمة تشريع يرد كما قال تعالى: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾[٧].

إلا أن بعض ما جاءت به الشريعة من أحكام قد تكون حكمها واضحة وبينه لكل ذي عقل، وقد حاول بعض العلماء الاهتداء إلى الحكمة من جعل هذه الأمر في قريش دون غيرهم من الناس، ومن أشهر أولئك الذين بحثوا عن معرفة الحكمة في ذلك ـ ابن خلدون رحمه الله ـ، حيث قال في مقدمته: (إن الأحكام الشرعية كلها لابد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لأهلها، ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٢ / ٢٠٠).

(٢) المصدر السابق: (١٢ / ٢٠٠).

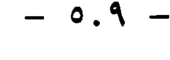
(٣) « الأحكام السلطانية »: (ص ٦).

(٤) « المواقف » للايجي: (ص ٣٩٨).

(٥) « المقدمة »: (ص ١٩٤).

(٦) « فضائح الباطنية » للغزالي: (ص ١٨٠) ط الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، الكويت.

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.





التبرك بوصلة النبي ﷺ كما هو المشهور، وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلاً، لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت.

فلابد إذا من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيتها، وإذا سبرنا وقسنا لم نجد إلا اعتبار العصبة التي تكون بها الحماية والمطالبة، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب لتسكن إليه الملة وأهلها، وينتظم حبل الألفة فيها، وذلك أن قريشاً كانوا عصبة مضر وأهلها أصلهم وأهل الغلب فيهم، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم، فلو جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة .. والشارع يحذر من ذلك لأنه حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية، بخلاف ما إذا كان الأمر في غير قريش، لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراد منهم، فلا يخشىٰ من أحد من خلاف عليهم ولا فرقة، لأنهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها، فاشتراط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة)[١]. قال: (فإذا ثبت اشتراط القرشية إنما هو لرفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة معينة، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية، فرددناه إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية، فاشتراطنا في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولي عصبية قوية غالبة على من معها)[٢].

فابن خلدون جعل علة الشرط هي العصبية فإن وجد الشرط وجدت وإن عدم الشرط عدمت، فإذا لم تكن لقريش عصبية فعلى رأيه، لا يلزم أن تكون الإمامة فيهم بل يجب أن تكون في الأقوى عصبية في ذلك العصر وإن كان من غير قريش.

أما ابن حبان رحمه الله تعالى فقد استند في حكمه اشتراط النسب القرشي فيمن يتولى منصب الإمامة إلى نص نبوي أخرجه في صحيحه، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**للقرشي قوة الرجلين من غير قريش**»، فسأل سائل ابن شهاب: ما يعني بذلك؟ قال: نبل الرأي[٣].

---

(١) «المقدمة»: (ص ١٩٥).

(٢) المصدر السابق: (ص ١٩٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٤/ ٨١)، وابن حبان في «صحيحه»: (١٤/ ١٦١، ح ٦٢٦٥) في التاريخ: باب بدء الخلق، والحاكم في «المستدرك»: (٤/ ٧٢) وصححه واقره عليه الذهبي.

وترجم لهذا الحديث بقوله: «ذكر اعطاء الله جل وعلا للقرشي من الرأي مثل ما يعطىٰ غير القرشي منه على الضِّعف»[1] ففي هذا الحديث بيان واضح في أن الحكمة من اشتراط النسب القرشي، ما ميز الله به قريشاً على سائر القبائل بقوة النبل، وسداد الرأي، وهما صفتان ضروريتان للإمام، ولعل ما ذهب إليه ابن حبان هو الأقرب إلى الصواب في بيان الحكمة من اشتراط النسب القرشي في الإمامة وذلك لاستناده إلى نص شرعي عن المعصوم ﷺ.

• المطلب الثاني: بيعة الأئمة

البيعة: بفتح الباء تطلق ويراد بها الصفقة على إيجاب البيع، وعلى المبايعة أو الطاعة، قال ابن منظور: (والبيعة والمبايعة والطاعة، وقد تبايعوا على الأمر كقولك، اصفقوا عليه وبايعه عليه مبايعة: عاهده، وبايعته من البيع جميعاً والتابيع مثله. وفي الحديث أنه قال ألا تبايعوني على الإسلام؟ هو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره)[2].

فالبيعة إذا تعني: اعطاء العهد من المبايع على السمع والطاعة للأمير في غير معصية في المنشط والمكره والعسر واليسر وعدم منازعته الأمر وتفويض الأمر إليه.

قال ابن خلدون: (اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر فيه أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا تبايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد فاشبه في ذلك فعل البائع والمشتري فسمى بيعة مصدر باع، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي، هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع، وهو المراد في الحديث في بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة وعند الشجرة)[3].

رأي ابن حبان في بيعة الأئمة:

عقد رحمه الله تعالى في كتابه الصحيح باباً يتعلق ببيعة الأئمة وما يستحب لهم، وتحدث في هذا الباب عن الواجب على الرعية تجاه الأئمة عند عقد البيعة لهم ومبايعتهم على الإمامة وذلك في ضوء الأحاديث التي أوردها تحت هذا الباب.

---

(١) «الإحسان»: (١٤/١٦١).

(٢) «لسان العرب»: (٨/٢٦).

(٣) «المقدمة» لابن خلدون: (ص ٢٠٩).





وقبل أن أذكر رأي ابن حبان في هذه المسألة، أود أن أشير إلى أن البيعة إذا اطلقت فإنما تنصرف إلى بيعة الإمام على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره.

وقد بين ابن حبان رحمه الله صفة السمع والطاعة اللذين يبايع الإمام عليها، فروى بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لوم لائم**»[١].

وترجم لهذا الحديث بقوله: «**ذكر وصف السمع والطاعة اللذين يبايع الإمام رعيته عليهما**»[٢] ومعنى هذا أنه يرى أن الإمام يبايع على السمع والطاعة في عسر الإنسان ويسره وفي حالة نشاطه وحال كراهته ومعنى هذا الحديث كما قال النووي أنه: (تجب طاعة الأئمة وولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإذا كانت معصية فلا سمع ولا طاعة)[٣].

والسمع والطاعة اللذان يبايع الإمام عليهما، لا تكون إلا بحسب الاستطاعة، وقد أشار ابن حبان إلى هذا الأمر فروى بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ يلقننا: «**على السمع والطاعة فيما استطعنا**»[٤]، وترجم لهذا الحديث بقوله: «**ذكر السبب الذي تقع البيعة من الرعية على الأئمة**»[٥].

ومما يتعلق بشروط البيعة، ما أشار إليه ابن حبان من أن البيعة إنما يقوم بها الأحرار من أهل الحل والعقد دون العبيد وأيد ذلك بما رواه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن عبداً بايع النبي ﷺ على الهجرة، فأتاه سيده يريده، قال: فاشتراه النبي ﷺ بعبدين أسودين، ثم لم يبايع أحداً على الهجرة حتى يسأله: أعبد هو؟»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري: (١٣/٥، ح ٧٠٥٦) في الفتن: باب (٢) قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» ومسلم: (٣/١٤٧٠، ح ١٧٤٩) في الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٢) «الإحسان»: (١٠/٤١٢).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٢/٢٢٥).

(٤) أخرج الإمام أحمد في «مسنده»: (٢/٦٢)، وأبو داود: (٣/١٣٣، ح ٢٩٤٠) في الخراج: باب ما جاد في البيعة وابن حبان في «صحيحه»: (١٠/٤١٦، ح ٤٥٥٢) في السير: باب بيعة الائمة وما يستحب لهم.

(٥) «الإحسان»: (١٠/٤١٦).

(٦) أخرجه مسلم: (٣/١٢٢٥، ح ١٦٠٢) في المساقاة: باب جواز بيع الحيوان بالحيوان من جنسه متفاضلا، وابن حبان: (١٠/٤١٥، ح ٤٥٥٠) في السير: باب بيعة الائمة وما يستحب لهم.

وترجم له الحديث بقوله: «ذكر البيان بأن البيعة إنما يجب أن تقع على الإمام من الناس من الأحرار دون العبيد»[1].

وما ذهب إليه ابن حبان هو الحق في هذه المسألة، فإن الحرية شرط أساسي في أدنى الولايات، ومن ثم يجب توفرها فيمن يبايع الإمام من أهل الحل والعقد، لأن اكتمال الأهلية شرط فيهم، ولأنه مولى لغيره فكيف يكون والياً على مولاه وغيره من الناس.

قال إمام الحرمين: (وكذلك لا يناط في هذا الأمر - أي عقد الإمامة والاختيار - بالعبد وإن حازوا قصب السبق في العلوم)[2].

الواجب على الرعية عند بيعة الأمراء والخلفاء:

بيّن ابن حبان رحمه الله ما يجب على الرعية عند قيامهم ببيعة الأمراء والخلفاء، وذلك بأن تؤدىٰ البيعة لمن بويع له على الوجه الأكمل وأيّد ذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما مات نبي قام نبي، وأنه ليس بعدي نبي»**، فقال رجل: ما يكون بعدك يا رسول الله: قال: **«خلفاء ويكثرون»** قال: فكيف تأمرنا يا رسول الله؟ قال: **«أدوا بيعة الأول فالأول، وأدوا إليهم ما لهم، فإن الله سائلهم عن الذي لكم»**[3].

وقد أوضح النووي رحمه الله معنى هذا الحديث فقال: (ومعنى هذا الحديث: إذا بويع لخليفة، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها ويحرم الله طلبها، وسواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أو جاهلين، وسواء كانا في بلدين أو أكثر، أو أحدهما في بلد الإمام المنفصل والآخر في غيره، هذا هو الصواب الذي عليه أصحابنا وجماهير العلماء)[4].

وقال أيضاً: (وفيه كذلك الحث على السمع والطاعة وأن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره واصلاحه)[5].

وقال القرطبي: (في هذا الحديث حكم بيعة الأول وأنه يجب الوفاء بها، وسكت عن بيعة الثاني،

---

(١) «الإحسان»: (١٠/٤١٥).

(٢) «غياث الأمم»: (ص ٤٩).

(٣) أخرجه البخاري: (٦/٤٩٥، ح ٣٤٥٥) في أحاديث الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل. ومسلم: (٣/١٤٧١، ح ١٨٤٢) في الإمارة: باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٢/٢٣١-٢٣٢).

(٥) المصدر السابق: (١٢/٢٣٢).





وقد نص عليه في حديث عرفجة رضي الله عنه في صحيح مسلم حيث قال: «**فاضربوا عنق الآخر**»).

وقال ابن حجر: (وفي الحديث تقديم أمر الدين على أمر الدنيا لأنه ﷺ أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر، وتأخير أمر المطالبة بحقه لا يسقط، وقد وعد الله أنه يخلفه ويوفيه إياه ولو في الدار الآخرة»[١].

والذي عليه جماهير المسلمين من أهل السنة والجماعة وغيرهم قديماً وحديثاً أنه لا يجوز تعدد الأئمة في زمن واحد وفي مكان واحد.

قال الماوردي: (إذا عقدت الإمامة لأمامين في بلدين لم تنعقد إمامتهما لأنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامان في وقت واحد وإن شذ قوم فجوزوه)[٢].

ويدل لذلك الحديث الذي أورده ابن حبان من ضرورة الوفاء ببيعة الأول فالأول.

وحديث عرفجة بن شريح رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[٣].

وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على أنه لا يجوز أن يلي إمامة الأمة أكثر من واحد، ودليل ذلك أن المهاجرين لم يوافقوا الأنصار في طلبهم أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير حينما طلبوا ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكان مما حفظ عن أبي بكر في ذلك الموقف قوله: هيهات أن يجتمع سيفان في غمد، عندئذ رضي الأنصار رضي الله عنهم، فصار ذلك منهم إجماعاً على عدم جواز تعدد الأئمة.

ونقل الإجماع على ذلك النووي[٤] وإمام الحرمين الجويني[٥] والقرطبي[٦] وابن حزم حيث قال: (واتفقوا على أنه لا يجوز أن يكون على المسلمين في وقت واحد في جميع الدنيا امامان، لا متفقان ولا مفترقان ولا في مكانين ولا في مكان واحد)[٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد والباقون

---

(١) «فتح الباري»: (٦/٤٩٧).

(٢) «الأحكام السلطانية» للماوردي: (ص ٩).

(٣) أخرجه مسلم: (٣/١٤٨٠، ح ١٨٥٢) في الإمارة: باب حكم من فرق أمر المسلمين.

(٤) شرح مسلم للنووي: (١٢/٢٣٢).

(٥) المصدر السابق: (١٢/٢٣٢).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن»: (١/٢٧٣).

(٧) «مراتب الإجماع» لابن حزم: (ص ١١٤)، ط ١، ١٩٧٨م، دار الآفاق، بيروت

نوابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها وعجز من الباقين أو غير ذلك، فكان لها عدة أئمة لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود ويستوفي الحقوق)[1].

• المطلب الثالث: طاعة الأئمة

الطاعة دعامة من دعائم الحكم في الإسلام، وقاعدة من قواعد نظامه السياسي، وهي من الأمور الضرورية لتمكين الإمام من القيام بواجبه الملقى على عاتقه، وضرورية أيضاً لتمكين الدولة من تنفيذ أهدافها وتحقيق أغراضها، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا إسلام بلا جماعة ولا جماعة بلا أمير ولا أمير بلا طاعة)[1].

والمسلم عندما يقوم بالسمع والطاعة لمن ولاه الله عليه، لأن ذلك مما أوجبه الله عليه، وهذا مما يميز النظام السياسي في الإسلام عن غيره من النظم السياسية الوضعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم وإن منعوه عصاهم فما له في الآخرة من خلاق)[3].

رأي ابن حبان في طاعة الأئمة:

قرر ابن حبان رحمه الله تعالى هذه القاعدة من قواعد النظام السياسي في الإسلام وذلك بما صنعه في كتابه الصحيح، فقد عقد باباً أورد فيه الأحاديث الدالة على وجوب طاعة الأئمة، والسمع لهم، وأول أمر قرره في بيان طاعة الأئمة التأكيد على أن طاعتهم تبع لطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ، واستدل لذلك بما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني**»[4].

ثم بيّن رحمه الله تعالى أن الأمر بطاعة الأمير ليست على عمومها، بل إنها مخصصة بأمرين اثنين:

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٣٥/١٧٥-١٧٦).

(٢) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: (ص ٣٧٥).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٣٥/١٦-١٧).

(٤) أخرجه البخاري: (١٣/١١١، ح ١٧٣٧) في الأحكام: باب قوله الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، ومسلم: (٣/١٤٦٦، ح ١٨٣٥) في الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.







أحدهما: إذا أُمر ما استطاع دون ما لا يستطيع.

الثاني: إن يؤمر المرء بما له فيه رضى.

وقد ذكر هذين التخصيصين عقب إيراده لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**آمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث: آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وتعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم وأنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**»[1].

فقال رحمه الله: («**وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم**» لفظه عام له تخصيصان، **أحدهما**: أن يؤمر المرء بماله في رضى. **والثاني**: إذا أُمر ما استطاع دون ما لا يستطيع)[2].

واستدل لهذين التخصيصين بما رواه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبادة» قلت: لبيك قال: «**أسمع وأطع في عسرك ويسرك ومكرهك وأثرة عليك وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك إلا أن تكون معصية لله بواحاً**»[3] وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر خبر يصرح بالتخصيصين اللذين ذكرناهما)[4].

واستدل كذلك على أن المرء يطيع فما استطاع دون ما لا يستطيع، بما رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيقول: «فيما استطعتم»[5].

وأوضح أن هذا الحديث مما يخص به حديث أبي هريرة المتقدم.

واستدل أيضاً على أن المرء يطيع فيما لله فيه رضى بما رواه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا طاعة لبشر في معصية الله**»[6].

ولهذا يمكن القول إن ابن حبان يرى وجوب طاعة الأئمة ولكن في ظل القيدين السابقين، أن يطاع ولي الأمر في طاعة الله دون معصية لأن الطاعة إنما تكون في المعروف، وأن يطاع ولي

---

(١) أخرجه مسلم: (٣/١٣٤٠، ح ١٧١٥) في الأقضية: باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، وابن حبان: (١٠/٤٢٣، ح ٤٥٦٠) في السير: باب طاعة الأئمة.

(٢) «الإحسان»: (١٠/٤٢٥).

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: (١٠/٤٢٥، ح ٤٥٦٢، ٤٥٦٦) في السير: باب طاعة الأئمة.

(٤) «الإحسان»: (١٠/٤٢٨).

(٥) أخرجه البخاري: (١٣/١٩٣، ح ٧٢٠٢) في الأحكام: باب كيف يبايع الإمام الناس.

(٦) أخرجه ابن حبان: (١٠/٤٣١، ح ٤٥٦٩) في السير: باب طاعة الأئمة. وأبو يعلىٰ الموصلي في مسنده: (١/٢٤١، ح ٢٧٨).

الأمر بما يستطيعه المرء دون ما لا يستطيعه.

وما قرر ابن حبان وذهب إليه في طاعة الأئمة هو ما يراه أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إنهم ـ أي أهل السنة والجماعة ـ لا يجوزون طاعة الإمام في كل ما يأمر به، بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة، فلا يجوزون طاعته في معصية الله وإن كان إماماً عادلاً، فإذا أمرهم بطاعة الله أطاعوه، مثل أن يأمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصدق والعدل والحج والجهاد في سبيل الله، فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله، والكافر والفاسق إذا أمر بما هو طاعة لله لم تحرم طاعة الله ولا يسقط وجوبها لأمر ذلك الفاسق بها، كما إذا تكلم بحق لم يجز تكذيبه ولا يسقط وجوب اتباع الحق بكونه قد قاله الفاسق)[1].

وقال أيضاً: (فأهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقاً، إنما يطيعونهم في ضمن طاعة الرسول ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[2] الآية).

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان قوله ﷺ في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة»[3].

قال: (وفي هذا الحديث دليل على أن من أطاع ولاة الأمر في معصية الله كان عاصياً، وأن ذلك لا يحل بل إثم المعصية لاحق به، وإن كان لولاة الأمر لم يرتكبها وعلى هذا يدل الحديث وهذا وجهه وبالله التوفيق)[4].

وقال أيضاً: (والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم تبعاً لهم، كان صلاح هاتين الطائفتين وفساده بفسادهما)[5].

---

(١) «منهاج السنة»: (٢/٨٦).

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) أخرجه البخاري: (١٣/١٢٢، ح ٧١٤٤) في الأحكام: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم: (٣/١٤٦٩، ح ١٨٣٩) في الإمارة: باب وجوب طاعة الإمام في غير معصية.

(٤) شرح ابن القيم على سنن أبي داود بهامش «عون المعبود»: (٧/٢٩٠).

(٥) إعلام الموقعين لابن القيم: (١/١٠).



وقال ابن رجب رحمه الله: (وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد ومعاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إن الناس لا يصلحهم إلا إمام براً أو فاجر، إن كان فاجراً عبد المؤمن فيه ربه وحمل الفاجر بها إلى أجله)[1].

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام، معرفة الحكمة في الأمر بطاعة الأئمة، وتبدو والله أعلم فيما يحصل بها من المحافظة على اتفاق الكلمة، لما في الافتراق من الفساد، وما يحصل بها من أمن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم وهذه مقاصد عظيمة جاءت الشرائع السماوية بالتأكيد على المحافظة عليها ورعايتها.

طاعة الإمام الجائر:

من الأمور التي عرض لها ابن حبان وجوب السمع والطاعة للأمراء وإن كانوا أئمة جور، إذ الطاعة للأمراء ليست مشروطة بكون الإمام عادلاً، بل حتى ولو كان فيه شيء من الجور، فجورُه وفسقه على نفسه كأن يقصر في حق الله تعالى أو حقوق بعض المخلوقين فهذا يطاع في طاعة الله ويعصى في معصية الله.

وقد استدل ابن حبان لما ذهب إليه من وجوب السمع والطاعة لأئمة الجور ما لم يأمروا بمعصية بما رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انها ستكون أثره وأمور تنكرونها قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: **«تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الذي لكم»**[2].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن على المرء عند ظهور الجور أداء الحق الذي عليه دون الامتناع على الأمراء)[3].

وما ذهب إليه ابن حبان من طاعة أئمة الجور والصبر على أذاهم أصل من أصول أهل السنة والجماعة كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[4].

وهذا من محاسن الشريعة، فإن الأمر بالصبر على جور الأئمة وظلمهم يجلب من المصالح

---

(١) «جامع العلوم والحكم»: (ص ٢٢٩).

(٢) أخرجه البخاري: (١٣/٥، ح ٧٠٥٢) في الفتن: باب قوله عليه السلام: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، ومسلم: (٣/١٤٧٢، ح ١٨٤٣) في الإمارة: باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء.

(٣) «الإحسان»: (١٠/٤٤٧).

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٢٨/١٧٩).

ويدرأ من المفاسد ما يكون به صلاح العباد والبلاد.

وقال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: (وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، لأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الإمام إما أن يكون عدلاً أو غير عدل، فإن كان عدلاً تجب طاعته فيما لم يعلم أنه معصية، أما إن كان غير عدل فتجب طاعته في كل ما علم أنه طاعة لله.

وعلى هذا فإن السلطان إذا أمر بأمر ينظر في هذا الأمر فإن كان حقاً وجبت طاعته، وإن كان معصية حرمت طاعته سواء كان الآمر به براً أم فاجراً)[٢].

• المطلب الرابع: الخروج على الإمام

الخروج في العرف الشرعي؛ كلمة تطلق على أحوال متفاوتة، وتسري عليها أحكام مختلفة، فقد يكون المراد بالخروج عدم الإقرار بإمامة الإمام، وقد يكون بالتحذير من طاعته ومساعدته والدخول عليه، وقد يراد به المقاتلة والمنابذة بالسيف، وهذا الأخير هو المراد في أكثر عبارات السلف حينما ينصون على تحريم الخروج والنهي عنه عند ذكر عقائدهم.

رأي ابن حبان في الخروج على الإمام:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى عدم جواز الخروج على أئمة الجور بالسلاح، واستدل لذلك بالآتي:

١- ما أخرجه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»[٣]. وترجم لهذا الحديث بقوله: «**ذكر الزجر عن الخروج على الأئمة بالسلاح وإن جاروا**»[٤].

٢- ما أخرجه عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

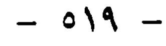
---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: (٣٧٤-٣٧٥).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٢٨/٥٨٧، ٣٥/٩).

(٣) أخرجه مسلم: (١/٩٨، ح ٩٨) في الإيمان: باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»، وابن حبان: (١٠/٤٤٨، ح ٤٥٨٨) في السير: باب طاعة الأئمة.

(٤) «الإحسان»: (١٠/٤٤٨).







«خياركم وخيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشراركم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنوكم»، قيل: أفلا ننابذهم يا رسول الله؟ قال: **«لا ما أقاموا الصلوات الخمس ألا ومن له والٍ فيراه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزع يداً من طاعته»**[١].

وترجم لهذا الحديث بقوله: **«ذكر الزجر عن الخروج على أمراء السوء وإن جاروا بعد أن يكره بالخَلَد ما يأتون»**[٢].

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«من حمل علينا السلاح فليس منا»**[٣].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر ما يجب على المرء من ترك الخروج على الأمراء وإن جاروا»[٤].

فهذا تراجم صريحة منه رحمه الله تعالى في حرمة الخروج على الأئمة وإن جاروا، مؤيداً ما ذهب إليه بهذه النصوص الصحيحة الصريحة في المسألة.

وما ذهب إليه ابن حبان وقرره في هذه المسألة، هو ما يراه أهل السنة والجماعة، وعليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: (ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأتوا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة)[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ولهذا كان مذهب أهل الحديث ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة والصبر على ظلمهم إلى أن يستريح برٌّ أو يستراح من فاجر)[٦].

وقال أيضاً: (ولهذا استقر رأي أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة

---

(١) أخرجه مسلم: (١/١٤٨١، ح ١٨٥٥) في الإمارة: باب خيار الأئمة وشرارهم، وابن حبان (١٠/٤٤٩، ح ٤٥٨٩) في السير: باب طاعة الأئمة.

(٢) (١٠/٤٤٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) «الإحسان»: (١٠/٤٥٠).

(٥) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٣٧١).

(٦) «مجموع الفتاوى»: (٤/٤٤٤).

الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم)[1].

وما ذكره شيخ الإسلام من ذكر السلف من ترك الخروج على أئمة الجور في عقائدهم - تكاثرت فيه النقول عنهم في ذلك.

١- فقال الإمام أحمد رحمه الله: (ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة)[2].

وقال أيضاً: (والانقياد إلى من ولاه الله أمركم ولا تنزع يدا من طاعة ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله فرجا ومخرجا، ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع، ولا تنكث البيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف للجماعة)[3].

٢- وقال أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان في ذكر معتقدهما: (ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ولا ننزع يدا من طاعة ونتبع السنة والجماعة ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة)[4].

٣- وقال علي بن المديني رحمه الله: (ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة)[5].

فهذه نماذج عن أئمة السلف تبين تشددهم ومنعهم للخروج على الأمراء إذا جاروا، وما ذلك إلا لما يترتب على الخروج عليهم من المفاسد التي لا تطيقها الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقلّ من خرج علي إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير)[6].

وقد خرج المسلمون ـ قديماً وحديثاً ـ فلم يجنوا من خروجهم إلا الشر، وفيما يلي نماذج لخروج بعض المسلمين على الأئمة على مدى التاريخ، والتي تجرعت الأمة مرارتها إلى اليوم.

---

(١) «منهاج السنة النبوية»: (٢/٢٤١).

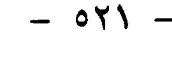
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (١/١٦١).

(٣) «طبقات الحنابلة»: (١/٢٦).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (١/١٧٧).

(٥) المصدر السابق: (١/١٦٨).

(٦) «منهاج السنة النبوية»: (٢/٢٤١).







١- خرج الناس على عثمان رضي الله عنه يرون أنهم إنما يريدون الحق فقتل، وتفرق الناس من بعده.

٢- ثم خرج أهل الجمل يرى رؤسائهم ومعظمهم أنهم إنما يطلبون الحق، فكانت ثمرة ذلك بعد اللقيا والتي أن انقطعت خلافة النبوة فأسست دولة بني أمية.

٣- ثم اضطر الحسن بن علي رضي الله عنه إلى ما اضطر إليه فكانت تلك المأساة.

٤- ثم خرج أهل المدينة فكانت وقعة الحرة.

٥- ثم خرج القراء مع ابن الأشعث[١] فماذا كان؟

٦- ثم كانت قضية زيد بن علي، وعرض عليه الروافض أن ينصروه على أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فخذلوه فكان ما كان.

وقد عدّ أبو الحسن الأشعري خمسة وعشرين خارجاً كلهم من أهل البيت، ولم يكتب لأحد منهم نصيب من الخروج[٢].

٧- وخرج بعض المسلمين في سوريا على السلطان فأي ثمار جنيت إلا إراقة الدماء والكيد للإسلام وأهله وتأخر الصحوة.

٨- وها نحن نسمع ونشاهد مأساة الخروج على السلطان في الجزائر، فلم يزد الخروج السلطان إلا عتواً واستكباراً، فأهريقت دماء الأبرياء وشرد الآمنون عن أوطانهم، والأمر لله من قبل ومن بعد.

فإذا كان هذا مآل الخروج في الماضي والحاضر، مع أن قصد الخارج قد يكون حسناً لا يريد إلا الإصلاح فكيف يجوز الخروج والحال ما سبق ذكره؟

موقف ابن حبان من الخوارج:

من المبادىء التي يقوم عليها مذهب الخوارج - الخروج على أئمة الجور والظلم - وقد عرض ابن حبان لمذهبهم الباطل وأورد الأحاديث الواردة في ذمهم والأمر بقتلهم وإراحة الإمة من شرهم.

فروى عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حلاقمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من

(١) هو أبو محمد بن الأشعث بن قيس، قائد مشهور كان بينه وبين الحجاج معارك عدة مات سنة ٨٥هـ «البداية والنهاية» لابن كثير: (٩/ ٥٤).

(٢) «مقالات الإسلاميين»: (١/ ١٥١، ١٦٦).

الرمية ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة »[١].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الإخبار بأن الحرورية هم من شرار الخلق عند الله جل وعلا)[٢].

وروى كذلك عن سويد بن غفلة قال: قال علي رضي الله عنه: وإذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثا، فلأن أخرّ من السماء أحب إليّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإنما الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يأتي في آخر الزمان قوم حديثوا الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم تراقيهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة »[٣].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الأمر بقتل الحرورية إذا خرجت تريد شق عصا المسلين)[٤]، وهذه الترجمة من ابن حبان رحمه الله صريحة في أنه يرى قتل الخوارج ودرء شرهم إذا خرجوا على الناس يريدون شق عصا الأمة وإيقاع الفتنة بين المسلمين.

قال ابن هبيرة[٥]: (وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى)[٦].

وقال ابن حجر: (وفيه ـ أي في الأحاديث المتقدمة ـ إباحة قتل الخوارج بالشروط المتقدمة وقتلهم في الحرب وثبوت الأجر لمن قتلهم)[٧].

وقال النووي: (قوله ﷺ: « فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً » هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة وهو إجماع العلماء، قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الإمام وخالفوا رأي الجماعة وشقوا العصا وجب قتالهم بعد إنذارهم والاعتذار إليهم »[٨].

---

(١) أخرجه مسلم: (٢/٧٥٠، ح ١٠٦٧) في الزكاة: باب الخوارج شر الخلق والخليقة، وابن حبان في « صحيحه »: (١٥/١٣٥، ح ٦٧٣٨) في التاريخ: باب اخباره ﷺ عما يكون في أمته من الحوادث.

(٢) « الإحسان »: (١٥/١٣٥).

(٣) أخرجه البخاري: (٦/٦١٨، ح ٣٦١) في المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم: (٢/٧٤٦، ح ١٠٦٦) في الزكاة: باب التحريض على قتل الخوارج.

(٤) « الإحسان »: (١٥/١٣٦).

(٥) هو أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الوزير الإمام العادل الحنبلي ـ ولد سنة (٤٩٩هـ) وتوفي سنة (٥٦٠هـ) انظر: « سير أعلام النبلاء »: (٢٠/٤٢٦)، « وذيل طبقات الحنابلة » لابن رجب: (١/٢٥١).

(٦) « فتح الباري »: (١٢/٣٠١).

(٧) المصدر السابق: (١٢/٣٠١).

(٨) شرح النووي على صحيح مسلم: (٧/١٧٠).



المبحث الثاني:
الصحابة رضي الله عنهم

تعريف الصحابي:

تعددت أقوال العلماء في تعريف الصحابي، ولكن التعريف الصحيح المعتمد ما ذكره ابن حجر رحمه الله تعالى بقوله: (هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإسلام[1] ولو تخللت ردة في الأصح).

ثم شرح هذا التعريف فقال: (فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغزو، ومن رآه رؤية ولم لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى ويخرج بقيد الإيمان: من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى وقولنا: «به» يخرج من لقيه مؤمنا بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة ويدخل في قولنا: «مؤمنا به» كل مكلف من الجن والإنس.

وخرج بقولنا: «ومات على الإسلام» من لقيه مؤمنا ثم إرتد، ومات على ردته والعياذ بالله ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد)[2].

وقد امتن الله تعالى على صحابة رسوله ﷺ، فجعلهم أنصار نبيه وأعوان نبيه ﷺ فرض عنهم وأرضى عنهم نبيه وأوجب على من جاء بعدهم أن يستغفر لهم، فمن الواجب علينا إذا محبتهم والترضي عنهم وذكر مآثرهم ومناقبهم الجليلة وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم وأن تسلم قلوبنا وألسنتنا نحوهم.

قال أبو نعيم[3] رحمه الله: في بيان ما يجب على الأمة نحو الصحابة رضي الله عنهم:

---

(١) «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» لابن حجر العسقلاني: (ص ١٤٩) ط ١، ١٤١٣هـ دار ابن الجوزي، الدمام.

(٢) «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني: (١/٤-٥)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) هو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني، ولد سنة ٣٣٦هـ، كان في أعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، توفي سنة ٤٣٠هـ، انظر «شذرات الذهب»: (٣/٢٤٥)، «سير أعلام النبلاء»: (١٧/٤٥٣، ٤٦٤).

(فالواجب على المسلمين في أصحاب رسول الله ﷺ إظهار ما مدحهم الله به وشكرهم عليه من جميل أفعالهم وجميل سوابقهم وأن يغضوا عما كان منهم في حال الغضب والإنفعال وفرط منهم عند استزلال الشيطان إياهم ونأخذ في ذكرهم بما أخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾[1] فإن الهفوة والزلل والغضب والحدة والإفراط لا يخلو منه أحد، وهو لهم غفور، ولا يوجب ذلك البراءة منهم ولا العداوة لهم، ولكن يحب على السابقة الحميدة ويتولى للمنقبة الشريفة .. إلى أن قال: فلا يتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه)[2].

وإن مما يجب علينا نحو أصحاب رسول الله ﷺ الإيمان بما أكرمهم الله به من المناقب العظيمة والمآثر الجليلة. لذا فهم أهل صدق فيما يقولون، وأهل عدل فيما يشهدون، فلا يسبهم ولا يتنقصهم إلا منافق أو زنديق، لم يجعل الله له من نور.

المطلب الأول: فضلهم

أثنى الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ على أصحاب النبي ﷺ لإيمانهم بالله عز وجل وتصديقهم بنبيه ﷺ، وعلو منزلتهم في ذلك، ونصرتهم رسول الله ﷺ وفدائهم له بمهجهم وأنفسهم وأموالهم وأولادهم.

يقول عنهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (وقد أثنىٰ الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، هم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاما وخاصا وعزما وإرشاداً، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد ومدح وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا)[1].

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٢) «الإمامة والرد على الرافضة» لأبي نعيم الأصبهاني: (ص ٣٤١) ط ١، ١٤٠٧هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية.

(٣) «إعلام الموقعين»: (١/ ٨٠)، و«مناقب الشافعي» للبيهقي: (١/ ٤٤٢-٤٤٣)، ط ١، ١٣٩١هـ، دار النصر، القاهرة.





وإن من اعلاء الله لشأنهم أن زكاهم الله من فوق سبع سموات وعدلهم ورضي عنهم فليسوا إلى تزكية أحد بعد الله جل وعلا كائنا من كان، وحرّم رسول الله ﷺ سبهم وتنقصهم وبين عليه الصلاة والسلام أن حبهم إيمان وبغضهم نفاق، وأرشد الله تعالى الأمة ممن جاء بعدهم أن يستغفر لهم ويدعو لهم لما كان منهم من سبق إلى الإيمان والجهاد في سبيل الله ونصرة دينه وإعزاز رسوله ﷺ.

رأي ابن حبان في فضل الصحابة رضي الله عنهم:

تحدث ابن حبان رحمه الله على أصحاب رسول الله ﷺ في مواضع متفرقة من كتبه ذاكراً لمناقبهم وفضائلهم، ومترضيا عنهم، ومنكراً على من سبهم أو تنقصهم أو قدح منهم!

وقد أوضح ابن حبان رحمه الله تعالى فضل الصحابة بأمور عدة تتمثل في ما يلي:

١- الصحابة خير هذه الأمة:

يرى رحمه الله تعالى أن الصحابة رضي الله عنهم خير هذه الأمة كما وردت بذلك نصوص الكتاب والسنة، فقد روى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»**[١]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن خير هذه الأمة الصحابة ثم التابعون)[٢].

ثم يؤكد على أن خيرية الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم ليس في حياة النبي ﷺ فحسب، بل هي قبله وبعد ﷺ إلى قيام الساعة، ويؤيد ذلك بما رواه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»**[٣]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن قوله ﷺ: **«خير الناس قرني»** أراد به الصحابة الذين كانوا قبله وبعده)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: (٥/٣٠٦، ح ٢٦٦٢) في الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ومسلم: (٤/١٩٦٢، ح ٢٥٣٣) في فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

(٢) «الإحسان»: (١٥/٢٠٥).

(٣) أخرجه مسلم: (٤/١٩٦٢، ح ٢٥٣٣) في فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة.

(٤) «الإحسان»: (١٥/٢٠٦).

٢- بقاء الصحابة رضي الله عنهم أمنة للأمة من ظهور الجور فيها:

روى بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ فقلنا: لو انتظرنا حتى نصلي معه العشاء، فانتظرنا، فخرج علينا فقال: «ما زلتم هاهنا؟» فقلنا: نعم، نصلي معك العشاء قال: «أحسنتم» أو قال: «أصبتم»، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: **«النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا أنا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»**[(١)].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأنه جل وعلا جعل صفيَّهُ ﷺ أمنة أصحابه وأصحابه أمنة أمته) ثم بين معنى هذا الحديث فقال: (يشبه أن يكون معنى هذا الخبر أن الله جل وعلا جعل النجوم علامة لبقاء السماء، وأمنة لها عن الفناء، فإذا غارت واضمحلت أتى السماء الفناء الذي كتب عليها، وجعل الله جل وعلا المصطفى أمنة أصحابه من وقوع الفتن، فلما قبضه الله جل وعلا إلى جنته، أتى أصحابه الفتن التي أوعدوا، وجعل الله أصحابه أمنة أمته من ظهور الجور فيها فإذا مضى أتاهم ما يوعدون من ظهور غير الحق من الجور والأباطيل)[(٢)].

وما ذكر ابن حبان في معنى هذا الخبر حق، فإن البدع والحوادث في الدين لم تجد رواجا بين المسلمين إلا عند انخرام جيل الصحابة رضي الله عنهم، وهذا ما أشار إليه النووي رحمه الله حيث قال: (وقوله ﷺ: «وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» معناه: ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذا كله من معجزاته ﷺ)[(٣)].

٣- التفاضل بين الصحابة رضي الله عنهم في الجملة:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن أهل بدر أفضل الصحابة وخير هذه الأمة، واستدل لذلك بما رواه بسنده عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ جبريل أو ملك فقال: كيف أهل بدر فيكم؟ فقال النبي ﷺ: **«هم عندنا أفاضل الناس»** قال: وكذلك من شهد عندنا من

---

(١) اخرجه مسلم: (٤/١٩٦١، ح ٢٥٣١) في فضائل الصحابة: باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة.

(٢) «الإحسان»: (١٦/٢٣٥).

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٦/٨٣).

الملائكة[1].

وقد ترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن أهل بدر هم أفضل الصحابة وخير هذه الأمة)[2].

ويرى رحمه الله تعالى أن المهاجرين والأنصار أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ومن ثم فهو يقدمهم على غيرهم من الصحابة، وأستدل لذلك بما رواه عن أبي رهم الغُفاري وكان من أصحاب النبي ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ تبوكا، فلما قفل، سرنا ليلة فسرت قريباً منه، والقي عليّ النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلته، فيفزعني دنوها خشية أن أصيب رجله في الغرز، فأزجر راحلتي، حتى غلبتني عيني في بعض الليل فزحمت راحلتي راحلته، ورجله في الغرز فأصبت رجله فلم أستيقظ إلا بقوله «حس» فرفعت رأسي فقلت: استغفر لي يا رسول الله قال: «سر» فطفق رسول الله ﷺ يسألني عمن تخلف من بني غفار، فأخبرته، فإذا هو قال: ما فعل النفر الحمر الثطاط؟ فحدثته بتخلفهم قال: ما فعل النفر السود الجعاد أو القصار الذين لهم نعم بشبكة شرخ»؟ فتذكرتهم في بني غفار، فلم أذكرهم حتى ذكرت رهطا من أسلم فقلت: يا رسول الله أولئك رهط من أسلم وقد تخلفوا، فقال رسول الله ﷺ: «فما يمنع أولئك حين يتخلف أحدهم أن يحمل على بعض إبله امرءاً نشيطاً في سبيل الله، إن أعز أهلي عليّ أن يتخلف عني المهاجرين والأنصار وأسلم وغفار»[3].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن أحب الناس إلى رسول الله ﷺ في الصحبة كان المهاجرون والأنصار ثم أسلم وغفار)[4].

أما فضائل المهاجرين الخاصة بهم فقد بيّنها بما رواه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«للمهاجرين منابر من نور يجلسون عليها يوم القيامة قد أمنوا من الفزع»** قال أبو سعيد الخدري، والله لو حبوت بها أحد لحبوت بها قومي[5].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٣/٤٦٥)، وابن حبان: (١/٥٦، ح ١٦٠) في المقدمة: باب في فضائل أصحاب النبي ﷺ، وأخرج البخاري: (٧/٣١١، ح ٣٩٩٢) في المغازي: باب شهود الملائكة بدراً نحوه.

(٢) «الإحسان»: (١٦/٢٠٧).

(٣) أخرجه أحمد: (٤/٣٤٩-٣٥٠)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (ح ٧٥٤)، والحاكم في «المستدرك»: (٣/٥٩٣-٥٩٤) وسنده ضعيف.

(٤) «الإحسان»: (١٦/٢٤٦).

(٥) أخرجه الحاكم: (٤/٧٦-٧٧) وصححه وسنده ضعيف.

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر وصف منازل المهاجرين في القيامة)[١].

وأما فضائل الأنصار، فروى فيها عن البراء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحب الأنصار، فقد أحبه الله ورسوله ومن أبغض الأنصار فقد أبغض الله ورسوله لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق**»[٢]، وترجم لهذا الخبر بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن محبة الأنصار من الإيمان)[٣].

ومن فضل الأنصار أن النبي ﷺ قد نفى الإيمان عمن يبغض الأنصار، فروى ابن حبان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر**»[٤]، وترجم للحديث بقوله: (ذكر نفي الإيمان عن مبغض الأنصار)[٥].

فهذه الأحاديث التي أوردها ابن حبان في بيان فضائل المهاجرين والأنصار تدل على أنه رحمه الله قد تقرر عنده فضل المهاجرين ثم الأنصار على غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم

ومما يؤكد هذا أنه عند ذكره لمناقب الصحابة رضي الله عنهم، بدأ بذكر المهاجرين من قريش ثم حلفاؤهم وقال بعد أن ذكر أسماء من وردت في السنة مناقبهم: (إلى هاهنا المهاجرين من قريش، وإنا نذكر بعد هؤلاء حلفاء قريش إن الله يسر ذلك وسهله)[٦].

ولما أتم ذكر مناقب حلفاء قريش قال عقبة: (إلى هاهنا حلفاء قريش، وإنا نذكر بعد هؤلاء الأنصار من هاجر منهم ومَن لم يهاجر إن قضى الله ذلك وشاءه)[٧].

التفاضل بين آحاد الصحابة رضي الله عنه:

أورد ابن حبان رحمه الله تعالى عدداً كبيراً من الأحاديث المتضمنة بيان فضائل لأفراد بأعيانهم من الصحابة ويمكن من خلال تتبع سياقه لتلك الأحاديث معرفة رأيه في أفضلية أفراد الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) «الإحسان»: (١٦/٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري: (٧/١١٣، ح ٣٧٨٣) في مناقب الأنصار: باب حب الأنصار من الإيمان، ومسلم: (١/٨٥، ح ٧٥) في الإيمان: باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان.

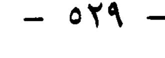
(٣) «الإحسان»: (١٦/٢٦١-٢٦٢).

(٤) أخرجه مسلم: (١/٨٦، ح ٧٧) في الإيمان: باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته.

(٥) «الإحسان»: (١٦/٢٦٣).

(٦) «الإحسان»: (١٦/٥٧).

(٧) «الإحسان»: (١٦/٧٠).







أبو بكر الصديق رضي الله عنهم:

ابتداء ابن حبان رحمه الله في ذكر مناقب الصحابة ومآثرهم بذكر فضائل أبي بكر رضي الله عنه، وصنيعه هذا دليل قاطع على أنه يرى أن أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وأيد ذلك بما رواه عن عائشة رضي الله عنها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**كان أبو بكر أحبنا إلى رسول الله ﷺ، وكان خيرنا وسيدنا**»[١]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ)[٢].

عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أتبع ابن حبان فضائل أبي بكر رضي الله عنه بذكر فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا يعنى أنه يرى أن عمر بن الخطاب يلي أبا بكر رضي الله عنه في الأفضلية، واستدل لذلك بما رواه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» قلت: يا رسول الله: من الرجال: قال «**أبوها**» أبو بكر، قلت ثم من؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب**»[٣] ثم عدّ رجالا.

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر البيان بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ بعد أبي بكر رضي الله عنه)[٤].

عثمان بن عفان رضي الله عنه:

وقد أورد فضائله عقب ذكره لفضائل عمر بن الخطاب: وفي هذا دليل أن أفضيلة عثمان رضي الله عنه تأتي بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما واستدل لذلك بما رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت[٥].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر وصف أقوام كانوا يفضلون في حياة رسول الله ﷺ)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري: (٧/ ٢٠، ح ٣٦٦٨) في فضائل الصحابة: باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذا خليلا».
(٢) «الإحسان»: (١٥/ ٢٧٨).
(٣) أخرجه البخاري: (٧/ ١٨، ح ٣٦٦٢) في فضائل الصحابة: باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً».
(٤) «الإحسان»: (١٥/ ٣٠٨).
(٥) أخرجه البخاري: (٧/ ١٦، ح ٣٦٥٥) في فضائل الصحابة: باب فضل أبو بكر بعد النبي ﷺ، وأحمد: (٢/ ١٤).
(٦) «الإحسان»: (١٦/ ٢٣٧).

وأيده كذلك أيضاً بما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال لقيني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في لسانه ثقل ما يبين الكلام، فذكر عثمان، فقال عبدالله: والله ما أدري ما يقول عنكم غير أنكم تعلمون يا معشر أصحاب النبي ﷺ، إنا كنا على عهد رسول الله ﷺ نقول أبو بكر وعمر وعثمان وإنما هو هذا المال فإن أعطاه رضيتم)[1].

علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أورد ذكر فضائله عقب فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهذا يعني أنه يرى أن مرتبة عليّ رضي الله عنه في الفضل تلي مرتبة عثمان بن عفان رضي الله عنه، واستدل لذلك بما رواه في كتاب «الثقات» عن أبي بكر الهذلي قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد أبو بكر أفضل أو عمر؟ قال أبو بكر، وعمر كان يعرف له ذلك قلت: أعمر كان أفضل أو عثمان؟ قال: عمر وعثمان كان يعرف له ذلك قلت: عثمان كان أفضل أو عليّ؟ قال: عثمان، وعلي كان يعرف له ذلك، قلت أعلي كان أفضل أم معاوية؟ قال: وأين معاوية من المهاجرين الأولين؟[2].

وبعد ذكره لفضائل الأربعة الخلفاء، أتبعهم بذكر بقية العشرة المبشرين بالجنة، الذين يلونهم في أفضليتهم على غيرهم من الصحابة رضي الله عنه أجمعين.

وما ذهب إليه ابن حبان من تفضيل المهاجرين على الأنصار وتفضيل العشرة المبشرين بالجنة على من سواهم، هو ما يذهب إليه أهل السنة والجماعة وقرروه في مصنافتهم كالإمام أحمد في فضائل الصحابة والبخاري في كتابه الصحيح وغيرهم من السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان فضل الصحابة وموقف أهل السنة والجماعة منه وبيان تفاضلهم: (ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح، وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، ويفضلون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر بذلك النبي ﷺ، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه)[3].

---

(١) أخرجه أبو داود: (٤/٢٠٦، ح ٤٦٢٨) في السنة: باب في التفضيل، وابن أبي عاصم في «السنة»: (ح ١١٩٠)، والطبراني في «الكبير»: (١٣٥٣٢) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) «الثقات»: (٩/٢٤).

(٣) «شرح العقيدة الواسطية» محمد خليل هراس: (ص ١٦٨-١٦٩).





وقال رحمه الله في بيان أفضلية آحاد الصحابة: (ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار وكما أجمع عليه الصحابة)[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: (وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم)[2].

وقال ابن أبي زمنين في أصول السنة: (ومن قول أهل السنة: أن أفضل هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر وعمر وأفضل الناس بعدهما عثمان وعلي)[3].

وقال المقدسي[4] في الاقتصاد في الاعتقاد: (ونعتقد أن خير هذه الأمة وأفضلها بعد رسول الله ﷺ صاحبه الأخص وأخوه في الإسلام ورفيقه في الهجرة والغار، أبو بكر الصديق ووزيره في حياته وخليفته بعد وفاته، عبدالله بن عثمان بن عتيق بن أبي قحافة ثم بعده الفاروق أبو حفصة عمر بن الخطاب الذي أعز الله وأظهر الدين ثم بعده ذو النورين، أبو عبدالله عثمان ابن عفان الذي جمع القرآن وأظهر العدل والإحسان ثم ابن عم رسول الله ﷺ وختنه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم فهؤلاء الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون)[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن علي رضي الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما)[6].

المطلب الثاني: عدالتهم

العدالة في اللغة والاصطلاح:

أولاً: العدالة في اللغة:

جاء في الصحاح للجوهري: العدل خلاف الجور، يقال عدل عليه في القضية فهو عادل،

(١) «شرح العقيدة الواسطية»: (ص ١٦٩).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٤٩٩).

(٣) «أصول السنة»: (ص ٢٧٠).

(٤) هو عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور ابن رافع المقدسي الجماعيلي ولد سنة (٥٤٤هـ) كان من أعلام المحدثين، له مصنفات في العقيدة تدل على معرفته بعقيدة السلف وتضلعه في مسائلها، توفي سنة (٦٠٠هـ)، انظر «سير أعلام النبلاء»: (٢١/٤٤٨)، «ذيل طبقات الحنابلة»: (٢/١-٢٩).

(٥) «الاقتصاد في الاعتقاد» عبدالغني المقدسي: (ص ١٩٨-٢٠٠).

(٦) «الوصية الكبرى» لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص ٣٢).



وبسط الوالي عدله ومعدلته، وفلان من أهل المعدلة أي: من أهل العدل، ورجال عدل: وقد عُدل الرجل عدالته ... إلى أن قال: وتعديل الشيء: تقويمه يقال: عدلته فاعتدل، أي قومته فاستقام[1].

وجاء في القاموس: العدل ضد الجور، أو ما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة[2].

فمن هذه التعاريف اللغوية يتضح أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة، وأن العدل هو الذي لم تظهر منه ريبة، وهو الذي يرضى الناس عنه ويقبلون شهادته ويقنعون بها.

ثانيا: العدالة في الاصطلاح:

تنوعت عبارات العلماء في تعريف العدالة، كل بحسب فنه الذي اشتغل به من محدث أو فقيه أو أصولي.

أما المحدثون فقد عرفها الخطيب البغدادي بقوله: (العدل هو من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به وتوقىٰ ما نهي عنه وتجنب الفواحش المسقطة وتحرى الحق والواجب في أفعاله ومعاملته والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه، وليس يكفيه في ذلك اجتناب كبائر الذنوب التي يسمى فاعلها فاسقا حتى يكون مع ذلك متوقياً لما يقوله كثير من الناس أنه لا يعلم أنه كبير)[3].

وأما الأصوليون فقد عرفها ابن الحاجب[4] بقوله: (العدالة: هي محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ليس معها بدعة وتتحقق باجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر وبعض المباح كاللعب بالحمام والاجتماع مع الأرذال والحرف الدنيئة مما لا يليق به ولا ضرورة)[5].

وعرفها ابن حجر رحمه الله بقوله: (المرء بالعدل، من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى

---

(١) «الصحاح»: (٥/١٧٦٠، ١٧٦١).

(٢) «القاموس المحيط»: (٤/١٣).

(٣) «الكفاية»: (ص ١٠٣).

(٤) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، الكردي الدويني الإسنائي ولد سنة (٥٧٠هـ) كان إماماً فاضلاً محققاً فقيهاً أصولياً توفي سنة (٦٤٦هـ) انظر «البداية والنهاية»: (١٣/١٧٦)، «النجوم الزاهرة»: (٦/٣٦٠).

(٥) «مختصر منتهى الأصولي مع شرح القاضي عضد الملة والدين»: (٢/٦٣) مطبعة الفجالة، ١٣٩٣هـ.



والمروءة، والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة[٦].

وقال السيوطي في تعريفها: (حدها الأصحاب، بأنها ملكة أي هيئة راسخة في النفس تمنع من اقتراف كبيرة أو صغيرة دالة على الخسة أو مباح يخل بالمروءة، وهذه أحسن عبارة في حدها)[٢].

أما ابن حبان رحمه الله قد عرف العدالة في الإنسان بقوله: (والعدالة في الإنسان هو أن يكون أكثر أحواله طاعة الله، لأنا متى لم نجعل العدل إلا من لم يوجد منه معصية بحال أدانا ذلك إلى أن ليس في الدنيا عدل، إذ الناس لا تخلو أحوالهم من ورود خلل الشيطان فيها، بل العدل من كان ظاهر أحواله طاعة الله، والذي يخالف العدل من كان أكثر أحواله معصية الله)[٣].

فهذه تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح، وهي وإن تنوعت عباراتها إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة: ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي وأن يبعد عما يخل بالمروءة، وأيضاً لا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من الفسق.

رأي ابن حبان في عدالة الصحابة رضي الله عنهم:

يرى ابن حبان رحمه الله تعالى أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول، وقرر هذا في مواضع عدة من كتبه.

فقد أورد في مقدمة كتابه الصحيح عند ذكره لشرط من يحتج بخبره قوله: (وإنما قبلنا أخبار أصحاب رسول الله ﷺ ما رووها عن النبي ﷺ وإن لم يبنوا السماع في كل ما رووا، وبيقين نعلم أن أحدهم ربما سمع الخبر عن صحابي آخر ورواه عن النبي ﷺ من غير ذكر ذلك الذي سمعه منه، لأنهم رضي الله عنهم أجمعين كلهم أئمة سادة قادة عدول، نزه الله عز وجل أقدار أصحاب رسول الله ﷺ عن أن يلزق بهم الوهن.

وفي قوله ﷺ: «**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس منهم مجروح ولا ضعيف، إذ لو كان فيهم مجروح أو ضعيف، أو كان فيهم أحد غير عدل

---

(١) «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر»: (ص ٨٣).

(٢) «الأشباه والنظائر» للسيوطي: (ص ٣٨٤) دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ.

(٣) «الإحسان»: (١/ ١٥١).

لاستثنىٰ في قوله ﷺ، وقال ألا ليبلغ فلان وفلان منكم الغائب، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم، دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفىٰ بمن عدله رسول الله ﷺ شرفا)[١].

وأخرج بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»[٢]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الخبر الدال على أن أصحاب رسول الله كلهم ثقات عدول)[٣].

وقال رحمه الله عقب سياقه لأسماء الثقات من التابعين: (فكل شيخ ذكرته في هذا الكتاب فهو صدوق يجوز الاحتجاج بروايته إذا تعرى عن خصال خمس، فإذا وجد خبر منكر عن شيخ من هؤلاء الشيوخ الذين ذكرت اسمائهم فيه، كان ذلك الخبر لا ينفك عن إحدى خصال خمس: إما أن يكون فوق الشيخ الذي ذكرته في هذا الكتاب شيخ ضعيف سوى أصحاب رسول الله ﷺ، فإن الله عز وجل نزه أقدارهم عن إلزاق الضعف لهم)[٤].

وروى بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[٥].

وعلق على هذا الحديث بقوله: (وقوله ﷺ: «**ومن كذب عليّ متعمداً**» لفظة خوطب بها الصحابة، والمراد منه غيرهم إلى يوم القيامة لاهم، إذ الله جل وعلا نزه أقدار الصحابة عن أن يتوهم عليهم الكذب، وإنما قال ﷺ هذا، لأن يعتبر من بعدهم، فيعوا السنن ويرووها على سننها حذر إيجاب النار للكاذب عليه ﷺ)[٦].

فهذه النقول من كلام ابن حبان رحمه الله تعالى تدل صراحة على أنه يرى أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم من غير استثناء أحد منهم ثقات عدول، وهذا ما يذهب إليه أهل السنة والجماعة ونطقت به نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة.

---

(١) «الإحسان»: (١/ ١٦١، ١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم: (٤/ ١٨٦٨، ح ٢٥٤١) في فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، والبخاري»: (٧/ ٢١، ح ٣٦٧٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ: باب ٥.

(٣) «الإحسان»: (١٦/ ٢٣٨).

(٤) «الثقات»: (٥/ ٥٩٥).

(٥) أخرجه البخاري: (٦/ ٤٩٦، ح ٣٤٦١) في الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٦) «الإحسان»: (١٤/ ١٤٩).



الآيات الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم:

١- قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾[١] الآية.

ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أن وسطا بمعنىٰ «عدولا خياراً» ولانهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن المراد به الخصوص، وقيل إنه وارد في الصحابة رضي الله عنهم دون غيرهم.

٢- قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[٢] الآية.

ووجه دلالة الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أنها اثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا بذلك؟

كما أنه لا يجوز أن يخبر الله تعالى بأنه جعلهم أمة وسطا عدولا وهم على غير ذلك قال الشاطبي رحمه الله: (سنة الصحابة رضي الله عنهم يعمل بها ويرجع إليها، ومن الدليل على ذلك أمور:

أحدها: ثناء الله عليهم من غير مثنوية، ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ وقوله: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ ففي الآية الأولى: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة.

وفي الثانية: إثبات العدالة مطلقاً وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

ولا يقال: هذا عام في الأمة فلا يختص بالصحابة دون من بعدهم لأنا نقول:

أولاً: ليس كذلك بناء على أنهم المخاطبون على الخصوص ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر.

ثانياً: على تسليم التعميم أنهم أول داخل في شمول الخطاب فإنهم أول من تلقىٰ ذلك عن الرسول عليه الصلاة والسلام وهم المباشرون للوحي.

ثالثاً: أنهم أولى بالدخول من غيرهم، إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم فمطابقة الوصف للإتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح، وأيضاً فإن من بعد الصحابة من أهل السنة عدلوا الصحابة على الإطلاق والعموم فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة بخلاف غيرهم، فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته وذلك مصدق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق فإنهم وسط ـ أي: عدول بإطلاق ـ وإذا كان كذلك فقولهم معتبر وعملهم مقتدى به)[1].

٣- قوله تعالى: ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾[2].

ووجه دلالة الآية على عدالتهم رضي الله عنه: أن الله تعالى أخبر برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الاهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه. ومن أثنىٰ الله عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلا؟

وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس، فكيف لا تثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بعد الأنبياء المرسلين بهذا الثناء الصادر من رب العالمين.

٤- قوله تعالى: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا** ﴾[3] الآية.

فهذا الوصف الذي وصفهم الله به في كتبه وهذا الثناء الذي أثنىٰ به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم.

---

(١) «الموافقات» للشاطبي: (٤/٤٠-٤١)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٩.

قال القرطبي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: (فالصحابة كلهم عدول أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسوله، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر فقال إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك ثم تغيرت الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلابد من البحث، وهذا مردود. فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنىٰ الله عليهم وزكاهم ورضي عنه فأرضاهم ووعدهم بالجنة بقوله تعالى: ﴿**مغفرة وأجراً عظيماً**﴾ وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول ﷺ هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك، غير مسقط لعدالتهم من مرتبتهم وفضلهم إذا كانت تلك الأمور مبنية على الإجتهاد)[1].

فهذه نماذج من آيات وردت في الكتاب العزيز - وغيرها كثير - لا يبقى معها شك ولا ريب في عدالة الصحابة رضي الله عنهم من غير استثناء وذلك بتعديل الله لهم من فوق سبع سموات.

الأحاديث الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم:

تضافرت النصوص من السنة النبوية على بيان عدالة الصحابة رضي الله عنهم مما لا يبقىٰ معها شك لمرتاب في تحقيق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة ناقليه، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي ﷺ، لأن عدالة الصحابة رضي الله عنهم ثابتة معلومة بتعديل الله تعالى لهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحىٰ ولو تتبع الإنسان الأحاديث التي تنطق بعدالة الصحابة رضي الله عنهم لطال به المقام، ولكن حسبنا أن نذكر بعض الأحاديث الصحيحة المصرحة بإثبات ذلك لهم رضي الله عنهم أجمعين، ومن تلك الأحاديث.

١- عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»[2] الحديث. ووجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنه: أن هذا القول صدر من النبي ﷺ في

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١٦/٢٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: (١/١٥٨، ح ٦٧) في العلم: باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعىٰ من سامع»، ومسلم: (٣/١٣٠٦، ح ١٦٧٩) في القسامة: باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحدا.

وقد سبق كلام ابن حبان في بيان عدالة الصحابة رضي الله عنهم من هذا الحديث.

٢- عن عمران بن حصين رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»** قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً[١].

٣- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»**[٢].

فهذان الحديثان فيهما دلالة واضحة على أن الصحابة رضي الله عنهم عدول على الإطلاق حيث شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية المطلقة من بين الناس كلهم.

٤- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهب ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[٣].

ووجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن الوصف لهم بغير العدالة سب، لا سيما وقد نهى النبي ﷺ بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه لهذه المواقف الفاضلة، فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى.

فالصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول بتعديل الله لهم وثناءه عليهم وثناء رسول الله ﷺ عليهم فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق لهم.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله في كتاب «الكفاية»: باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم، وإنما يجب فيمن دونهم، ثم قال: «كل حديث اتصل سنده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله

(١) أخرجه البخاري: (٧/ ٣٠، ح ٣٦٥٠) في الفضائل: باب فضائل النبي ﷺ، ومسلم: (٤/ ١٩٦٤، ح ٢٥٣٣) في فضائل الصحابة: باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: (٧/ ٢١، ح ٣٦٧٣) في فضائل الصحابة: باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، ومسلم: (٤/ ١٩٦٧، ح ٢٥٤٠) في فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم.

لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن، ثم ساق جملة من الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، إلى أن قال: والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له، ثم قال: على أنه لم يرد عن الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرنا لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم أبد الآبدين)[١].

ولقد صدق الخطيب البغدادي رحمه الله، فلو لم تكن عدالتهم منصوصاً عليها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم اسناداً إلى ما تواترت به الأخبار عنهم من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة هذا الدين الحنيف فقد بذلو ما أمكنهم بذله في سبيل نصرة الحق ورفع رايته وارساء قواعده ونشر تعاليمه في جميع الأمصار.

والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا، فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم قال ابن الأنباري[٢]: (وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلا إن ثبت ارتكاب قادح ولم يثبت ذلك ولله الحمد، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ حتي يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير فإنه لا يصح، وما صح منه فله تأويل صحيح)[٣].

الإجماع على عدالتهم رضي الله عنهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة رضي الله عنهم جميعهم عدول بلا استثناء من لابس الفتن وغيرهم، ولا يفرقون بينهم، فالكل عدول إحساناً للظن بهم، ونظراً لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة للرسول ﷺ، ولما لهم من المآثر الجليلة من مناصرتهم للرسول ﷺ والهجرة

---

(١) «الكفاية»: (٦٣-٦٧) بإيجاز.

(٢) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري المقرىء النحوي، صنف في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء توفي سنة (٣٠٤هـ). انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٥/ ٢٧٤-٢٨٧)، «تاريخ بغداد»: (٣/ ١٨٢).

(٣) «فتح المغيث شرح الفية الحديث» للسخاوي: (٣/ ١١٥) دار الكتب العلمية، بيروت.

إليه والجهاد معه، والمحافظة على أمور الدين والقيام بحدوده، فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف البحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله.

وقد نقل الإجماع على عدالتهم جم غفير من أهل العلم، ومن بين أولئك.

١-الخطيب البغدادي، فقد قال رحمه الله بعد أن ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على عدالة الصحابة وأنهم جميعاً ثقات عدول: (هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء)[١].

٢- أبو عمر بن عبدالبر حيث قال رحمه الله: (ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنه قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول فواجب الوقوف على أسمائهم)[٢].

٣- إمام الحرمين الجويني، وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: (ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة فلو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة في عصر الرسول ﷺ ولما استرسلت على سائر الأمصار)[٣].

٤- ابن الصلاح رحمه الله، فقد ذكر أن الإجماع على عدالة الصحابة رضي الله عنهم خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم فقال: للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم بل ذلك أمر مفروغ منه بكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الإمة)[٤].

٥- النووي رحمه الله، فقد قال: (ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم)[٥].

٦- ابن حجر رحمه الله، فقد قال: (اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة)[٦].

فهذه النقول المثبتة للإجماع عن هؤلاء العلماء كلها فيها بيان واضح وبرهان قاطع على أن

---

(١) «الكفاية»: (ص ٦٧).

(٢) «الاستيعاب على حاشية الإصابة» لابن عبدالبر: (١/ ٨) دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) «فتح المغيث شرح الفية الحديث»: (١٥/ ١٤٧).

(٤) «مقدمة ابن الصلاح»: (ص ١٤٦-١٤٧).

(٥) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٥/ ١٤٩).

(٦) «الإصابة في تميز الصحابة»: (١/ ٦).



ثبوت عدالة الصحابة رضي الله عنهم بعامتهم أمر مفروغ منه ومسلم فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله واجماع الأمة على ذلك وهذا ما ذهب إليه ابن حبان رحمه الله موافقاً بذلك أهل السنة والجماعة وأجمعت عليه الأمة خلفا عن سلف.

المطلب الثالث: النهي عن سبهم

تقدم في المطلبين السابقين بيان فضل الصحابة رضي الله عنهم على سائر الأمة، وذلك أنهم حازوا كل فضل وسبقوا إلى كل خير فاستحقوا بذلك ما أخبر الله عنه في كتابه من رضاه جل وعلا عنهم.

وقد زكاهم الله جل وعلا من فوق سبع سموات وعدلهم وأثنىٰ جل وعلا عليهم فليسوا بعد ثناء الله عليهم وتزكيته لهم بحاجة إلى تزكية أحد كائنا من كان.

ولما كان القدح فيهم وثلبهم والسب لهم مما يقدح به في عدالتهم جاءت نصوص الكتاب والسنة بتحريم سبهم والطعن فيهم والنيل منهم، وكما وردت نصوص أخرى ببيان فضلهم ومنزلتهم وعدالتهم، فالواجب على الأمة الوقوف عند هذه النصوص والعمل بها والأخذ علي يد من يخالفها.

ومما تناوله ابن حبان في مصنفاته ـ مسألة سب الصحابة رضي الله عنه ـ فبين حكمها وبم يعامل من وقع فيها كما سيأتي بيان رأيه في ذلك بإذن الله تعالى.

رأي ابن حبان في سب الصحابة رضي الله عنهم:

لم يعدُ رأي ابن حبان في هذه المسألة ما عليه أهل السنة والجماعة من تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم:

١- فقد أخرج بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»**[١].

وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الزجر عن سب أصحاب النبي ﷺ الذي أمر الله بالاستغفار لهم)[٢]، وقد أوضح في مقدمة كتابه الصحيح أن مقتضى هذا الزجر التحريم إلا إذا جاء صارف

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الإحسان»: (١٦/٢٤٢).

يصرفه عن ذلك، ولا صارف لذلك.

٢- صرح رحمه الله تعالى في كتابه المجروحين بحرمة الإقدام على هذا الفعل فقال: (وأما من شهد التنزيل وصحب الرسول ﷺ فالثلب لهم غير حلال والقدح فيهم ضد الإيمان والتنقيص لأحدهم نفس النفاق)[١].

٣- لم يقتصر رحمه الله على بيان حرمة سب أصحاب النبي ﷺ فحسب، بل أوضح أنه لا يجوز اتخاذهم غرضا بالتنقص، فقد روى بسنده عن عبدالله بن المغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوا أصحابي غرضا، من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد أذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»[٢]، وترجم لهذا الحديث بقوله: (ذكر الزجر عن اتخاذ المرء أصحاب رسول الله ﷺ غرضا بالتنقيص)[٣].

٤- أورد في ترجمة عبدالملك بن أبي نضرة العبدي في كتاب الثقات، حكاية رواها بسنده من طريق عبدالملك هذا عن أبيه قال: كنا بالمدينة، فسب رجل عثمان فنهاه فلم ينته فارعدت ثم جاءت صاعقة فاحرقته[٤]، فإن صحت هذه الحكاية فهي كرامة من الله تعالى لأصحاب رسول الله ﷺ ونذير عذاب لمن سبهم أو تنقصهم أو نال منهم.

٥- نقل عن بعض الصحابة آثاراً تحذر من هذا الفعل المنكر والذنب العظيم، فقد أورد في كتاب الثقات في ترجمة أحمد بن محمد بن كريب مولى ابن عباس رضي الله عنه أن ابن عباس رضي الله عنهما قال لمولاه: (يا غلام إياك وسب أصحاب محمد ﷺ فإن سبهم مفقرة وإياك والنظر في النجوم فإنها تدعو إلى الكهانة، والتكذيب بالقدر فإنه يدعو إلى الزندقة)[٥].

وإيراد ابن حبان لهذا الأثر في كتابه «الثقات» مما يؤكد إنكار ابن حبان لهذا الفعل إذ غنى القلب بالإيمان لا يمكن أن ينال من الصحابة رضي الله عنهم فضلاً عن أن يسبهم، وإنما ينال منهم من عمر قلبه بالنفاق والزندقة والعياذ بالله من ذلك.

---

(١) «المجروحين»: (١/ ٣٤).

(٢) اخرجه إمام احمد في «المسند»: (٤/ ٨٧)، والترمذي: (٩/ ٣٨٣، ح ٣٨٦١) في المناقب وسنده ضعيف.

(٣) «الإحسان»: (١٦/ ٢٤٤).

(٤) «الثقات»: (٧/ ١٠٥).

(٥) المصدر السابق: (٨/ ٣)، «أخبار اصبهان» لابي نعيم الأصبهاني: (١/ ٣٢٤)، ط ١، ١٩٣٤م، مطبعة بريل ليدن.

٦- لما كان للرافضة النصيب الأكبر من سب أصحاب النبي ﷺ، فقد اشتد إنكار ابن حبان عليهم وذلك بقدحه فيهم وعدم قبول رواياتهم، إذ هم ليسوا ـ ولا كرامة ـ أهلا لأن تقبل أحاديثهم وقد اعتبروا سب أصحاب النبي ﷺ قربة يتقربون بها إلى الله تعالى زعموا.

ومن أمثلة ذلك:

أ - أورد في كتابه «المجروحين» ـ ترجمة تليد بن سليمان المحازي ـ وذكر عنه أنه كان رافضيا يشتم أصحاب محمد ﷺ ويروي فضائل أهل البيت عجائب، ولذا امتنع من قبول روايته[١].

ب- ترجم لثعلبة بن يزيد الحماني في كتاب «المجروحين» وذكر عنه أنه كان غاليا في التشيع فلا يحتج بأخباره التي يتفرد بها عن علي رضي الله عنه[٢].

ج- ترجم لفرات بن الأحنف في كتابه «المجروحين» كذلك وذكر أنه كان غالياً في التشيع فلا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به[٣].

فهذه نماذج عديدة لما أورده ابن حبان في كتابه المجروحين ممن لم يقبل رواياتهم ولم يحتج بأخبارهم وذلك لقدحهم في الصحابة رضي الله عنهم بسبهم والنيل منهم، ومن ثم فالقادح في الصحابة رضي الله عنه أولى وأحرى بأن يقدح فيه وتطرح عدالته ولا تقبل روايته، إذ هو ليس أهلا لأنه يروى عنه.

فمما سبق نقله عن ابن حبان رحمه الله في تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم أو تنقصهم نجد أنه يسلك في ذلك طريقة أهل السنة والجماعة، إذ سب أصحاب النبي ﷺ محرم بنص الكتاب العزيز والسنة النبوية، وهو ما تدين به الفرقة الناجية وقرره أئمتها:

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: (وحبهم ـ أي الصحابة ـ رضي الله عنهم دين وإيمان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[١]. ومن سبهم وطعن فيهم فقد زاد على بغضهم.

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله: (ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم إلى ما تنسبهم

---

(١) «المجروحين»: (١/ ٢٠٤، ٢٠٥).
(٢) المصدر السابق: (١/ ٢٠٧).
(٣) المصدر السابق: (٢/ ٢٠٨).
(٤) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٤٧٥).

إليه الروافض والخوارج ـ لعنهم الله ـ فقد هلك في الهالكين)[١].

وقد قرر أهل السنة والجماعة في عقيدتهم حرمة سب أصحاب النبي ﷺ لما جاءت به نصوص الكتاب والسنة من حرمة هذا الفعل المنكر، وتواترت به النقول عن سلف الأمة وأئمتها.

الأدلة من الكتاب العزيز على حرمة سب أصحاب النبي ﷺ:

١- قوله تعالى: **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما عظيماً﴾**[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا وجه الدلالة في هذه الآية: (وهم صدور المؤمنين فإنهم هم المواجهون بالخطاب في قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** حيث ذكرت ولم يكتسبوا ما يوجب أذاهم لأن الله سبحانه رضي عنهم رضا مطلقاً بقوله تعالى: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾**[٣])[٤].

وقال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: (ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسله ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم.

وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبوهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدا فهم في الحقيقة منكسوا القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين)[٥].

٢- قوله تعالى: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾**[٦] الآية.

ووجه دلالة الآية على تحريم سبهم أن الله تعالى رضي عنهم رضا مطلقاً فرضي عن السابقين

---

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: (ص ٨٩).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(٤) «الصارم المسلول»: (ص ٥٧٢).

(٥) «تفسير ابن كثير»: (٥/٥١٥).

(٦) سورة التوبة: الآية ١٠٠.



من غير اشتراط إحسان ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان، والرضىٰ من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أن يوافيه على موجبات الرضىٰ، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدا[١].

وقد أمر من جاء بعدهم بالاستغفار لهم فقال تعالى: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾ الآية.

والسب لهم ضد الاستغفار وهذا معنى قول عائشة رضي الله عنها: «**أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم**»[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضا**﴾[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأدنى أحوال الساب أن يكون مغتابا)[٤].

وقد علم من الأدلة المتواترة عن النبي ﷺ حرمة الغيبة وأنها كبيرة من كبائر الذنوب.

الأدلة من السنة على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم:

دلت الأحاديث النبوية الصحيحة على حرمة سب أصحاب النبي ﷺ، وحذرت من الازدراء لهم، فإن الله جل وعلا قد اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ونشر دينه وإعلاء كلمته، فكانوا لنبي الله ﷺ أعوانا ولدينه أنصاراً، فما انتقل عنهم ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وقد رضي عنهم وأمر بالإحسان إليهم، ولذلك حرم سبهم أو تنقصهم، وفيما يلي سياق لبعض الأحاديث الدالة على حرمة سب أصحاب النبي ﷺ.

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[٥]، وفي لفظ: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**».

---

(١) «الصارم المسلول»: (ص ٥٧٢-٥٧٣).

(٢) أخرجه مسلم: (٤/٢٣١٧، ح ٣٠٢٢) في التفسير.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٤) «الصارم المسلول»: (ص ٥٧١).

(٥) تقدم تخريجه.

قال النووي رحمه الله: (واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون)[1].

والنهي في حديث أبي سعيد كان موجها من النبي ﷺ لمن كانت أصحبة متأخرة أن يسب من كانت له صحبة متقدمة لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة، فكيف حال من ليس من الصحابة بحال من الصحابة رضي الله عنهم[2].

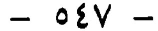
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فإن قيل: فلم نهى خالداً عن أن يسب أصحابه إذا كان من أصحابه أيضاً؟ وقال: «**لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» قلنا لأن عبدالرحمن بن عوف ونظراءهم من السابقين الأولين الذين صحبوه في وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى، فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراءوه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل، فنهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله ومن لم يصحبه قط نسبته إلى صحبته كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد وقوله: «**لا تسبوا أصحابي**» خطاب لكل أحد أن لا يسب من انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام، وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «**أيها الناس إني أتيتكم فقلت إني رسول الله إليكم، فقلتم كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركوا لي صحابي؟**» أو كما قال بأبي هو وأمي ﷺ، قال ذلك لما عاير بعد الصحابة أبا بكر وذلك الرجل من فضلاء الصحابة ولكن امتاز أبو بكر عنه بصحبته وأنفرد بها عنه)[3].

فالنهي عن سبهم عام لكل من وجد على ظهر الأرض أيا كان عن أن يسب أي واحد من الصحابة.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من سب أصحابي فعليه لعنة الله**

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم»: (١٦/ ٩٣).
(٢) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٤٧٧).
(٣) «الصارم المسلول»: (ص ٥٧٦-٥٧٧).







والملائكة والناس أجمعين»[1].

ومعنى قوله: «فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» الطرد والإبعاد عن مواطن الإبرار ومنازل الأخيار، وتحريم سبهم يشمل من لابس الفتن ومن لم يلابسها، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون، فسبهم كبيرة، ونسبتهم إلى الضلال أو الكفر كفر[2].

وقد عد الإمام الذهبي رحمه الله تعالى سب الصحابة رضي الله عنهم من الكبائر: فقال في كتابه الذي صنفه في ذكر الكبائر ـ الكبيرة السابعة والخمسون ـ سب أكابر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، والكبيرة الثامنة والخمسون ـ سب الأنصار رضي الله عنهم في الجملة، ثم ساق الأدلة على حرمة ذلك الفعل[3]، فالواجب على المسلم أن يحذر من الوقوع في هذه الكبيرة التي لا يقدم عليها إلا رافضي غال قد مليء قلبه بغضا لأصحاب رسول الله ﷺ.

٤ـ أخرج أبو داود في سننه عن بلال بن الحارث قال: كنت قاعدا عند فلان في مسجد الكوفة، وعنده أهل الكوفة، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فرحب به وحياه، وأقعده عند رجله على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة، فاستقبله فسب وسب، فقال سعيد من يسب هذا الرجل؟ قال: يسب عليا، فقال: ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير؟ أنا سمعت رسول الله يقول: إني لغني أن أقول عنه ما لم يقل فيسألني عنه غدا إذا لقيته، أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير، في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة الجراح في الجنة، وسكت عن العاشر قالوا: من هو العاشر؟ فقال: سعيد بن زيد يعني نفسه ثم قال. والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم لو عمر عمر نوح[4].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة معلومة ولكن فيما ذكر دلالة واضحة على حرمة سب الصحابة رضي الله عنهم وأن سبهم علامة على نفاق الساب وسوء طويته نعوذ بالله من الخذلان.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه: (١٤/ ٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: (٧/ ١٠٣) وحسن الشيخ الألباني إسناده كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٢٣٤٠).

(٢) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للمناوي: (٦/ ١٤٦) ط ٢، ١٣٩١هـ، دار الفكر، بيروت.

(٣) «الكبائر» للذهبي: (ص ٢٣٥).

(٤) أخرجه أبو داود: (٤/ ٢١١، ح ٤٦٤٨) في السنة: باب في الخلفاء.

الآثار الدالة على حرمة سب الصحابة رضي الله عنهم:

تواترت النقول عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام بحرمة سب أصحاب النبي ﷺ وامتلأت بها مصنفات أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد.

١- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة)[١].

٢- عن سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى قال: (قلت لأبي: ما تقول في رجل سب أبا بكر؟ قال: يقتل. قلت: سب عمر؟ قال: يقتل)[٢].

٣- قال الأوزاعي رحمه الله: (من شتم أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقد ارتد عن دينه وأباح دمه)[٣].

٤- قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: (الذي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ليس له سهم أو قال نصيب في الإسلام)[٤].

٥- وقال أبو بكر المروزي: (سألت أبا عبدالله عمن شتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم فقال: ما أراه على الإسلام)[٤].

٦- وقال محمد بن بشار: (قلت لعبدالرحمن بن مهدي: أحضر جنازة من سب أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «لو كان من عصبتي ما ورثته»)[٥].

فهذه الآثار عن هؤلاء الأئمة كلها دلت على تحريم سب الصحابة عموماً وفيها بيان الخسارة الواضحة التي تلحق من أقدم على المنكر العظيم والذي حقيقته الطعن في النبي ﷺ وإبطال الشريعة الإسلامية من أساسها إذ الصحابة رضي الله عنهم هم نقلتها ولم يصل من شرائع الإسلام شيء إلا من طريقهم، فماذا يبقىٰ من الدين إذ طعن في أولئك السادة الأطهار والأخيار.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٤٧٨).
(٢) «النهي عن سب الأصحاب وما فيه من النهي والعقاب» محمد عبدالله المقدسي: (ص ٢٣) مخطوط.
(٣) «الشرح والإبانة» لابن بطة: (ص ١٦٢) المكتبة الفيصلية، مكة.
(٤) المصدر السابق: (ص ١٦٢).
(٥) «الشرح والإبانة»: (ص ١٦١).
(٦) المصدر السابق: (ص ١٦٠).

حكم سب الصحابة رضي الله عنهم:

اختلف أهل العلم في حكم من سب الصحابة رضي الله عنهم والعقوبة التي يستحقها، وذلك أن سب الصحابة ليس على مرتبة واحدة، بل مراتب متفاوتة، فمنه سب يطعن في عدالتهم، ومن سب لا يطعن في عدالتهم، ومنه سب لجميعهم، ومنه سب لبعضهم إلى غير ذلك من أنواع السب التي يراد منها الطعن في الصحابة رضي الله عنهم والقدح فيهم بما برأهم الله منه، وفيما يلي ذكر لأحكام سب الصحابة بحسب نوع السب:

أولاً: الاستحلال لسب الصحابة رضي الله عنهم، فهذا كفر يخرج من الملة، إذ الصحابة كلهم عدول وقد أجمع العلماء على عدالتهم كما سبق بيانه، واستحلال سبهم إنكار لما علم من الدين بالضرورة ومن ثم فهو خروج عن الملة، قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين: (من سب أحدا من الصحابة مستحلا كفر وإن لم يستحل فسق)[1].

وقال الذهبي رحمه الله مبيناً حكم الطاعن في الصحابة والساب لهم: (فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين لأن الطعن لا يكون إلا من اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكاره ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وما لرسول الله ﷺ من ثناءه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم ارضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول، والطعن طعن في الأصل والإزدراء بالناقل إزدراء بالمنقول وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته)[2].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: (وإذا عرفت أن آيات القرآن تكاثرت في فضلهم والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصة على كمالهم .. فمن اعتقد حقية سبهم وإباحته أو سبهم مع اعتقاد حقية سبهم، أو حليته فقد كفر بالله تعالى ورسوله فيما أخبر من فضائلهم .. إلى أن قال: فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله ﷺ، ومكذبه كافر)[3].

ثانياً: سبهم جميعاً أو سب جمهورهم سباً يقدح في دينهم وعدالتهم كأن يرميهم بالكفر أو

---

(١) «لوامع الأنوار البهية»: (٢/٣٨٩).

(٢) «الكبائر» للذهبي: (ص ٢٣٥).

(٣) «الرد على الرافضة» للشيخ محمد بن عبدالوهاب: (ص ١٨-١٩) دار طيبة، الرياض.

الفسق أو الضلال، وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى تكفير من وقع منه هذا.

قال القاضي عياض: (وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية[1] من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ .. لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن، إذ ناقلوه كفرة على زعمهم وإلى هذا ـ والله أعلم ـ أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب في كفره، لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضىٰ والثناء عليهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ [آل عمران: آية ١١] وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم. وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام)[3].

وقال ابن كثير: (ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك ـ أي كتمان الوصية لعلي بالخلافة ـ فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة رسول الله ﷺ ومضادته في حكمه ونصه ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقط خلع ربقة الإسلام وكفر بإجماع الأئمة الأعلام وكان إراقة دمه أحل من إراقة المُدام)[4].

وقال ابن حجر الهيثمي: (إن تكفير جميع الصحابة كفر، لأنه صريح في إنكار جميع فروع الشريعة الضرورية فضلاً عن غيرها)[5].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: (ومن نسب جمهور أصحابه ﷺ إلى الفسق والظلم وجعل اجتماعهم على الباطل فقد أزرى بالنبي ﷺ وازدراؤه كفر)[6].

---

(١) الكميلية ولعلها الكاملية، وهم أصحاب أبي كامل وهم فرقة من غالية الشيعة، كفروا جميع الصحابة وقالوا بالتناسخ والحلول، انظر «الملل والنحل»: (١/ ١٧٤)، «الفرق بين الفرق»: (ص ٣٥).

(٢) «الشفا» للقاضي عياض: (٢/ ١٠٧٢).

(٣) «الصارم المسلول»: (ص ٥٨٦-٥٨٧).

(٤) «البداية والنهاية»: (٥/ ٢٥٢).

(٥) «الإعلام بقواطع الإسلام» لابن حجر الهيثمي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

(٦) «الرد على الرافضة»: (ص ١٣).



ويلحق بهذا القسم من سب الصحابة رضي الله عنهم لأجل صحبتهم ونصرتهم لدين الله تعالى ولو كان واحدا قال ابن حزم: ومن أبغض الأنصار لأجل نصرتهم النبي ﷺ فهو كافر، لأنه وجد الحرج في نفسه مما قضى الله ورسوله ﷺ من إظهار الإيمان بأيديهم، ومن عادى عليا لمثل ذلك فهو أيضاً كافر[1].

وقال السبكي: (إن سب الجميع بلا شك أنه كفر، وهكذا إذا سب واحداً من الصحابة من حيث هو صحابي لأن ذلك استخفاف بحق الصحبة، ففيه تعرض إلى النبي ﷺ فلا شك في كفر الساب ... إلى أن قال. ولاشك أنه ولو أبغض واحداً منهما ـ أي أبا بكر وعمر ـ لأجل صحبته فهو كفر بل من دونهما في الصحبة، إذا أبغضه لصحبته كان كافراً قطعاً)[2].

ثالثاً: سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد، ونحو ذلك.

فهذا النوع من السب لا يكفر صاحبه بل يؤدب ويعزر:

سئل الإمام أحمد عمن شتم رجلا من أصحاب النبي ﷺ: (أرى أن يضرب ... وقال: لا أراه إلا على الإسلام)[3].

وقال مالك رحمه الله: (من شتم النبي ﷺ قتل، ومن شتم أصحابه أدب)[4].

وخلاصة القول أن سب أصحاب النبي ﷺ من الذنوب التي تدل على قلة إيمان من سبهم أو زندقته، فإن كان سبه لهم استحلالا فهو إنكار لما علم من الدين بالضرورة وبالتالي فهو خروج عن الملة.

وإن كان سبه لهم بالقدح في عدالتهم ودينهم، فهم مكذب للقرآن، إذ مضمون سبه لهم أنهم كفار أو فساق وهم نقلة الكتاب والسنة وحملة الشريعة، فهذا لا شك في كفره.

وإن كان سبه لهم بما لا يقدح في دينهم ولا عدالتهم فهو فاسق مستحق للتأديب والتعزير.

○ ○ ○

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٣/ ٣٠٠).

(٢) «فتاوى السبكي»: (٢/ ٥٧٥) دار المعرفة، بيروت.

(٣) «الإنصاف» للمرداوي: (١٠/ ٣٢٣-٣٢٤)، ط ١، ١٣٧٧هـ مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

(٤) «الشفا» للقاضي عياض: (١/ ١١٠٨٢).

الخاتمـة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، فإن من نعم الله تعالى عليّ أن أعانني على إتمام هذا البحث المتواضع الذي لقارئه صفوه وعلي كدره، وكان مما توصلت إليه في هذا البحث النتائج التالية:

١- عظم صبر ابن حبان رحمه الله على طلب العلم وشدائد التحصيل وذلك بكثرة البلدان التي رحل إليها والمشايخ الذين روى عنهم وهم قريباً من ألفي شيخ كما صرح بذلك.

٢- ضياع كثير من تراث ابن حبان العلمي بسبب الجهل بمجمل العلم وفضله، وغلبة الهوى والعصبية المذهبية.

٣- موافقة ابن حبان رحمه الله لأهل السنة والجماعة في أصول الاستدلال على مسائل الاعتقاد، وذلك باستدلاله بالكتاب والسنة والإجماع.

٤- قرر ابن حبان رحمه الله الاحتجاج بخبر الآحاد ـ كما هو المذهب الحق ـ في مسائل الاعتقاد والأحكام الشرعية على حد سواء، مخالفاً بذلك سائر المبتدعة الذين لا يحتجون بخبر الآحاد على مسائل الاعتقاد.

٥- مخالفة ابن حبان رحمه الله لأهل السنة والجماعة في بعض مسائل التوحيد الألوهية، حيث أجاز شد الرحال لغير المساجد الثلاثة، كما أجاز التبرك بالصالحين، وكل هذا مخالف للنصوص الصحيحة الصريحة في تحريم مثل هذه الأمور.

٦- سلك ابن حبان في إثبات الصفات مذهب ابن كُلاّب، فقد أوّل صفات الفعل في كثير من الأحيان، وأوّل بعض الصفات الذاتية في أحيان أخر.

٧- أبطل رحمه الله تعالى قول المعتزلة في نفي رؤيته الله تعالى في الآخرة، وأن القرآن مخلوق.

٨- اتفقت آراء ابن حبان رحمه الله في القضاء والقدر مع أهل السنة والجماعة، فقد قرر رحمه الله مراتب القدر كلها، وأبطل الاحتجاج بالقدر عند فعل المعاصي ومنع التكليف بما لا يطاق.

٩- بطلان ما اتهم به ابن حبان من القول باكتساب النبوة، تلك التهمة التي كاد أن يقتل بسببها إلا أن الله تعالى نجاه منها، والحق أنه ممن يرى أن النبوة اصطفاء واجتباء من الله تعالى وحده لا





شريك له.

١٠- وافق ابن حبان رحمه الله تعالى أهل السنة والجماعة في القول بعصمة الأنبياء في التبليغ والعصمة من الوقوع في الكبائر، إلا أنه خالفهم في مسألة عصمة الأنبياء في الصغائر فذهب إلى عصمتهم منها كذلك، وهذا خلاف ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

١١- اتفقت آراء ابن حبان في السمعيات مع ما قرره أهل السنة والجماعة من الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، والحوض والشفاعة والصراط، دون تأويل لها، أو صرف لها عن ظاهرها.

١٢- سلك ابن حبان رحمه الله في مسائل الإيمان مسلك أهل السنة والجماعة، فقد قرر زيادة الإيمان ونقصانه، وأدخل العمل في مسمى الإيمان، وأجاز الاستثناء في الإيمان على التفصيل المذكور فيه، وأهل الكبائر، مؤمنون ناقصوا الإيمان، وهم تحت المشيئة، إن شاء الله تعالى عفا عنهم، وإن شاء عذبهم.

١٣- الكفر المخرج من الملة عند ابن حبان هو ما كان عن تكذيب وجحود وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة.

١٤- الإمامة عند ابن حبان لا تكون إلا في قريش.

١٥- قرر ابن حبان وجود طاعة الأئمة وإن جاروا، والطاعة لهم في المعروف وحسب طاقة الإنسان كما قرر حرمة الخروج عليهم لما في الخروج عليهم من الفتن العظيمة التي لا طاقة للناس بها.

١٦- سلك ابن حبان رحمه الله في أصحاب النبي ﷺ، رضي الله عنهم مسلك أهل السنة والجماعة، فأفضلهم أبو بكر رضي الله عنهم ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة رضي الله عنهم ثم المهاجرون ثم الأنصار، وهم رضي الله عنهم عنده جميعاً من الثقات العدول، تقبل أخبارهم من غير بحث في أحوالهم.

١٧- شدد ابن حبان رحمه الله في مسألة سب أصحاب النبي ﷺ، فقد قرر حرمتها وامتنع عن قبول مرويات من وقع فيها لعظم جرمه وسوء معتقده.

وفي ختام هذا البحث المتواضع أسأل الله تعالى باسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعله جهداً علمياً مباركاً على كاتبه وقارئه، وأن يتجاوز ما كان فيه من زلات، ويقيل ما وجد فيه من عثرات، فإن كل بني آدم خطأ وخير الخطائين التوابون، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



الفهارس

وتحتوي على:



فهرس الآيات القرآنية

○ سـورة النسـاء ○

○ سـورة المائـدة ○

○ سـورة آل عمران ○

○ سـورة الأنعـام ○



○ سورة النحل ○

○ سورة الإسراء ○

○ سورة الكهف ○

○ سورة مريم ○



○ سورة طه ○

○ سورة الأنبياء ○

○ سورة الحج ○

○ سورة المؤمنون ○



○ سورة السجدة ○

○ سورة الأحزاب ○

○ سورة سبأ ○

○ سورة فاطر ○

○ سورة يس ○

○ سورة الصافات ○



○ سورة فصلت ○

○ سورة الشورى ○

○ سورة الزخرف ○

○ سورة الدخان ○

○ سورة الجاثية ○

○ سورة الأحقاف ○

فهرس الأحاديث النبوية





فهرس الآثـــار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الفـــرق

فهرس المصادر والمراجع

١ – إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبي يعلىٰ، ت/ محمد الحمود، ط الأولى ١٤١٠هـ مكتبة الإمام الذهبي، الكويت.

٢ – إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، للشيخ حمود التويجري، ط الثانية ١٤١٤هـ دار الصميعي، الرياض.

٣ – إثبات عذاب القبر، للبيهقي، ت/ شرف محمود، ط الأولى، ١٤٠٣هـ دار الفرقان، عمّان، الأردن.

٤ – الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلاء الدين الفارسي، ت/ شعيب الأرنؤوط، ط الأولى، ١٤٠٨هـ مؤسسة الرسالة.

٥ – الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء، ت/ محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٦ – الأحكام السلطانية، للماوردي، ط الأولى، ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٧ – أخبار أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٤م.

٨ – الأدب المفرد، للإمام البخاري، ت/ محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر.

٩ – أديان الهند الكبرى، مقارنة الأديان، لأحمد شلبي، ط السادسة، ١٩٧٨م، مكتبة النهضة المصرية.

١٠ – الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة، لمحمد صديق حسن خان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ.

١١ – الأذكار، للنووي، دار القلن، بيروت.

١٢ – الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني، ت/ محمد يوسف موسى، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ.

١٣ – الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/ محمد رشاد سالم، ط الأولى، ١٤٠٣، جامعة الإمام، الرياض.

١٤ – الأسماء والصفات، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.

١٦ – الإشاعة لاشراط الساعة، لمحمد البرزنجي، مكتبة الثقافة، المدينة النبوية.

١٧ – الاشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعيه، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٨ – أشراط الساعة، ليوسف الدايل، ط الخامسة، ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.

١٩ – الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠ – أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي، ط الأولى، ١٣٤٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١ – أصول السنة لابن أبي زمنين، ط الأولى، ١٤١٥هـ، ت/ عبدالله البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية.

٢٢ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، المطابع الأهلية، الرياض.

٢٣ – الإعتصام، للشاطبي، تعريف/ محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٢٤ – اعتقاد أئمة الحديث، لأبي بكر الأسماعيلي، ت/ محمد الخميس، ط الثانية، ١٤١٢هـ دار العاصمة، الرياض.

٢٥ – اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ت/ علي النشار، ط ١٤٠٢هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦ – إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، ت/ طه عبدالرؤف سعد، دار الجيل، ١٩٧٣م، لبنان.

٢٧ – الأعلام، للزركلي، ط السادسة ١٩٨٤م، دار العلم للملايين، بيروت.

٢٨ – الإعلام بقواطع الإسلام، لابن حجر الهيثمي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.

٢٩ – الإقتصاد في الاعتقاد، لعبد الغني المقدسي، ت/ أحمد الغامدي، ط الأولى ١٤١٤هـ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٣٠ – اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/ ناصر العقل، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣١ – إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للأبيّ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢ – الأم، للشافعي، دار المعرفة، بيروت.

٣٣ – الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبدالله الدميجي، ط الأولى، ١٤٠٧هـ دار طيبة، الرياض.

٣٤ – الإمامة والرد على الرافضة، لأبي نعيم الأصبهاني، ت/ على الفقيهي، ط الأولى، ١٤٠٧هـ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٣٥ – الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، للسيوطي، ت/ مشهور حسن سلمان، دارابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ.

٣٦ – أنباه الرواه على على أنباء النحاة، للقفطي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الأولى، ١٤٠٦هـ



دار الفكر العربي.

٣٧ - الأنساب، للسمعاني، ت/ عبدالله البارودي، ط الأولى، دار الجنات، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٣٨ - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي، ط الأولى، ١٣٧٤هـ، مطبعة السنة المحمدية.

٣٩ - الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ت/ محمد زاهد الكوثري، عني بنشره عزت العطار.

٤٠ - أهوال القبور، لأبي رجب الحنبلي، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١ - الإيمان، ابن أبي شيبة، دار الأرقم، الكويت، ت/ محمد ناصر الدين الألباني.

٤٢ - الإيمان، لأبي عبدالقاسم بن سلام، دار الأرقم الكويت، ت/ محمد ناصر الدين الألباني.

٤٣ - الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط الثانية، ١٣٩٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٤ - بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٥ - البداية والنهاية، لابن كثير، ط الأولى، ١٩٦٦، مكتبة المعارف، بيروت.

٤٦ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، ط الأولى، ١٣٤٨هـ مطبعة السعادة.

٤٧ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، ت/ عبدالعليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت.

٤٨ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه، للسيوطي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الأولى، ١٣٨٤هـ، عيسى الحلبي، القاهرة.

٤٩ - البهائية، لإحسان إلهي ظهير، ط الثالثة، ١٤٠١هـ، إدارة ترجمان السنة، لاهور.

٥٠ - البهائية تاريخها وعقائدها، عبدالرحمن الوكيل.

٥١ - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٢ - تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٣ - تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٥٤ - تجريد أسماء الصحابة للذهبي، ت/ صالحة شرف الدين، بومباي، ١٣٨٩هـ.

٥٥ - تحرير القواعد المنطقية، لقطب الدين الرازي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

٥٦ - تحريم النظر في كتب الكلام، لابن قدامه، صححه ونشره جورج المقدسي، ١٩٦٢م.

٥٧ - التخويف من النار، لابن رجب الحنبلي، ط الثانية، ١٤٠٩هـ مكتبة المويد.

٥٨ – تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، ت/ عبدالوهاب عبداللطيف، ط الثانية، ١٣٨٥هـ، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٥٩ – التذكرة في أحوال الموتي وأمور الآخرة، للقرطبي، ط الثالثة، ١٤١٤هـ فؤاد زمرلي، دار الكتاب العربي.

٦٠ – تذكرة الحفاظ، للذهبي، ط الرابعة، ١٣٨٨هـ، دائرة المعارف العثمانية، الهند.

٦١ – ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، ط وزارة الأوقاف المغربية، الرباط.

٦٢ – التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة، للآجرى، ت/ محمد الجنباز، ط الثانية ١٤٠٦، دار عالم الكتب، الرياض.

٦٣ – تفسير ابن جرير «جامع البيان في تفسير القرآن»، لابن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٦٤ – تفسير ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» لعماد الدين ابن كثير، ط دار الشعب، القاهرة.

٦٥ – التفسير الكبير للرازي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٦ – تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية.

٦٧ – تفسير النسفي، لعبد الله بن أحمد النسفي، دار إحياء الكتب العربية.

٦٨ – تقريب التدميرية، للشيخ محمد بن عثيمين، ط الأولى، ١٤١٢هـ، دار ابن الجوزي.

٦٩ – تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني، ت/ عبدالله اليماني، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٤هـ.

٧٠ – التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبدالبر، ١٤٠٥هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٧١ – التمهيد في أصول الدين للباقلاني، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٦هـ.

٧٢ – تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لابن عراق، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٣٩٩هـ.

٧٣ – التنكيل بما في تانيب الكوثري من الأباطيل، لعبد الرحمن المعلمي، ت/ الألباني، ط الثانية.

٧٤ – تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي.

٧٥ – تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ت/ بشار معروف، ط الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٦ – تهذيب اللغة للأزهري، ت/ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٧ – التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة، ت/ د. عبدالعزيز الشهوا، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة الرشد، الرياض.



٧٨ - توضح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، للصنعاني، ت/ محيي الدين عبدالحميد، ط الأولى، ١٣٦٦هـ، مكتبة الخانجي.

٧٩ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن محمد عبدالوهاب، ط الخامسة، ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٨٠ - تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، للشيخ ابن سعدي، المؤسسة السعدية، الرياض.

٨١ - الثقات، لابن حبان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدين.

٨٢ - جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، دار الفكر، بيروت.

٨٣ - جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، دار الفكر، بيروت.

٨٤ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ط الأولى، ١٣٥٧هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٨٥ - الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٦ - جزء في زيارة النساء للقبور، للشيخ بكر أبو زيد، مكتبة الرشد، الرياض.

٨٧ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطابع المجد التجارية، القاهرة.

٨٩ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

٩٠ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، البن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت.

٩١ - حجة القراءات، لابن زنجلة، ت/ سعد الأفغاني، ط الثانية، ١٣٩٩هـ.

٩٢ - الحجة في بيان المحجة، لأسماعيل الأصبهاني، ت/ محمد محمود أبو رحيم، ط الأولى، ١٤١١هـ، دار الراية، الرياض.

٩٣ - الحسبة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/ سيد محمد أبي سعدة، ط الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الأرقم، الكويت.

٩٤ - حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، محمد صديق حسن خان.

٩٥ - الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب الحنبلي، ت/ زهير الشاويش، ط الأولى، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٦ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٧ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت.

٩٨ - الدرة فيما يجب اعتقاده، لابن حزم، ت/ محمد لحمد وسعيد، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة

التراث، مكة.

٩٩ - دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني، ت/ مساعد الراشد، ط الأولى، ١٤١٢هـ دار العاصمة، الرياض.

١٠٠ - الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لأبي فرحون المالكي، دار التراث، القاهرة.

١٠١ - ذم الكلام، للهروي، مخطوط.

١٠٢ - ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، دار المعرفة، بيروت.

١٠٣ - رسائل في العقيدة، للشيخ ابن عثيمين، دار طيبة، الرياض.

١٠٤ - الرسالة التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/ محمد السعوي، ط الأولى، ١٤٠٥.

١٠٥ - الرد على الأخنائي، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت/ عبدالرحمن المعلمي، الرئاسة العامة للإفتاء، ١٤٠٤هـ.

١٠٦ - الري على الجهمية، للداريم، ت/ بدر البدر، ط الأولى، ١٤٠٥هـ الدار السلفية، الكويت.

١٠٧ - الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، ت/ عبدالرحمن عميرة، ط الثانية، ١٤٠٢، دار اللواء، الرياض.

١٠٨ - الرد على الرافضة، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ت/ ناصر بن سعد الرشيد، مركز البحث العلمي، مكة.

١٠٩ - الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط الثالثة، ١٣٩٧هـ إدارة ترجمان السنة، لاهور.

١١٠ - الروح، لابن قيم الجوزية، ط الأولى، ١٤٠٢هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

١١١ - روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١٢ - الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ زيد فياض، ط الثالثة، ١٤١٤هـ دار الوطن، الرياض.

١١٣ - زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، ت/ شعيب الأرنؤوط، ط الأولى، ١٣٩٩هـ مؤسسة الرسالة.

١١٤ - الزهد، لهناد بن السري، ت/ عبدالرحمن الفريوائي، ط الأولى، ١٤٠٦هـ الكويت.

١١٥ - الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيثمي، دار الشعب، ١٤٠٠هـ.

١١٦ - السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، ط الأولى، ١٤٠٨هـ مكتبة الإمام أحمد.

١١٧ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ط الثانية، ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي، بيروت.

١١٨ - السنة، للخلال، ت/ عطية الزهراني، ط الأولى، ١٤١٠هـ دار الراية، الرياض.

١١٩ - السنة، لابن أبي عاصم، ت/ الألباني، ط الثانية، ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي، بيروت.

١٢٠ - السنة، لعبدالله بن الإمام أحمد، ت/محمد القحطاني، ط الأولى، ١٤٠٦هـ دار ابن القيم.

١٢١ - السنة، لمحمد بن نصر المروزي، ت/ سالم السلفي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

١٢٢ – سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث، ت/ محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة الإسلامية، استنابول.

١٢٣ – سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، ت/ عزت الدعاس، المكتبة الإسلامية، استنابول.

١٢٤ – سنن الدارقطني مع التعليق المغني، لمحمد شمس الحق عظيم آبادي، صححه، عبدالله هاشم اليماني، ط المدينة، ١٣٨٦هـ.

١٢٥ – سنن الدارمي، للدارمي، تصحيح عبدالله هاشم اليماني، المدينة النبوية، ١٣٨٦هـ.

١٢٦ – سنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد القزويني، ت/ محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية، استنابول.

١٢٧ – السنن الكبرى، للبيهقي، طبع دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٢٨ – سنن النسائي، لأبي عبدالرحمن النسائى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٢٩ – سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت/ جماعة من المحققين، ط الأولى، ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٣٠ – شأن الدعاء، للخطابي، ت/ أحمد الدقاق، ط الأولى، ١٤٠٤هـ دار المأمون للتراث، بيروت.

١٣١ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣٢ – شرح أصول اعتقاد أهل السنة الجماعة للالكائي، ت/ أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض.

١٣٣ – شرح الأصفهائية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، قدم له حسين مخلوق.

١٣٤ – الشرح والإنابة، لابن بطة، ت/ رضا نعسان معطي، المكتبة الفيصلية، مكة.

١٣٥ – شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، للسفاريني، ط الرابعة، ١٤١٠هـ المكتب الإسلامي، بيروت.

١٣٦ – شرح حديث النزول، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت/ محمد الخميس، ط الأولى، ١٤١٤هـ دار العاصمة، الرياض.

١٣٧ – شرح السنة، للبغوي، ت/ زهير الشاوش، وشعيب الأرناؤوط، ط الأولى، ١٣٩٠هـ المكتب الإسلامي.

١٣٨ – شرح العقيدة الواسطية، لمحمد خليل هراس، ط الرابعة، مؤسسة الكويت للطباعة.

١٣٩ – شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن عثيمين، ط الأولى، ١٤١٣هـ مكتبة طبرية، الرياض.

١٤٠ – شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ط دار الإفتاء.

١٤١ – شرح النووي على صحيح مسلم، المطبعة المصرية، القاهرة.

١٤٢ – الشريعة، للآجرى، ط الأولى ١٤١٣هـ دار السلام، الرياض.

١٤٣ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ت/ أمين قرة وزملائه، مؤسسة علوم القرآن، دمشق.

١٤٤ – شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعديل، لابن قيم الجوزية، ط الأولى، ١٤١٤هـ دار الحديث، القاهرة

١٤٥ – الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/ محمد محيي
١٤٦ – الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٧ – الصحاح، للجوهري، ت/ أحمد عبدالغفور عطار، ط الثانية، ١٣٩٩هـ بيروت، دار العلم للملايين.

١٤٨ – صحيح الجامع الصغير، للألباني، ط الثانية، ١٤٠٦هـ المكتب الإسلامي، بيروت.

١٤٩ – صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، ت/ محمد فؤاد عبدالباقي، ط الأولى، ١٣٧٤هـ، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

١٥٠ – صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني، ت/ علي رضا عبدالله، ط الأولى، ١٤٠٦هـ دار المأمون للتراث، بيروت.

١٥١ – الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت/ محمد رشاد سالم، ط الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٥٢ – صفة الساق لله تعالى بين إثبات السلف وتعطيل الخلف، لمحمد موسى نصر، ط الأولى ١٤١٣هـ، مكتبة الغرباء، المدينة.

١٥٣ – صفة الصفوة، لابن الجوزي، ط الثانية، ١٤٠٥هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٥٤ – الصلة، لابن بشكوال، الدار المصرية ١٩٦٦م.

١٥٥ – الصوارم والأسنة في الذب عن السنة، لمحمد بن أبي مدين، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٦ – الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، ت/ علي الدخيل الله، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، دار العاصمة، الرياض.

١٥٧ – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٥٨ – طبقات الحفاظ، للسيوطي، ت/ علي يحيى عمر، ط الأولى، ١٣٩٣هـ مكتبة وهبة، القاهرة.

١٥٩ – طبقات الحنابلة، لأبي الحسين بن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت.

١٦٠ – طبقات الشافعية الكبرى، لعبدالوهاب السبكي، ت/ محمد الطناحي وعبدالفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية بمصر.

١٦١ – طبقات الشافعية، للأسنوي، ت/ كمال الحوت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٢ – طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، ت/ عبدالعليم خان، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، عالم الكتب، بيروت.

١٦٣ – طبقات الصوفية، لأبي عبدالرحمن السلمي، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٦٤ – طبقات المعتزلة، لأحمد المرتضي، ت/ سوسنة دينار، المطبعة الكاثولكية، بيروت، ١٣٨٠هـ.

١٦٥ – طبقات المفسرين، للداودي، ط الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.



١٦٦ – طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، المكتبة السلفية.

١٦٧ – عارضة الأحوذي لشرح سنن الترمذي، لابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦٨ – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، ط الأولى، ١٤٠٥هـ دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦٩ – العزلة، للخطابي، ط الأولى، ١٤٠٧هـ دار ابن كثير، دمشق.

١٧٠ – العقائد النسفية، لعمر محمد النسفي، ط الرابعة، ١٣٦٩هـ.

١٧١ – عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، لعبد المحسن العباد، ط الأولى، ١٤٠٢، مطابع الرشيد، المدينة النبوية.

١٧٢ – عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني، ت/ نبيل السبكي، ط الأولى، ١٤١٣هـ دار طيبة، الرياض.

١٧٣ – العقيدة السلفية في كلام رب البرية، لعبدالله الجديع، ط الأولى، ١٤٠٨هـ الكويت.

١٧٤ – العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، ج ٣.

١٧٥ – العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لابن الجوزي، ت/ رشاد الحق الأثري، إدارة ترجمان السنة، لاهور.

١٧٦ – علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب، ط الأولى، ١٣٩٧هـ دار النفائس، بيروت.

١٧٧ – العلو للعلي الغفار، للذهبي، ت/ عبدالرحمن عثمان، دار الفكر، بيروت، ط الثانية.

١٧٨ – عمدة القارىء شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العنسي، ط الأولى، ١٣٩٢هـ مطبعة مصطفى الباني الحلبي، مصر.

١٧٩ – عمل اليوم والليلة، للنسائي، ط الثانية، ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٨٠ – عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، مكتبة الرياض الحديثة.

١٨١ – عون المعبود في شرح سنن أبي داود، لشمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، بيروت، ط الثالثة، ١٣٩٩هـ.

١٨٢ – غريب الحديث، للحربي، ت/ سليمان العايد، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

١٨٣ – غياث الأمم في التياث الظلم، للجويني، ت/ عبدالحليم الديب، إدارة الشئون الدينية، الدوحة، ١٤٠٠هـ.

١٨٤ – الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيثمي، ط الثالثة، ١٤٠٩هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١٨٥ – فتاوى السبكي، دار المعرفة، بيروت.

١٨٦ - فتاوى الشخ محمد بن عثيمين، ط الأولى، ١٤١١هـ جمع أشرف عبدالرحمن، دار عالم الكتب، الرياض.

١٨٧ - فتاوى اللجنة الدائمة، جمع أحمد الدويش، ط الأولى، ١٤١١هـ، طبع دار الإفتاء، الرياض.

١٨٨ - فتاوى ورسائل، الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، ط الأولى، ١٣٩٩هـ مطبعة الحكومة، مكة.

١٨٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.

١٩٠ - فتح القدير، للشوكاني، ط الثالثة، دار الفكر، ١٣٩٣هـ، بيروت.

١٩١ - فتح المغيث شرح ألفية الحديث، للسخاوي، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٠٣هـ بيروت.

١٩٢ - الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي، ت / محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت.

١٩٣ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ.

١٩٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ت / محمد نصر، عبدالرحمن عميرة.

١٩٥ - فضائح الباطنة، لأبي حامد الغزالي، ت / عبدالرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

١٩٦ - فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي، ت / إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

١٩٧ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ط الثانية، ١٣٩١هـ دارا لمعرفة، بيروت.

١٩٨ - القاديانية، لإحسان إلهي ظهير، ١٤٠٤، دار الإفتاء، الرياض.

١٩٩ - القاموس المحيط، للفيروزآبادي، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٠٠ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠١ - القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، للشيخ ابن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤١٢هـ.

٢٠٢ - القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن السعدي، ط الأولى، ١٤١٢هـ دار الوطن، الرياض.

٢٠٣ - القيامة الكبرى، لعمر الأشقر، ط الثانية، ١٤٠٨هـ مكتبة الفلاح، الكويت.

٢٠٤ - الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت.

٢٠٥ - الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي الجرجاني، دار الفكر، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥.

٢٠٦ - الكبائر، لشمس الدين الذهبي، ت / مشهور سلمان، ط الأولى، ١٤٠٨هـ مكتبة المنار، الأردن.

٢٠٧ - كتاب الصلاة، لابن قيم الجوزية، المكتب الإسلامي، ت / تيسير زعتر.

٢٠٨ - كشاف القناع عن متن الإقناع، للبهوتي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٧هـ.

٢٠٩ - كشف الأستار عن زوائد البزار، للحافظ نور الدين الهيثمي، ت / حبيب الرحمن الأعظمي، ط الأولى، ١٣٩٩هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢١٠ - الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢١١ - لسان العرب، لابن منظور، دار الفكر، بيروت.

٢١٢ - لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي.

٢١٣ - لمعة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة، المطبعة السلفية، القاهرة.

٢١٤ - لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، ط الثانية، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢١٥ - المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، ت/ محمود زايد، ط الأولى، ١٣٩٦هـ، دار الوعي، حلب.

٢١٦ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين الهيثمي، ١٤٠٦هـ، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

٢١٧ - مجموع الفتاوى، فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد.

٢١٨ - مختصر سنن أبي داود، للحافظ المنذري، دار المعرفة، بيروت.

٢١٩ - مختصر الصواعق المرسلة، الموصلي، ١٤٠٥هـ، دار الندوة، بيروت.

٢٢٠ - مختصر منتهىٰ الأصولي مع شرح القاضي عضد الملة والدين، لابن الحاجب المالكي، مطبعة الفجالة، ١٣٩٣هـ.

٢٢١ - مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٢٢ - مذاهب الإسلاميين، لعبد الرحمن بدوي، ط الثالثة، ١٩٨٣م، دار العلم للملايين، بيروت.

٢٢٣ - مراتب الإجماع، لابن حزم.

٢٢٤ - المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، لعوض الله حجازي، ط السادسة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.

٢٢٥ - مسائل الإمام أحمد، لأبي داود، دار المعرفة، بيروت.

٢٢٦ - المسامرة مع المسايرة، لكمال بن أبي شريف، تصحيح/ احتشام الحق، دائرة المعارف العثمانية، بلوجستان.

٢٢٧ - المستدرك على الصحيحين، للحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٢٨ - مسند أبي يعلىٰ، لأبي يعلىٰ، ت/ حسين سليم أسد، ط الأولى، ١٤١٤هـ، دار المأمون للتراث، دمشق.

٢٢٩ - مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الخامسة.

٢٣٠ - مسند الحميدي، لعبدالله بن الزبير الحميدي، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتبة السلفية،

المدينة النبوية.

٢٣١ – مسند الطيالسي، لأبي داود الطيالسي، دار الكتاب البناني.

٢٣٢ – مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، ط الأولى، مؤسسة قرطبة الأندلسي.

٢٣٣ – مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة، للبوصيري، ط الأولى، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

٢٣٤ – مصنف ابن أبي شيبة، لابن أبي شيبة، ١٤٠٦هـ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان.

٢٣٥ – المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، ط الثانية، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٣٦ – معاني القرآن، للزجاج، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٣٧ – المعتمد في أصول الدين، للقاضي أبي يعلىٰ، ت/ وديع حداد، دار المشرق، بيروت، لبنان.

٢٣٨ – معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط الأولى، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣٩ – المعجم الأوسط، للطبراني، ت/ محمود الطحان، ط الأولى ١٤٠٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

٢٤٠ – المعجم الكبير، للطبراني، ت/ حمدي السلفي، ط الأولى، ١٣٩٩هـ، الدار العربية، بغداد.

٢٤١ – معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت/ عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٢ – معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤٣ – المغني، لابن قدامة، عالم الكتب، بيروت.

٢٤٤ – مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني، المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٧٤هـ.

٢٤٥ – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٦ – مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ت/ محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

٢٤٧ – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، عني بتصحيحه: هلموت ريتر، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤٨ – مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، ط الثالثة، دار نهضة مصر.

٢٤٩ – مقدمة ابن الصلاح لأبي عمرو بن الصلاح، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ، بيروت.

٢٥٠ – الملل والنحل، للشهرستاني، ت/ سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٢٥١ – المنافقون في القرآن الكريم، د. عبدالعزيز الحميدي، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٩هـ.

٢٥٢ – مناقب الشافعي، للبيهقي، ت/ أحمد صقر، ط الأولى، ١٣٩١هـ، دار النصر، القاهرة.



٢٥٣ - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي، مصورة عن طبعة حيدر آباد، ١٣٥٧هـ.

٢٥٤ - منهج الإمام الشوكاني في العقيدة.

٢٥٥ - منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٥٦ - المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، ت/ حلمي فوده، ط الأولى، ١٣٩٩هـ دار الفكر.

٢٥٧ - الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، دار الفكر، ١٣٤١هـ.

٢٥٨ - المواقف في علم الكلام، للايجي، مطبعة العلوم، ١٣٥٧هـ.

٢٥٩ - الموطأ للإمام مالك، دار إحياء الكتب العربية، صححه/ محمد فؤاد عبدالباقي.

٢٦٠ - ميزان الإعتدال في نقد الرجال، للذهبي، ت/ علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٢٦١ - النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٢٦٢ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، دار الكتب.

٢٦٣ - نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لابن حجر العسقلاني، ط الأولى، ١٤١٣هـ دار ابن الجوزي، الدمام.

٢٦٤ - نظم المتناثر في الحديث المتواتر، للكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦٥ - نقد مراتب الإجماع، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتب القدس بالقاهرة، ١٣٥٧هـ.

٢٦٦ - نقض التأسيس، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم ٢٥٩٠.

٢٦٧ - نقض الدارمي على بشر المريسي، للإمام عثمان الدارمي، ضمن عقائد السلف، منشأة المعارف، الأسكندرية.

٢٦٨ - النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ت/ محمود الصناحي.

٢٦٩ - النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، ت/ محمد عبدالعزيز، دار التراث الإسلامي، بالأزهر.

٢٧٠ - النهي عن سب الأصحاب وما فيه من النهي والعقاب، لأبي عبدالله المقدسي، مخطوط.

٢٧١ - الوصية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط الثالثة، ١٤٠١هـ المطبعة السلفية.

٢٧٢ - الوافي بالوفيات، للصفدي، دار النشر فرانز شناير، بقيس بادن.

٢٧٣ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ت/ إحسان عباس، مطبعة الغريب، بيروت.

فهرس الموضوعات

الباب الثالث

آراء ابن حبان في السمعيات



الباب الرابع
آراء ابن حبان في الأسماء والصفات




شبكة الألوكة
www.alukah.net